خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

مجلة

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

من سنة ١٣٥٦هـ الى سنة ١٣٨٧هـ

وممن كتب فيها

الشيخ محمد حامد الفقي
الشيخ عبد الرزاق عفيفي
الشيخ عبد الرحمن الوكيل
الشيخ محب الدين الخطيب

الشيخ أحمد محمد شاكر
الشيخ عبد الظاهر أبو السمح
الشيخ أبو الوفا محمد درويش
الشيخ محمد خليل هراس

الناشر

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية ت/ ٠٨٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع
القاهرة ت/ ٠٢٣٥٨٦٤٢٤٠





١٣٧٠هـ

مكتبة ابن تيمية للنشر والتوزيع

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

الناشران

مكتبة منار التوحيد للنشر
المدينة النبوية / ٠٤٨٤٤٥٥٤٢٠

مكتبة ابن تيمية القاهرة
ت: ٣٥٨٦٤٢٤٠

العدد ١ المجلد ١٥

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

المحرم سنة ١٣٧٠

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبى ـ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدي النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

٢٠ ص فى مصر والسودان

٣٠ فى الخارج

الإدارة ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد عبده ورسوله ، سيدنا وسيد الخلق أجمعين ، أرسله الله رحمة للعالمين ، وهدى وذكرى لقوم يعقلون .

وهذه هى السنة الخامسة عشرة لمجلة (الهَدْى النبوى) ، وهى تسير على هُدًى ، موفقةً إلى الخير بعون الله ، داعيةً إلى الحق ، إلى كتاب الله وسنة رسوله ، متبعةً مذهب السلف الصالح رضى الله عنهم ، لا تَفَرَّقُ بها السُّبُل عن سبيل الله .

وقد رأى إخوانى أعضاء مجلس الإدارة لجماعة أنصار السنة ، ومعهم أخى ورفيق زميل العمر فى الدعوة الحقة ، الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى رئيس الجماعة ورئيس تحرير المجلة ـ أن يعهدوا إلىّ بالإشراف على تحريرها و إصدارها ، تفضلاً منهم ، ليكون لي شرف الاشتراك العملى معهم فيما هم بسبيله .

ولقد ترددتُ أولاً ، خشية أن لا أكون أهلاً لهذا الشرف الذى يُضْفُونه علىّ ، ثم قبلتُ متوكلاً على الله مستعيناً به ، آملاً أن أكون عند حسن ظنهم .

ثم اتفقنا على استحداث أبواب جديدة فى المجلة ، تكون ثابتة فى كل عدد ما استطعنا ليعُمّ النفع بها ، ويزداد الإقبال عليها والرغبة فيها وهى ـ كما نشر فى العدد الخاتم للسنة الرابعة عشرة ، عدد ذى الحجة سنة ١٣٦٩ ـ :

١ ـ (باب الكتب) للتعريف بنفائس الكتب وجليل الآثار ، مما ذخرت به المكتبة الإسلامية فى عصورها ، منذ بدء الإسلام إلى الآن ، مخطوطة كانت أم مطبوعة ، ترغيباً للقراء فى الغذاء الروحى الذى لاقوام للعقول بغيره . والنقد الكتب التى تخرجها المطبعة العربية في أنحاء العالم ، فى أنواع العلوم ، من مؤلف قديم أو حديث .

٢ — (باب التاريخ) لنشر تراجم لعظماء المسلمين وأبطالهم وقادتهم قديماً وحديثاً .

٣ — (باب علوم الحديث) وهو باب فنيّ صرف ، لنشر أبحاث علمية دقيقة في علوم الحديث ، مما يتعلق بالسند و بالمتن ، ومما يتعلق بفقه الحديث والتمسك به ، ويكون مجالاً لأقلام المحدّثين فى أنحاء العالم .

٤ — (باب « كلمة الحق ») وهو باب جعلته خاصًّا بى ، أقول فيه « كلمة الحق » فى شؤون المسلمين كلها ، ما وجدت لقولها سبيلاً .

وأملى كبير فى إخوانى من أهل العلم والمعرفة ، ومن أنصار السنة ، ومن الباحثين المدققين المتعمقين ، ومن أحرار الرأى والفكر ، أن يستجيبوا لدعوة اللجنة العليا للمجلة ، فيغذّوها بمقالاتهم وأبحاثهم النفيسة ، فى هذه الأبواب وغيرها ، مما يتصل بالأدب و بالخلق وبالاجتماع ، و بالدعوة إلى الحق و إلى الخير ، فى شؤون المسلمين كلها ، تعاوناً على البر والتقوى ، ودعوة إلى الله وفى سبيل الله .

وسأرحّب إن شاء الله بكل ما يرد للمجلة من نقد أو توجيه ، أدرسه مع إخوانى دراسة صحيحة بإخلاص . ثم نأخذ بالنافع منه ، أيًّا كان قائله ، اتباعاً للحق حيث كان .

وأسأل الله الهدى والسداد ، والحكمة والتوفيق ؟

أحمد محمد شاكر

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أوشهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

• نأذن لمن شاء من الصحف والمجلات وغيرها أن ينقل من هذه الكلمات مايشاء ، أو يقتبس ، أو يترجم . على أن ينسبها صراحة لكاتبها ، وعلى أن لا يجمعها أحد غيرنا فى كتاب . فهذا نحتفظ بحقنا فيه خاصة .

وثانياً : نرحب بكل نقد لما نقول أو رد عليه ، ننشره مرحبين به ، راجعين إلى الصواب إذا ماأخطأنا ، أو معقبين عليه بما يجلو وجهة نظرنا ، أو يرفع شبهة إن كانت . على أن يكون النقد فى حدود البحث العلمى الصحيح ، أما الأهواء ، وأما الجدال والمراء فلا ، بل نعرض عنهما كراماً إن شاء الله .

وثالثاً : من شاء أن ينقدنا أو يرد علينا فى جريدة أخرى أو مجلة ، فمن الإنصاف لنفسه ولنا ، أن يرسل إلينا الصحيفة التى كتب فيها ، خشية أن يخفى علينا موضعها فلا نراها ، فيظن أننا قصرنا ، وما إلى هذا أراد ولا أردنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أقلَّ ما قلنا (كلمةَ الحق) في مواقف الرجال . وما أكثر ما قصّرنا في ذلك ، إن لم يكن خوفاً فضعفاً ، ونستغفر الله ، وأرى أنْ قد آنَ الأوانُ لنقولَها ما استطعنا ، كفّارةً عمّا سَلَفَ من تقصير ، وعمّا أسْلَفْتُ من ذنوب ، ليس لها إلاّ عفوُ الله ورحمتُه . والعمرُ يجري بنا سريعاً ، والحياةُ توشك أن تبلغ منتهاها .

وأرى أنْ قد آنَ الأوانُ لنقولها ما استطعنا ، و بلادُنا ، بلادُ الإسلام ، تنحدر في مجرى السَّيْل ، إلى هُوَّةٍ لا قَرار لها ، هُوَّةِ الإلحاد والإباحية والانحلال . فإن لم نَقِفْ منهم موقف النذير ، و إن لم نأخذ بحُجَزِهم عن النار ، انحدرنا معهم ، وأصابنا من عَقابيل ذلك ما يصيبُهم ، وكان علينا من الإثم أضعافُ ما حُمّلوا .

ذلك بأن الله أخذ علينا الميثاقَ : (لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس ولا تكتمونه)[1] . وذلك بأن الله ضرب لنا المثل بأشقى الأمم : (لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عَصَوْا وكانوا يعتدون . كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لَبِئْس ما كانوا يفعلون)[2]

وذلك بأن الله وصفنا ـ معشرَ المسلمين ـ بأننا خيرُ الأمم :(كنتم خيرَ أمة أُخرجتْ للناس ، تأمرون بالمعروف وتَنْهَوْنَ عن المنكر)[3] . فإن فقدنا ما جَعَلنا اللهُ به خيرَ الأمم ، كنّا كمَثَل أشقاها ، وليس من منزلةٍ هناك بينهما .

وذلك بأن الله يقول : (الذين يُبَلِّغُون رسالاتِ الله و يخشَوْنه ، ولا يخشون أحداً إلا الله)[4]

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٨٧ (٢) سورة المائدة الآيتان ٧٨ ، ٧٩

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ (٤) سورة الأحزاب ، الآية ٣٩

وذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألاَ لا يمنعنَّ أحدَكم رهبةُ الناس أن يقول بحقّ إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يُقرِّبُ من أجَلٍ ، ولا يُباعدُ من رِزْقٍ ، أن يقول بحقٍ ، أو يُذَكِّرَ بعظيمٍ »[1] .

وذلك بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَحْقِرَنَّ أحدُكم نفسَه ، قالوا : يارسول الله ، كيف يحقر أحدُنا نفسَه ؟ قال : يَرَى أمرًا لله عليه فيه مقالٌ ، ثم لايقولُ فيه ، فيقول الله عز وجل له يومَ القيامة : ما منعكَ أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خَشْيَةُ الناس ، فيقول : فإيايَ كنتَ أحقَّ أن تَخْشَى »[2] .

نريد أن نقول (كلمة الحق) فى شؤون المسلمين كلها . نريد أن ننافح عن الإسلام ما استطعنا ، بالقول الفصل ، والكلمة الصريحة ، لانخشى فيما نقول أحداً إلاّ الله . إذْ نقول ما نقول فى حدود ما أذن الله لنا به ، بل ما أوجب عليه أن نقوله ، بهَدْيِ كتاب ربنا وسنة رسوله .

نريد أن نحارب الوثنية الحديثة والشِّرك الحديث ، اللذين شاعا فى بلادنا وفى أكثر بلاد الإسلام ، تقليدًا لأوربة الوثنية الملحدة ، كما حارب سلفُنا الصالحُ الوثنيةَ القديمة والشرك القديم .

نريد أن ننافح عن القرآن ، وقد اعتاد ناس أن يلعبوا بكتاب الله بين أظهرنا ، فمن متأولٍ لآياته غيرِ مؤمن به ، يريد أن يَقْسِرَها على غير ما يدل عليه صريح اللفظ فى كلام العرب ، حتى يوافق ما آمن به ، أو ما أُشرِبَتْه نفسه ، من عقائد أوربة ووثنيتها وإلحادها ، أو يُقَرِّبَهُ إلى عاداتهم وآدابهم ـ إن كانت لهم آداب ـ ليجعل الإسلام ديناً عصريًّا فى فى نظره ونظر ساداته الذين ارتضعَ لِبَانَهم ، أوْ رُبِّيَ في أحضانهم !!

---

(١) رواه أحمد فى المسند ١١٤٩٤ بإسناد صحيح .

(٢) رواه ابن ماجة ٢ : ٢٥٢ بإسناد صحيح .

ومن منكر لكل شيء من عالم الغيب ، فلا يفتأ يحاور ويداور ، ليجعل عالم الغيب كله موافقاً لظواهر ما رأى من سنن الكون ، إن كان يرى ، أو على الأصح لما فهم أن أوربة ترى !! نعم ، لا بأس عليه - عنده - أن يؤمن بشيء مما وراء المادة ، إن أثبته السادة الأوربيون ، ولو كان من خرافات استحضار الأرواح !!

ومن جاهل لايفقه في الإسلام شيئاً ، ثم لا يستحي أن يتلاعب بقراءات القرآن وألفاظه المعجزة السامية ، فيكذب كلَّ الأئمة والحفّاظ فيما حفظوا ورووا . تقليداً لعصبية الإفرنج التي يريدون بها أن يهدموا هذا الكتاب الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليجعلوه مثل ما لديهم من كتب .

وهكذا مما نَرى وتَرَوْن .

نريد أن نحفظ أعراض المسلمين . وأن نحارب ماأحدث (النسوانُ) وأنصارُ (النسوان) من منكرات الإباحية والمجون والفجور والدعارة ، هؤلاء (النسوان) اللائي ليس لهنَّ رجال ، إلاّ رجالاً (يُشْبِهْنَ) الرجال !! هذه الحركة النسائية الماجنة ، التي يتزعمها المجددون وأشباه المجددين ، والمخنثون من الرجال ، والمترجلات من النساء ، التي يهدمون بها كل خلق كريم ، يتسابق أولئك وهؤلاء إلى الشهوات ، وإلى الشهوات فقط .

نريد أن ندعو الصالحين من المؤمنين ، والصالحات من المؤمنات : الذين بقي في نفوسهم الحفاظُ والغيرة ومقوّماتُ الرجولة ، واللائي بقي في نفوسهنَّ الحياء والعفة والتصوُّن - إلى العمل الجدّيّ الحازم على إرجاع المرأة المسلمة إلى خدرها الإسلامي المصون ، إلى حجابها الذي أمر الله به ورسوله ، طوعاً أو كَرهاً .

نريد أن نثابر على ما دَعَوْنا وندعو إليه من العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله في قضائنا كله ، في كل بلاد الإسلام ، وهدم الطاغوت الإفرنجيّ الذي ضُرب على المسلمين في عقر دارهم في صورة قوانين ، والله تعالى يقول : (ألم تَرَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً . وإذا قيل لهم تعالَوْا إلى ما أنزل الله

وإلى الرسـول رأيتَ المنافقين يصدون عنك صدوداً)[١] . ثم يقول : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجاً ممـا قضيتَ ويسلموا تسليماً)[٢] .

نريد أن نتحدث فى السياسة ، السياسة العليا للأمم الإسلامية ، التى تجعلهم (أمةً واحدة) ، كما وصفهم الله فى كتابه ، نسمو بها على بدعة القوميات ، وعلى أهواء الأحزاب . نريد أن نُبَصِّر المسلمين وزعماءهم بموقعهم من هذه الدنيا بين الأمم ، وتكالب الأمم عليهم بغياً وعدواً ، وعصبية وكراهية الإسلام أولاً وقبل كل شيء .

نريد أن نعمل على تحرير عقول المسلمين وقلوبهم من روح التهتك والإباحية ، ومن روح التمرد والإلحاد ، وأن نريهم أثر ذلك في أوربة وأمريكا ، اللتين يقلدانهما تقليد القردة ، وأن نريهم أثر ذلك في أنفسهم وأخلاقهم ودينهم .

نريد أن نحارب النفاق والمجاملات الكاذبة ، التي اصطنعها كتّاب هذا العصر أو أكثرهم فيما يكتبون وينصحون ! يظنون أن هذا من حسن السياسة ، ومن الدعوة إلى الحق (بالحكمة والموعظة الحسنة) اللتين أمر الله بهما ! وما كان هذا منهما قط ، وإنما هو الضعف والاستخذاء والملق والحرص على عرض الحياة الدنيا .

وما نريد بهذا أن نـكون سفهاء أو شتّامين أو منفرّين . معاذ الله ، و « ليس المؤمن بالطعّان ولا اللعّان ، ولا الفاحش ولا البذيء » كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] . ولـكنّا نريد أن نقول الحق واضحاً غير ملتوٍ ، وأن نصف الأشياء بأوصافها الصحيحة ، بأحسن عبارة نستطيعها . ولـكنّا نربأ بأنفسنا وبإخواننا ، أن نصِفَ رجلاً يعلن عداءه للإسلام ، أو يرفض شريعة الله ورسوله ـ مثلاً ـ بأنه « صديقنا » ، والله سبحانه نهانا عن ذلك نهياً حازمًا فى كتابه . ونربأ بأنفسنا أن نضعف ونستخذيَ ، فنصفَ أمةً من

---

(١) الآيتان ٦٠ ، ٦١ من سورة النساء . (٢) الآية ٦٥ من سورة النساء .

(٣) رواه الترمذى (٣ : ١٣٨ من شرح المباركفورى) وأحمد فى المسند ٣٨٣٩، ٣٩٤٨ .

الأمم تضرب المسلمين بالحديد والنار، وتهتك أعراضهم وتنتهب أموالهم، بأنها أمة «صديقة» أو بأنها أمة «الحرية والنور»، إذا كان من فعلها مع إخواننا أنها أمة «الاستعباد والنار»!
وأمثال ذلك مما يرى القارىء ويسمع كل يوم، من علمائنا - نعم من علمائنا - ومن كبرائنا وزعمائنا ووزرائنا! والله المستعان.

نريد أن نمهد للمسلمين سبيل العزة التي جعلها الله لهم ومن حقهم إذا اتصفوا بما وصفهم به: أن يكونوا «مؤمنين». نريد أن نوقظهم وندعوهم إلى دينهم بهذا الصوت الضعيف، صوت مجلتنا هذه المتواضعة. ولكننا نرجو أن يدوّيَ هذا الصوت الضعيف يوماً مّا، فيملأ العالم الإسلاميّ، ويبلغ أطراف الأرض، بما اعتزمنا من نية صادقة، نرجو أن تكون خالصةً لله وحده، جهاداً في سبيل الله. إن شاء الله.

فإن عجزنا أو ذهبنا، فلن يعدم الإسلام رجلاً أو رجالاً خيراً منّا، يرفعون هذا اللواء، فلا يزال خفاقاً إلى السماء، بإذن الله؟

أحمد محمد شاكر

١ — جرأة عجيبة على تكذيب القرآن

وددتُ لو استطعتُ وصف ما صنع الأستاذ سليم بك حسن بغير هذا العنوان القاسي . ولكنَّ ما صنع كان أشدَّ تهافتاً وأسوأ وقعاً مما يدل عليه العنوان :

فإنه أخرج في هذا العام الجزء السابع من كتابه (مصر القديمة) ، ولستُ الآن بصدد نقد كتابه هذا ، وكشف ماينطوي عليه من الإشادة بوثنية قدماء المصريين ، ومن تقديس الأحجار والأوثان ، ولو بالقول دون العقيدة ، بل من وصف أحد الفراعين الوثنيين بصفة النبوة (ص ٥٩٠ من هذا الجزء) . ولكنه عرض في هذا الجزء (قصةَ خروج بني إسرائيل من مصر) عرضاً عجيباً جريئاً ، فوق حدود العجب ، وفوق حدود الجرأة (ص ١٠٦ ـ ١٣٨) . كذّب فيه التوراة تكذيباً صريحاً تارة ، وتكذيباً ملتوياً تارة ، وكذب فيه القرآن تكذيب (العلماء الأفذاذ في هذا العصر !) ، الذين يتأولون القرآن تأولاً لا يَمُتُّ إلى لفظه ولا إلى معناه بسبب ، يخرج به على كل دلالة ، وعلى كل عقل ، إلا عقولهم الجبارة المتوفزة للهدم ! وكان فى عمله هذا مقلداً ، لم يتقن الصنعةَ كما أتقنوا وكذَّبه تكذيباً آخر غير مباشر ، بتقرير (حقائق !) تُنافى ما أُثبت القرآنُ وتناقضه ، يقررها بعظمة العالم المتثبت ! الذي لايثبت صحة خبر في القرآن إلا أن تؤيده الأحجار (المقدسة) التي كتبها وثنيون مجهولون ، من عبّاد الفراعين ، وعبّاد العجول ، وعبّاد الأوثان .

ومن قرأ هذا الفصل الذي كتبه هذا (العالم المتثبت) عن قصة بني إسرائيل وخروجهم من مصر (ص ١٠٦ ـ ١٣٨) لا يخالجه شك في أن الأستاذ رضي على مضض أن يسلم بوجود شيء في مصر في عهد الفراعين اسمه « بنو إسرائيل » ، وبخروجهم من مصر بقيادة رجل منهم اسمه « موسى » ، وأن ما عدا ذلك من التفاصيل إن هو إلا أساطير وأكاذيب إلى أن تظهر أدلة أخرى تثبت شيئاً منها .

إن شئتم فاقرؤوا قوله (ص ١١٤) :

« ولكن ليس لدينا أيّ أثر يبرهن على وجود احتلال جدّيّ لأيّ صقع مصرى تكون من نتائجه حدوث مأساة كالتي مثلت في كتاب الخروج ، و إلى أن يظهر في الأفق براهين تختلف في شكلها عن التي في متناولنا الآن ، فإني أومن بأن تفاصيل القصة يجب أن تُعدّ أسطورةً ، مثلها كمثل قصة بدء الخليقة المذكورة في سفر التكوين . وعلينا أن نسعى في تفسير هذه التفاسير [كذا ، وصحتها التفاصيل] على فرض أنها أسطورة » ! !

وما أظن أحداً يشك بعد هذا في أن الأستاذ المؤلف ينكر كل التفاصيل التي في قصة خروج بني إسرائيل . والبقية تأتي ! !

إن المؤلف — فيما أرى — يستغل الروح الوطني القومي الذى تغلغل في مصر للإشادة بقدماء المصريين وفراعينهم وأوثانهم ، على النحو الذى نراه في الصحف والمجلات والمؤلفات ، تقليداً لأوربة من جهة ، ونتيجةً لما رسمتْ أوربةُ ومبشروها ومستعمروها من محاولة هدم الإسلام في بلاده ، بتربية الأمة تربيةً تستبطن الإلحاد مع مظهر التدين ، أو تعلن الإلحاد ما وجدت الفرصةَ لذلك .

وأكبر ظنى أن المؤلف لم يقرأ قصة بني إسرائيل في القرآن قط ، أو هو على الأقل لم يتأملها تأمل المؤمن المستيقن بصدق هـذا القرآن ، و بأنه وحي من الله لرسوله لفظاً ومعنى ، و بأنه أصدق مصدر تاريخي ، لأنه ليس من علم البشر ، بل هو من قول خالق الكون ، الذى يعلم ما تقدم وما تأخر ، و بأنه الكتاب المهيمن على ما سبقه من كتب الأنبياء ، و بأنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يعقد مقارنة بينه و بين الكتب السابقة ، فضلاً عن أن يعقد مقارنة بينه و بين نقوش على أحجار ، أو كتابة في أوراق ، كتبها وثنيون مجهولون ، مدّاحون متملقون ، يمدحون ملوكهم بالحق تارةً ، و بالباطل تارات . إلى أن هذه النقوش والكتابات لم يتبين إلى الآن معناها على سبيل القطع واليقين ، بل هو الظن والاجتهاد ، بما بلغت إليه أسباب دارسيها .

أنا لا أدافع عن التوراة الموجودة الآن بين يدى اليهود ، ولا عن نسختها الأخرى

التي بين يدى النصارى باسم « العهد القديم » ، فإني أعرف أنها لم تصل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء بطريق يقيني أنها هي « التوراة » التي أنزل الله على نبيه موسى عليه السلام . بل أكاد أجزم أنها تاريخ كتب بعد موسى بدهر طويل ، فيها شيء من التوراة الصحيحة ، وفيها تزيد كثير ، لم يعرفه موسى ولا هرون . وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما لم يثبت من أخبارهم وأحكامهم في القرآن ، ولم نجد فى كتاب الله ما ينفيه ، أن نقف منهم موقف الحياد ، فلا نصدقهم ولا نكذبهم ، ونقول : « آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ، ونحن له مسلمون »[1] .

ولا أرى لمسلم أن يستغل عداء اليهود للمسلمين منذ قديم الزمان ، وعدوانهم علينا في عصرنا هذا ، فيكذب أخبار الله عنهم فى القرآن ، ويطعن في الأنبياء السابقين ، كما يفعل بعض الناس فى هذه الأيام .

والأستاذ سليم بك حسن يكاد يفعل هذا أو يقاربه ، فيقول فى (ص ١٠٨) : « وكان موسى من الوجهة المصرية أقل شأناً من يوسف ، فقد كان كما تقول التوراة لقيطاً في قصر الفرعون ، ثم هارباً من وجه العدالة ، ثم متكلماً عن عبيد غرباء » !!

ووجهة (النظر المصرية) هذه لا يجوز لمسلم أن يحكيها إلاّ ليردّها بما يكذبها في القرآن ، إن كان أحد من المصريين قالها من قبل . فالله سبحانه يقول : (نتلو عليك من نبأ موسى وفرعونَ بالحقّ لقوم يؤمنون • إن فرعون عَلاَ في الأرض وجعل أهلها شِيَعاً ، يستضعفُ طائفةً منهم ، يذبّحُ أبناءهم ويستحيي نساءهم ، إنه كان من المفسدين • ونريد أن نَمُنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين • ونُمكّنَ لهم في الأرض ، ونُريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)[2] .

وكلمة « لقيط » التى سمح المؤلف لنفسه أن يصف بها نبيًّا من أولي العزم من الرسل ،

---

(١) رواه البخارى ١٣ : ٢٨٢ من فتح البارى . وانظر ٦ : ٣٩٩ من تفسير ابن كثير .
(٢) الآيات ٣ ـ ٦ من سورة القصص .

وما أظنه يرضاها لبعض من يعرف أو يحبّ ، كلمةٌ خارجة على كل الحدود ، لا توافق ديناً ولا خُلقاً ولا أدباً .

ثم نعود إلى الكلام من أوله :

يذكر الأستاذ المؤلف (ص ١٠٦ ـ ١٠٧) أن ذكر بني إسرائيل لم يعثر عليه في الآثار المصرية إلا مرة واحدة في « القصيدة الرائعة التي نقشها منبتاح تخليداً لذكرى انتصاراته على أقوام لوبيا والبحار » ، وأنه لم يجدهم « يُذكرون بعد ذلك على الآثار إلاّ بعد انقضاء أربعة قرون من ذلك التاريخ » .

وهو من قبلُ ذكَرَ هذا الشيءَ الذي يسميه « القصيدة الرائعة » ، وترجم معانيها إلى عربيته (ص ٩٦ ـ ١٠١) ، وقدمها إلى قراء كتابه بأنها « قصيدة عن انتصار منبتاح » وهو اسم أحد فراعينه الذى يزعم أن خروج بني إسرائيل كان على عهده ! وقال : « هذه القصيدة منقوشة على لوحة تذكارية من الجرانيت الأسود ، وهى المسماة : لوحة إسرائيل ، وقد أقيمت فى معبد الملك الجنازى » . ثم يقول فى التمهيد لمتنها : « وفي ختام هذه القصيدة الرائعة يعدّد لنا الشاعر القبائل أو الأقاليم التي أخضعها منبتاح ، ومن بينها قبيلة بني إسرائيل . وهذه أول مرة ذكر فيها هؤلاء القوم في المتون المصرية ، ولذلك سميت هذه اللوحة باسمهم . وكذلك قيل عن منبتاح إنه فرعون موسى الذى ذكر في القرآن وغيره من الكتب المقدسة . وهذا طبعاً لا يرتكز على حقائق تاريخية » ! !

واعجبوا أيها الناس أن هذا الشيء الذى لا يرتكز على حقائق تاريخية يرتكز عليه المؤلف في تكذيب التوراة والقرآن ! !

والجملة الوحيدة التي في قصيدته هذه ، والتي بنى عليها بحثه المهلهل المتهافت ، هي قول شاعره (الرائع) : « وإسرائيل خربت وليس لها بذر » . وقد علّق المؤلف هنا في الهامش على كلمة (إسرائيل) بقوله : « هــذا هو أول عهدنا ببني إسرائيل ، بل هي المرة الأولى التي ذكر فيها الاسم في نص مصري ، وبموازنته بأسماء أخرى نجد أن كلمة إسرائيل كتبت

لتدل على شعب لا على بلد ، وعلى ذلك فإن الـكاتب قد عدَّ الإسرائليين قبيلةً بدوية في فلسطين » . وعلّق على كلمة (بذر) بقوله : « تشبيه كثير الاستعمال لبلدة خربت » .

فهذه الجملة وحدها هي التي أقنعت المؤلف الأستاذ بأن إسرائيل كانوا في مصر وخَرجوا أو أُخرجوا منها ، وبها وحدها صَدَّق أصل القصة في القرآن والتوراة ، وأنـكر بعد ذلك كل التفاصيل التي في التوراة واعتبرها أساطير صراحة ، كما نقلنا من كلامـه آنفاً ، وأنـكر كل التفاصيل التي في القرآن ضمناً ، كما يفهم من مجموع كلامه ، ومن بعض نصوصه التي سنذكر ، ثم انتظر أن يظهر في الأفق براهين تختلف في شكلها عن التي في متناوله الآن ، ليؤمن بمـا تثبته البراهين المنتظرة ! !

وما هذه البراهين ؟ وما ذلك البرهان ؟

أما البرهان فهو ماسماه « القصيدة الرائعة » ! وقد قرأنا ترجمتها التي ذكرها المؤلف ، ولا أستطيع أن أسميها « قصيدة » فإن لي رأياً في الشعر قد لا يرضاه المؤلف ، وقد لا يرضاه أكثر المتعلمين على المناهج الإفرنجية ، ولا يهمني رضاهم ولا سخطهم ، ولا أعبأ بموافقتهم ولا بمخالفتهم ، ولـكن المعاني التي قرأتها ، والبحث التاريخي الذي عرّفنا إياها به المؤلف ، يدل على أنها كمثل غيرها من النقوش الفرعونية الوثنية ، كلام لناس مجهولين ، مجهولةٍ أشخاصُهم ، ومجهولةٍ صفاتُهم ، ومجهولةٍ درجتُهم من الصدق أو الـكذب ولـكنها في مجموعها كلام أحد المدّاحين الـكاذبين المتملقين ، الذين نعرف لون كلامهم ، ودرجةَ اعتقاد قائله في صحة ما يقول ، ففيها من الغلوّ في مدح فرعونه ومعبوده ما يكاد يدل على أنه يهزأ به ، أو يريد ـ على الأقل ـ بمغالاته أن يعرف القارئ أنه شاعر كاذب أو كاتب كاذب .

وفيها من الصفات التي يسبغها على فرعون ما هو كذب قطعاً ، من وجهة نظرنا الإسلامية الثابتة في القرآن ، والتي لا أظن أن المؤلف من الشجاعة مايجرئه على أن يكذبها صراحةً ، وإن كذّبها ضمناً في لحن القول ! ! فإنه حين لخَّص قصيدته هذه (الرائعة) قال فيما قال (ص ٩٦) : « يضاف إلى ذلك أن الشاعر ، وسط هذه المدائح وتلك الأعمال

الجسام التي قام بها مرنتباح للذود عن حياض بلاده وتخليصها من غارات اللوبيين وكسر شوكتهم ـ : لم يفته أنْ وصف الفرعون بالاستقامة والعدل ، فهو يعطى كل ذى حق حقه»!

فرعون « مستقيم عادل ، يعطي كل ذي حق حقه » ! ! والله سبحانه يقول في كتابه الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : (إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً ، يستضعف طائفة منهم ، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ، إنه كان من المفسدين[1]) . ويقول : (إنَّ فرعون وهامان وجنودَهما كانوا خاطئين[2]) . ويقول في قذف موسى في اليمّ : (فَلْيُلْقِهِ اليمُّ بالساحل يأخذْه عدوٌّ لى وعدوٌّ له[3]) . ويحكي عن موسى أنه دعاه حين خرج خائفاً : (قال : ربّ نجنى من القوم الظالمين[4]) . ويقول آمراً موسى : (اذهب إلى فرعون إنه طغى[5]) . ويقول : (في تسع آيات إلى فرعون وقومه ، إنهم كانوا قوماً فاسقين[6]) . ويقول : (فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه ، إنهم كانوا قوماً فاسقين[7]) . ويقول : (وكذلك زُيِّن لفرعون سوء عمله وصُدَّ عن السبيل ، وما كَيْدُ فرعون إلا في تبَابٍ[8]) . ويقول : (ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون إلى فرعون وملئه بآياتنا ، فاستكبروا ، وكانوا قوماً مجرمين[9]) . ويقول : (وما أمْرُ فرعون برشيد . يَقْدُمُ قومَه يوم القيامة فأوردهم النار ، وبئس الورد المورود . وأُتْبعوا في هـذه لعنةً ويوم القيامة ، بئس الرِّفد المرفود[10]) . ويقول : (وأتْبعناهم في هذه الدنيا لعنةً ، ويوم القيامة هم من المقبوحين[11]) . ويقول في شأن فرعون وقومه : (ولهم اللعنةُ ولهم سوء الدار[12]) .

---

(١) الآية ٤ من سورة القصص . (٢) الآية ٨ من سورة القصص
(٣) الآية ٣٩ من سورة طه (٤) الآية ٢١ من سورة القصص .
(٥) الآية ٢٤ من سورة طه ، والآية ١٧ من سورة النازعات
(٦) الآية ١٢ من سورة النمل (٧) الآية ٣٢ من سورة القصص .
(٨) الآية ٣٧ من سورة غافر . (٩) الآية ٧٥ من سورة يونس .
(١٠) الآيات ٩٧ ـ ٩٩ من سورة هود . (١١) الآية ٤٢ من سورة القصص .
(١٢) الآية ٥٢ من سورة غافر .

هذا بعض ما أنزل الله علينا في كتابه في شأن فرعون ، ومن أصدقُ من الله حديثاً ؟
هذا الذي لعنه الله في القرآن ، وأمرنا بلعنه بما أمرنا من تلاوة آياته مؤمنين بها مصدّقين .
أفيجوز لمسلم بعد ذلك أن يحكي وصفه « بالاستقامة والعدل » عن كاتب وثني مجهول دون أن يعقب عليه بما يرفع به الشبهة التي قد تخالج بعض قارئى كلامه ، حتى لو كان من علماء الآثار ؟ !

هذا الفرعون الذى استجارت امرأته من جبروته وعمله ، إذ آمنت بربها وبالرسول الذى أرسله إليهم ، وهو موسى ، فقالت فيما حكى الله عنها : (رب ابن لى عندك بيتاً في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين[١]) .

هذا الذى ملأه الكبر والغرور ، حتى قال ما حكى الله عنه في سورة القصص : (يأيها الملأ ما علمتُ لكم من إلٰه غيرى[٢]) ! ! والذى دمغه موسى بالكبر والكفر والظلم ، كما قال الله : (وقال فرعون : ذروني أقتُلْ موسى وليَدْعُ ربَّه ، إني أخاف أن يبدِّل دينكم أو أن يُظهر في الأرض الفساد وقال موسى : إني عذتُ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب[٣]) .

وما أظن بعد ذلك ما قلنا إلا بيناً واضحاً ، لا يرتاب فيه مسلم .

ولم يسلك المؤلف في الشك في صحة ما ثبت فى التوراة مسلك علماء الإسلام . فإن هذا ضعف لايليق بعلماء عظام ! فالمسلمون يعتقدون اعتقاداً معلوماً من الدين بالضرورة ، مؤيداً بنصوص القرآن الصريحة ، أن الله أنزل التوراة على موسى ، ولكنهم يشكون فى صحة هذه النصوص التي فى أيدى القوم ، لما اعتورها من التحريف والتبديل ، ولما أدخل عليها من أكاذيب اليهود وغيرهم ، فلا يصدقون منها إلاّ ما وافق القرآن الذى أنزل (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه[٤]) ولا يكذبون إلاّ ماثبت كذبه بالدليل القطعي . وأما المؤلف الأستاذ فإنه يرتاب في تاريخ بني إسرائيل كله ، سواء ماثبت

---

(١) الآية ١١ من سورة التحريم .
(٢) الآية ٣٨ من سورة القصص .
(٣) الآيتان ٢٦ ، ٢٧ من سورة غافر .
(٤) الآية ٤٨ من سورة المائدة .

منه في التوراة مما يخالف القرآن ، أو مما لم يذكر في القرآن ، أوما وافق القرآنَ واعتقد المسلمون صحته ، لأنه ينظر إلى تاريخهم من « وجهة النظر المصرية » ! ! حوادث تافهة لا تستحق ذكراً أو تدويناً ! !

انظروا إليه يقول في (ص ١٠٧) من كتابه :

« وتاريخ بنى إسرائيل في مصر لم نجده في النقوش خلافاً للإشارة التي جاءت في الجملة السابقة ، ولكن تاريخ هؤلاء القوم كما ذكره مؤلف التوراة - وهو إسرائيلي المنبت - قد أضفى على حوادثه أهمية لم يخطر ببال مؤلف مصريّ أن يسبغها عليه فى هذا العهد بعينه ، بل ربما كان لايعرف شيئاً عنها ، وحتى إذا كان يعلمها فإنها كانت فى نظره من الحوادث التافهة التى لا تستحق ذكراً أو تدويناً ، إذ أن كل ما كان يهم المؤرخ المصرى فى عصوره التاريخية كلها هو تدوين انتصارات الفرعون ومفاخره ، وما قام به الآلهة الذين كانوا يؤازرونه وينصرونه فى المواقع كلها » ! !

هكذا - والله - يقول (المؤرخ الأستاذ المسلم) ، وينسى أن تاريخ بني إسرائيل ختم بحادثة ضخمه زلزلت البلاد ، وزلزلت عرش فرعون ، وأثارت غضبه وكبرياءه ، حتى خرج عن طوره ، وحتى نسي وقار الملك ، ولم يذكر إلا البطش والجبروت والطغيان . وقد قص الله علينا قصته فى القرآن مراراً كثيرة ، بصور تضفي على هذا الحادث أكبر أهمية تهم البلاد وملكها ، وتنفي نفياً باتًّا قاطعاً ما ادعاه المؤلف العلامة ! أن المؤرخ المصرى فى ذلك العهد لم يخطر بباله أن يسبغ عليها أهمية ، وأنه « ربما كان لا يعرف عنها شيئاً » ، وأنه إذا كان يعرفها «فإنها كانت فى نظره من الحوادث التافهة التي لاتستحق ذكراً أوتدويناً»! وما أظن أن الأستاذ سليم بك يستطيع أن ينفى صحة ما ورد فى القرآن ، ولا أن يشكك نفسه ويشكك الناس فى أنه كتاب أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

إذن فاقرؤا قول الله سبحانه فى سورة النازعات : (هل أتاك حديث موسى . إذ ناداه ربه بالواد المقدس طُوًى . اذهب إلى فرعون إنه طغى . فقل : هل لك إلى أن تَزَكّى .

وأهدِيَك إلى ربك فتخشى. فأراه الآية الكبرى . فكذّب وعصى . ثم أدبر يسعى . فحشر فنادى . فقال : أنا ربكم الأعلى . فأخذه الله نكال الآخرة والأولى[١]) .

واقرؤا قوله سبحانه يحكى جدال فرعون لموسى : (قال فرعون : وما رب العالمين ؟ قال: رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال لمن حوله : ألا تستمعون . قال : ربكم ورب آبائكم الأولين . قال : إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون . قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال : لئن اتخذتَ إلهاً غيرى لأجعلنك من المسجونين [٢]) . ثم ذكر اجتماع السحرة وغلبة موسى إياهم ثم إيمانهم به وتوعد فرعون إياهم بتقطيع الأيدى والأرجل وبالصلب ، وثباتهم فى وجهه على الإيمان ، ثم قال سبحانه : (وأوحينا إلى موسى أنْ أسْرِ بعبادى إنكم متَّبَعون . فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين: إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون [٣]).

واقرؤا فى نحو هذه المواقف قول الله : (قال : أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى . فلنأتينك بسحر مثله ، فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سُوًى . قال : موعدكم يوم الزينة وأن يُحشر الناسُ ضُحًى . فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى[٤]) . إلى أن غُلب السحرة فآمنوا وتوعدهم فرعون ، فلم يعبؤا بوعيده : (قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا ، فاقض ما أنت قاضٍ ، إنما تقضى هذه الحياةَ الدنيا[٢])

يا سليم بك :

أفَهذه حوادث تافهة فى نظر المؤرخ المصرى فى ذلك العهد ؟ أم هي من الحوادث التي لا يعرفها ذلك المؤرخ ؟ أم هي من الحوادث التي إذا عرفها لم يسبغ عليها أهمية ؟ ألا ترى

(١) الآيات ١٥ ـ ٢٥ من سورة النازعات . (٢) الآيات ٢٣ـ٢٩ من سورة الشعراء .

(٣) الآيات ٥٢ـ ٥٥ من سورة الشعراء .

(٤) الآيات ٥٧ ـ ٦٠ من سورة طه .

(٥) الآية ٧٢ من سورة طه .

أنك تستدل بدليل سلبيّ على نفي ما أثبته الله في القرآن ؟! كل ما لديك أنه لم توجد أحجار من أحجار الوثنيين ، أو كتابات مما يكتبون ، تسرد هذه الأحداث الخطيرة التي هزّت المُلْك وأخرجت المَلِك عن طوره ، ثم أخرجتْه من هذه الحياة فأسلمتْه إلى مصيره ، وأَوْرَدتْه نارَ جهنم ! وبينك وبين أولئك النـاس آلافُ السنين ، وأحداثُ الدهر . أفلا يمكن أن يكون (المؤرخ المصريّ الوثني) الذي تثق به ثقةً عمياء ، كَتب هذه الأحداث مفصلةً أو مجملةً ، ثم ضاعت فيما ضاع من آثارهم ، بتكسير الأحجار ، أو بحرق أوراق البَرْدِيّ ؟! ثم أنتم لا تزالون تجدون من أحجارهم وكتاباتهم مالم تعلموا . فما يُؤْمِنُك أن يوجد من قريب أو بعيد ما يسجل هـذه الأحداث ؟ فلا تكون قد أَفَدْتَ إلا أن كذّبتَ القرآن ، ثم كذّبتْك الأحجارُ والأوثان !! ولا أزال أعتقد أنك أعقلُ من هذا .

وبعد : فإن الأستاذ سليم بك حسن كتب بعقب ما نقلنا عنه ما يكاد يفهم منه أنه لا يعتقد بنبوة موسى عليه السلام ولا رسالته ، أو أنه لا يعرف هذه النبوة ولم يسمع بها ، وأنا لا أجرؤ أن أتهمه بهذه التهمة الخطيرة ، إني أخاف الله . ولـكن ماذا أصنع وماذا يصنع القارىء في قوله (ص ١٠٧) ما مثاله حرفاً بحرف :

« وما ذكره لنا كتّاب التوراة[1] عن إقامة بني إسرائيل في مصر ينحصر في العهدين اللذين شملا حياة كل من يوسف وموسى . وإذا كان موسى هو المؤلف لهذا التاريخ ، كما يدّعي كل من الأستاذ نافيل والأستاذ سايس ، فإنه من الطبعي أن تكون محتويات هذا الـكتاب كما هي » !!

ماذا أقول في هـذا الـكلام ؟ رجلان من (علماء !) أوربة لا يؤمنان بالأديان ، ولا يسلمان بأن هناك كتباً منزلة من عند الله ، يبحثان في تاريخ التوراة ــ كما يفهم من سياق ما نقل عنهما الأستاذ سليم بك ــ فيرجح لديهما أن هذه التوراة التي في أيديهم هي توراة موسى نفسه ، لا كتابة أحد من بعده ، فيزعمان أن موسى هو مؤلفها ! ولـكن الأستاذ

---

(١) يريد « مؤلف التوراة ؛ وهو إسرائيلي المنبت » ؛ كما قال آنفاً .

سليم بك حسن المسلم ، الذى يعرف من دينه ومن قرآنه أن الله أنزل التوراة على موسى ، يتردد فى أن هذا الكتاب الذى فى أيدى الناس هو الأصل ، أو هو كتاب آخر صنع من بعده ؟ أما إذا رجّح أنه ليس هو الأصل كما نرجح نحن لأدلة غير التي يعلمها ، فوقفه أقرب إلى السلامة . وأما إذا رجّح أنه هو الأصل ، أو احتمل أن يكون كذلك عنده ، فإنه لا يجوز له ـ فى دينه دين الإسلام ـ أن يعبّر بأن « موسى هو المؤلف لهذا التاريخ » حتى لو كان مقلداً لغيره من علماء أوربة الملحدين ، أيّاً كان العذر ، وأيّاً كان السبب . وأظن أن هذا من الوضوح بحيث لا يكون موضع ريبة أو تردد أو تأويل .

ثم أما بعد مرةً أخرى : فإني لم أكن أريد لأُسْهِب القولَ فى هذا الموضوع ، مخالفاً ما رسمتُ لنفسي فى « كلمة الحق » أن تكون كلماتٍ موجزةً فى دقة وإحكام ، لولا أنْ رأيت كلام المؤلف هذا ، وما فيه من تكذيب القرآن صراحة وضمناً ، بل ما فيه من سخرية واستهزاء بما أثبته القرآن بالنص الواضح الصريح !! فإن المؤلف الأستاذ رضى لنفسه أن يعبّر بعبارة نابية عن أضخم حادث وقع فى تاريخ بنى إسرائيل ، بل فى تاريخ مصر كله فيما نعلم ، وعن أكبر معجزة لنبي الله « موسى » عليه السلام ، فسماه « خرافة غرق الفرعون» !! ثم تناسى كل ماورد عن هذا الحدث العظيم فى القرآن الكريم ، وذكر آيةً واحدة لعب بتفسيرها وتأويلها لعباً لم يضرّ به إلا نفسه ، فإنه قفا ما ليس له به علم ، فكشف عن ذات نفسه فى معرفته بقرآنه ودينه .

وهذه الجرأة من المؤلف الأستاذ ، تصويره غرق فرعون الثابت فى القرآن بأنه «خرافة» ، هى التى دعتنى للكتابة فى هذا الموضوع ، على كراهتي للجدال وإعراضي عنه، ولكني لم أستجز لنفسي أن أسكت على مثل هذا التهجم على القرآن ، أيّاً كان كاتبه أو قائله .

والمؤلف الأستاذ يضطرب فى هذا البحث ويتردد ، فيثبت شيئاً ثم ينفيه ، أو يشكك فيه ! فإنك تراه يقول فى (ص ١١٤) بعد الذى نقلنا من قوله آنفاً فى أن عليه أن يسعى في تفسير التفاصيل عن قصة بنى إسرائيل على فرض أنها أسطورة ـ : « وعلى ذلك فاني بعيد

عن القول بأن كل قصة الخروج خرافية . وقد أوضحت وأكدت بكل صراحة اعتقادي بأن القصة في مجموعها تعكس لنا صورة حادثة تاريخية معينة ، وهي طرد الهكسوس من مصر » ! وانظروا واعجبوا إلى قوله « اعتقادي » ، كأن له اعتقاداً أو رأياً ثابتاً ! ! وهو الذي يقول قبل ذلك بقليل (ص ١١٣) : « على أن كل ماذكرناه هنا عن تاريخ خروج بني إسرائيل ومكثهم في أرض مصر لا يرتكز على حقائق تاريخية تشفي الغلة ، [يريد الحجارة والأوثان ونحوها !] إذ على الرغم من كل ما استعرضناه في هذا الموضوع فإن بعض علماء الآثار لا يزالون ينظرون إلى موضوع خروجهم وأنه حقيقة تاريخية تنطبق على بني إسرائيل - بعين الحذر والحيطة ، ونخص من بينهم الأستاذ جاردنر » الخ . فهو يريد أن يستقل بالرأي تارة ، ويغلبه الضعف والتقليد في الموضوع نفسه تارة أخرى ، فلا يستطيع أن يثبت على رأي واحد ! إلا أن يكون في « خرافة غرق فرعون » ! فإنه كان شجاعاً ثابت الرأي ، لم يتردد في نفي هذا الغرق ، وفي وصفه بأنه « خرافة » ! ! .

وسنسوق في هذه المسئلة الخطيرة كلامه بالنص ، على طوله وتهافته ، ليظهر مرماه واضحاً غير محتمل لتأويل أو تحريف ، وقد ذكر المؤلف أسماء المدن والأماكن التي سار فيها بنو إسرائيل « كما ذكرت فى التوراة » ، ثم تناولها بالبحث « واحداً فواحداً على حسب ترتيبها الطبيعى » ، (ص ١٢١ ـ ١٣٥) ، مما لا يهمنا بشيء ، لأنه كله تخرص من غير دليل ولا حجة ، وهو عندنا إلى البطلان أقرب منه إلى الصحة .

وتكلم أثناء ذلك (ص ١٢٧ ـ ١٢٨) فى شأن « بحرسوف » ، فقال :

« بحر سوف (يام سوف ، أو يمّ البوص) : يعتقد كثير من الكتاب الذين تناولوا موضوع خروج بنى إسرائيل أن " بحر سوف "، هذا هو البحر الأحمر ، بيد أن الحقائق التاريخية والبحوث الحديثة تكشف عن غير ذلك ، وسنتحدث هنا عن كل ذلك ببعض الاختصار . كُتبت التوراة فى الأصل باللغة العبرية ، وفى خلال القرن الثالث قبل الميلاد أمر بطليموس الثالث على ما يقال بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة الإغريقية ، وهذه الترجمة تعرف بالترجمة السبعينية نسبة إلى الكهنة السبعين الذين ترجموها ، ومما يؤسف له جدّ

الأسف أنه لم تصل إلينا نسخة واحدة من الأصل القديم الذي ترجم عنه ، وأقدم نسخة لدينا بالعبرية يرجع عهدها إلى القرن العاشر الميلادي ، و بالموازنة بين النسختين وجد أنه لم تحدث اختلافات كبيرة بين نسخة القرن الثالث قبل الميلاد المترجمة ونسخة القرن العاشر بعد الميلاد . وحيثما وُجدت فروق فإنها أتت عن طريق المترجمين الذين أرادوا أن يتصرفوا فى ترجمتهم بدلاً من تتبع الترجمة الحرفية. ومن ذلك أنهم وضعوا بدلاً من عبارة (يام سوف) (بحرسوف) عبارة (البحر الأحمر) أو (بحر القلزم) ، ولا نزاع فى أن هذا التغيير كان ذا أثر بين فيما كتبه أولئك الذين فحصوا هذا الموضوع ، كما ظهر أثره كذلك فى بحوث علماء الآثار الذين قاموا بأعمال الحفر فى خرائب وادى طميلات » ....

ثم قال المؤلف (ص ١٣٤ ـ ١٣٦) فى ختام خروج بنى إسرائيل :

« اليوم الرابع : وكان موسى حذراً ، لأنه على الرغم من أنه قد حصل على إذن من فرعون بالخروج من البلاد مع أتباعه كان يخاف أن يغير رأيه ، ولذلك سلك طريقاً غير الطرق المعتادة ، فلم يأخذ طريق الفلسطينيين على الرغم من أنها كانت قريبة كما شرحنا ذلك من قبل . وعلى الرغم من حذره فإن الفرعون غيّر رأيه فعلاً وتبع موسى وقومه فى ستمائة عربة من خيرة عرباته يسوقها نخبة من فرسانه ، وقد لحق المصريون بالإسرائيليين فى معسكرهم بالقرب من (يام سوف) ومعناها العبري حرفيًّا (بحيرة البوص) واليم بالعربية : البحر ، وخُصَّ بنيل مصر كما جاء فى لسان العرب ج ٥ ص ١٠٤ (ويمكن الإنسان أن يراها على المصوّر) وتشغل منخفضاً قد بقى حتى الآن تحت مستوى البحر ، وقد كتب عليه فى مصوّر المساحة المصرية : يمكن ملؤه بالماء إذا احتاج الأمر ، أي أنه إذا عمل قطع فى الشاطىء الشرقى من قناة السويس فإن ماء البحر يملؤه . وقد منعت قناة السويس مياه مصرف بحر البقر القديم من إمداده بمياه النيل ممـا منع نمو البوص فيه . ويمكن أن يؤخذ منه الملح كما كانت الحال أيام الـكاتب (بيبسا) . وقد أصبح موسى بهذا الموقف فى مأزق حرج ، فقد كانت بحيرة البوص على يمينه ، وحصن مجدول بما فيه من حامية أمامه ، سادًّا الطريق من جهة الشمال ، وعلى يساره مستنقعات فرع النيل البلوزي ،

وخلفه الفرعون وجنوده ، فلم يكن لديه أي وسيلة غير طلب العون والرحمة من الله ، وقد نالها ، وأشار بعصاه نحو البحيرة على يمينه ، ثم أرسل الله ريحاً شرقية ، وقد جاء فى التوراة أنها ريح شرقية عاتية ظلت تهب طول الليل ، وهذه هي المعجزة ، فكان الريح يهب فى الاتجاه الصحيح فى الوقت المناسب ، وكان هبوبه شديداً حتى جفف الأرض ، وبذلك سار موسى وقومه على اليابس : ,, ومد موسى يده على البحر فأرسل الربّ على البحر ريحاً شرقية شديدة طول الليل حتى جعل البحر جفافاً وانشق المـاء ،، (راجع الخروج ١٤ ـ ٢١ [١]) ، ولا يزال منسوب الماء حتى الآن متأثراً بدرجة عظيمة بالريح فى بحيرة المنزلة والبرلس، ويلاحظ أن الطريق من بلطيم حتى برج البرلس تُغَطَّى بالماء عندما يهب الهواء غرباً ثم تصبح جافة عندما يهب الهواء من الشرق ويمكن الإنسان أن يسير عليها بالعربة [٢] »

ثم كشف المؤلف عن ذات نفسه ، فقال بعقب ذلك :

« أما موضوع غرق فرعون فهو أمر قد فهم خطأ على حسب ما جاء فى الكتب السماوية [٣] ، والواقع أنه لا يمكن الإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته ومن معه

---

(١) يريد « سفر الخروج » مما يسمونه « التوراة » أو « العهد القديم » .

(٢) يلاحظ هنا أن المؤلف لم يستطيع أن يصبر على ماجعله (المعجزة) لموسى ، وهو هبوب الريح (فى الاتجاه الصحيح فى الوقت المناسب) فيكاد ينكره أيضاً ، ويجعله شيئاً طبيعياً معتاداً ، ويكاد يجعل الإعجاز فى أن دعاء موسى صادف الوقت المناسب فقط ، فسواء أدعا أم لم يدع فإن هذا هو الشيء المتوقع الذى سيكون فى ذلك الوقت وهى خطة لم ينفرد بها المؤلف ولم يخترعها ، بل كل الذين لا يؤمنون بالغيب وبالمعجزات ، الذين يرونها شيئاً محالا يخالف سنن الكون ، يتأولون معجزات الأنبياء السابقين الثابتة فى القرآن على النحو الذى توافق به السنن الطبيعية ، حتى تخرج عن معنى الإعجاز ، إلى الشيء الطبيعى المعتاد ، خشية أن يهزأ بهم الأوربيون ، فيروهم متأخرين جامدين يؤمنون بما لا يوافق عقولهم ! .

(٣) هذا تعبير ملتو ، عجيب فى التوائه ! فما نكاد نفهم : أيريد المؤلف أن الناس قد فهمته خطأ فى الكتب السماوية ، حتى لو كانت صريحة اللفظ ؟ أم يريد أن الكتب السماوية هى التى فهمته خطأ ؟ لا ندرى ، والكلام بين يدى القارىء ، فليفهم وليحكم . ثم الله يحكم ويعلم ، وهو أحكم الحاكمين .

فى ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاث . بل المعقول أن خيل الفرعون وعرباته قد ساخت فى الأوحال وسقط بعض ركابها مغشياً عليه ، وهذا يفسر ماجاء فى سفر الخروج ١٤ ـ ٢٥ : ،، وخلع دواليب المراكب فساقوها بمشقة ،، ومما سبق نعلم أن خرافة غرق الفرعون فى البحر الأحمر وموته لا أساس لها من الصحة ، وقد جاء كل ذلك الخلط من ترجمة ،، يام سوف ،، بالبحر الأحمر أو بحر القلزم ، هذا فضلاً عن أن ما جاء فى القرآن لا يشعر بأن الفرعون الذي عاصر موسى قد غرق ومات ، بل على العكس نجاه الله ببدنه ليكون آية للناس على قدرة الخالق . والتعبير : (فاليوم ننجيك ببدنك) يعادل التعبير العامى ،، خلص بجلده ،، هذا ويلاحظ أن كلمة ،، البحر ،، فى اللغة العربية كما جاء فى لسان العرب ج ٥ ص ١٠٣ ،، تطلق على الماء الملح والعذب على السواء ،، . وقد سبق أن قلنا إن اليم يطلق على النيل ، وعلى ذلك يمكن فهم الآية القرآنية التى جمعت القصة كلها فى اختصار رائع على حسب ما ذكرنا من إيضاحات وبراهين سابقة : (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعَدْوًا ، حتى إذا أدركه الغرق قال : آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين. آلآن وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آيةً ، وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون) سورة يونس الآيات ٩٠ ـ ٩٢ » .

فأنت ترى ـ أيها القارىء الكريم ـ أن المؤلف الأستاذ سليم حسن أحال أن يتصور الإنسان غرق الفرعون وعربته ومن معه فى ماء لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاثة ، وأنه جزم بأن « خرافة غرقه وموته لا أساس لها من الصحة » . ولقد كذَب على القرآن وافترى فى قوله « أن ما جاء فى القرآن لا يشعر بأن الفرعون الذى عاصر موسى قد غرق ومات » ، وأقولها صريحة واضحة ، غير متردِّد ولا متأول ، أنه « كذب وافترى على القرآن » ، وأنا مسؤول عما أقول ، وأحمل تبعته أمام المؤلف ، وأمام العالم كله ، وأمام أية جهة شاء أن يحتكم إليها ، وأنا أعرف معنى ما أقول ، وأقصد إلى معناه بالدقة ، وأعرف كيف أقيم الدليل القاطع من القرآن على صحته ، وأنه أضاف إلى جريمة الكذب والافتراء على القرآن ،

جريمة التلاعب بألفاظه وتفسيره تفسيراً ، لا أقول إنه خطأ ، بل أقول : إنه نزول به ـ والعياذ بالله ـ إلى أحقر المعانى العامية المبتذلة ، بجعل قول الله سبحانه (فاليوم ننجيك ببدنك) « يعادل التعبير العامىّ : خلص بجلده » ، ثم فى إشارته إلى أن الآية التى أشار إليها الله سبحانه فى قوله (لتكون لمن خلفك آية) بأن الله نجاه ببدنه « ليكون آية للناس على قدرة الخالق » !!

وليت شعرى : أين الآية والمعجزة فى نجاة فرعون وجنده كلهم من ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاثة ؟! وماذا فى هـذا من الدلالة على قدرة الخالق ؟! إلا أن يريد المؤلف السخرية بعقول الناس !!

وقبل أن أسوق الأدلة على كذب المؤلف على القرآن وافترائه ، أحبّ أن أسأله سؤالاً واحداً واضحاً ، وأحب أن يجيب جواباً واضحاً ، لا يلتوى فيه ولا يتأول ولا يجادل ، إذ هو ـ أعنى السؤال ـ بطبيعته لا يصلح موضعاً للجدال . وهو :

إنك ذكرتَ فى (ص ١٢٧ ـ ١٢٨) أن التوراة كُتبت فى الأصل بالعبرية ، وذكرتَ ما شئتَ عن ترجمتها ، وأن المترجمين « وضعوا بدلاً من عبارة ،، يام سوف ،، (بحر سوف) عبارة ،، البحر الأحمر ،، أو ،، بحر القلزم ،، ، وجعلتَ فى أول ذلك الكلام أن كلمة « يام سوف » توازى « يمّ البوص » . والقرآن الكريم لم يذكر فى قصة غرق فرعون « البحر الأحمر » ، ولا « بحر القلزم » ، ولكنه ذكر كلمتى « اليمّ » و « البحر » . فهل تريد بهذه الإشارات الملتوية إيهام الناس أن القرآن نُقِل عن التوراة التى حرف المترجمون ترجمتها ؟!

لا مناص لك من أن تجيب ، ولن أدع لك فرصة للحيدة أو التخلف ، فسأرسل لك نسخة من هذا المقال بالبريد المسجَّل ، وسأودع لك منه نسخة أخرى فى المكتبة التى أعاملها وتعاملها ، حتى لا يكون هناك شك فى وصوله إليك . ثم سنرى ماذا أنت قائل ؟

وسأقرأ جوابك عن سؤالى ، وردَّك ـ إن رددتَ ـ على مقالى ، وسأنشره كاملاً إذا أرسلته إلىّ بعنوان هذه المجلة (الهدى النبوى ٨ شارع قولة بعابدين) . وأرجو أن تثق بأنى

لن أغضب من شيء مما ستقول ، وأني سأقرّ الحق إن أظهرتني على خطأ فى مقالى ،.
وسأشيد بك إن أقررتَ بخطئك ورجعتَ . وإن أبيتَ وسكتّ فهذا شأنك ، وهذا حسبى ،.
هدانا الله وإياك .

ثم نعود إلى ما نحن بصدده . فهاهى ذى آيات القرآن الكريم الواردة فى غرق.
فرعون ، ليقرأها المؤلف الأستاذ سليم حسن ، وليقرأها الناس ، ليرى ويَرَوْا مقدار ما جنى
فيما كتب ، حتى يحدّد موقفه من ربه يوم الحساب ، وموقفه من دينه ، وموقفه من.
العقول السليمة :

قال الله تعالى مخاطباً بنى إسرائيل : (وإذْ فَرَقْنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل.
فرعون وأنتم تنظرون) . الآية ٥٠ من سورة البقرة .

وقال : (ولما وقع عليهم الرجزُ قالوا يا موسى ادْعُ لنا ربَّك بما عهد عندك ، لئن.
كشَفْتَ عنّا الرجز لنؤمننَّ لك ولنرسلن معك بنى إسرائيل . فلما كشفنا عنهم الرجز إلى
أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون . فانتقمنا منهم فأغرقناهم فى اليم بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا
عنها غافلين) . الآيات ١٣٤ ـ ١٣٦ من سورة الأعراف .

وقال : (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم ، كذَّبوا بآيات ربهم فأهلكناهم
بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون ، وكلٌّ كانوا ظالمين) . الآية ٥٤ من سورة الأنفال .

وقال : (وجاوزنا ببنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعَدْوًا ، حتى إذا
أدركه الغرق قال آمنتُ أنه لا إله إلا الذى آمنتْ به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن
وقد عصيتَ قبلُ وكنتَ من المفسدين . فاليوم ننجّيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية ،
وإنْ كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون) . الآيات ٩٠ ـ ٩٢ من سورة يونس .

وقال : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بيّنات ، فاسألْ بنى إسرائيل إذْ جاءهم ، فقال له
فرعون : إنى لأظنّك ياموسى مسحوراً . قال : لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلاّ ربُّ السموات
والأرض بصائر ، وإنى لأظنك يا فرعون مثبوراً . فأراد أن يستفزّهم من الأرض فأغرقناه.
ومن معه جميعاً) . الآيات ١٠١ ـ ١٠٣ من سورة الإسراء .

وقال : (ولقد أوحينا إلى موسى أنْ أَسْرِ بعبادى فاضربْ لهم طريقاً فى البحر يَبَساً ،

لا تخاف دَرَكاً ولا تخشى . فأتبعهم فرعونُ بجنوده ، فغشِيَهم من اليَمّ ما غَشِيَهم . وأضلّ فرعونُ قومه وما هدى) . الآيات ٧٧ ـ ٧٩ من سورة طه .

وقال : (وأوحينا إلى موسى أن أسْرِ بعبادى إنكم متَّبَعُون . فأرسل فرعونُ فى المدائن حاشرين . إن هؤلاء لشرذمة قليلون . وإنهم لنا لغائظون . وإنَّا لجميع حاذرون . فأخرجناهم من جنات وعيون . وكنوز ومَقام كريم . كذلك وأورثناها بنى إسرائيل. فأتبَعُوهم مشرقين. فلما تَرَاءى الجمعانِ قال أصحابُ موسى : إنَّا لمُدْرَكون ، قال : كَلاَّ ، إن معى ربى سيهدين. فأوحينا إلى موسى أَنِ اضربْ بعصاك البحر ، فانفلَقَ فكان كل فِرْقٍ كالطود العظيم . وأزْلَفنا ثَمَّ الآخرين ، وأنجينا موسى ومن معه أجمعين . ثم أغرقْنا الآخَرين) . الآيات ٥٢ ـ ٦٦ من سورة الشعراء .

وقال : (واستكبر هو وجنوده فى الأرض بغير الحق ، وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون . فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) . الآيتان ٣٩ ـ ٤٠ من سورة القصص .

وقال : (فاستخفَّ قومه فأطاعوه ، إنهم كانوا قوماً فاسقين . فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ، فجعلناهم سَلَفاً ومَثَلاً للآخِرين) : الآيات ٥٤ ـ ٥٦ من سورة الزخرف.

وقال فى دعاء موسى : (فدعا ربَّه أنّ هؤلاء قوم مجرمون فأسْرِ بعبادى ليلاً إنكم متَّبَعون واترُك البحر رَهْواً ، إنهم جند مغرقون) . الآيات ٢٢ ـ ٢٤ من سورة الدخان .

وقال : (وفى موسى إذْ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين . فتولى بركنه وقال : ساحر أو مجنون . فأخذناه وجنودَه فنبذناهم فى اليم وهو مليم) . الآيات ٣٨ ـ ٤٠ من سورة الذاريات .

أفبعد هذه الآيات البينات يجوز لمسلم مهما يكن مبلغه من العلم أو الجهل ، أن يدعى أن غرق فرعون « قد فهم خطأ على حسب ماجاء فى الكتب السماوية » وأنه « خرافة لا أساس لها من الصحة » ؟ !

أوَ لاَ يكون كاذبًا مفتريًا على القرآن من يدعى ـ مع هذه النصوص الواضحة

الصريحة « أن ماجاء في القرآن لايشعر بأن الفرعون الذى عاصر موسى قد غرق ومات » ؟!

أيستطيع الأستاذ سليم حسن ، أو أى شخص أجرأ منه ممن ينتسب إلى الإسلام ، أن يقرأ قول الله تعالى (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق فكان كل فِرْقٍ كالطَّوْدِ العظيم) وقوله تعالى (ثم أغرقنا الآخرين) ثم يجنى عليه لسانه فيزعم أن « الواقع أنه لا يمكن الإنسان أن يتصور غرق الفرعون وعربته ومن معه فى ماء ضحضاح لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاث » ؟! أفيحسن فى العقول ، حتى عقول علماء الآثار — أن يكون « كل فرق » من الماء ، أى كل جزء منفصل منه عن الآخر ، « كالطود العظيم » أى كالجبل العظيم المرتفع إلى السماء ، فى ماء « لا يزيد عمقه على قدمين أو ثلاثة » ؟ ! أم هى الكلمة يقولها القائل « لا يرى بها بأساً فتهوى به سبعين خريفاً فى النار » ؟! [1] .

وماذا هو قائل فى قول الله سبحانه (فأغرقناه ومن معه جميعاً) ، وفى قوله (فأغرقناهم أجمعين) ، بهذا التوكيد الشديد ، الدالّ على أن فرعون وجنده هلكوا جميعاً غرقى لم ينج منهم أحد ؟ أيستقيم معه لرجل يعقل دينه ، ويؤمن بربه ، وبأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أن يشك فيه ، فضلاً عن أن يجعله مما لا يمكن الإنسان تصوره ؟ ! .

إن أحسن حالات المؤلف الأستاذ أن يدعى أو يدعى له أحد من الناس أنه لم يقرأ هذه الآيات ولم يسمع بها ! ! ولا يعذر مسلم يجهل مثل هذا من دينه وقرآنه ، فضلاً عن رجل قارىء مطلع مثل الأستاذ سليم حسن ! وأنا أعرف أن لديه مكتبة حافلة بالكتب والمراجع ، وما أظنها تخلو عن مصحف ، ولو من طبعة المستشرق فلوجل ! التى معها فهرس أبجدى لمفردات القرآن . إن خفى عليه هذه الآيات من القرآن ، إنّ شأنه لعجب ! ! .

أيها الأستاذ المؤلف سليم بك حسن :

إرجعْ إلى ربك ، واقبلْ موعظة رجل مخلص ، لا يريد إلا أن يبصِّرك موقع قدميك ، إذا ماتقدمتَ إلى ربك يوم القيامة . ولا تأخذْك العزّة إذا قيل لك « اتق الله » ، فالأمر

(١) إشارة إلى حديث صحيح ، رواه الترمذى وابن ماجة والحاكم ، ورواه البخارى ومسلم أيضا بنحو معناه .

جدٌّ لا هزل . واعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال : « وهل يُكبُّ الناسَ في النار على وجوههم إلّا حصائدُ ألسنتهم » (١)

أحمد محمد شاكر

شيخ الأزهر

الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم

أثناء إعداد هـذا العدد للطبع ، صباح يوم الأحد ٢٦ ذى الحجة سنة ١٣٦٩ (٨ أكتوبر سنة ١٩٥٠) أذاعت الصحف بشرى يستبشر بها أنصار السنة المحمدية خاصة ، والمسلمون فى مصر وفى أقطار الأرض عامة ، صدور الأمر الملكى الكريم بتعيين حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخاً للجامع الأزهر .

والأستاذ الأكبر أستاذ عظيم حقيقة ، فى الفقه والمعرفة ، فقه الكتاب والسنة ، من الأفراد القلائل فى علماء هذا العصر ، الذين يصدق عليهم ماوُصف به بعضُ أكابر السلف الصالح « فقيه البدن » . وهو من أوسع من رأينا فى علمائنا اطلاعاً على السنة ، وعلى مذاهب الفقهاء وأقوالهم . ومن أبرز مزاياه العظيمة التمسك بالسنة ومذهب السلف ، ونفى التقليد والعصبية الجامدة لمذهب معين . وفتاواه ، حين كان مفتياً للديار المصرية ، ثم فى رئاسة لجنة الفتوى بالأزهر ، يَبْرز فيها هذا المعنى واضحاً سليماً مقنعاً .

ومما يستبشر به « أنصار السنة المحمدية » أن تفتتح مجلتهم (مجلةُ الهدى النبوى) عامَها الجديد ، فى عهدها الجديد ، بخبر هذه الولاية المباركة إن شاء الله ، التى يرجون فيها أن يوفِّق الله الأستاذَ الجليل إلى إعلاء كلمة الإسلام ، وإلى حرب البدع والمنكرات ، وإلى نصر التشريع الإسلامى وهم يعلمون ما لهذا المنصب العظيم من خطر كبير ، وما يحمل صاحبه من أعباء ثقال ، لا يقوم بها إلاّ العظماء من الرجال .

و « جماعة أنصار السنة المحمدية » يرفعون ألوية الشكر والثناء إلى المقام الكريم ، مقام حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك « فاروق الأول » ملك وادى النيل ، على إسناد هذا المنصب الخطير إلى أستاذهم الكبير . ويسألون الله أن يطيل بقاء جلالته ، موفقاً للخير ، منصوراً مؤيداً ، إنه سميع الدعاء .

(١) حديث صحيح ، رواه أحمد والترمذى وابن ماجة . وقال الترمذى : « حديث حسن صحيح » .

من خصائص القرآن العظيم

للقرآن العظيم خصائص ذاتية تدل عليه وتشهد أنه من عند الله ، وأنه لا يمكن أن يكون من قول إنسان أيًّا كان .

والمسلمون لم يتناولوا من تلك الخصائص بالبحث والتوضيح إلا خاصيةً واحدة ، هي بلاغته المعجزة ، أو بالأحرى إعجازه من ناحية واحدة ، هي ناحية البلاغة ، ولعلهم لم يوفوا حتى هذه الناحية الواحدة حقها ، أو لعلهم وَفَّوْها وضاع أكثر ما كتبوا فيما أُحرق من كتب المسلمين فى الأندلس وأُغرق على أيدى المغول عند سقوط بغداد .

وعلى أى حال فالقرآن ولله الحمد والمنة بين أيدينا ، نرتله ، ونستطيع أن نتأمله وندرس خصائصه من جديد ، بعد أن صَدَقَ اللهُ وعدَه وحفظه من عوادى الزمن ، فلم تمتد إليه يد بتزييف أو تحريف .

ولعل أظهر تلك الخصائص أن الإنسان يقرؤه من أوله إلى آخره فلا يخطر بباله فى أى موقف من مواقفه أنه يقرأ كلام بشر ، حتى المعاند إن كان يفهم العربية يجد نفسه أثناء قراءته محرجاً مضيقاً عليه كل التضييق فى زعمه الذى يزعم لنفسه أو لغيره أن القرآن من كلام محمد ، إذ كيف يمكن أن يكون من كلام محمد ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو المخاطَب به ، والإله الحق سبحانه هو المتكلم الذى يخاطبه . أى أن ضمير الخطاب ـ ضمير الرسالة ـ راجع فيه إلى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وضمير المتكلم ـ ضمير الجلالة ـ راجع فيه إلى الحق جل وعلا . والضميران كلاهُما كثيرا الورود منفردَيْن أو مجتمعَيْن فى سياق يرتفع به عند العقل كل احتمال أن يكون القرآن كله أو بعضه من عند غير الله .

حتى قَصص القرآن لم يخل من تلك الخاصية العجيبة التى انفرد بها القرآن من بين كتب الأديان . خذ إليك مثلا قَصص سورة البقرة ، فأول ماتلقى منه قصة آدم عليه السلام وأول ماتقرأ منها الآية الكريمة: (وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة) الآية [١] . فهنا تجد القصة قد صُدِّرت بضمير الرسالة لتعلم أن القصة ليست من كلام محمد ، حتى إذا قرأتَ فى ظله أربع آياتٍ وجدتَ ضمير الجلالة يتتابع فى القصة ، لتعلم أن الذى يقص القصص على محمد هو ربه نفسه : هو الله جل جلاله ، إذ لا يمكن فى العقل إرجاع ضمير المتكلم لغير الله سبحانه فى الآيات الآتية : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية[٢] ، (وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة) الآية [٣] ، (فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو) الآية [٤] ، (فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم . قلنا اهبطوا منها جميعا ، فإما يأتينكم منى هدًى فمن تبع هُدَاىَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) [٥]

وقد ورد ضمير الجلالة هنا سبع مرات فى ست آيات .

لكن ليس تكرار الضمير ضروريًّا ، لانتفاء أن يكون القصص لغير الله ، إذ يكفى أن يأتى الضمير الكريم مرةً فى القصة ، أو أن تأتى القصة مسبوقةً أو متبوعةً بآية أو أكثر فيها الضمير الجليل .

فقصة بقرة بنى إسرائيل واردة فى سبع آيات ، لم يرد ضمير الجلالة إلا فى السابعة منها : (فقلنا : اضربوه ببعضها ، كذلك يحيى الله الموتى ، ويريكم آياته لعلكم تعقلون) [٦] . لكن الواضح أن رجوع ضمير « فقلنا » إلى محمد صلوات الله عليه مستحيل ؛ وإنما هو

---

(١) الآية ٣٠ من سورة البقرة . (٢) الآية ٣٤ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٣٥ من سورة البقرة (٤) الآية ٣٦ من سورة البقرة .
(٥) الآيات ٣٧ ـ ٣٩ من سورة البقرة. (٦) الآية ٧٣ من سورة البقرة .

راجع إلى الله الذي أحيا تلك النفس المقتولة ، وأنزل القرآن على محمد رحمة للناس . وقد جاءت القصة فى مساقها من السورة مسبوقة بآيتين كريمتين كل منهما محتوٍ على ضمير الجلالة: (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت ، فقلنا لهم كونوا قردةً خاسئين . فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظةً للمتقين [١]) . فالضمائر قبل القصة تؤيد وتعزز دلالة الضمير فى آخرها .

ومثل ذلك فى قصة طالوت وجالوت فى الربع الثامن من الجزء الثانى من السورة ، إلا أن الضمير الوارد فى هذه القصة هو ضمير الرسالة ، أو ضمير النبوة إذا شئتَ ، ورد فى الآية الأولى منها بدلاً من الأخيرة ، إذ القصة تبدأ بقوله تعالى خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم : (ألم ترَ إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى إذْ قالوا لنبى لهم ابعثْ لنا ملكاً نقاتلْ فى سبيل الله) الآيات [٢] . وقد عُزِّز الضمير فى دلالته هنا بمثله فى الآية قبلها : (ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم)الآية [٣] . وعُزِّز وأُيد بالضميرين جميعا فى الآية التى تلت القصة ، وبالنص فيهما على رسالة الرسول من ناحية وعلى أن الآيات هى آيات الله من ناحية أخرى : (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين) [٤] . مما يستحيل معه ومع الآية بعدها أن يكون الكلام من كلام محمد أو كلام غيره من المخلوقين .

هذه السنة القرآنية فى القصص القصير هى نفسها سنة الله فى القصص الطويل من القرآن ، الذى يقع أحياناً فى سورة بأسرها ، مثل سورة يوسف ، وسورة طٰه ، إلا أن الضمائر والقرائن المعنوية تتكرر من حين إلى حين كلما طال القصص ، ليظلَّ القارىء تحت سلطانها ، شاعرًا أنه يقرأ كلام الله سبحانه لا كلام إنسان .

ففى تينك السورتين الكريمتين صدرت كل منهما بالضميرين جميعاً ، وبالنص على أن القرآن من عند الله : فأنت إذا قرأتَ أول سورة يوسف : (آلر . تلك آيات الكتاب

---

(١) الآيتان ٦٥، ٦٦ من سورة البقرة . (٢) الآيات ٢٤٦ ـ ٢٥١ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٢٤٣ من سورة البقرة . (٤) الآية ٢٥٢ من سورة البقرة.

المبين . إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن . وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين . إذْ قال يوسف لأبيه . . .) [1] وإذا قرأت أول سورة طه : (طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . إلا تذكرة لمن يخشى . تنزيلاً ممن خلق الأرض والسموات العلى) الآيات [2] - إذا قرأت أول أىّ السورتين شئتَ عرفتَ مرغماً أنك إنما تقرأ كلام الله ، حتى إذا افتبحت القصص فى أى السورتين قرأتَ : (إذ قال يوسف لأبيه) أو : (وهل أتاك حديث موسى . إذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا . . .) [3] افتبحته تحت سلطان تلك المعرفة . فإذا ماتابعته إلى آخر أىّ السورتين اخترتَ طلع عليك آناً بعد آن من ضمائر الجلالة مقترنة أو غير مقترنة بضمير النبوة والرسالة ما يحفظ تلك المعرفة عليك ، ويملأ نفسك بجلالها ، حتى لا تنسى قط أنك تقرأ كلام الله . خذ المصحف الشريف إذا شئت واقرأ مثلاً سورة يوسف ، وتأمل أثر ضمير الجلالة وموقعه من نفسك ودلالته فى الآيات الآتية فى مواقعها من السورة :

(وأوحينا إليه لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بأمرهم هذا وهم لا يشعرون ١٥) (وكذلك مكّنّا ليوسف فى الأرض ولنعلّمَه من تأويل الأحاديث ٢١) . (ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزى المحسنين ٢٢) (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين ٢٤) (وكذلك مكنّا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ٥٦) (وإنه لذو علم لما علّمْناه ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ٦٨) (كذلك كدنا ليوسف ، ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله ، نرفع درجات من نشاء ٧٦) .

ثم انظر وتأمل اختتام القصص بمثل ماافتتح به من الضميرين الكريمين جميعاً مع الحجة القاطعة الواضحة :

---

(١) الآيات ١ - ٤ من سورة يوسف .

(٢) الآيات ١ - ٤ من سورة طه . (٣) الآيات ٩ وما بعدها من سورة طه .

(ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنتَ لديهم إذْ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون . وما أكثرُ الناسِ ولو حرَصت بمؤمنين)[1] ، تعلم صدق مانبهنا إليه من قبل ، من أن المعاند حين يقرأ القرآن يجد نفسه مضيقاً عليه كل التضييق ، مأخوذاً عليه كل طريق .

هذا حال القصص القرآنى فى ظهور تلك الخاصية القرآنية فيه : خاصية شعور القارىء وهو يقرؤه ، أنه إنما يقرأ كلام الله لا كلام أحد من خلقه . والقصص بطبيعته أبعد الكلام من أن يكون مظهراً لتلك الخاصية العجيبة ، التى انفرد بها القرآن من بين الكلام كله . فتحققها فيه مظهر من مظاهر إعجازه من ناحية ، ومدعاة من ناحية أخرى إلى تدبّر مظاهر تلك الخاصية العظيمة الكريمة فى غير القصص من القرآن .

فسيرى القارىء المتدبِّر من ذلك عجباً بعد عجب ، يزداد به إيماناً إلى إيمانه ، وينفتح له به بابٌ واسع لإقامة الحجة القاطعة على غير المؤمنين

محمد أحمد الغمراوى

(١) الآيتان ١٠٢ ، ١٠٣ من سورة يوسف

باب الكتب

ضاق المجال فى هذا العدد عن نشر شيء خاص بهذا الباب ، وليس فى هذا بأس ، إذ أن الكلمة الأولى من (كلمة الحق) كانت واسعة المدى بأكثر مما كنا نتوقع ، وكانت فى معنى (باب الكتب) ، لأنها نقد لكتاب للأستاذ سليم بك حسن في تاريخ مصر القديمة ، وردّ على بحث فيه مطول .

وبهذه المناسبة نرجو من حضرات المؤلفين والناشرين إذا ما رغبوا أن يعرض ما يكتبون أو ينشرون فى هذا الباب : أن يرسلوا نسختين من الكتاب الذى يريدون ، إحداهما لإدارة المجلة ، والأخرى للمحرر الذى يدرس الكتاب ويكتب عنه .

وقلم تحرير المجلة على أتم العدة للقيام بما يجب عليه فى ذلك . والحمد لله ؟

أحمد محمد شاكر

باب التاريخ

الدعوة إلى الوحدة الإسلامية

كانت الظاهرة الواضحة لدى العرب فى الجاهلية هى العصبية القبلية ، وهى نعرة أصيلة فى العربى ، توارثها منذ القديم عن آبائه وأجداده . وقد نشأت من اعتداده بنفسه إلى درجة الغلو والإسراف . وهو أمر فطر عليه بسبب البيئة الصحراوية الخالية من الأسوار والحصون ، والمعرضة للسلب والنهب . ومثل هذه البيئة لا يمكن أن يستقر بها إلا الشجاع المغامر . وهذه الشجاعة لا تفيد فائدة كاملة ولا تأتى بالثمرة المرجوة إلاّ إذا دعمت بالعصبية التى تشدّ الأزر وتقوّى الجانب . وهم من أجل ذلك كانوا يهتمون برابطة القرابة ويرعون حقوقها ، لأنها عدتهم وسلاحهم الذى يقاومون به الأخطار والشدائد . فكان يرتبط الأقرب فالأقرب منهم برباط المودة والنصرة . وفى وقت الحروب والثورات يجتمع الأقرب فالأقرب ضد الأبعد فالأبعد . فتجتمع الفصيلتان من فخذ واحد على فخذ آخر ، ولو كانوا جميعاً من بطن واحد ، ويجتمع البطنان من عمارة واحدة على عمارة أخرى ، ولو كانوا جميعاً من قبيلة واحدة ، وتجتمع القبائل العربية كلها ضد الأجانب من غير العرب . وفى هذا تحقيق للمثل المعروف « أنا وأخى على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب » .

وإذن فالعصبية العربية معتمدة على أساس من العصبية القبلية ، فإن العربى الذى يتعصب لقبيلته ضد القبائل الأخرى هو بعينه الذى يتعصب مع القبائل الأخرى ضد الأعاجم .

والعصبية القبلية كانت تثور كثيراً بين العرب بسبب التنافس بين القبائل على النفوذ

المادى والأدبى . أما العصبية العربية فكانت لا تثور إلا عند الاحتكاك بالأجانب . وقد كان ذلك من القليل النادر إذ ذاك . . .

ولو طوينا القرون القهقرى ، وقلبنا صفحات الزمن إلى الوراء ، وتتبعنا العرب أيام الجاهلية فى صحرائهم المترامية ، وتسمعنا إلى أحاديثهم وأشعارهم بين الأخبية والخيام ، ومن وراء الصخور والرجام ، لراعتنا تلك العصبية القبلية الخبيثة ، التى كانت تجعل من كل قبيلة دولة مستقلة ، لا تقف دون مطامها المادية والأدبية حواجز أو حدود . وطالما ثارت الحروب بين القبائل من أجل تلك المطامع ، فأزهقت الأرواح ، وسالت الدماء ، وتناثرت الجثث والأشلاء . ومن ذلك ما وقع بين خُزَاعة وجُرْهُم ، و بين بكر وتَغْلِبَ ، و بين الأوس والخزرج ، إلى غير ذلك من سائر الأحداث الكبار الجسام .

و إلى جانب هذه العصبية القبلية البغيضة كانت العصبية العربية ، فكان العرب على الرغم من تأخرهم فى الأخذ بأسباب المدنية فى ذلك العصر الجاهلى يغالون فى تقدير أنفسهم و يحتقرون الأجناس الأخرى ، دون مبرر أو مسوغ من العقل أو المنطق السليم . وحسبنا أن نعرض لكم صورتين تلمحون فى كلتيهما العصبية العربية سافرة متحدية :

فيروى ابن خلدون أن كسرى أبرويز أراد خِطبة بنات العرب ، فأشار عليه عدىّ بن زيد أحدُ تراجمته بالخطبة من بنى منذرٍ ، فقال له كسرى اذهب إليهم فى ذلك ، فقال : إنهم لا ينكحون العجم و يستريبون فى ذلك ، فابعثْ معى من يفقه العربية ، فلعلى آتيك بغرضك ، فلما جاء إلى النعمان قال له النعمان أما فى عِين السواد وفارسَ مايغنيكم عن بناتنا ؟ وسأل الرجل عن العين ؟ فقال له : هى البقر ! فلما رجع إلى كسرى وأخبر الخبر غضب كسرى وحَقَدها على النعمان ، وكتب إليه يستقدمه ، فلما وصل إلى كسرى قيده وأودعه السجن ، إلى أن هلك فيه بالطاعون ، وفى رواية أخرى أنه قتله ، وكان هذا سبباً لقيام حرب ذى قارٍ بين الفرس والعرب قبل البعثة بثمان سنوات .

ولا شك أن هذا النصَّ يوضح لنا عصبية العرب فى جاهليتهم ضد الأعاجم ،

واعتدادَهم بأنفسهم حتى فى الوقت الذى كان الفرس فيه ذوى نفوذ كبير ، ولم يكن العرب بجوارهم شيئاً مذكوراً . وهو يلقى لنا ضوءاً على مدى تلك العصبية المغالية ، التى تترفع عن مصاهرة ملوك الفرس ، وهم إذ ذاك أصحاب الأمر والنهى بالِحيرة ، ولهم فيها النفوذ الواسع والسلطان الكبير .

وذكر صاحب العقد الفريد أن النعمان بن المنذر قدم على كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا عن ملوكهم و بلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب وفضَّلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارسَ ولا غَيْرَها ، وامتدح العرب بالعزّ والمَنَعة ، فقال : حصونهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الأرض ، وسقوفهم السماء ، وجُنَّتهم السيوف ، وعدتهم الصبر ، إذ غيرهم من الأمم عزُّهم بالطين والحجارة وجزائر البحور ، وذكر النعمان بعد ذلك كثيراً من المزايا والفضائل التى اختُصَّ بها العرب دون غيرهم من الأمم ، وقد سجلتها كتب الأدب والتاريخ فى حديث طويل لا محل لذكره الآن . ولا يهمنا من هذه القصة ـ وغيرها كثير ـ تصحيح نظرية العرب فى أنهم يَفْضُلون غيرهم من الأمم الأخرى ، ولكن المهم أن هذه القصة تدل على اعتداد العرب بأنفسهم وتحقيرِهم لغيرهم .

فماذا كان موقف الإسلام إزاء ذلك ؟

ظهر الإسلام فى هذا الظلام الحالك ، و بين تلك الأعاصير الحمقاء ، فأشرف على العالم بدستور قوى متين ، يدعو إلى مكارم الأخلاق ، و ينشر العدل والمساواة بين جميع الأمم والأفراد ، و ينظم العلاقات بين الفرد والجماعة ، و ينفى الفوارق بين العرب والعجم . وهكذا جاء حافلاً بالفضائل ، كفيلاً بإنقاذ الناس والسير بهم إلى شاطىء الأمن والسلام . وها هو ذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطب قريشاً ، حينما أتم الله عليه نعمته بفتح مكة ، فيقول « يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نَخْوَةَ الجاهلية وتعاظُمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب . ثم يتلو قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

اللهِ أتقَا كمْ)(١) وفى حَجة الوداع ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى صوته فيقول : « أيها الناس، إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدمَ ، وآدمُ من تراب ، أكرمُكم عند الله أتقاكم ، وليس لعربىّ على عجمىّ فضل إلا بالتقوى » . ولم تكن هذه المبادىء الإنسانية العادلة قولاً مأثوراً أو كلاماً مسطوراً فحسب ، ولكنها كانت حقيقةً واقعةً ، تجلَّت فى جميع أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه المخلصين ، إذِ انمحت من نفوسهم تلك المبادىء الهدامة ، فكانوا لا يفرقون بين قرشي وباهلىّ ، ولا بين عربى وعجمى .

ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم المخلصين من الأعاجم فى صف المخلصين من العرب جنباً إلى جنب ، وكتفاً إلى كتف ، فبلال الحبشيّ كان من خاصة المقربين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر المسلمين ، وقد رفعه الرسول بإخلاصه وبلائه فى الإسلام إلى أعز مكانة وأسماها . وسلمانُ الفارسى كان أيضاً من المقربين لرسول الله ولسائر المسلمين ، وهو الذى ولى قَسْمَ الغنائم بين المسلمين فى واقعة جَلُولَاءَ ، حتى لقد أَنْسَتْه عدالةُ الإسلام جنسيته ، فكان يقول مفتخراً : « أنا ابن الإسلام » وصهيب الرومى كان أيضاً من المقربين من رسول الله ومن سائر المسلمين ، وهو الذى قدمه عمر بن الخطاب على المهاجرين والأنصار ، فصلى بالناس إماماً ، وفى ذلك كل الإجلال والتقدير .

ولقد كانت هذه المبادىء الإسلامية العادلة التى نادى بها الرسول ، ونفذها هو وأصحابه المخلصون فى جميع تصرفاتهم ، سبباً فى إعلاء العصبيتين (القبلية والعربية) وتوجيههما إلى الناحية الصالحة المستقيمة ، فلقد تحوّل ذلك التيار الذى كان يغذيهما إلى تغذية عصبية أخرى ، هى العصبية الإسلامية ، التى تجعل المسلمين خير أمة أُخرجت للناس ، وتجعل التقوى والعملَ الصالح مناطَ الفخر ، ودِعامة المجدِ والشرف ، وتجعل فى الإسلام مايغنى عن الحسب والنسب ، والرياش والنَّشَب ، والتى تتمثل فى قول الشاعر المسلم:

---

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات .

فنحن بنو الإسلام والله واحد وأولى عباد الله بالله مَنْ شَكَرْ

وقول الآخر :

أبى الإسلامُ لا أبَ لى سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

ولكن لم تكن هذه العصبية الإسلامية واضحةً فى نفوس المسلمين على السواء ، بل كانوا يتفاوتون فى ذلك على قدر تفاوتهم فى التمسك بذلك الدين الجديد والاقتناع بمبادئه . فلقد رُوى أن أبا بكر رضى الله عنه بلغه عن أبى سفيان صخر بن حرب أمرٌ ، فأحضره وأقبل يصيح عليه ، وأبو سفيان يتملقه و يتذلل له ، وأقبل أبو قحافة (والد أبى بكر) ، وكان قد أسلم إذْ ذاك ، فسأل : على من يصيحُ ابنى ؟ فقيل له : على أبى سفيان ، فدنا من أبى بكر وقال له : أعَلَى أبى سفيان ترفع صوتَك؟ لقد تعدّيتَ طورك ، وجُزْتَ مقدارك!، فتبسم أبو بكر ومن حضره من المهاجرين والأنصار ، وقال : يا أبتِ ، إن الله رفع الإسلام قوماً وأذلَّ به آخرين .

و بعدُ : فقد دعا الإسلام إلى الاتحاد والتضامن ، وحارب كل عصبية تدعو إلى تشقيق الوحدة الإسلامية وتوهين بنائها المتين . فما أحوج المسلمين فى جميع الأقطار والأمصار إلى أن تنمحى من بينهم الفوارق ، وتزول الحواجز ، و يتحد الهدفُ والغاية وحينئذ يستطيعون أن يصارعوا تلك المبادىء الهدامة التى تجتاح العالم فى هذا العصر وتهدده بالفناء والزوال (ويَوْمئذٍ يَفْرحُ المؤْمِنُونَ. بنَصْرِ اللهِ يَنصُرُ مَنْ يَشَاء وَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيم)[1]

محمد الطيب النجار

المدرس ببعثة الأزهر بمكة المكرمة

---

(١) الآيتان من ٤ ، ٥ من سورة الروم .

موقعة الجمل

بدعة المحمل

مظهر من مظاهر الوثنية

عرض موجز : استفتى حضرة النائب المحترم السيد خليل أبو رحاب علماء المسلمين فى شأن الاحتفال بالمحمل ، وما يحدث فيه من تقبيل لمقود الجمل وطواف سبع مرات بجمل المحمل . وقد بادر فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسنين مخلوف فأفتى بأن كل ذلك بدع منكرة مستحدثة فى الدين ، وفرح المؤمنون بهذه الفتوى ، وحمدوا الله على أنه لا يزال من السادة العلماء من يستطيع بشهاب من الحق رجم الباطل . . غير أن هذا الفرح الروحى ماعتم أن شابه أسى بالغ الحسرة حين رد الشيخ الكبير مفتى مصر ردًّا أجال فيه خيال الشاعرية ، يجعل فيه من البدعة السيئة سنة حسنة ، ومن الوثنية توحيداً . . وقرأنا الرد المردود نبتليه بدقة و بصر وهدوء ، فما وجدنا فيه غير القول بالظن مقنعاً بأوهام الشاعرية مجنَّحاً بتهاويل الخيال ، وجدنا قولاً جريئاً على الحق والدين ، وما إن نشر هذا الرد حتى بادر فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ مخلوف فرد عليه رداً قويًّا محكماً يفحم بالحجة البالغة . وكان مما جاء فيه « لا خلاف بين المسلمين فى أن مايقع فى حفلة المحمل السنوية من الطواف بالجمل سبع مرات فى الدائرة التى ترسم أمام السرادق وتقبيل مقود الجمل ، وما إلى ذلك مما يتصل به بدع مستحدثة لا أصل لها فى الدين » . وكان من أجلِّ ماجاء فى رد الشيخ الكبير قوله الصدوق « إن الأمور التعبدية التى لا تدرك العقول سرها ليست موضعاً للقياس عليها كما بينه علماء الأصول » : وقوله الحق « وهل يعد عاقل من تعظيم

المساجد مثلاً أن يقبل الناس أعمدتها ومحاريبها وعتبات أبوابها [١] » . هذا عرض موجز لما دار بين الشيخين الكبيرين فى شأن هذه البدع المنكرة ، وليت مثل هذا يدور فى كل البدع ، وما أكثر البدع.

مناقشة فضيلة المفتى الحالى : ونحب فى هدوء وسكينة ـ أن نناقش فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ علام نصار . وقبل المناقشة نذكره ـ وهو ذكور ـ بقوله تعالى : (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون[٢]). وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله [٣] ». وقوله من بيناته: « وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة [٤] » . وقوله : « إن أحسن الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشر الأمور محدثاتها [٥] » وقوله : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد [٦] » وأذكره بوعيد الرسول ووعده : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة فإن عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا [٧] » . من تلك الآية القدسية وهذه الأحاديث المشرقة نؤمن ـ ياسيدى ـ أن الدين أمر الله وأنه اتباع لنصه فيما دقّ أو جلّ ، صغر أو كبر ، مع الدقة والتحرى فى الاتباع ، فليس الدين إذن ابتداعاً أو رجمًا بالظنون أو إفتاء بالهوى . الدين ليس رأياً ترتئيه ، بل هو أمر تقف عنه وتحتذيه ، الدين طاعة واقتداء برسول رب الأرض والسماء . ولو وكل الدين إلى

---

(١) نعقب على هذا بقولنا : وهل يعد مؤمن من العبادة ومحبة الأولياء الطواف حول أضرحتهم والتمسح بأركانها ونداء من فيها والتوسل به وتقبيل الأستار والأحجار !

(٢) الآية ٥١ من سورة النور . (٣) رواه مالك فى الموطأ . (٤) رواه أبو داود فى حديث طويل . (٥) رواه البخارى فى الصحيح . (٦) أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وابن ماجة بنحوه . (٧) رواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجة .

الرأى والهوى والعاطفة لما كان ديناً ، بل مزقاً تمزقه البشرية ، وضلالاً تهيم فى متاهاته الإنسانية ، وخلافاً ونزاعاً وشقاقاً يجعل الآدمية المتآخية المتآلفة شيعاً متجافية وأحزاباً متنابذة ، كالزاعمين أنهم مسلمون اليوم ، تركوا دين الله الواحد فتفرقت بهم السبل عن سبيل الله السوىّ .

يقول فضيلة الأستاذ الكبير معنوناً لرده « تقبيل مقود الجمل تعظيم لرب الجمل ورب الكعبة ـ الاحتفال بالمحمل سنة حسنة » ! ! .

إن هذا العنوان فيه منكران . أولهما : قياس ردده الشيخ كما رددته الوثنية الصماء من قبل : تقبيل الحجر تعظيم لرب الحجر ، أو تقبيل المخلوق تقديس للخالق أو دعاؤك للعبد دعاؤك للمعبود . ووالذى نفس كل امرىء بيده ما كنت أحسب الشيخ الكبير الخطير يفتى فى دينه بمثل هذا القياس ، فالوثنية فى جاهليتها الأولى أفتاها الشيطان بأن يقيموا لأوليائهم أصناماً يستشفعون بها عند الله ، فتقديس الصنم تقديس للولى ، ودعاء الصنم دعاء الولى ، ودعاء الولى دعاء لله . والوثنية الحاضرة أفتاها الشيطان بأن الطواف حول أضرحة أوليائهم يتمثل فيه الطواف حول بيت الله ، والسعى إلى ضريح الشيخ سبع مرات حج إلى بيت الله ، وتقبيل الحجر والستر وتمريغ الخدين على العتبات خشوع وخنوع لله .

ياصاحب الفضيلة : إن الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً)[1] . وأنت تقول : تقبيل مقود الجمل تعظيم لرب الجمل ، وتعظيم الرب من الدين فيكون تقبيل المقود من الدين لأنه وسيلة ، فإذا قلت بهذا كذَّبْتَ قول الله أنه أتم الدين ، فلم يكن ثم محمل ، ولا مقود ، ولا وزير يقبل المقود ، وإذا لم تقل إنه دين نَفَيْتَ قولك أن تقبيل مقود الجمل تعظيم لرب الجمل ، فأيهما تختار ياسيدى الشيخ ؟ ! .

وإمام دار الهجرة مالك رضى الله عنه يقول : « من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة .

فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول : (اليوم أكملت لكم دينكم). فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون ديناً [١] » . وأنت تزعم ياسيدى الشيخ أن المحمل بدعة حسنة ، فهلاَّ قرأت قول الله مرة ومرة وتأملته ؟ ! ومإخالك ترضى لنفسك ماهناك .

ولعل الشيخ الجليل الكبير يَرَى أن رَدَّهُ ، بما فهمناه من كلامه ، وفسرناه به ، وسجلناه من قبل ، إذ يقول « فإذا قبل أمير الحج أو غيره مقود الجمل فى هذه اللحظة فإنما هو تعظيم لرب الجمل » يلزم منه مالا نظنه يرضاه ، وهو جواز تقبيل الخلائق أجمعين . من حيوان وجماد وطير وشجر ، بل جواز تقبيل النعال والأوثان والتماثيل والأنصاب والأزلام ! ! ولنفهم من هذا التقبيل أنه تعظيم لرب الخلائق ؟ ! . أليس هذا هو بعينه هو ماحكى الله من قول عبدة الأوثان (مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) [٢] ؟ ! .

وعجب من الشيخ ــ وهو الألمعى الفطن ــ أن يستشهد على جواز تقبيل المقود بتقبيل الحجر الأسود ، وأن يقيس الأول على الثانى ، ولكن الله الذى يرعى الحق وينصره أبى إلا أن يردَّ الشيخُ على نفسه إذ قال عن تقبيل عمر للحجر أنه « قبله اقتداء برسول الله »، فتقبيل الحجر الأسود أمر من الله واقتداء برسول الله ، أما تقبيل مقود المحمل فأمر ممن واقتداء بمن ؟ ! ــ إن استشهاد الشيخ بعمر وتقبيله للحجر وقوله حين هم بتقبيله ينسف نسفاً كلَّ ما احتج به الأستاذ لنصرة فتواه ، فإن عمر المؤمن الموحد حين هم بتقبيل الحجر استشعر فى أبعد الأعماق من أغوار نفسه المؤمنة مالا يدري كنه حقيقته ، لقد طافت به ذكريات من ماضيه البعيد ، فأحسَّ وهو أمام الحجر يريد تقبيله بشيء بعيد ، لعله إباء ، لعله قلق ، ولعله غير ذلك كله ، ولكنه هتف ــ ونفسه جياشة الشعور بما فيها ــ بقولة المؤمن المطمئن الصادق الإيمان ، لقد أرسلها مدوّية تملأ سمع القرون ، ويرددها فم الأحقاب ، أرسلها مضمخة الروح بروحانيته ، سماوية الإشراق من نور إيمانه ، كأن منها تستهل أضواء السماء : « لولا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك » . يا للجلال الأسمى يستفيض هدي

---

(١) الاعتصام للشاطبي ج ١ ص ٤٨ ط المنار . (٢) الآية ٣ من سورة الزمر .

من ذلك الإيمان ، فليست العظمة كامنة فى ذات الحجر ، ولا كان الحجر مقدساً لذاته ، ولا كان تقبيله منشوداً منه غاية ، وإنما الأمر كله طاعة لله ، واقتداء فى هذا برسول الله ، فعمر يؤكد بالقول والعمل والنية حسن الاتباع والاقتداء ، يؤكد عمر وجوب الاقتداء دون همسة من خاطر أو لمسة من ريبة ، أو نزعة إلى التحلل من أمر الله ، فعمر بعمله مؤمن اقتدى واتبع .

ثم أية صلة بين تقبيل الحجر الأسود وبين تقبيل مقود المحمل ؟ لو كان الأمر بالقياس لقبّلنا جدر الكعبة كلها حجراً حجراً ، لقبّلنا أعتاب المسجد الحرام ، لقبلنا سواريه ، لقبلنا جُدُر قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، لأبقى عمر رضى الله عنه على شجرة الرضوان ، ولكنه اجتثها من أصولها ، حين اعتاد بعض الناس الصلاة تحتها ، لو كان الأمر قياساً لجاز تقبيل كل كائن ، لأنه من خلق الله .

إن بَصْرَة بن أبى بَصْرَة الغِفَارى لما رأى أبا هريرة راجعاً من الطور الذى كلم الله موسى عليه قال : « لو رأيتك قبل أن تأتيه لم تأته ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد »[1] ، هذا فى شد الرحل . وإلى أى مكان ؟ إلى مكان كلم الله عليه موسى ، فما بالك بتقبيل مقود المحمل ، وما بالك بالمحمل ؟؟

وروى سعيد بن منصور فى سننه : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن عمر رضى الله عنه قال : « خرجنا معه فى حجة حجها ، فقرأ بنا فى الفجر (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) و (لإيلاف قريش) فى الثانية ، فلما رجع من حجته رأى الناس ابتدروا المسجد ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هكذا هلك أهل الكتاب قبلكم : اتخذوا آثار أنبيائهم بِيَعاً ، من عرضت له منكم الصلاة فليصلّ ، ومن لم تَعْرض له الصلاة فليمض » . فقد كره عمر رضى الله عنه اتخاذ مصلى النبى صلى الله عليه وسلم عيداً ، وبيّنَ أن أهل الكتاب إنما هلكوا بمثل هذا[2] . هذا فى مكان صلى فيه أفضل الخلق ، وفى أمر صلاة صُلِّيتْ فيه ، فما بالك بأثر من

---

(١) نقلا عن اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٢٨ لابن تيمية طبعة مطبعة السنة المحمدية .
(٢) ص ٣٨٦ اقتضاء الصراط المستقيم .

آثار امرأة وهو المحمل ومقوده ؟! وما بالك بتقبيله ؟!! أفعلماؤنا خير من عمر ؟ أو هل مقود المحمل خير من مسجد صلى فيه الرسول ؟!.

قلب الحقائق : المنكر الثانى الذى اشتمل عليه عنوان رد فضيلة المفتى زعمه أن الاحتفال بالمحمل سنة حسنه !!. أهكذا يزعم الشيخ أنها سنة حسنة ؟! فمن ذا الذى سنها يا فضيلة الشيخ ؟! آللهُ ربُّ العالمين ؟! أم رسولُ رب العالمين ؟! وسأتنزل معك يا سيدى : أسنها واحد من الأئمة ؟! أقرأتَها فى كتاب تابعٍ من تابعى الأئمة ؟ ألا قل للناس يا سيدى قول الحق : إن من ابتدع هذه البدعة الخبيثة المنكرة هى المرأة شجرة الدر ! فهل نجعل سنة سنة حسنة فى دين الله ما ابتدعته امرأة لعن الله من وَلَّوْها عليهم ؟! عجيب أن نرتضى المرأة فى ديننا قدوةً ولا نرتضى رسول الله !! وأعجب من العجب استشهاد الشيخ على أن الاحتفال بالمحمل سنة بمضى زمن طويل على هذا وسكوت الأئمة عليه .. أهكذا يلجأ المفتى الأكبر إلى دليل المقلدة من العوام ، إلى دليل الوثنية القائلة « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » ؟! وتعال معي نستعرضْ مامضى عليه زمن وسكت عنه العلماء :

مضى على الأمم الإسلامية أحقاب وهى تُحكم بغير ما أنزل الله ، والعلماء ساكتون ، بل يشاركون ، أفيُعتبر ذلك سنةً حسنة ياسيدى ؟ أتى على المسلمين حين من الدهر وهم يتحاكمون إلى الطاغوت وقدِ أُمِروا أن يكفروا به ، ويستشفعون بالرِّمم ، ويعظمون القبور ويذبحون باسم الأولياء ، ويقسمون بترب آبائهم وأمهاتهم ، والعلماء ساكتون ، بل منهم من يفعل ذلك المنكر ، أفنجعل الشرك توحيداً ؟ والكفر إيماناً ، لأن العلماء راضون ؟! مضى جيل وجيل وفى مصر البغاء والقمار والربا وشرب الخمر ، وفى مصر ردغات الدعارة والعهر والفسوق ، والسادة العلماء صامتون ساكتون ، أفيباح العهر لسكوت العلماء عليه ؟! هذه المراقص تنتهك فيها كل حرمة ، وتقرب فيها القرابين إلى الداعرات الفواجر ، ويرتادها السادة والقادة ، وعلماؤنا ساكتون ، أفيعد ذلك الفجور هدًى من الله بسكوت العلماء عليه ؟ وهذا التهتك الفاجر الداعر الذي يسمونه السفور ، مضى عليه زمان والعلماء ساكتون ، أفترتضيه ديناً وحماية أعراض لهذا ؟! وترامت أحقاب والناس تفسق وتفجر وتكفر فيما

يسمونه الموالد ، والسادة العلماء يَشْتَرِكون العامة فيها ، أفتباح الموالد شرعاً لمشاركة العلماء فيها ؟! ماذا أقول يافضيلة الأستاذ ؟.

أقول : من ذا الذى يحد لنا الحدود الشرعية ؟ من ذا الذى يفصل لنا في الحكم بين سنة و بدعة ؟! من ذا الذى بيّنَ الحلال من الحرام ، والحق من الباطل ، والتوحيد من الشرك ؟ إنه الله رب العالمين ، فكيف تحكم بأن الاحتفال بالمحمل سنة حسنة ؟!.

ثم يقول فضيلة الشيخ الكبير : « ليس كل عادة مستحدثة ينكرها الدين ، بل مدار القديم والجديد على ما فيهما من صلاح أو فساد للنظام الاجتماعى » . أما الشطر الأول من قولك يا سيدى فمفهومه أن ليس كل عادة مستحدثة فى الدين ينكرها الدين ، ومعنى العادة هنا البدعة ، ولذا أترك قول الرسول يرد قولك وينفيه : « كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » . أرأيت الشمول الكلى فى الحكم على « كل محدثة » بأنها « بدعة » وعلى كل « بدعة » بأنها « ضلالة » ؟ أنت تقول : كل محدثة ليست بدعة ، والرسول يقول : « كل محدثة بدعة » والرسول أعلم بما يبلغ لأمته عن ربه .

ثم أية مصلحة اجتماعية أو فردية فى تقبيل مقود الجمل ؟! وأى صلاح عام فى طواف المحمل سبع مرات يضاهئون به الطواف حول بيت الله ؟! . لا صلاح !! بل إنه لفساد كل الفساد ، والوثنية التى تدفع إلى الوثنية .

التجديد عند الأستاذ المفتى : وليس أغرب من قول فضيلته حين يقول : « والدين الإسلامى بأصوله وقواعده يطالب بالتجديد الحسن فى كل ما يحدث فى العالم من حوادث وتطورات »، ألا فليحدد لنا الشيخ الكبير مفهوم كلمة « التجديد الحسن »، أيريد التجديد فى الاعتقاد ؟؟ أم يريده فى العبادات ؟؟ أم يريده فى المعاملات ؟! أم يريده فى القيم الخلقية الفردية والاجتماعية ؟ لقد تطور العالم فى الاعتقاد ، فألّه بعض المادة ، وألّه بعض الإنسان ، فهل نجدِّد نحن فنؤلّه النساء ؟! لعل ذلك حدث ونحن نغمض العين قسراً حتى لا نرى !!. وتطور العالم فجدّد فى معانى العبادة فأنكرها فى صورها الإسلامية ، بل الدينية على الإطلاق ، وتطور العالم فجدد فى معانى المعاملات ، فأقر القمار والربا وأركز عليه اقتصادياته الكبرى

كلها ، وتطور العالم فأباح الرقص ، بل أباح العُرْى أحيانا ، وأباح للمرأة والرجل ما أباح ، فترى أيريد فضيلته أن نتطور كمثل ذلك التطور ؟ أنبيح للمرأة مراقصتها للغريب ، ولعب الميسر وشرب الخمر معه ، لأن العالم فعل ذلك وفعله عظماؤنا وكبراؤنا المقلدون ؟! أنبيح السفور للمتهتك الداعر الفاجر ، لأن العالم تطور وفعل ذلك وفعله كبراؤنا أيضاً ، ثم تبعهم الأغرار وأصحاب الشهوات .

أرانى أطلت، وعذرى ممهد فى الإطالة ، ونحن ننتظر من فضيلة المفتى أن يراجع ضميره ، ويدع لسلطان الدين وحده السيطرة عليـه ، والعودة إلى الحق أم الفضائل . وأختم بقول عمر بن عبد العزيز « أوصيك [١] بتقوى الله والاقتصاد فى أمره ، واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعد ماجرت به سنته وكفوا مؤنته ، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة . ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها. فإن السنة إنماسنها من قد علم مافى خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك مارضى به القوم لأنفسهم ، فإنهم على علم وقفوا و ببصر نافذ كُفُوا » ، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « من يعش منـكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليـكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين ، تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة [٢] » . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

عبد الرحمن الوكيل
الوكيل الأول لجماعة أنصار السنة

تعليق :

قد أحسن الأستاذ عبد الرحمن الوكيل وأوفى على الغاية فى الإبانة عن وجه الحق فى بدعة المحمل هذه . وأنا أعتقد أن حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ علام نصار رجاع إلى الحق ، لايأبى إذا مااستبان له وجه الصواب أن يعود إليه غير متردّدٍ ولا مُتَوَانٍ

(١) ذكرها أبو داود فى سننه فى باب لزوم السنة.
(٢) رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه .

وقد ابتلى المسلمون فى مختلف الأقطار بأمثال هذه البدع ، والظن بعلمائنا الكبار أن يحاربوها ويحاولوا إزالتها . ولعل الحكومة المصرية مصغية لحكم الله خاضعة له ، أية حكومة كانت . فترفع عن أعناق المسلمين هذه البدعة المنكرة ، بدعة المحمل . إن شاء الله .

أحمد محمد شاكر

الاعـــلانات فى المجلة

مليم	جنيه		
	٣	أجرة الاعلان فى صفحة كاملة	يدفع مقدماً
٥٠٠	١	» » » نصف صفحة	
٧٥٠	٠	» » » ربع صفحة	
		وذلك إذا كان الاعلان مرة واحدة	

الاشـتراكات فى الاعـلان

٢٤	أجرة الاعلان فى السنة فى صفحة كاملة
١٢	» » » » » » نصف صفحة
٦	» » » » » » ربع صفحة
١٦	» » نصف سنة فى صفحة كاملة
٨	» » » » » فى نصف صفحة
٤	» » » » » فى ربع صفحة

تنبيه : هذه الاشتراكات فى الاعلان يتفق عليها مع إدارة المجلة بعقد . وتؤدى قيمتها على الوجه الذى يتفق عليه

وتقبل إدارة المجلة إعلانات صغيرة يتفق على أجرها فى كل حال على حدتها

دار المعـــــــارف بمصر

أنشئت بالقاهرة سنة ١٨٩٠م

تقدم إلي القارىء فى مختلف مراحل حياته ومتباين
درجات ثقافته كل ما يحتاج إليه فى تكوين
مكتبة عربية فى منزله لتساعده على الاستزادة
من الثقافة والطموح إلى حياة عقلية راقية

القاهرة :
٥ شارع مسبيرو
س . ت : ٥٢١٢١

الاسكندرية :
٢ ميدان محمد على

ظهر حديثا

الجزء الرابع طبعة ثانية

الجزء الثامن طبعة أولى

من كتاب

المسند

للإمام أحمد بن حنبل

تحقيق الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر

أوسع كتب السنة وأعظمها . . . لا يستغني عنه طالب ولا عالم

ألفه إمام المحدثين ليكون مرجع العلماء وحجتهم

وقد شرحه حضرة المحقق شرحا علميا فنيا كما وضع له الفهارس المتقنة

الطبعة الممتازة ثمن الجزء ٨٠ قرشا

ظهر منها ثمانية أجزاء

الطبعة الشعبية ثمن الجزء ٣٠ قرشا

ظهر منها الأجزاء ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨

العدد ٢٠ المجلد ١٥

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

صفر سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

المشرف على التحرير
أحمد محمد شاكر

مطبعة السنة المحمدية
٨ شارع غيط النوبي ــ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدى النبوى

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

ص
٢٠ فى مصر والسودان

٣٠ فى الخارج

الإدارة ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

قول الله جل ثناؤه :

(١٥ : ٩٠ ــ ٩٤ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ، فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

« المقتسمين » القَسْم : مصدر قسم الشيء يقسمه قسما فانقسم ، أي : جَزَّأه إلى أجزاء يمتاز كل جزء منها بسمة خاصة به . وتقسَّم القوم الشيء ، واقتسموه وتقاسموه : توزعوه . فاختص كل واحد منهم بجزء منه أو ناحية خاصة ، كذا فى اللسان . وقال الراغب « المقتسمين » الذين تقاسموا شعاب مكة : ليصدوا عن سبيل الله من يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم . اهـ

فالمقتسمون هم شيوخ قريش وكبار مجرميها ، الذين خافوا على رياستهم ومشيختهم القائمة على الدجل واستعباد الدهماء بالباطل ، وخشوا أن يذهب بها الهدى والحق الذى جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعيد الإنسان إلى كرامته التى أكرمه ربه بها . فانه إذا عادت هذه الكرامة نزل هؤلاء المجرمون من طاغوتيتهم إلى منزلة المساواة مع الناس . فاضطرتهم هذه المساواة إلى الكدح فى الحياة كغيرهم ، وهم يعيشون فى بذخ وترف ، كَلاًّ على الدهماء الكادحين . وانقشعت عنهم ، حينئذ سحب تلك الهيبة الزائفة ، فترتفع إليهم الأبصار ــ

بعد أن كانت خاشعة ـ وتنفضح مخازيهم وجرائمهم التي كانت مستترة وراء هذه السحب الوهمية من الدجل باسم الدين واحتكاره والتخصص له دون غيرهم ، جهد أولئك الطغاة أن يصرفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرضوا عليه من المال والرياسة والملك ، عن تبليغ الناس رسالة ربه ، ودعوتهم إلى الهدى والحق ، فأعرض عنهم وسخر من عرضهم ، ومضى يؤدى الأمانة ويبلغ الرسالة . فذهبوا يحاولون جاهدين أن يصرفوا الناس عن الاستماع إليه والإصغاء إلى قوله ، وكان من أعظم مايهمهم الوافدون من أطراف الأرض في موسم الحج إلى مكة ، فهم يعلمون يقينا أن لا بد أن يتعرض لهم رسول الله ويدعوهم وأنهم سيسمعون دعوتهم ، وذهنهم خال من تشنيعات قريش ؛ فيقبلون دعوته ويؤمنون برسالته، لأن للقرآن الذى يتلوه حلاوة ، وله طلاوة ، وهو يأخذ بمجامع القلوب المصغية إليه ـ فاجتمع لذلك أولئك المقتسمون ـ وهم : حنظلة بن أبى سفيان ، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل والعاص بن هشام ، وأبو قيس بن الفاكه ، وزهير بن أمية ، وهلال بن عبد الأسود ، والسائب بن صيفى ، والنضر بن الحرث ، وأبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الحجاج ، وأمية بن خلف ، وأوس بن المغيرة ـ اجتمعوا قبيل موسم الحج ، وفكروا فيما يقولون للوافدين للحج ، تنفيراً لهم عن رسول الله ، وتحذيراً أن يسمعوا لما سيقول لهم ، وأن يخدعوا به ، فقال لهم الوليد بن المغيرة ـ وكان أشدهم دهاء ومكرا . وله مكانة ملحوظة ـ اقتسموا مداخل مكة ، وليقم كل طائفة منكم عند مدخل ، فإذا مر بكم الوافد للحج فليقل له بعضكم : لا تسمع لمحمد : ولا يغرنك قوله ، فنحن أعرف به لطول معاشرتنا له ، إنه مجنون ، ثم يقول بعضكم : إنه ساحر ، ويقول الآخر : إنه كاهن ، ويقول الآخر : إنه شاعر ، ويقول الآخر : إنه غاو . لينفروا الناس عن الاستماع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشية أن يصغوا إليه ، فيدخل قوله إلى قلوبهم فيتأثروا به ويؤمنوا به ويتبعوه .

وقوله « عضين » أى مفرقًا تفريقاً ينقصه ويذهب بحقيقة معناه المقصودة منه ، كما تفصل الأعضاء عن بعضها ، ويقطع الجسم أجزاء قال الضحاك : تقطعوه زبراً كل حزب بما لديهم فرحون ، وهو قوله تعالى (٦ : ١٥٩ فرقوا دينهم وكانوا شيعاً) جعلوه أعضاء

كأعضاء الشاة والجزور . وقال ابن عباس : آمنوا ببعض وكفروا ببعض . وقال ابن زيد : قال بعضهم : هو سحر ، وقال بعضهم : كهانة ، وقال بعضهم : شعر ، وقال بعضهم : أساطير الأولين اكتتبها .

قال ابن جرير : فوجَّه قائلوا هذه المقالة : قولَه « عضين » إلى أن واحدها « عضوة » جعلوا النقصان بالواو ـ وأنه مأخوذ من قولهم : عَضَيت الشيء تعضية : فرقته ، كما قال رؤبة « وليس دين الله بالمعضِيِّ » يعنى بالمفرق . وقال آخرون : بل هى جمع « عِضَة » كما جمعت « البرة » على برين ، و « والعِزة » على عزين . فأصل الكلام عِضْهة . ذهبت هاؤها الأصلية ، كما نقصوا الهاء من « شَفة » أصلها « شَفْهة » ومن « شاة » وأصلها « شاهة » يدل على ذلك : تصغيرهم « شفة » على « شُفَيهة » و « شاة » على شُويهة ، يردون الهاء التي تسقط فى غير حال التصغير إليها فى حال التصغير . يقال منه : عَضَهْتُ الرجل أعضَهُه : إذا بَهَتَّه وقذفته ببهتان . اهـ .

يقول ربنا تبارك اسمه لعبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم : قل للناس جميعاً وأعلن ببلاغهم ، مؤكدا قولك وبلاغك بأنواع التأكيدات التى لاتدع مجالا للشك والريبة : إنى أنا النذير الذى اختصنى الله بالنذارة البينة الواضحة ، واصطفانى بهذه الرسالة الحقة الصادقة لأنذركم بأبين القول وأصدقه وأقواه ،وأخوفكم من وقوع أنواع العذاب المهين بكم فى الدنيا والآخرة ، وأن ذلك لايمكن أن يتخلف . فانه قد جرت سنن الله التى لا تتبدل ولا تتحول بنزول العذاب وإحاطة اللعنة بكم وبأشباهكم وأمثالكم الذين أعلنوا من الحرب على أنبيائهم ما أعلنتم على نبيكم ، وتفننوا فى الكيد لهم ما تفننتم ، وشوهوا من دعوتهم ، وحقروا من شأنهم ، ونفروا العامة منهم ومن الاستماع إليهم،وقسموا أنفسهم أقساماً وأحزاباً يأخذ كل قسم وحزب بسبيل من الصد عن اتباع رسل الله والاصغاء إلى دعوتهم مثل الذى تصنعون أنتم اليوم سواء . فإن إمامكم المعلم لكم هذا هو إبليس الذى علم سلفكم ، والذى أوحى إليكم بأنواع هذه المكائد والاسلحة لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشيطان عدو آدم وعدو بنى آدم ، وبالأخص منهم رسل الله وأئمة الهدى الذين يرسلهم الله لانقاذ بنى آدم من مخالب هذا العدو المبين وبغيه وكفره . فلقد أهلك الله أولئك المقتسمين

والمتوزعين أسلحة الحرب والعداء للأنبياء السابقين ، وأعز الله جنده ونصر عباده المرسلين ، وأتم لهم دينهم والنور الذى أنزل معهم ، وأعلى كلمة الحق والهدى رغم أنف حزب الشيطان الخاسرين . وكذلك سيهلك الله ولا بد حزب الشيطان المقتسمين من قريش ، وتجرى سنن الله العليم الحكيم فيهم وفى أباطيلهم وكفرهم ، وفى عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيما جاء به من الهدى والحق ، كما جرت فى أمم خلت من قبلهم . فالحق واحد فى أى وقت وعلى لسان أى رسول ، وفى أى أثواب الرسالة . والكفر والباطل كذلك واحد فى أى وقت و بأى ثوب ، وعلى لسان أى شيطان ومبطل . والعاقبة كذلك واحدة . لأنها بحكم الله العليم الحكيم ، وهى نصره المؤمنين المهتدين بهدى الله وآياته وسننه ، و إخزاؤه الكافرين المحار بين لله ورسوله ، والمتبعين أهواءهم ، المتخذين من دون الله أولياء يشركونهم معه فى حقوق الله فى أنواع العبادة ، والمتخذين من دون رسل الله متبوعين من الآباء والأحبار يقلدونهم دينهم بالتقليد والعمى وهم لا يعلمون .

ولقد كان ـ و يكون ـ من دقيق كيد الشيطان لحز به المكذبين بآيات الله الكونية فى أنفسهم وفي الآفاق ، الذين ظلموا أنفسهم بتعطيل عقولهم وحواسهم عن التأمل في آيات الله والتفكر فيها : أن زين لهم الشيطان : أن كتب الله ـ المنزلة من عنده لهداية الإنسانية كلها إلى سبيل الحكمة والسداد والرشاد ـ : تدعو إلى التفرق والاختلاف ، فيكون أتباعها بها شيعاً ومذاهب مختلفة ، وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ، وجرى بهم الشيطان فى هذه السبل المختلفة إلى غايتها من التفرق والعداء والخصومة ، والحروب والمهالك والمخاوف والشقاء والضنك والعذاب فى الدنيا والآخرة ، وأعماهم أشد العمى عن أن الله سبحانه هو الرءوف الرحيم بعباده ، اللطيف الخبير ، وأنه ما يرسل رسله ولا ينزل كتبه الا لهدايتهم وارجاعهم إلى الفطرة السليمة التى تعود بها نفوسهم طاهرة من خبائث رواسب الغرائز البهيمية ، وتزكية أرواحهم الانسانية بتغذيتها بالعلم والهدى لتؤمن بأن الخلق والأمر كله لله ، وأنه هو الرزاق ذو القوة المتين ، وهو مقلب القلوب والأبصار ، ومقلب الليل

والنهار ، وهو الباعث الوارث ، وهو الذى بيده الخير كله وهو على كل شىء قدير ، فانهم حين تتطهر نفوسهم ، وتزكو أرواحهم كذلك يكونون جميعاً إخواناً على سرر المحبة وصفاء الإخاء متقابلين ، قد نزع من صدورهم الغل والحقد والحسد ، وعادوا كالجسم الواحد ، إذا تألم منه عضو تداعى له بقية الأعضاء بالحمى والسهر - عموا عن كل ذلك من حكمة الله ورحمته ، وكذبوا بما أقام الله لهم فى أنفسهم وفى الآفاق من آيات بينات على ذلك . وذهبوا عمياً و بكماً صماً ، مختلفين فى الكتاب ، مخالفين للكتاب ، يقولون فى الله وأسمائه وصفاته بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير . و يقولون على الله فى الدين والعقيدة والتشريع والأحكام ما لم يأذن به الله ، متخذين أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله . إن ربنا ليتهددهم أشد التهديد ، و يتوعدهم أعنف الوعيد ، فيقول :

« فو ربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » يقسم الله هذا القسم العظيم بربوبيته . وآثارها البينة الواضحة فى أنفسهم وفى الآفاق من كل ما يربيهم به ، ويعطيهم إياه لينموا به ويسموا ويرتفعوا على درجات الكمال الانسانى الكريمة فى عقولهم وأرواحهم ، ويكونوا بذلك دائما آخذين سبيل الرشد والحكمة والسداد فيكونوا من المفلحين فى كل شئونهم الفائزين بالحياة الطيبة والعيش الرغد .

وإنما يريد ربنا بهذا القسم العظيم بصفة الربوبية إلفاتهم وتنبيههم إلى آثارها فيهم : فى الخلق والرزق والحياة والموت ، وتقليب شئونهم فى الليل والنهار على مختلف الأحوال وحده ، فهو الذى سيسألهم وحده ، ليس مع واحد منهم شفيع ولا ولى ، ولاشيخ ولا والد ، ولا متبوع . إذ الكل عند الله عبد ، يُسأل بسؤال واحد ويُجزَى بجزاء واحد ، وتوزن أعمال الجميع بميزان واحد (فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين ، فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين . والوزن يومئذ الحق . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون) .

وهذه الآية وغيرها فى القرآن صريحة فى أن أقوى معاول هدم الشيطان لرسالة المرسلين

وأشد كيده لإهلاك الإنسان و إضلاله هو تمزيق وحدة كتاب الله و إغواء الناس أن يزعموا ـ تبعا لذلك ـ أنه يأمر بالتفرق والاختلاف ، أو يرضى عنه و يقره . ومَرَدُّ ذلك إلى تقديس الأشخاص ، وتقليدهم على غير هدى ولا بصيرة ، فَيُبْعِد المقلدين من حزبه بذلك عن التوحيد الذى جاء به رسول الله دينا واحداً هو الإسلام الحق ومعبودا وحداً هو ربهم الخالق البارىء المصور ، و إماماً واحداً هو رسول الله ـ وطريقاً واحدا ، هو هدى الله من كتابه وسنة رسوله ، ليكونوا أمة واحدة . وتأمل فى سورة الأنبياء والمؤمنون ـ بعد أن قص الله قصص أنبيائه ـ قال (و إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (وأنا ربكم فاتقون) .

اللهم اهدنا بهدى رسلك ، واجعلنا من الموحدين عقيدة وعلماً وعملا وخلقاً وحالا . واهد المسلمين جميعاً هذه الهداية ، وأرجعنا و إياهم يا رب فى كل شئوننا إلى صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد إمام المهتدين وقدوة الموحدين وعلى آله أجمعين .

محمد حامد الفقى

إصدع بما تؤمر

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

ه نأذن لمن شاء من الصحف والمجلات وغيرها أن ينقل من هذه الكلمات مايشاء ، أو يقتبس ، أو يترجم . على أن ينسبها صراحة لكاتبها ، وعلى أن لا يجمعها أحد غيرنا في كتاب . فهذا نحتفظ بحقنا فيه خاصة .

وثانياً : نرحب بكل نقد لما نقول أو رد عليه ، ننشره مرحبين به ، راجعين إلى الصواب إذا ماأخطأنا ، أو معقبين عليه بما يجلو وجهة نظرنا ، أو يرفع شبهة إن كانت . على أن يكون النقد في حدود البحث العلمي الصحيح ، أما الأهواء ، وأما الجدال والمراء فلا ، بل نعرض عنهما كراماً إن شاء الله .

وثالثاً : من شاء أن ينقدنا أو يرد علينا في جريدة أخرى أو مجلة ، فمن الإنصاف لنفسه ولنا ، أن يرسل إلينا الصحيفة التي كتب فيها ، خشية أن يخفى علينا موضعها فلا نراها ، فيظن أننا قصرنا ، وما إلى هذا أراد ولا أردنا .

٢ – ولاية المرأة القضاء

لا يزال كثير من النـاس يذكرون ذلك الجدال الغريب الذى ثار فى الصحف ، بشأن الخلاف في جواز ولاية المرأة القضاء ! !

والذي أثار هـذا الجدال هو وزارة العدل ، إذ تقدم اليهـا بعض (البنات) اللائى أُعطين شهادة الحقوق ، ورأين أنهن بذلك صرن أهلاً لأن يكُنَّ فى مناصب النيابة ، تمهيداً لوصولهنّ إلى ولاية القضاء ! فرأت الوزارةُ أن لا تستبد بالفصل فى هذه الطلبات وحدها ، دون أن تستفتى العلماء الرسميين .

وذهب العلمـاء الرسميون يتبارَوْن فى الإفتاء ، ويَحْـكُونَ فى ذلك أقوال الفقهاء . فمِنْ ذاكرٍ مذهبَ أبى حنيفة فى إجازة ولايتها القضاءَ فى الأموال فقط ، ومن ذاكرٍ المذهبَ المنسوبَ لابن جرير الطبرى ، فى إجازة ولايتها القضاء بإطلاق ، ومن ذاكرٍ المذهبَ الحقَّ الذى لا يجيز ولايتَها القضاءَ قط ، وأن قضـاءها باطل مطلقاً ، فى الأموال وغير الأموال .

ومن أعجب المضحكات فى هذا الجدال الغريب : أن تقوم امرأة فتكتب ردًّا على من استدل من العلماء بالحديث الصحيح الثابت : « لن يُفْلحَ قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأةً [1] » ، فتكونَ طريفةً كل الطرافة ، وتدل على أنها تكتب بعقل المرأة حقًّا ، فتستدل على بطلان هذا الحديث ، بأنه لا يعقل أن يقوله رسـول الله الذى يقول : « خذوا نصف دينكم عن هـذه الحميراء » ! ! وهى لاتعرف هذا الحديث ولا ذاك الحديث ، ولا تعرف أين يوجدان

(١) رواه البخارى فى الصحيح (٨ : ٩٧ و١٣ : ٤٦ من فتح البارى) ورواه أيضاً الترمذي والنسائى .

١١

أو يوجد أحدها ، من كتب السنة أو كتب الشريعة أو غيرها ، لأن كتابتها تدل على أنها مثقفة ثقافة إفرنجية خالصة ! ليس لها من الثقافة العربية أو الإسلامية نصيب !

ووجه العجب المضحك فى استدلالها هذا الطريف : أن الحديث الذى استدلت به حديث لا أصل له أبداً ، أى هو حديث مكذوب لم يقله رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولستُ أزعم أنها هى التي اخترعته ، فإنى لا أظنها تصل إلى هذه الدرجة . ولكنه حديث ذُكر فى بعض المصنفات القديمة ، ونصَّ حفَّاظ الحديث ونَقَدَتُه العارفون العالمون على أنه حديث منكر ، لم يجد له العلماء الحفاظ إسناداً قط ، بل قال ابن القيم الإمام : « كل حديث فيه يا حميراء ، أو ذكر الحميراء ، فهو كذب مختلق » .

فاعجبوا — فى بلد العجائب — أن تقوم امرأة لا تعرف من الشريعة شيئاً ، إلا أن يكون ما يعرفه العوامّ ، على شك فى هذا أيضاً — : فتردّ على العلماء الرسميين ، وتجزمَ بتكذيب حديث صحيح ثابت ، استناداً إلى حديث مختلق مكذوب ! ! وليتها — مع هذا كله — تعرف الفرق بين الشهادة والرواية عند علماء الأصول ، و بين الولاية والشهادة ، حتى تستطيع أن تحكم هذا الحكم الطريف . ولو عرفتْ لعلمتْ أن الشريعة فرقتْ بين رواية المرأةِ العلمَ ، إذا كانت مسلمة عارفة بدينها متمسكةً به محافظةً عليه ، مستوفيةً شروط العدالة الشرعية ، وأنها فى هذه الحال تُقبل روايتُها العلم ، وتُصدَّق فيما روتْ . وأنها إذا استوفتْ هذه الشروط كلها كانت شهادتها فى الأموال مقبولة ، على أن تكون نصفَ شهادةٍ فقط ، أى تُقبل شهادتها مع امرأة أخرى مثلها ، وتكونان معاً فى مقام شاهد واحد من الرجال ، بشرط أن يكمِّل نصابُ الشهادة بشهادة رجل آخر ، بنص القرآن الكريم : (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أنْ تَضِلَّ إحداهما فتذَكِّرَ إحداهما الأخرى)[١] .

---

(١) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

إنها لو علمتْ ذلك لفهمتْ أن الحديث المكذوب الذى تستدل به لو كان صحيحاً لما كان منافياً للحديث الصحيح فى منع ولاية المرأة، كما هو بديهىّ!

ثم ندع هذا الاستطراد، ونعود إلى أصل الموضوع:

سألتْ وزارةُ العدل العلماء فأجابوا. ولست أدرى لِمَ أجابوا؟ وكيف رضُوا أن يجيبوا فى مسألة فرعية، مبنية على أصلين خطيرين من أصول الإسلام، هَدَمهما أهلُ هذا العصر أو كادوا؟!

ولو كنتُ ممن يُسأل فى مثل هـذا، لأوضحتُ الأصول، ثم بَنَيْتُ عليها الجوابَ عن الفرع أو الفروع.

فإن ولاية المرأة القضاء، فى بلدنا هذا، فى عصرنا هذا ـ يجب أن يسبقها بيان حكم الله فى أمرين بُنيتْ عليهما بداهةً:

أولاً: أيجوز فى شرع الله أن يُحكم المسلمون فى بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربة الوثنية الملحدة، بل بتشريع لايبالى واضعه أوافق شرعة الإسلام أم خالفها؟

إن المسلمين لم يُبْلَوْا بهذا قطّ، فيما نعلم من تاريخهم، إلا فى عهد من أسوإ عهود الظلم والظلام، فى عهد التتار، ومع هذا فإنهم لم يخضعوا له، بل غَلَبَ الإسلامُ التتارَ، ثم مزجهم فأدخلهم فى شرعته، وزال أثر ما صنعوا من سوء، بثبات المسلمين على دينهم وشريعتهم، وبأن هذا الحكم السيّء الجائر كان مصدره الفريقَ الحاكم إذْ ذاك، لم يندمج فيه أحد من أفراد الأمم الإسلامية المحكومة، ولم يتعلموه، ولم يعلموه أبناءهم، فما أسرع مازال أثره. ولذلك لا نجد له فى التاريخ الإسلامى ـ فيما أعلم أنا ـ أثراً مفصلاً واضحاً، إلا إشارةً عالية محكمةً دقيقةً، من العلامة الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ [1].

والحافظ ابن كثير من أجلّ تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية ومن أعظمهم. وقد ذكر

---

(١) وقد ذكر الحافظ ابن كثير أيضاً بعض أشياء عن هذا، فى تاريخه الكبير (البداية والنهاية ج ١٣ ص ١١٧ ـ ١٢١). وكذلك ذكر المقريزى بعض ذلك في الخطط (ج ٣ ص ٣٥٧ ـ ٣٦٠ من طبعة مطبعة النيل بمصر سنة ١٣٢٥).

ذلك فى تفسيره (ج ٣ ص ١٧٤ من طبعة المنار) عند تفسير قوله تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون)[1] .

وأرى أن أذكر هنا الآيتين اللتين قبل هذه الآية ، وهى كلها متصلة فى السياق : (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهَيْمِناً عليه ، فاحكمْ بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكلٍّ جعلنا منكم شِرْعةً ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ، ولكن ليبلوَكم فيما آتاكم ، فاستبقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون . وأنِ احكمْ بينهم بما أنزل الله ، ولا تتَّبع أهواءهم ، واحْذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ، فإن تولَّوْا فاعلمْ أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيراً من الناس لفاسقون . أَفَحُكْمَ الجاهلية يبغون ؟ ومَنْ أَحْسَنَ من الله حُكْماً لقوم يوقنون !) .

فقال الحافظ ابن كثير : « ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المشتمل على كل خير ، الناهى عن كل شرّ ، وعَدَل إلى ماسواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التى وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات ، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم ، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية ، المأخوذة عن ملكهم جنكيزخان ، الذى وضع لهم " الياسق " ، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى ، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها ، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه . فصارتْ فى بنيه شرعاً مُتَّبَعاً ، يقدّمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فمن فعل ذلك فهو كافر ، يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يُحَكِّم سواه فى قليلٍ ولا كثير . قال تعالى : (أفحكم الجاهلية يبغون ؟) أى يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون ؟ (ومَن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون !) أى ومَن أعدلُ من الله فى حكمه لمن عَقَل عن الله شَرْعَه ، وآمَن به ، وعَلِم أن الله أحكمُ الحاكمين ، وأرحمُ بخلقه من الوالدة

(١) الآية ٥٠ من سورة المائدة .

بولدها . فإنه تعالى هو العالم بكل شيء ، القادر على كل شيء ، العادل فى كل شيء » .

أرأيتم هذا الوصف القوىّ من ابن كثير في القرن الثامن ؟ ألستم تَرَوْنَه يصف حال المسلمين فى هذا العصر فى القرن الرابع عشر ؟ إلا فى فرق واحد ، أشرنا إليه آنفاً : أن ذلك كان فى طبقة خاصة من الحكام ، أَتَى عليها الزمن سريعاً ، فاندمجتْ فى الأمة الإسلامية ، وزال أثرُ ماصنعتْ ؟ . ثم كان المسلمون الآن أسوأ حالاً منهم ، لأن الأمة كلها الآن تكاد تندمج فى هذه القوانين المخالفة للشريعة ، والتى هى أشبه شيء بالياسق الذي اصطنعه جنكيز خان ، يتعلمها أبناؤها ، ويفخرون بذلك آباء وأبناء ، ثم يجعلون مردَّ أمرهم إلى معتنقى هذا « الياسق العصرى » ويشجبون من عارضهم فى ذلك ، حتى لقد أدخلوا أيديهم فى التشريع الإسلامى ، يريدون تحويله إلى « ياسقهم الجديد» بالهوينا واللين تارة ، وبالمكر والخُدَع تارة ، وبما ملكتْ أيديهم من السلطان فى الدولة تارات . ويصرحون ـ ولا يستحيون ـ أنهم يعملون على فصل الدولة عن الدين !! وأنتم ترون ذلك وتعلمون .

أفيجوز مع هذا لمسلم أن يعتنق هذا الدين الجديد ؟ أعنى التشريع الجديد ! أو يجوز لأب أن يرسل أبناءه لتعلم هذا واعتناقه واعتقاده والعمل به ، ذكراً كان الابن أو أنثى ، عالماً كان الأب أو جاهلا ؟ ! .

هذه أسئلة فى صميم الموضوع وأصله ، يجب الجواب عنها إثباتاً أو نفياً أولاً ، حتى إذا ما تحقق الجواب بالأدلة الشرعية الصحيحة ، التى لايستطيع مسلم أن يخالفها أو ينفيها أو يخرج عليها ، استتبع ذلك ـ بالضرورة ـ سؤالاً محدوداً واضحاً : أيجوز حينئذ لرجل مسلم أن يلى القضاء فى ظل هذا « الياسق العصرى » وأن يعمل به ويعرض عن شريعته البينة ؟ ! !

ماأظن أن رجلاً مسلماً يعرف دينه ويؤمن به جملةً وتفصيلاً ، ويؤمن بأن هذا القرآن أنزله الله على رسوله كتاباً محكماً ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبأن طاعتَه وطاعةَ الرسول الذى جاء به واجبة قطعية الوجوب فى كل حال ـ ماأظنه يستطيع إلا أن

يفتىَ فتوى صريحة بأن ولاية الرجالِ القضاء في هذا الحال باطلةٌ بطلاناً أصليًّا ، لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة ! ! .

ثم يسقط السؤال عن ولاية المرأةِ هذا القضاء من تلقاء نفسه .

وثانياً : أيجوز فى شرع الله أن تذهب الفتيات فى فورة الشباب إلى المدارس والجامعات ، لتدرس القانونَ أو غيره ، سواء مما يجوز تعلمه ومما لا يجوز ؟ ! وأن يختلط الفتيانُ والفتيات هذا الاختلاط المعيب ، الذى نراه ونسمع أخباره ونعرف أحواله .

أيجوز فى شرع الله هذا السفور الفاجر الداعر ، الذى تأباه الفطرة السليمة والخلق القويم ، والذى ترفضه الأديان كافة ، على الرغم مما يظن الأغرار وعبّاد الشهوات ؟ ! .

يجب أن نجيب عن هذا أولاً ، ثم نبحثَ بعدُ فيما وراءه .

ثم يسقط السؤال عن ولاية المرأة القضاء من تلقاء نفسه .

ألا فَلْيُجب العلماء وليقولوا مايعرفون ، وليبلّغوا ما أُمروا بتبليغه ، غير متوانين ولا مقصرين

سيقول عنىّ عبيد « النسوان » الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا : أنى جامد ، وأنى رجعى ،وما إلى ذلك من الأقاويل ، ألاَ فليقولوا ماشاؤوا ، فما عبأت يوماً مّا بما يقال عنِّى، ولكنى قلت مايجب أن أقول

٣ — صلاة الجمعة والمدارس الإفرنجية

هذا موضوع أرانى مضطرًّا أن أعالجه برفق ، و إن كان هو فى ذاته مما ينبغى أن لا يعالج إلا بعنف وحزم ، ولكنى أخاف على مزاج سادتنا العظماء ، الذين لا يكبرون أحداً كما يكبرون السادة (الخواجات) .

فقد حدثنى أخ صادق أثق به كل الثقة ، وهو مدرس بإحدى المدارس الإفرنجية ، فى مصر لا فى أوربة : بأنه حاول ماستطاع ، مع إدارة المدرسة التى هو فيها ، أن يجعل وقت صلاة الجمعة من يوم الجمعة من كل أسبوع ، وقتاً يخلو فيه من درس ، ليفرغ لصلاة الجمعة ،

فما استطاع ذلك قط ، وليس ذلك شأنه وحده فى تلك المدرسة ، بل هو شأن إخوانه من مدرسى اللغة العربية بها ، وأخبرنى أن إدارة المدرسة ركبتْ فى ذلك رأسَها وأبت إلا ماتريد ، وأن الرئيس الأعلى فيها صرح بأنه يظهر أنه لا يستطيع التوفيق بين نظام الدراسة فى المدرسة و بين صلاة الجمعة .

ولا أحب أن أصف اللهجة التى حُكِيَتْ لى عن هذا الرئيس حين قال هذه القولة النابية المستنكرة .

ولست أرمى بما أكتب إلى استعداء سلطان الدولة على مثل هذا الرجل ، فيتحققَ هذه الواقعة ، حتى إذا ماثبتت أخرجتْه من بلد يجرؤ أن يقول فيه مثل هذا القول ، ولا أرمى إلى وجوب إلزام هذه المدارس الإفرنجية أن تجعل عطلتها الأسبوعية يوم الجمعة ، وهو يوم العطلة الرسمى فى الدولة ، وهو يوم الراحة العامة عند المسلمين ، وأكثرُ الطلاب فى هذه المدارس من المسلمين فيما أظن .

لا أرمى إلى شىء من هذا ، فإنى أعرف أنه غير مستطاع ، بل لعل إخراجى أنا من بلادى أقرب وأيسر من إخراج أمثال هؤلاء

ولكنى أريد أن أنصح هؤلاء الآباء المسلمين ، المستذلين المستضعَفين ، المتكبرين المتجبرين ، الذين يأنفون أن يتعلم أبناؤهم مع أبناء الناس ، الذين يقذفون بفلذات أكبادهم بين أيدى أعداء دينهم المتعصبين أتباع المبشرين ، بما وصلت إليه أيديهم من أموال ، من حرام أو حلال ، ملأت أهُبَهُمْ عقولاً عجيبة ، حتى المساكين منهم الجهلاء ، الذين جاءتهم الأموال عفوًا ، وهم لا يفرقون بين هذا التعليم وذاك التعليم .

فلا تكون الأسرة فى نظر هؤلاء وأولئك أسرةً راقية إلا إذا قذفتْ بأبنائها و بناتها إلى تلك البؤر التى تخرج منهم شباباً راقين (خواجاتٍ) ، يحتقرون أول مايحتقرون دينَهم وقومَهم وأهليهم ، فإن ظننتم غير ذلك كنتم أغراراً مخدوعين ، أو شياطين مخادعين .

واعلموا — أيها المسلمون — أن الله لن يقبل منكم معذرة يوم القيامة عما تجرمون فى شأن

أبنائـكم ، و « الرجل راع على أهل بيته ، وهو مسؤول عنهم » و « كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهوّدانه أو يُنصّرانِه » كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]

وأظنكم تفهمون بعد هذا أن من أصرّ على ذلك منكم انسلخ من دينه ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم .

وإنى نذير لـكم بين يَدَيْ عذاب شديد ، فاتقوا الله واحفظوا على أبنائـكم دينهم وخلقهم ، والله يهدينا وإياكم .

٤ — ما هذا ؟ أدعوة سافرة لعبادة العجل ؟ !

رأيتُ فى مجلة الإثنين ، في العدد ٨٥٥ الصادر يوم ٣٠ أكتوبر سـنة ١٩٥٠ ، فى الصفحة الثانية منه ، صوراً بشعة ، لامرأةٍ مع أو ثانٍ فى المتحف الرومانى ، التابع لبلدية الإسكندرية ، وفى إحدى هذه الصور تقف المرأة أمام تمثال « العجل أبيس » ضامّةً كفيها ، رافعتَهما إلى قريب من وجهها أمامَ وجه العجل ، على صورة المبتهل عند بعض الطوائف غير الإسـلامية وقد كتبتْ مجلةُ الإثنين بجوار هذه الصورة الوثنية ما مثاله بالحرف الواحد : « صلاة صامتة عند الإله الصامت . أبيس . . . إنها ترديد لصلوات الأقدمين » ! ! .

وأظن أنْ ليس بعد هذا الـكلام كلامٌ فى عبادة وثن عباةً صريحة ، لا تحتمل تأويلا ولا مجازاً ولا مغالطةً

وهذه المرأة التى تعبد العجل ، لا ندرى أمسلمة هى أصـلاً أم نصرانية أم يهودية ؟ وأيّاما كانت فإن هذه الأديان الثلاثة هى أديان التوحيد ، التى جاء أنبياؤها مرسلين من الله سبحانه وتعالى حرباً على الوثنية والوثنيين ، جاؤا بالدعوة إلى عبـادة الله وحده لا شريك له . بل إن أولهم موسى عليه السـلام جاء حرباً على الفراعين الوثنيين عباد

---

(١) حديثان صحيحان ، الأول رواه البخارى ومسلم وأحمد فى المسند ٤٤٩٥ وغيرهم من حديث ابن عمر ، والثانى رواه البخارى ومسلم وأحمد فى المسند ٧١٨١ وغيرهم من حديث أبى هريرة .

العجول . وقد ارتد ناس من أتباعه فى حياته ، بعد خروجهم من مصر حين ذهب لمناجاة ربه ، فاصطنعوا من حليهم (عجلاً جسـدًا له خُوَار) ، كما أخبرنا الله عنهم فى كتابه الكريم[١] وقال الله عنهم : (إن الذين اتخذوا العجل سَيَنَالُهُمْ غضبٌ من ربهم وذِلَّةٌ فى الحياة الدنيا ، وكذلك نجزى المفترين[٢]) . وقصَّ علينا ربنا عن موسى عليه السلام أنه قال لصانع العجل الذى أضل بعضَ قومه : (إن لك موعداً لن تُخْلَفَه ، وانظر إلى إلهك الذى ظَلْتَ عليه عاكفاً ، لَنُحَرِّقَنَّه ، ثم لَنَنْسِفَنَّهُ فى اليَمِّ نَسْفًا) .

ولن يستطيع أحد ممن يؤمن بدين من أديان التوحيد أن يتأول أو يتمحل بالباطل لإجازة « صلاة » أمام العجل أبيس « ترديداً لصلوات الأقدمين » مهما يكن لديه من جرأة أو تهجُّم ، حتى لو بلغ فى ذلك الغاية .

ولْتعلمْ هذه المرأةُ التى وقفت هذا الموقف السيء ، أنها بما صنعت خرجت من كل دين من أديان التوحيد ، جادة كانت فيما ارتكبت أو هازلة ، وأنها ارتكستْ فى حمأة الوثنية المدمرة للأديان ، وأنه لا منجاة لها مما تَسْتَتْبِعُه الردة من آثار فى الدنيا وفى الآخرة ، إلا أن تتوب توبة نصوحاً ، وأنى أقول ذلك مخلصاً ناصحاً لهـا ، جاهلاً كل شيء عن شخصها وعن مركزها وعن بيئتها ، وأنى أقوله لها أيًّا كانت هى من الناس .

وليعلم أهلوها هذا ، ورجالها ، وولاة أمرها ، وليضربوا على يديهـا ، وليحجزوها عن هذا العبث بالأديان ، عالمة كانت أو جاهلة .

ثم إن لى كلمة ـ بعد هذا ـ مع مجلة « الإثنين » ، بل مع « دار الهلال » كلها . فما يخدع مثلى حتى يظن أن هذه الصور البشعة جاءت عفواً ومصادفة ، إنما هى ـ فيما أرى ـ خطة مصطنعة ، اصطنعها مصور الدار ، ليأتى بشيء فنّى « رائع » فى نظره ، تقليداً وجهلاً ، دون أن يفقه شيئاً مما وراء ذلك من أثر فى دينه ودون أن يفقه أن ليس معنى « حرية

---

(١) الآية ١٤٨ من سورة الأعراف ، والآية ٨٨ من سورة طه .

(٢) الآية ١٥٢ من سورة الأعراف .

الأديان » - فى هذا البلد المسلم أهلهُ ودولته - أن تعلن « دارُ الهلال » الدعوة السافرة الصريحة إلى الوثنية و إلى عبادة العجل ! ! .

بل لقد كان الواجب على صاحبي المجلة ، وهما رئيسا تحريرها ، أن يمنعا هذه السوأة أن تنشر فى مجلتهما ، تحرزاً من المساس بدين البلد ودين أكثر أهليه . بل لعلهما لو استشارا فى ذلك علماء دينهما من القسس ، ما رضى واحد منهم أن يسمى العجل « إلهاً » ، وما رضى واحد منهم أن يتعبد الناس للعجل ، ولا أن يقف أمامه خاشعين بهذه الصورة البشعة التى رأينا ، ولا أن يسمى ذلك « صلاة » ، ولا أن يقال « إنهـا ترديد لصلوات الأقدمين » .

وما كانت هذه الفَعْلة بأول ما رأينا من المنكرات فى مجلات « دار الهلال » ، ولكنها - فيما أعلم أنا - أشدها نكراً .

ولقد تحدثنا مع إخوان لنا منذ بضع سنين ، فى حملة صادقة على هذه المجلات ، ندعوا المسلمين إلى مقاطعتها والإعراض عنهـا ، حتى تُغَيَّب فى لحدها برفق ولين ، مهما يكن من ورائها من مساعدات ومعاونات .

وأنا أعترف بأننا أخطأنا وقصَّرنا أنْ لم نفعل . ولعله قد آن الأوانُ لنفعل ! . .

أحمد محمد شاكر

باب التراجم

محمد بن عبد الوهاب

١١١٥ - ١٢٠٦ هـ (١٧٠٣ - ١٧٩١) م

مولده

هنالك فى صحراء نجد حيث الهواء النقى ، والسماء الصافية ، والشمس الساطعة ، والرمال الصفراء ، تنسجها الجنوب والشمال إذا تناوحتا بالعشى والإشراق ، فترسمان على صفحتها الناعمة أشكالاً كأنها الموج يطارد بعضه بعضا على صفحة الدأماء ، والغيث ينهلّ أحيانا صيّبا هتوفا ، فتجرى به الأودية ، وتمتلىء الغدران ، وتهتز أرض البادية الجرز وتربو ، وتنبت ألونا مختلفة من الكلأ والعشب ، والشيح والقيصوم ، والعبهر والريحان ، والسوسن والعَرَار ، فترى البيداء كأنها روضة فيحاء ، أو جنة خضراء ، أو بساط دبجته يدُ صَنَاعٍ ، فأبدعت فى تأليف الألوان ، وافتنَّت فى تنسيقها فأصبحت تخلب اللب ، وتستوقف النظر بما فيها من توافق وانسجام ، وحيث ليالى السِّرَار الساجية تضرب عليها السماء رواقا مرصَّعاً بالكواكب اللماحة ، والنجوم المتألقة ، وحيث الليالى القمراء ، يطل عليها البدر من الأعالى بمحيّاه المشرق الضحوك ، ويفيض عليها من أشعته الفضية الرطبة مايذهب بظلمتها ، ويجلّى حلوكتها ، فيطيب فيها الحديث ، ويحلو السمر ، ويلذ السهر .

بين هذه المشاهد الرائعة ، والمناظر الخلابة ، والآفاق الفسيحة استقبل بيت الشيخ عبد الوهاب بن سليمان بن على عالم « الدرعية » وإمام مسجدها ، وخطيب منبرها ، وليداً جديدا لم يكن أحد ممن استقبلوه يدرى أن سيكون له فى الحياة الدينية أثر بعيد المدى .

تفتحت عيناه أول ماتفتحتا على هذه المشاهد ، وقرعت سمعه قبل كل شىء تكبيرات

الأذان ، وآيات القرآن ، وفغم خياشيمه عبير العبهر والرند ، وتنسم فى صبا نجد . فكان لكل ذلك فى حياته صدى عميق الأثر

وسماه أبوه محمداً تيمناً بإسم النبي الكريم ، وحرصا على أن يجعل اسمه من خير الأسماء وأحبها إلى قلوب المؤمنين

نشأته : نشأ كما ينشأ وِلْدان البادية فى الجو الطاق الفسيح . فتقوى أسماعهم ، وأبصارهم ، وتصح أبدانهم ، وتسلم عقولهم ومشاعرهم ، وتدق أحاسيسهم ومداركهم .

ولما فصح لسانه ، وفارقته لثغة الطفولة ، سلمه أبوه إلى الفقيه فلقاه كتاب الله مرتلاً مجوَّدًا ، فأجاد حفظِه وتلاوته ، ولما يبلغ العاشرة من سنه .

* * *

مواهبه : وقد وهبه الله ذكاء فياضاً ، وحافظة واعية قوية وذاكرة لا يفوتها شيء وإدراكا سليماً ، وعقلا راجحا ، ورأياً أصيلا وفهماً ثاقباً ، وكان أبرز صفاته ، وأمضى مميزاته منذ يفاعته حرية الفكر ، وصراحة القول ، فلم يكن يتقبل كل ما يلقى عليه بقبول حسن ، بل كان يسأل ، ويناقش ويجادل ويحاور ، فإذا اقتنع بصحة شيء قبله ، وإلا رده أو توقف فى قبوله حتى يقتنع بصحته ، فيتخذه عقيدة يعتقدها ، ويستميت دون الدعوة إليها ، والإقناع بها . وتلك ميزة العباقرة النوابغ الذين لا يلقون بعقولهم تحت أقدام غيرهم ، ولا يبدلون نعمة الله كفراً ، وكانت الكتب أحب شيء إليه ، يؤثرها على كل شيء ، ولا يؤثر عليها شيئاً ، ولقد صرف عن كل ملاهى الطفولة وملاعبها ، فلم يكن ينفق وقته فيما ينفق فيه الصبية أوقاتهم من شتى الألعاب ، ومختلف الملاهى ، بل كان يخلو فى ركن من أركان البيت ، ومعه كتاب يقبل عليه ، ويفنى فيه ، ولا يبغى به بدلا

ولقد بدت مخايل الذكاء والنجابة عليه منذ طفولته حتى لقد كان والده يتحدث إلى أصحابه ومعارفه بما ينتظر له من عبقرية ونبوغ ، ولقد كان يقول فيما بعد : لقد استفدت من ولدى محمد شيئاً كثيراً

* * *

ثقافته : حذق القرآن وتلقى من لدن أبيه فقه الحنابلة ، ودرس ماوصلت إليه يده من كتب السنة دراسة تفقه وتفهم واستنباط ، حتى برع فى علوم الحديث ، وتمرس بالنحو والعلوم اللسانية ، فأجاد الإلمام بقواعدها ، وتروّى من اللغة ، وحفظ الكثير الممتع من مفرداتها وشعرها ونثرها ، وعرف مناحى بلاغتها ، وتذوق أساليبها .

وإذا أتيح لطالب العلم أن يتزود بحظ موفور من مفردات اللغة وآدابها ومختلف أساليبها ومناحى بلاغتها ، ونمت فيه ملكة البيان ، وذوق البلاغة . فقد أتيح له أن يدرك أسرار الكتاب المبين إدراكاً صحيحاً ، ويفهم أحكامه على وجهها .

زواجه : كان رضى الله عنه طوالا فارعاً ، نامى الجسم فارها ، بلغ الحلم فى الرابعة عشرة من عمره ، ولم يكد يبلغ الحلم حتى اختار له والده كريمة من كرائم عشيرته ، فزوجه إياها ، وجعل الله بينه وبينها مودة ورحمة ، فنشأ عفّ الإزار غضيض البصر ، لا تخون عينه ، ولا يهفو قلبه ولا يبغى وراء ماأحل الله له ، وإذا وقى الله المرء فتنة النِّسَاء ، فقد كتب له خيراً كثيرا

إمامته : وآنس أبوه منه خلال العفة والاستقامة ، والورع والتقوى مع الفقه وحفظ القرآن وإجادة تلاوته وترتيله ، فقدمه للصلاة بالجماعة ، فكان من خير الأئمة الذين يقتدى بهم فى تلك البلاد ؛ فى تلك الحقبة من الزمن إقامةً للصلاة ، ورفقاً بالمأمومين وطمأنينة فى الركوع والسجود ، واتباعاً لسنة الرسول الأمين ، وتعليما للمصلين ، وكسباً لثقتهم

حجه : وكان والده فخوراً به حدباً عليه ، راضياً عنه ، فلم يتردد حين طلب إليه أن يسمح له بأداء فريضة الحج فى أن يأذن له ، وييسر سبيله

وقد سار – رضوان الله عليه – إلى تلك المشاهد يهزه الشوق ، ويستحث ركابَه الحنين ، حتى أتى مكة بلد الله الأمين ومكث بين ربوعها حتى قضى مناسك الحج ، لم يقع منه رفث ولا فسوق ولا جدال ، وأكثر من ذكر الله عند المشعر الحرام فى خشوع المتبتلين وضراعة المخبتين ، وخيفة المؤمنين .

فى المدينة المنورة : ولج به الشوق إلى زيارة المدينة المنورة للصلاة فى الروضة العالية ،

والإلمام بالبقعة الطاهرة التى ثوى فيها جثمان النبى الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، فسار إليها وألقى عصا التسيار بها لا يكاد يبرح الروضة ما أتيح له المكث فيها ، وأعجب بكل شىء فى المدينة المنورة مسجدها ، وأهلها ، و بيوتها ، ومسالكها ، وجوها ، وطعامها ، ومائها ، وتمرها ولبنها ، و بساتينها وأر باضها ، وحرارها ، وأوديتها . وذكريات تاريخها ، ومصارع شهدائها ، ومثوى أبطالها .

وكان محباً للاطلاع شغوفاً بالمعرفة ، فلم يدع مشهداً من المشاهد ، ولا أثراً من الآثار إلا أَلَمَّ به ، ووقف عنده ، مستطلعاً ، باحثاً منقباً ، مستعيداً لذكرياته ، مستمداً منه عبرة وموعظة .

وأخذت هذه المدينة الحبيبة إلى قلوب المؤمنين بمجامع قلبه ، وملكت عليه عواطفه ومشاعره ، لا لضخامة بنائها ، ولا لروعة مناظرها ، ولكن لمعان نفسية كريمة ، وأسرار روحية عظيمة ، ومشاعر دينيَّة طيبة هاجت لواعجه ، وحركت عواطفه ، فلم يشأ أن يغادرها حين غادرها الرفاق ، بل أقام بها شهرين كاملين ، يشهد الجماعات فى الصلوات الخمس بالروضة المعطار ، و يتنسم فى هذا الجو الطهور الذى تنسم فيه الرسول الأمين وصحبه الكرام الأمجاد ، و يلقى العلماء وأولى الرأى ، و يتحدث إليهم ، و يعجب بوداعتهم وهدوئهم وتواضعهم . وسكون طائرهم ، و يأخذ أقباساً من علمهم وأدبهم ، ثم ودعها يوم ودعها خافق القلب دامع العين . جياش العاطفة ينظر وراءه كلما جدّ به المسير و يردد قول الشريف الرضى

و تلفتت عينى ، ومذ خفيت عنى الديارُ تلفت القلبُ

رحلاته : حببت إليه رحلة الحج الارتحال فى طلب المزيد من العلم فسافر إلى البصرة ، وأقام بها أربع سنين دأباً يأخذ من علمائها وفقهائها ثم ارتحل إلى بغداد ، ومكث بها خمس سنين يتلقى عن شيوخها ، وأدبائها ثم سار إلى كردستان ، وهمدان ، وأصفهان ، واستوعب ماقدر على استيعابه مما عند أهلها من ألوان المعارف الدينية واللغوية والأدبية . حتى لقد درس فلسفة الإشراق التي كشفت له عن فساد المذاهب الصوفية ، وما تدل به من الإلهامات والشطحات ، ووحدة الوجود ، ووحدة الشهود وغير ذلك من العبارات الجوفاء

التي لم يأت بها كتاب ولا سنة فزاد تعلقه بالكتاب والسنة ، واشتد حرصه على الاستمساك بهما ، والغوص فى أعماقهما لاستخراج روائع دررهما ، و بوالغ حكمهما .

وكان فى جميع رحلاته وأسفاره باحثاً منقباً ، يشاهد أحوال الناس ويدرس أخلاقهم وعقائدهم ، وعاداتهم ، وأحوالهم وأعمالهم ، وأفادته هذه السياحات فائدة علمية عظيمة ، ونمت معارفه ، ووسعت أفق تفكيره .

رأيه فى شيوخه : ورأى كثرة الشيوخ الذين اتصل بهم ، وتلقى منهم يقفون عند آراء المؤلفين الذين يدرسون كتبهم لا يعدونها ، ولا يناقشونها ، وقصارى أمرهم أن يفهموا مستعصى تراكيبها ، ويحلوا عقدها ، ويوضحوا غامضها ، ويكشفوا معجباتها الناشئة عن ضعف تأليفها ، وفساد تركيب عباراتها ، أما ماوراء ذلك من صحة المعنى أو فساده ، فلا شأن لهم به ، ولا رأى لهم فيه ، وحسبهم أنهم فهموا عبارة المؤلف التى لا يفهمها إلا الراسخون فى العلم ، وأنهم يسروا مهمتها لطلابهم ومريديهم .

وصادف فئة منهم ترى أن محاولة الرد على المؤلف أو تصحيح عبارته إثم كبير ، وخطيئة شنيعة لا تنالها المغفرة .

ولكنه رضى الله عنه كان واثقاً بنفسه ، و بصحة فهمه ، واستقامة تفكيره ، فكان يناقش شيوخه فى أدب وتوقير ، فمنهم من كان رضىّ النفس سمح الطبع ، لين العريكة ، يقبل نقاشه ، ويعترف بصحة نظره ، ويقبل القليل ، ويعتذر عن قبول الكثير ، أنه لايستطيع الخروج على رأى شيخه لأنه عقوق وهو لا يرضى أن يكون ممن يعقون شيوخهم ، ويخالفون عن أمرهم .

ومنهم من كان ضيق العطن ، محدود التفكير ، وكان يقابل نقاشه باشمئزاز و إعراض ونفور ، وربما بلغ منه الغضب ، فانتهره ، ولقيه بوجه كالح عبوس .

يتبع أبو الوفاء محمد درويش

كيف نشأت الفرق الاسلامية

وهو بحث ممتع موجز فى نشأة الفرق الكلامية بالاستناد إلى التاريخ من غير تعرض إلا لرءوس المسائل ، إلى أن تكونت أهم الفرق ، كتب مقدمة لكتاب « مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين » إحدى مصنفات أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاةُ والسلامُ على رُسُل الله ، وعلى آلهم وأصحابهم .

— ١ —

كان العالم يوم بعث الله رسولَه بالهدى ودين الحق يتيه فى بَيْدَاواتٍ من ظُلَمِ الجهل والتقليد وفوضى الأخلاق وانتكاس أُسُسِ الاجتماع ، فالعرب ـ وهم قومُه ومنهم أهْلُه وعشيرتُه الأدْنَوْنَ ـ أمة عريقة فى الجاهلية الجهلاء واغلة فى الوثنية ، ليست لهم قُدْمة ولاسابقة فى الرقى الاجتماعى ، ولا لهم عاطفة ولا وازع يصرفهم عن المُغَاورة والتكسب من طريق النهْبِ وشَنِّ الحروب والاعتداء على الحقوق والحرمات ووأد البنات ، وما أشبه ذلك من دنىء الفعال ، ولا لهم من حصافة العقل ورقى الإدراك ونور المعرفة ما يَحُولُ بينهم و بين عبادة الأصنام والتقرب إليها و إتيان السَّحَرة والكهنة والعرّافين والمخرقين يتلمسون عندهم المعرفةَ وأخبارَ الغيب والفَصْلَ فى أسباب النزاع والخصومات ، ومَنْ كان منهم ذا دينٍ فإنما صار دينه إلى جُمَل مُحَرَّفة وعبارات مُبَدَّلة ممسوخة مما وضَعَه رؤساؤهم وأولو الأمر منهم ، فهؤلاء قوم زُيِّنَ لهم سوء عملهم فرأوه حسنا فاعتقدوا التثليث والحلولَ

والوساطة بين الخالق والمخلوق ، وهؤلاء قوم تخلَّوا عن عقولهم ودانوا بما ابتدعه أحبارهم من التجسيم وغير التجسيم مما لا يليق بالواحد القهار ، وهؤلاء قومٌ عَبَدُوا الأجرامَ العُلْوِيَّةَ ، ونَصَبُوا لها الهياكل ، ورَصَدُوها ، وقدسوها . وغير العرب شرٌّ من العرب فى ذلك : منهم الثنوية ، ومنهم عَبَدَةُ النار ، ومنهم الدهريون والطبيعيون ، ومنهم منكرو ما وراء الحس ومنهم منكرو النبوات ، ومَنْ كان منهم يتدينُ دينا فليس بأهْدَى ممن كان يتدين من العرب ولا بأقْوَمَ سبيلا .

فى وسَطِ هذا الاضطراب الاجتماعى والدينى بعث الله تعالى عَبْدَه ورسولَه محمد بن عبد الله بالهُدَى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون ، فأقام الحجة وأيقظ العقل ، وأذاع فى الناس سلطان هذا العقل الذى حقروه ، وحاكَمَهُمْ إليه ، ودعاهم إلى نَبْذِ التقليد ، وألا يتخذ بعضُهم بعضاً أربابا من دون الله ، وسَلَكَ لهذا ونحوه مسلكا لا يَدِق على أذهان العامة ولا يرتفع عن مستوى إدراكهم ارتفاعا يباعد بينهم و بين علم حقيقة ما يدعوهم إليه ، ولا يُسِفُّ حتى يستبذله الخاصة و يستنكروه ، انظر إلى هذا الدعاء الذى يمجد فيه العقل والعلم ، و يقيم الحجة الواضحة فى هدوء ورفق ، فى قول الله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالَوْا إلى كلمة سواء بيننا و بينكم ، ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ، فإن تولَّوْا فقولوا : اشهدوا بأنا مسلمون ، يا أهل الكتاب لم تُحَاجُّونَ فى إبراهيم ، وما أنزلت التوراة إلا من بعده ؟ أفلا تعقلون ؟ . ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلِمَ تحاجُّون فيما ليس لكم به علم ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون . ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن كان حنيفاً مسلما ، وما كان من المشركين . إن أولى الناس بإبراهيم لَلَّذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ، والله ولى المؤمنين) فإذا أنت قرأت هذه الآيات فتأمل فى يُسرها ، وسُهولة مَدْخَلها إلى العقل ، وأنها لا تحتاج إلى أن تستأذن لتلج أدَقَّ الموالج وتؤثر أبعد الأثر ، ثم اقرأها مرة ثانية وتدبر هل تجد أبْرَعَ من عبارتها ، وأقوَمَ منها حجة ؟ وهل تجد للتسلسل المنطقى الذى يَنْشُدُه

أهلُ البحث مثالا تضرب به له خيراً من هذه الآيات ؟ فإذا أنت اطمأننت إلى هذا كله فاعلم أنك واجد فى كل ماأوحى الله به إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وفى كل ماأجراه ـ سبحانه ! ـ على لسانه من سنته ، وفى كل ما عمل به حياتَهُ كلَّها إلى أن لحق بالرفيق الأعلى ، اعلم أنك واجدٌ فى كل أولئك أصْدَق المُثُل وأعلاها لهذه الدعوة التى أشرنا إلى بعض خصائصها .

ولم يلبث العرب ـ حين رأوا أن قد دمَغَتْهم الحجة ، وأخذت عليهم سُبُلَ الالتواء والمعارضة ـ أنْ دانوا لهذه الدعوة تِبَاعاً ، ودخلوا فى دين الله أفواجا ، فرأوا النبى صلى الله عليه وسلم يَصِف لهم ربه ـ سبحانه ! ـ بما وصف به نفسَه فى كتابه الكريم ، وبما أجراه على لسانه من سنته ، فلم يسأله أحد منهم ـ على اختلاف عقولهم ـ عن شىء من ذلك ، كما كانوا يسألونه عن أمر الصلاة والصيام والزكاة والحج وغير ذلك من كل ما علموا أن لله فيه أمرا ونَهْياً ، وكما سألوه عن أحوال الآخرة وعن الجنة والنار ، نقول « لم يسأله أحد منهم عن شىء مما وَصَف به ربه » لأن هذا من الأمور التى تتوَفَّرُ الدواعى على نَقْله لو أنه حدث ، ولم ينقل لنا أن أحداً التبس عليه فهمُ شىء من ذلك فأنشأ يسأل ليكشف شبهة ، أو يزيل لَبْسًا ، أو يَشْرَحَ غامضا ، كما نقلت الأحاديث الكثيرة التى تتضمن السؤال عن أحكام الحلال والحرام وعن أحوال القيامة وعن الملاحم والفِتَنِ ونحو ذلك ، فدلَّ هذا كله على أنهم فهموا ذلك وعَقَلوه فى يُسْرٍ وهَوَادةٍ من غير أن يفَلْسفوه أو شيئا منه ، و « مَنْ أمْعَنَ النظر فى دواوين الحديث النبوى ، ووقف على الآثار السَّلَفية ، عَلِمَ أنه لم يرد قَطُّ ـ من طريقٍ صحيح ولا سقيم ـ عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم ، على اختلاف طبقاتهم ، وكثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شىء مما وصف الرب ـ سبحانه ! ـ به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا معنى ذلك ، وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، نعم ، ولا فَرَّق أحد منهم بين كونها صفةَ ذاتٍ أو صفةَ فعلٍ ، وإنما أثبتوا له تعالى صفاتٍ أزليةً من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجودِ

والإنعام والعز والعظمة ، وساقوا الكلامَ سَوْقاً واحدا ، وهكذا أثبتوا ـ رضى الله عنهم ! ـ ما أطلَقَهُ الله ـ سبحانه ! ـ على نفسه الكريمة من الوَجْه واليد ونحو ذلك ، مع نَفْى مُماثلة المخلوقين ، فأثبتوا ـ رضى الله عنهم ! ـ بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض ـ مع ذلك ـ أحد منهم إلى شىء من هذا ، ورَأَوْا بأجمعهم إجراء الصفات كما وردت ، ولم يكن عند أحد منهم ما يستدلُّ به على وَحْدَانية الله تعالى وعلى إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله تعالى ، ولا عرف أحد منهم الطرُقَ الكلامية ، ولا مسائلَ الفلسفة[1] » .

على هذا ، وفى هذا الموضوع الذى ثارت فيه عَجَاجَةُ الكلام فيما بعد ، انتهى القرنُ الأول ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومَنْ تبعهم بإحسانٍ فهموا ما ذكره الرسولُ عن ربه ولم يرَوا بأنفسهم حاجةً إلى الفلسفة وقواعدها ولا إلى مَبَاحث الكلام التى تَمُتُّ بأوثق الأسباب إلى الفلسفة وقَوَاعدها ، فكتاب الله تعالى الذى حَدَّثهم عن ربهم وفَرَض عليهم حقوقاً يؤدُّونها إلى ربهم ، وحقوقا يؤدِّيها بعضهم إلى بعض ، هذا الكتاب عربى مُبين ، وهم قد فهموا العبارةَ التى فرضت عليهم هذه الحقوق وتلك ، وما احتاج من هذه العبارة إلى كَشْف سألوا عنه الرسول فبَيَّنه لهم ، فلماذا لا يفهمون العبارة التى يحَدِّثهم الكتاب الكريم فيها عن ربهم ؟ وكيف سكتوا عن طلب البيان إن لم يكونوا قد فهموها أو شيئا منها ؟ ولسانُ الرسول عربى مبين ، وشأنُ ما تَحَدَّث به إليهم شأنُ ما أُنْزِلَ عليه فى القرآن الكريم ، وهم ـ فى الأكثر ـ عَرَب ، يتكلمون العربية الفُصْحَى ، ويفهمونها إذا خوطِبُوا بها ، فليفهموا القرآن والسُّنة على النحو الذى يَفْهَمُون به ويُفْهِمُون ، ومَنْ كان منهم غير عربى فليس يحتاج لأن يفهم مثلَ ما فهموا إلا إلى معرفة اللسان العربى وإدراك خصائصه فإذا تيسَّر له ذلك فسبيله سبيلُ أهل العربية الأصيلين .

---

(١) من كلام العلامة المقريزى فى كتابه « الخطط والآثار » (٢ /٣٥٦ بولاق)

— ٢ —

وَنَبَتَ فى القَرْنِ الأول رجلان شَغَلاَ الناسَ بما لم يكونوا يعرفونه عن نبيهم ، وعن صحابته الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين ! شَغَلا بعض الصحابة ، وشَغَلا كثيرا من التابعين وشَغَلا بعض أهل الأقطار التى ارتفعت فيها راية الإسلام ، وشغلا بعض أهل المدينة حاضرة بلاد الإسلام ومَهْبِطِ الوَحْى على الرسول صلى الله عليه وسلم ، ودار مُهَاجره ومَثْوَى جثمانه الطاهر ، وكلا الرجلين كان دخيلا فى الإسلام فاسِدَ الطَّوِيَّة ، ولعل انتصار الإسلام والمسلمين فى مَوَاطن القتال كلها قد ولّد فى أنفسهما من الحَسيكة والضِّغْن ما جعلهما يتلَمَّسان له الفسادَ بأىّ سٍ والوقيعة .

أما أحدهما فرجل نصراني من أهل العراق يقال له « سوسن » أظهر الإسلامَ ،وصحب مَعْبَدَ بن عبد الله الجُهَنِى البَصْرِىَّ[1] وَنَفَثَ فى صَدْره سمومَه ، وعلمه القول بالقدر ، وزيَّنه له ، فـكان معبد هذا أولَ من قال بالقدر فى الملة المحمدية ، وقدم مدينة الرسول فأفسد بها ناساً ، فاشتغل أهل زمانه بتحذير الناس منهفيروى أن ابن عمرحين سمع به أعلن البراءة منه، ويروى أن الحسن كان يقول : إياكم ومعبدا فإنه ضال مُضِل ، وروى أن مسلم بن يَسَار كان يجلس إلى سارية فى المسجد يقول : إن معبدا يقول بقول النصارى ، وما زال كذلك حتى أخذه عبد الملك بن مروان فى سنة ثمانين[2] فقتله وصَلَبه بدمشق[3]

وقد أخذ عن معبدٍ الجهنىِّ غَيْلاَنُ بن مروان (أو ابن مسلم) الدمشقىُّ ، فقال بالقدر ـ

---

(١) لمعبد الجهنى ترجمة فى تاريخ الإسلام للذهبي (٣ / ٣٠٤) وفى تهذيب التهذيب (١٠ / ٢٢٥) وقد اختلف فى اسم أبيه واسم جده ؛ فيقال : هو معبد بن عبد الله بن حكيم (أو ابن عكيم أو ابن عليم) ويقال : معبد بن عبد الله بن عويمر (أو عويم) ويقال : معبد بن خالد ، ويقع اسم معلمه النصرانى فى بعض الأصول « سويس » ويقال : سنسويه .

(٢) ويقال : مات قبل التسعين .

(٣) وانظر التاريخ الكامل لابن الأثير (٤ / ١٨٩) والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (١ / ٢٠١) .

خَيْرِهِ وشره ـ إنه من العَبْد ، وقال فى الإمامة : إنها تصلح فى غير قريش ، وإن كلَّ مَنْ كان قائما بالكتاب والسنة كان مستحقا لها ، وإنهـا لا تثبت إلا باجماع الأمة . وكانت نهاية أمره : أن أخذه هشام بن عبد الملك بن مروان فأمر بقطع يديه ورجليه (١)

وأما الآخر : فرجل يهودىٌّ احترقت أحشاؤه من نَصْرِ الله تعالى المؤمنين ، فاصطنع الإسلام وهو يضمر أن يكيد له ، وذلك هو عبد الله بن وهب بن سبأ ، المعروف بابن السوداء .

وتتلخص شرور هذا الرجل فى أنه أحدث فى هذه الأمة ثلاثة أمور كان لكل واحد منها الأثر البالغ فى تفريق كلمتها وتشعث أمرها :

الأمر الأول : كان هو أول مَنْ أحدث القول بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بالإمامة ، فعلىّ وَصِىُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفته على أمته من بعده بالنص .

الأمر الثانى : كان هو أول من أحدث القولَ برجْعَة على رضى الله عنه إلى الدنيا بعد موته و برجعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا .

والأمر الثالث : كان هو أول من أحدث القولَ بأن عليا رضى الله عنه ! لم يُقْتَل ، وأنه لا يزال حيا ، وأنه يسكن السحاب ، وأن الرعد صَوْته ، وأن البَرْق سَوْطُه ، وأن فيه جزءاً إلٰهيًّا ، وأنه لابد أن ينزل إلى الأرض فيملأها عدلا كما مُلئت جَوْراً .

وأكثر هذه القضايا مأخوذ عن اليهودية التى كان يتعارفها قومه يومئذ ؛ بل إنه كان يستدل لمن يَخْدَعُهم على صحة هذه القضايا ببعض ماعُرِف من أحوال موسى صلى الله عليه وسلم مع شىء من التمويه والتحريف .

وعن هذه الآراء الفاسدة التى نفث سمومَها عبدُ الله بن سبأ هذا تفرعت آراء كثير من الفرق ، فمن تعاليمه تشعبت أقاويلُ الغُلاَة من الرافضة الذين يذهبون إلى أن الإمامة موقوفة على قوم بأعيانهم ، كقول الإمامية : إنها محصورة فى الأئمة الاثنى عشر ، وكقول الاسماعيلية : إنها محصورة فى ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ، ومن تعاليمه تشعبت أقوال كثير من الإمامية

(١) تاريخ الطبرى (٨ / ٢٨٥) .

الذين يذهبون إلى القول بغَيْبَة الإمام ورَجْعَته إلى الدنيا بعد الموت ، وهو ما يشير إليه قولُ كُثَيِّر بن عبد الرحمن المعروف بكُثَيِّر عزة :

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقودَ الخيلَ يَقْدُمها اللواء

تَغَيَّبَ لا يُرَى فيهم زماناً ... بِرَضْوَى عنده عَسَلٌ ومَاء

وقول السيد الحميرى :

يُغَيَّبُ عنهمُ حتى يقولوا ... تَضَمَّنَه بِطيبَةَ بطنُ لَحْدِ

ومن تعاليمه أيضا تشعبت أقاويلُ الإمامية الذين يذهبون إلى أن الجزء الإلٰهى يحلُّ فى الأئمة بعد على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ! ـ وأنهم بهذا استحقوا الإمامة دون غيرهم وعلى هذا الرأى كان ـ فيما بعد ـ اعتقادُ دعاة الخلفاء الفاطميين ببلاد مصر .

وابْنُ سبأ هذا هو الذى أثار فتنة أمير المؤمنين ذى النورين عثمان بن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ! ـ وما زال يُذْكِى لَهَبَهَا ، ويجمع لها أَوْشَابَ الناس وطَغَامهم ، حتى قُتل الخليفة المظلوم ، وكان له أتباعٌ كثيرون في معظم الأفكار ، فلذلك كثرت الشيعة ، وما زال أمرهم يَقْوَى وعددهم يكثر .

— ٣ —

وفى القرن الأول ـ أيضا ـ انفصلت شُعْبة من شيعة على بن أبى طالب عنه ، وناصبته العداوة ، وجمعت له الجموع ، وأشعلت شُوَاظ الفتنة ضده ، بعد ما كانت تفدِّيه بالأنفس والأموال ، و بعد ما كانت ترى طاعته مَغْنَمًا ، أولئك هم الخوارجُ الذين شايعوا عليا ـ رضى الله عنه ! ـ أول الأمر على قتال أهل الشام ، حتى إذا كان النصرُ منه قابَ قوسَيْنِ أو أدنى أظهروا الانخداع بخديعة عمرو بن العاص وحَمَلوا عليا على قبول التحكيم ، وعلى أن يُنيبَ عنه أبا موسى الأشعرى ، ولم يقبلوا التريُّثَ حتى تتم لهم الغلبة على أهل الشام ، كما لم يقبلوا أن يختار على نائبَه كما اختار معاوية نائبه ، فلما أذعن لهم علي وأصحابُ على وقبلوا كلَّ ماطلبوه إليه ، وتمت مهزلة التحكيم راحوا يُعْلنون كفر على ، وكفر كل من قبل تحكيم الرجال ، ولم تنجع فى هؤلاء القوم حجج المحتجين ولا نصيحة الناصحين ، وَأَبَوْا أن يفيئوا إلا أن

يُعلن على أنه كَفَرَ بتحكيمه الرجالَ ، وأنه تائب إلى الله تعالى من هذا الكفر ، وما كان على ليَرْضَى ذلك ، وهو ما حكَّم إلا دَفعاً لثورة كانت توشك أن تلتهم الأخضر واليابس ، وهو يعتقد ـ فوق ذلك ـ أنه لو حكَّم مختارا طائعا لما كان فى ذلك كفر ولا شبهة كفر ، بل ولا معصية ولا شبهة معصية .

والذى يحار فيه عقلُ الأريب من أمر هؤلاء : أنهم خرجوا فجأة ومن غير سابقة خلاف وأن ماخرجوا من أجله كانوا هم الدعاة إليه والمتشبثين به ، وأنهم خرجوا باسم الحرص على أحكام الله تعالى والتشدد فيها والرغبة الصادقة فى إنفاذها ، وأبْسَط الناس تفكيرا يجد فى حالهم ما يَرِيبُ أحسنَ الناس ظنا بهم .

فهل كَذَبَنا المؤرخون جميعا ، ومنهم الشيعى ومنهم غير الشيعى، فقصُّوا علينا أحداثهم على صورة يظهر فيها الغلو فى الاستمساك بالباطل ، والتشدد فيما لاينبغى التشدد فيه ؟ وإذا صح هذا عن المؤرخين الذين هواهم عَلَوي فكيف يصح عن الثقات الذين كتَبوا لوجه الحق ؟ وكيف يصح ذلك ولم يكتب هؤلاء المؤرخون ما كتبوا فى ظل دولة للعلويين أو لأنصار العلويين ، وإنما كتب من وصلت إلينا مؤلفاتهم فى ظل قوم أقل ما يقال فيهم : إنهم ما كانوا يأبَهون لماضى العلويين ، وإنه يستوى عندهم أن يثبت أن العلويين كانوا من قبل ظالمين أو مظلومين .

فإن لم يكن المؤرخون قد كذبونا ، وهو أرْجَحُ الاحتمالين عندنا ، فهل كان فى شيعة على الذين حاربوا معه وانتصروا له مَنْ كان يُضمر أن ينتقض عليه متى لاحت له الفرصة ؟ أو يخلق الفرصة خلقا إن لم تسنح له ، ونريد أن نقول : هل كان عبد الله بن وهب بن سبأ قد أفضى بذات نفسه إلى بعض شيعة على وأفهمهم أن ما يتخرق به على الناس من تمجيد على وتأليهه تارةً والقول بأنه وصى الرسول تارة أخرى إنما هو خُدْعة ابتدعها لينتزع بها إعجاب العامة من أصحاب علي ، وهو ـ فى حقيقة الأمر ـ يريد أن يُفْسد على علىٍّ أصحابَه وأخذ عليهم العهودَ أن يفعلوا هم ذلك إن اخترمته المنون قبل أن يبلغ ما يريد ؟

ومهما يكن من شىء فقد نبتت نابتة الخوارج فى أواخر حروب صفين بين أهل العراق

شيعة على وأهل الشام شيعة معاوية بن أبى سفيان ، واستشرى شرهم ، وصاروا من بعدُ حزبا كثير العَدَد ، وخلطوا شؤون الدين بشؤون الدولة ، فكانت لهم آراء فى كثير من مسائل الدين أصوله وفروعه ، وكانت لهم آراء فى الخروج على الدولة والانتقاض على الأمراء أو الكف عن ذلك مما تجده مُفَصَّلا فى كتب التاريخ وكتب المقالات

— ٤ —

وفى أخريات القرن الأول ـ أيضا ـ أو أوائل القرن الثانى ظهر رجل يقال له « جَهْم بن صفوان » بترمذ و بلاد المشرق « فأورد على أهل الإسلام شكوكا أثرت فى الملة الإسلامية آثارا قبيحة تولَّد عنها بلاء كبير ، فكثر أتباعه على أقواله التى تؤول إلى التعطيل[(١)] » فأخذ يعلن فى الناس أن « لمقدورات الله تعالى ومعلوماته غاية ونهاية ، وأن لأفعاله آخرا ، وأن الجنة والنار تفنيان و يفنى أهلهما حتى يكون الله تعالى آخرا لاشىء معه كما كان أولا لاشىء معه[(١)] » و « أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، والكفر هو الجهل بالله فقط ، وأنه لافعل لأحد فى الحقيقة إلا الله وحده ، وأنه هو الفاعل ، وأن الناس إنما تنسب إليهم أفعالهُم على المجاز كما يقال : تحركت الشجرة ، ودار الفَلَكُ ، وزالت الشمس[(٢)] » ونَفَى أن يكون لله تعالى صفة[(٣)] ، وذهب إلى أن علم الله تعالى مُحْدَث ، و إلى القول بخلق القرآن ، ومن ثمة نَسَبَه قومٌ إلى مذهب المعتزلة ، « وجهمٌ عند المعتزلة ـ فى سوء الحال ، والخروج من الإسلام ـ كهشام بن الحكم[(٤)] » وقد أكبر أهلُ الدين بِدْعَته ، وتمالأوا على إنكارها وتضليلِ أهلها ، وحذروا الناس من الجهمية ، وعادَوْهم فى الله تعالى ، وذَمُّوا مَنْ جلس إليهم ، ومن قال بمقالتهم أو انتحل نحلتهم .

وأراد الله تعالى أن يقود جهما إلى حَتْفه ، فخرج مع الحارث بن سُرَيج فى سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة ، على خلفاء بنى أمية ، وكانت خلافتهم قد آلت إلى

(١) من كلام المقريزى عنه (٢/٣٥٧) .

(٢) انظر كتاب المقالات (١/٢٢٤) . (٣) انظر المقالات (١/٣١٢) .

(٤) انظر كتاب الانتصار فى الرد على ابن الراوندى (١٢٦) .

مروان بن محمد فامتنع الحارث بن سريج من قبولها ، وتكلم فى مروان ، فجاءه سَلْمُ بن أَحْوَزَ أميرُ الشرطة وجماعةٌ من رؤوس الأجناد والأمراء ، وطلبوا منه أن يكفَّ لسانه ويَدَه ، وألا يُفَرق جماعة المسلمين ، فأبى ، وبرز ناحيةً عن الناس ، ودعا نصرَ بن سَيَّار وكان نائب خراسان ـ إلى ما هو عليه من الدعوة ـ زعَمَ ـ إلى الكتاب والسنة . فامتنع نصر من موافقته ، واستمر هو على خروجه على أهل الاسلام ، وأمر جهم بن صفوان أن يقرأ كتابا فيه سيرة الحارث بن سريج على الناس ، وبعد خطوب تناظر نصر بن سيار والحارث بن سريج ، ورضيا أن يحكم بينهما مقاتل بن حيان والجهم بن صفوان ، فحكما أن يعزل نصر ويكون الأمر شورى ، فامتنع نصر من قبول ذلك ، ولزم الجهمُ قراءة سيرة الحارث بن سريج على الناس فى الجامع والطرق ، فاستجاب له خلق كثير ، وجم غفير من الناس ، فعند ذلك انتدب لقتاله جماعات من الجيوش عن أمر نصر بن سيار ، فقصدوه ، وحارب أصحابه دونه ، فقتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان ، طعنه رجلٌ فى فيه فقتله ، ويقال : بل أُسِرَ الجهم ، فأوقف بين يدى سلم بن أحوز ، فأمر سلم بقتله ، فقال جهم : إن لى أمانا من أبيك ، فقال : ما كان له أن يؤمنك ، ولو فعل ما أمنتك ، ولو ملأت هذه المُلاَءَة كواكب وأنزلت عيسى بن مريم ما نجوت ، والله لو كنت فى بطنى لشققت بطنى حتى أقتلك ، وأمر ابن مُيَسِّر فقتله[1]

ونريد أن نقف بك قليلا عند الجهم بن صفوان والحارث بن سريج الذى كان الجهم يَحْطِبُ فى حَبْله ، فقد رابنا أمرهما جميعاً ، وأول هذه الريبة أنا رأينا الحافظ ابن كثير يقول « فى سنة ثمان وعشرين ومائة كان مقتل الحارث بن سريج ، وكان سبب ذلك أن يزيد بن الوليد الناقصَ كان قد كتب إليه كتابَ أمانٍ ، حتى خرج من بلاد الترك وصار إلى المسلمين ، ورجع عن مُوالاة المشركين إلى نصرة الإسلام وأهله » وإذن فالحارث بن سرَيج كان رجلا غير صحيح الدين ولا سَليم العقيدة ، كان يوالى المشركين ، ويذهب إليهم

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٢٦و٢٧) .

يستنصر بهم على أهل الإسلام ، ويحرضهم على قتالهم ، وجَهم بن صفوان كاتب الحارث بن سريج ، ولا يكتفى بأن يكون كاتبه ، بل هو يقرأ على الناس كتاباً فى فَضل الحارث بن سريج ، ومعنى هذا أنه داعية له ، ورَجُلٌ هذا شأنه لابد أن يكون صادرا فى مقالته عن فسادِ طَوِيَّة وسوءِ دِخْلَة ، وهذا يفَسِّر لنا العبارة التى يقولها المقريزى عنه « فأورد على أهل الإسلام شكوكا أثَّرَتْ فى الملة الاسلامية آثارا قبيحةً تولَّد عنها بلاء كبير » وهذا كله يؤيد ماذهب إليه من أن رؤوس النحل التى طرأت على الإسـلام ـ بعد نقائه وصفاء جوهره ـ كانوا دُخَلاء فيه ، وكان أول غرضهم أن يفْسدوا مايريد الله أن يظهره على الدين كله ، والله غالبٌ على أمره ، ولن يشاقَّ اللهَ أحدٌ إلا قصَمه .

وقد حفظ لنا التاريخ اسم كتابين أُلِّفَا فى أوائل القرن الثانى ، فى الرد على مَنْ ظهر فى هذه المدة بنحلة تخالف ما عليه جماعةُ المسلمين ، فأما أحد الكتابين فكتاب «الرد على القدرية » صنفه شيخ المعتزلة وزاهدهم عمرو بن عُبَيد (٨٠ ـ ١٤٤ من الهجرة) وأما الكتاب الآخر فكتابُ « أصناف المرجئة » الذى ألفه إمام المعتزلة وأعجوبتهم واصل بن عطاء مولى بنى ضبة ويقال:مولى بنى مخزوم ـ المعروف بالغزال (٨٠ـ١٨١ من الهجرة).

(يتبع) محمد محيي الدين عبد الحميد

الاستاذ محمد صادق عرنوس

رحمه الله وغفر له

فى يوم الخميس ٢١ المحرم سنة ١٣٧٠ (٢ نوفمبر سـنة ١٩٥٠) توفى أخونا الكريم المجاهد : الأستاذ محمدصادق عرنوس بالمدينة المنورة عن نحو خمس وخمسين سنة تقريبا .

ولقد فوجىء أنصار السنة المحمدية بهذا الخبر الذى نزل عليهم نزول الصاعقة ظهر يوم الجمعة قبيل الصلاة بعشر دقائق . وكان فضيلة الأستاذ الرئيس أشدهم حزنا وتأثرا ، فخطب خطبتين قصيرتين ـ على غير عادته ـ بكى وأبكى كل من كان بالمسجد يومئذ .

وليس بين أنصار السنه المحمدية فى جميع الأقطار من لا يعرف الأستاذ محمد صادق عرنوس ، رحمه الله . بل يعرفه تمام المعرفة كل من كان له صلة قريبة أو بعيدة بدعوة أنصار السنة المحمدية ، سواء أكان مؤيدا أم معارضا

بدأ حياته متعلما فى المدارس المدنية ، ثم كاتبا بوزارة الأوقاف ، ثم عين معاونا لتكية المدينة المنورة فى أول فبراير سنة ١٩٥٠ حيث مات بها . ودفن بالبقيع :

كان رحمه الله الوكيل الأول لجماعة أنصار السنة المحمدية ومدير مجلتها (الهدى النبوى) زهاء خمس عشرة سنة . وكان من أخلص وأقوى الدعاة إلى التوحيد .

وكان رحمه الله دائب الحركة ، دائم التنقل والسفر إلى مختلف البلاد مجاهدا داعيا الى الله و إلى رسوله بكل ما أوتى من قوة و برهان .

كما كان رحمه الله يولى (مجلة الهدى النبوى) ـ التى كان يحدب عليها حدب الوالد على وليده ـ أكبر عنايته وحبه وجهده ، و يبذل لها صحته ووقته فيسهر الليالى الطويلة يكتب و ينقح و يصحح و يحرر إلى المشتركين والمتعهدين والعملاء ، والكتاب والمستفتين ، و يرد على خطاباتهم محتسبا أجره عند الله . جزاه الله جزاء الصابرين الشاكرين .

وكان رحمه الله ـ فوق عنايته بالقرآن وسنة رسول الله حفظا وفهما ـ معنيا بالأدب العربى ، شعرا ونثرا ، وله فى ذلك الميدان روائع ، نشر كثير منها فى مجلة (الهدى النبوى) وله رسائل مطبوعة مثل .

١ ـ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها .

٢ ـ على هامش الحياة المصرية .

٣ ـ صوت الشعر فى قضية فلسطين .

٤ ـ من صور الحياة المصرية .

وغير ذلك من النشرات التى كانت تصدرها الجماعة فإن كثيرا منهـا بقلمه غفر الله له وعفا عنه وأنزله منازل المؤمنين الصادقين .

وكان من أبرز صفاته ـ رحمه الله ـ الوفاء لإخوانه والسؤال عنهم و إسداء العون إليهم والتألم لآلامهم والاهتمام بشئونهم والفرح لأفراحهم . فـكان من أحب الناس إلى قلوب جميع إخوانه من أنصار السنة المحمدية .

وكان من صفاته ـ رحمه الله ـ التواضع ، حتى أنه لم يكن يستنكف أن يسأل من هو أقل منه علما ثم أن يعلن أنه فهم هذه المسألة من فلان .

فالعزاء لأنصار السنة المحمدية فى جميع البلاد والأقطار .

والعزاء لقراء (الهدى النبوى) . ثم العزاء لفضيلة الأستاذ الرئيس ثم العزاء لولديه سامى و يحيى ، ولأخويه الشيخ محمود عرنوس والشيخ عبد العزيز عرنوس ولأهله ، وجميع عارفيه . آجرهم الله فى مصيبتهم وعوضهم خيرا .

والله نسأل أن يغفر له و يتجاوز عن سيئاته وأن يوسع له فى قبره ، وأن يجعله روضة من رياض الجنة ، وأن يبدله أهلا خيرا من أهله ودارا خيرا من داره . كما نسأله تعالى أن لا يحرمنا أجره ، ولا يفتننا بعده ، وأن يغفر لنا وله وأن يلحقنا به على الايمان والعمل الصالح .

كلمة (قل ...) فى القرآن

من أعجب كلمات القرآن هذه الكلمة ذات الحرفين ، أو هذا الأمر بالقول ، الكثير الورود فى القرآن . وأبرز عجائبه عندى أنه يبطل فى حرفين زعم من يزعم أن القرآن من كلام النبي صلوات الله عليه ، لأنه يظهر بوضوح أن القرآن كلام من وجَّه إلى النبي هذا الأمر للتكرر المطَّرد (قُلْ . . .) :

(قل هذه سبيلى ، أدعو إلى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله ، وما أنا من المشركين) . « سورة يوسف » .

(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلىَّ أنما إلهكم إله واحد) « سورة الكهف » .

(قل لا أملك لنفسى نفعاً ولاضرًّا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير و بشير لقوم يؤمنون) « سورة الأعراف » .

(قل ما كنت بِدْعاً من الرسل ، وما أدرى ما يُفعل بى ولا بكم إنْ أتَّبع إلا ما يوحى إلىَّ ، وما أنا إلا نذير مبين) « سورة الأحقاف » .

(قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمراً من قبله ، أفلا تعقلون) « سورة يونس » .

فلو تأملت هذه الآيات الكريمة ، وهى قليل من كثير مثلها فى القرآن ، وصرفت النظر عن إعجازها الدال على أنها ليست من قول البشر ، لما وجدت شيئاً يحمى القارىء المؤمن من أن يسبق إلى نفسه أنها من كلام النبي إلا هذه الكلمة الكريمة ذات الحرفين ، أو هذا الأمر (قُلْ . .) فى أول كل منها ، لأن ضمير المتكلم فى كل منها راجع إلى النبي صلوات الله عليه . فإن كان القارىء غير مؤمن وجد أمر (قُلْ . .) هذا قائماً حيال كل آية يوقظه و ينبهه أنه يقرأ كلاماً لا يمكن أن يكون محمد قاله من عند نفسه ما دام مأموراً بالقول

هكذا فى كل آية ، أو على الأقل يجد غير المؤمن أن العقيدة التى تلقاها ووقرت فى نفسه من أن القرآن كلام محمد تريد أن تتقلقل وتتزعزع بكلمة (قُل . .) هذه كلما قرأها فى مواطنها من الآيات . فكأن هذه الكلمة الكريمة تقوم حيال كل آية وردت فيها تذود الشك عن نفس المؤمن وتزعج نفس غير المؤمن أن تطمئن . كلما أراد غير المؤمن أن يفهم أن محمداً يقول : (هذه سبيلى) و (إنما أنا بشر مثلكم) ، (لا أملك لنفس نفعاً ولا ضرًّا) ، (ما كنت بدعاً من الرسل) أزعجته كلمة (قل) عن هذا ، كأنها تقول له فى كل مرة : ليس هذا من كلام محمد ، ليس هذا من كلام محمد ، حتى ليجد نفسه مضطرًّا ـ إن كانْ يطيع داعى عقله ـ أن يتساءل : من الذى يقول لمحمد قل . . قل . . قل . . هكذا بهذا التكرار فى تلك الآيات وأمثالها فى القرآن ؟

وعجيبة أخرى لتلك الكلمة الكريمة كلمة (قُلْ . .) أن ذكرها من رسولٍ فى صلب الرسالة المأمور هو بتبليغها يخالف كل مألوف الناس ، أو إن شئت يخالف إجماع الناس فى كل لغة وفى كل عصر فى الأدب أوفى الخطاب .

واسأل نفسك : هل تعرف فيما قرأت أو سمعت أن أحداً حين يُبلغ رسالة حُمِّلهَا إلى فرد أو جماعة يبلغها مصدرةً بقول : « قل » أو « بَلِّغ » أو « نبِّئْ » أو أىّ صيغة أخرى من الصيغ التى يمكن أن تستعمل عند الأمر بالتبليغ أو الإخبار ؟ طبعاً لا . فإن حامل الرسالة أو الخبر عند أدائه يجد نفسه بالطبيعة بين أمرين : إما أن يقتصر على الخبر أو الرسالة يلقيها بالنص أو بالمعنى من غير إشارة إلى مصدرها ، وإما أن يخبر أيضا عن المصدر بصيغة من صيغ الخبر التى جرى بها عرف اللغة فى الخطاب . أما أن يعيد نفس كلام الآمر عند الأمر حتى قول « قل » ونبئ فهذا يخالف كل ما جرى عليه البشر فى الكلام .

ولقدر روى ثقات المحدثين عدة أحاديث للنبى صلى الله عليه وسلم بلَّغ فيها عن ربه بصيغة الخبر التى يقضى بها عرف اللغة مثل حديث : (إن الله كره لكم ثلاثاً : قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال) . رواه البخارى ومسلم وغيرهما فيما ذكر المنذرى .

ومثل الموعظة المشهورة له صلى الله عليه وسلم : (أوصانى ربى بتسع أوصيكم بها : أوصانى بالإخلاص فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الغنى

والفقر ، وأن أعفو عمن ظلمنى ، وأعطى من حرمنى ، وأصل من قطعنى ، وأن يكون صمتى فكراً ، ونطقى ذكراً ، ونظرى عبراً) .

فها هو ذا النبي يبلغ عن ربه كما ألف الناس ، ليس فى الكلام « قل » ولا « نبىء » ولا « أنذر » ولا ما شابهها من الكلمات . أفليست كلمة (قل) ، (نبىء) ، (أنذر) وما ماثلها فى القرآن الكريم ، منفردة ومجتمعة ، شاهداً واضحاً ومذكراً ناطقاً على أن القرآن ليس بكلام محمد صلوات الله عليه و إلا لاتبع محمد الفصيحُ البليغ طريقةَ البشر فى التبليغ ، ولما خالف عرف الخطاب عند الناس أجمعين على اختلاف الألسنة واختلاف الألوان ؟

وعجيبة أخرى لهذه الكلمة المباركة كلمة (قل) أنها وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن النبى صلى الله عليه وسلم حين أُمر بتبليغ الرسالة القرآنية أُمر أيضاً بألاّ يغير منها حرفاً ، ومُنع من أن يتصرف فيها أى تصرف ، ولو كان ذلك فى الصيغة ، ولو كان ذلك بإسقاط كلمة « قل » مع أداء مَقُول القول بالحرف دون أدنى تغيير أليس من عجيب الحكمة وعظيم الرحمة أن أُثبت هذا الحرفُ وأمثاله فى القرآن رمزاً للرسالة وشهادة بها ، وليدل الناس فى إيجاز وصراحة على أن القرآن ليس من عند محمد ، وأن محمداً تلقاه من عالم الغيب ونقله إلى عالم الشهادة بكل لفظ فيه وكل حرف ؟ ! فكل لفظ فيه وكل حرف هو من عند من أوحى القرآن إلى رسوله ليبلغه بنصه وفصه للناس :

(قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين . إن هو إلا ذكر للعالمين) « سورة ص » .

(قل ماسألتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى إلا على الله ، وهو على كل شىء شهيد)

(قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب ، قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ، قل إن ضللت فإنما أضل على نفسى ، و إن اهتديت فبما يوحى إلىّ ربى ، إنه سميع قريب)

ماذا ياترى يمنع القارىء الذى لا يفقه إعجاز القرآن أن يقول فى نفسه إن هذا كلام من يرجع إليه ضمير المتكلم إلا كلمة (قل) هذه ، تقوم فى أول كل آية كالحارس القائم بسلاحه على مستودع ذخيرة جيش ، أو كالدريئة القائمة دون صدر جندى من جنود الله ؟ .

والآيات الأخيرة فى القوس الأخير آيات متتالية من سورة سبأ . فأعد قراءتها الآن ماذا تجد وقعها فى نفسك ؟ ثم اقرأها مرة أخرى من غير كلمة (قل) فى أول كل منها، ماذا تجد الآن؟ أرأيت الفرق بين الآيات الكريمة كما أنزلها الله ، و بينها نفسها بعد حذف هذه الكلمة المتكررة فيها ، والتى قد يظن الملحد والجاحد أن لا لزوم لها فى الكلام ؟ فهذه عجيبة أخرى وسر آخر من أسرار هذه الكلمة الكريمة ، كلمة (قل) التى تميز القرآن وتفرد بكثرة ورودها فيه من بين جميع الكتب المنزلة على الأنبياء

وفى القرآن آيات قليلة جدًّا لعلها لا تتجاوز الاثنتين ، فيها ضمير المتكلم راجع إلى النبى صلوات الله عليه ، لكنها لم تصدر بهذا الأمر الكريم ، أمر (قل) كمثلها من الآيات . لكن شاءت رحمة الله وحكمته أن يحيطها بما يذود خاطر السوء عن قلب القارئ ، ذود اليقين ، مثل آية آخر سورة النمل :

(إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة التى حرَّمها ، وله كل شىء ، وأمرت أن أكون من المسلمين ، وأن أتلوَ القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضل فقلْ إنما أنا من المنذرين) .

ألا ترى إلى كلمة « قل » فى آخر الآية الثانية كيف صححت موقف العقل من الآيتين جميعاً ، وسدت عليه باب احتمال أن تكون الآيتان من كلام النبى أدرجتا فى القرآن ؟ إن لها وقعاً بلاغيًّا عظيماً ،ففرق بين الآيتين الكريمتين كما أنزلتا و بينهما بحذف كلمة «قل» من ثانيتهما مع إثبات الفاء طبعاً . لكن هذا الفرق لا يبلغ مبلغه فى حالة الآيات الكريمة التي سبق الاستشهاد بها من آخر سورة سبأ . فهناك يتفكك الكلام و يذهب عنه كثير من الروعة ، وهنا لا يدرك تفككه و إن ذهب عنه من الروعة والجلال ما ركز فى كلمة (قل . .) هذه . لكن بقطع النظر عن هذا لا تتغير الرسالة الكريمة المودعة فى الآيتين بحذف (قل) من ثانيتهما ، و إنما ينفتح للشيطان باب الوسوسة إلى الإنسان ، وأقل ما يوسوس به أن هذا كلام للنبى اندرج فى القرآن ليزلزل بذلك من القارىء المؤمن اعتقاده أن القرآن كلام الله كله ، ليس لمخلوق منه حرف ، نبىّ أو غير نبىّ ، وسيلجأ المؤمن طبعاً

إذ ذاك إلى خاصة الإعجاز يدرأ بها الوسوسة من نفسه . ولكن كم فى الناس من أوتى من البصر مايستطيع به إدراك إعجاز الآيات سهل على الشيطان أن يشكك فى الإعجاز اللغوىّ لآية أو آيتين ، لكن من الصعب حتى على الشيطان أن يطمس الدلالة العقلية لكلمة (قل) فى آخر الآية الثانية : أن الآيتين كلتيهما ليستا من كلام النبي ، وأنهما لا يمكن أن تكونا من كلام النبى بوجه من الوجوه .

الحق أن وجود كلمة « قل » و « أنذر » و « نبىء » وأمثالها فى القرآن لا يمكن أن يستقيم فى عقل مع الفرض الذى يلبس به الشيطان على الملحدين والجاحدين أن القرآن من كلام محمد بن عبد الله . فكل منها كاف لزعزعة هذا الفرض فى نفس مفترضه إذا اقترن بشىء من الإخلاص ، وكلها كاف لاقتلاعه من أساسه و إبطاله كل الإبطال عند طلاب الحق من مفكرى غير المؤمنين ، وتكون الخطوة التالية لهم إذا تابعوا التفكير أن يتساءلوا من هو ذلك الذى وجه إلى محمد . هذا الأمر بالقول أو الإنذار أو الإنباء ما دام قد وضح أن القرآن هو نص كلام ذلك الآمر ؟ إذ لا يمكن فى طبيعة التفاهم اللغوى الإنسانى أن يكون هو كلام محمد المأمور المشهود له بالإخلاص حتى عند هؤلاء .

وقد سهل الله لمن يتجه هذا الاتجاه و يبلغ هذه المرحلة من من التسآل أن يصل إلى الحق بالدلائل العقلية الأخرى التى أودعها الله سبحانه واضحة جلية فى القرآن ومن غير الممكن الآن أن نوضح إلاَّ باباً منها ببعض الأمثال .

خذ إليك الآيات الكريمة الأتية :

(قل لعبادىَ الذين آمنوا يقيموا الصلاة و ينفقوا مما رزقناهم سرًّا وعلانية من قبل أن يأتىَ يوم لا بيع فيه ولا خلال) « سورة إبرهيم » .

(قل يا عبادىَ الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً) « سورة الزمر » .

(نبىْء عبادى انى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم) « سورة الحجر »

(قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزّلنا عليهم من السماء ملَكاً رسولاً) « سورة الاسراء ».

فهذه آيات كريمة حوت هذا الأمر الكريم «قل» و «نبئ» ، ولكنها حوت أيضاً مايدل دلالة قاطعة على أن الآمر لمحمد صلوات الله عليه ، لا يمكن أن يكون أحداً من الخلق. لأن ضمير المتكلم فيها لا يمكن أن يكون راجعاً إلا إلى الله رب العباد ورازقهم ورب الخلق أجمعين .

ويلاحظ أن رجوع ضمير المتكلم إلى الحق سبحانه لا يكفي وحده دليلاً على قرآنية الكلام ، فهناك أحاديث شريفة رواها ثقات المحدّثين فيها ضمير المتكلم راجع إلى الله سبحانه ، وسَمَّوْها من أجل ذلك أحاديث قدسية ، تمييزاً لها ، ولكن لم يقل أحد إنها من القرآن .

خذ اليك منها :

عن أنس رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « قال الله : يا ابن آدم ، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالى » رواه الترمذى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له ، إلا الصوم ، فإنه لى وأنا أجزى به » الحديث . رواه البخارى ومسلم .

عن أبي ذر رضى الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله عز وجل : يا بنى آدم ، كلكم مذنب إلا من عافيت فاستغفرونى أغفر لكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت ، فأسألونى أعطكم ، وكلكم ضالّ إلا من هديت ، فأسألونى الهدى أهدكم » رواه مسلم .

فهذه أحاديث شريفة فيها ضمير المتكلم راجع إلى الحق سبحانه ، وليست بقرآن . والفرق بينها وبين الآيات الكريمة المستشهد بها أخيراً هو ـ بعد فرق الإعجاز ـ صيغة الأمر (قل . .) فى الآيات ، وصيغة الخبر «قال الله» و «يقول عز وجل» ـ فى الأحاديث .

هذه دلالة لفظ واحد من ألفاظ القرآن على حقيقة القرآن والقرآن كله بعد ذلك دلائل على أنه من عند الله لا من عند أحد من خلقه . ولقد يسر الله القرآن للذكر ليذّكر الإنسان .

(محمد أحمد الغمراوى)

بابُ الكُتُب

امام النـــــاس

أو مسند الإمام أحمد

كنز ثمين من كنوز السنة النبوية ، وينبوع طهور من ينابيع الحكمة المحمدية ، ونور وضّاح من مشكاة الوحى الإلهى ، وعلم لمّاح من أعلام الهداية الإسلامية ، صدقت فيه كلمة جامعه ـ عليه الرحمة ـ إذ قال لابنه : « احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماماً »

بيد أنه كان قريباً من الناس بعيداً عنهم ، ميسوراً لهم وشاقا عليهم وبخاصة بعد أن ضمت المطبعة عليه جوانحها فتعددت نسخه وكثر مقتنوها ، وأصبح اقتناؤه يسيراً ولكن الانتفاع به كان عسيراً ، فكأنه فى صرح ممرد من قوارير ، تراه العيون ، ولا يناله الراغبون ، ويقف حوله الظامئون ، ولكنهم يرَدُّون عنه ، فلا يرِدون ، لعسر موارده وصعوبة مسالكه .

وظلت هذه حاله منذ أخرجه للناس جامعه ـ نوّر الله مثواه ـ حتى وفق الله الأستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر ، الذى شغفتْهُ السنة حبًّا ، وملكته روحًا وقلباً ، فحرص على الارتواء من نميرها ، والتضلع من علومها ، واقتناء روائع أسفارها ، وجمع الثمين النادر من كتبها ، ففتح هذا الكنز المرصود ، ويسر السبيل إلى ذلك الينبوع المقصود ، وأزال الأستار ، عن هذه الأنوار

ذلك بأن الإمام أحمد ـ عليه الرضوان ـ رتب أبواب كتابه حين جمعه على مسانيد الصحابة ، وجمع فيه أحاديث كل صحابي متتالية دون ترتيب . فكانت الاستفادة منه عسرة بعيدة المنال ، إلا على الحفاظ من أفذاذ الرجال ، وقليل ماهم .

فعمد الشارح ـ مد الله فى عمره ، ورزقه موفور العافية ـ إلى الأحاديث فجعل لها أرقاماً ، صارت عليها أعلاماً ، وجعلها متتابعة من أول الكتاب إلى آخره ، وجعل لها فهارس وافية متقنة مبنية على تلك الأرقام ، وقسم فهرس كل جزء من أجزاء الكتاب إلى أبواب ، فأصبح من الميسور للباحث فى هذا الفهرس أن يظفر بالباب الذى يريده ، أو المعنى الذى يقصده ، فيجد فيه أرقام الأحاديث التى ينشدها ، ليظفره بحاجبه ، وتشفى علته ، وتطفىء غلته ، بالاستقصاء التام . والحصر الكامل ، حتى صارت الفائدة منه على طرف الثُّمام ، وأمكن طلاب الحكم النبوية ، أن يلتقطوا من جواهرها الغالية ، وتيسر لعشاق السنة المحمدية أن يغترفوا من مناهلها الصافية مافيه حياة القلب ، ومتعة الروح ، ومسرة النفس .

وهذا ابتكار رائع للشارح ـ أدام الله النفع بثمار بحثه القيم ـ لم يسبقه إليه أحد من جميع من عرضوا لجمع السنة وتدوينها ، أو شرحها وتفسيرها .

وبذلك صار هذا السفر القيم من خير ماأخرج للناس ، فيه لطلَّاب السنة غناء ، والمنهومين بالبحث شفاء ، فلو اقتصروا عليه لكفاهم ، ولو استغنوا به عن سواه لأغناهم ، وحسب امرىء من العلوم الشرعية النافعة أن يلم بما فى هذا الكتاب .

ومما يعلى قدر هذا الشرح ، ويُسني قيمته أن الشارح ـ زاده الله توفيقاً ـ أضاف إلى هذا الفهرس الذى يُعَد من خير الفهارس حقا ، فهارس أخرى لرواة الأحاديث من الصحابة ـ عليهم الرضا ـ وللجرح والتعديل ، وللأماكن التى تذكر في متن الحديث ، وللألفاظ اللغوية التى يعوزها الشرح والإيضاح ، فجاء كاملاً من كل نواحيه ؛ لا تجد فيه ثغرة تنحدر إليه منها شائبة نقص يقول المطالع عليه عندها ، لقد تمَّ هذا الكتاب لو لم تشبه هذه الشائبة ، بل لقد جاء معلماً كاملاً يجود على الطلاب بمذخور علمه فى كرم وسخاء ، وأستاذاً فاضلا يبوح بضغائن صدره فى إخلاص ووفاء .

ذلك إلى تحقيق منقطع النظير يجعل طالب التزوُّد من السنة السمحة المطهرة يطَّلع وهو على يقين من أنه لا يقرأ إلا كلاماً بريئاً من الخطأ والتحريف ، أو التبديل والتصحيف ، كلاماً تطمئن إليه النفس ، ويثلج به الصدر ، وتقر العين .

وقد توج هذا المجهود الجبار الذى ليس له مثيل ، بالطبع المتقن والحرف الواضح ، والورق الصقيل .

لقد كان الباحث عن حديث فى هذا المسند قبل أن تدركه عناية شارحه المفضال كالباحث عن إبرة بين رمال الصحراء ، أو درة فى أعماق الدأماء ، ولكن الشارح - بارك الله عليه - أقام لكل حديث مناراً ، ووضع له شعاراً ، فصار الحصول عليه ، فى مثل كرة الطرف ، والوصول إليه أسرع من لفتة الجيد .

ومن خير ماتداركته عناية الشارح - زاده الله تسديداً - مَيْزُ الأحاديث التي فازت بصحة الإسناد من تلك التي ضعف إسنادها ، أو احتاج إلى نظر الباحث ، وتحقيق المدقق ، ومن تلك التي لم يتح لها أن ترتقى فوق درجة الحسَن . وهذا هدف بعيد المنال ، لا يدركه إلا فحول الرجال ، وغرض عسير لا يصيبه إلا الأبطال ، بعد طول بحث ومطالعة وكثرة تحقيق ومراجعة .

فرحم الله جامعه ، وبارك على شارحه ، ووفق المسلمين للانتفاع به آمين ؟

أبو الوفاء محمد درويش

سنريهم آياتنا فى الآفاق

(وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى) ٥٣ سورة طه .

(من كل فاكهة زوجان) ٥٢ سورة الرحمن .

(وأرسلنا الرياح لواقح) ٢٢ سورة الحجر .

إذا تدبرنا معانى هذه الآيات الكريمة على أسس البحث العلمي وجدنا أن الله سبحانه وتعالى يبين لنا نوع الحياة الجنسية فى النبات وأنه يوجد فيهما الذكر والأنثى ، كما يبين حدوث تلقيح بينهما ، وأن الرياح تقوم بهذه المهمة.

وسأتناول هذه النقط بالشرح . ولكن أحب أن أوضح أولاً أن هذه الحقيقة العلمية التى ذكرها القرآن ، لم يهتد إليها العلماء إلا بعد جهد جهيد فى فترة تزيد على ألف عام . إذ كان معروفاً منذ عهد قدماء المصريين ، وكذلك لدى عرب الجاهلية ، وجوب تلقيح النخل ، إلاّ أنه لم يكن معروفاً سبب ذلك . والنبى صلى الله عليه وسلم نفسه قال لصحبه مرةً فى هذا الصدد : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » اعترافاً منه أنه لم يكن يعلم السبب فى أن تذكير النخل يسبب نضوج التمر . فإذا ما نزلت عليه هذه الآية التى تبحث فى تلقيح النباتات والحياة التناسلية بها دلت دلالة قاطعة على أن الكتاب الكريم منزل عليه من عند ربه .

لم يكن معروفاً أنه يوجد أزواج ولا تلقيح وإخصاب فى النبات حتى سنة ١٦٩٤ م عندما نشر العالم كاميراريس Camerarius رسالته عن الجنس التى أثبت فيها أن النباتات كائنات جنسية Sexual وأوضح الدور الذى تقوم به حبوب اللقاح فى عمليات تكوين البذرة . قابل العلماء هذه النظرية بالدهشة والاستغراب ، وظلوا يبحثونها ويستقصون أسرارها ، حتى أعلنوا عن صدقها فى سنة ١٧٦٠ عندما نشر العالم كولروتر Kôlreuter

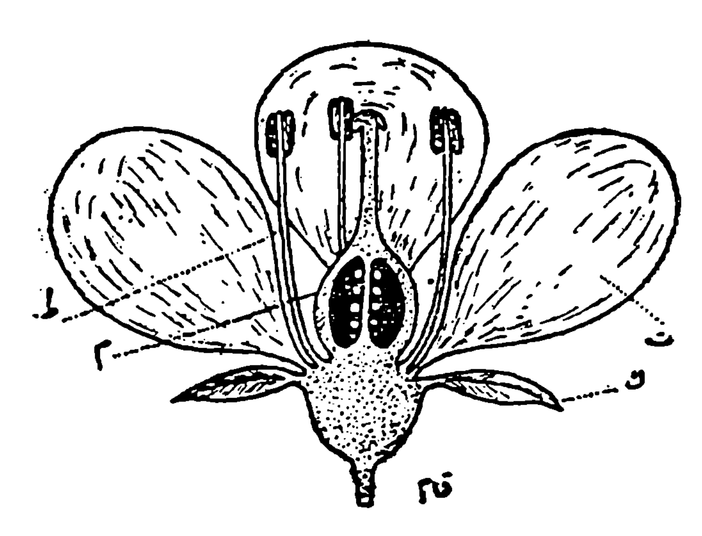
أبحاثاً وأدلة دامغة . ومن قبل هذا التاريخ بألف عام نزلت الآية الـكريمة : (فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى[١]) . سبحانه عزت قدرته ، وصـدق كتابه الـكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

تتعرض هذه الآية الـكريمة إلى الحياة الجنسية فى النباتات . لذا سنشرح للقارىء أسرار الحياة والتناسل فيها ، وكيف كشف العلم كنهها وأوضحها حتى صارت جلية واضحة . والحياة من طبيعتها تدفع إلى تكاثر النوع وانتشاره ، ولها طرقها المتشعبة فى ذلك . والأساس فى هذا التكاثر ـ فى النبات ـ هو تكوين البذور . فإذا ماتكونت البذور أتى الدور التالى فى انتشارها وزراعتها ثانياً ، وهلم جرّا .

والبذرة هى نتيجة عملية إخصاب بويضة مؤنثة بحبة لقاح مذكرة . والزهرة هى الجزء من النبات الخاصّ بإنتاج البويضات وحبوب اللقاح ، و بمعنى أوضح بالتناسل .

تركيب الزهرة :

لننتخب فى شرحنا زهرة بسيطة ، ولتكن زهرة الفول أوالطماطم . فالزهرة عبارة عن وريقات ملونة تحيط بجهاز التناسل كله . فلنتناول زهرة ولننزع عنها وريقاتها الملونة ، لنتبين هندسة الخلق فى تكوينها ، نجد أنها عبارة عن تخت تخرج منه عـدة شعيرات تنتهى بقمة مكورة عليها مسحوق أصفر اللون غالباً . هذه الشعيرات هى



ت = الوريقات الملونة
ك = الوريقات الخضراء
م = المبيض
ط = عضو التذكير

(١) الآية ٥٣ من سورة طه .

أعضاء التذكير وهذا المسحوق الأصفر هو حبوب اللقاح . فإذا أعدنا الفحص وجدنا بجوار أعضاء التذكير ، جزءاً منتفخاً مستقلاً يخرج منه عمود صغير ينتهى بجزء مكور . هذا الجزء المنتفخ هو المبيض ، والعمود الصغير هو طريق توصيل حبوب اللقاح إلى المبيض .

التلقيح :

تنتقل حبوب اللقاح من أعضاء التذكير فى الزهرة إلى عضو التأنيث فى الزهرة نفسها ، وتنفذ إلى داخله حيث تتحد إحداها بالبويضة ، وتسمى هذه العملية بالإخصاب ، ونتيجتها هو تكوين البذرة . فى هذه الحالة نجد أن التلقيح والإخصاب فى نفس الزهرة . ذلك أن كلا أعضاء التذكير والتأنيث موجود فى زهرة واحدة ، وفى بعض الأحيان نجد الجنسين منفصلين ، أى توجد زهرة أنثى ليس بها إلا عضو التناسل المؤنث ، وتوجد زهرة أخرى ليس بها إلا عضو التناسل المذكر . وقد يوجد هذان الجنسان فى نبات واحد ، كما فى الذُّرَة ، فالشوشة التى فى أعلى نبات الذرة عبارة عن أزهار مذكرة ، أما الكوز فهو من أزهار مؤنثة . فإذا ما اهتز عود الذرة تساقطت حبوب اللقاح من أعلى النبات إلى الأزهار المؤنثة ، فيتم التلقيح والإخصاب وتتكون حبة الذرة .

وفى بعض النباتات نجد أن الأزهار المؤنثة على نبات ، والأزهار المذكرة على نبات آخر . مثل ذلك النخيل ، فهناك النخل الذكر الذى لا يثمر ، بل مهمته إنتاج أزهار مذكرة ، يأخذها الإنسان ويصعد بها إلى المؤنث ويذرو حبوب اللقاح المذكرة منها على الأزهار المؤنثة .

وتعرف هذه العملية بتذكير النخل . ولكن الإنسان لا يقوم بنقل حبوب اللقاح فى كل النباتات التى توجد أزهارها المذكرة على نبات وأزهارها المؤنثة على نبات آخر .

إذن كيف يتم التلقيح فى هذه النباتات ؟

شاء الله سبحانه الحكيم القدير أن تقوم الحشرات والرياح بهذه المهمة . فعند مرور الرياح على نباتات مذكرة تذرو الرياح حبوب اللقاح من الأزهار وتحملها معها ، حتى إذا

التقت بزهرة مؤنثة قامت بتلقيحها . ولذا كان للأزهار التى تقوم بتلقيحها خواص ، أهمها :

١ — تكون أعضاء التأنيث كبيرة متدلية حتى يمكنها أن تلتقط حبوب اللقاح ، لأنها إذا كانت قصيرة مختفية داخل الزهرة كان من الصعب أن تلتقط الحبوب المذكرة .

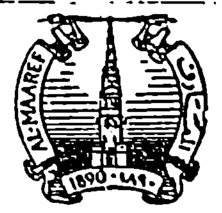
٢ — تنتج أعضاء التذكير فى هذه النباتات كمية كبيرة من حبوب اللقاح ، لأن كثيراً منها يهلك ولا يصل إلى أزهار مؤنثة ليقوم بمهمته .

٣ — تكون حبوب اللقاح سهلة الانتثار من الأزهار ، فأى ريح بسيطة يمكنها أن تنثر الحبوب وتذروها معها . وتذرو الرياح هذه الحبوب إلى مسافات يختلف مداها ، ففى الذرة تنقلها من أعلى عود الذرة إلى وسطه . وفى البطيخ والبنجر تكون المسافة أطول . هذه المواضيع كلها أجملها الله سبحانه فى هذه الآية الكريمة (وأرسلنا الرياح لواقح)[١] .

محمد شريف الهراوى

مهندس زراعى

(١) الآية ٢٢ من سورة الحجر



ذخائر العرب

مجموعة جديدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب
لبعث الكنوز العربية الخالدة ، تقدم إلى جمهور
القراء فى أنصع حلة من التحقيق وجمال الإخراج

ظهر منها :

١ — مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب (قسمان)
تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٢ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم .
تحقيق المستشرق الأستاذ ا . ل . بروفنسال .

٣ — إصلاح المنطق لابن السكيت .
تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هرون .

يظهر قريباً :

٤ — رسالة الغفران (عن أقدم نسخة خطية) لأبى العلاء المعرى .
تحقيق السيدة بنت الشاطىء .

تحت الطبع :

٥ — حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسى، تحقيق الأستاذ محمد عبدالغنى حسن
٦ — ديوان أبى تمام (شرح التبريزى) تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام .

تصدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف حضرات

محمد حلمى عيسى باشا والدكتور طه حسين بك والدكتور أحمد أمين بك
والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ إبرهيم مصطفى

العدد ٣ المجلد ١٥

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

عدد ممتاز

ربيع أول سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

المشرف على التحرير
أحمد محمد شاكر

مطبعة السنة المحمدية
• شارع غيط النوبي ـ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدي النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوي

٢٠ ص في مصر والسودان

٣٠ في الخارج

الإدارة ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره وجل ثناؤه

(١٥ : ٩٤ ـ ٩٦ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ، الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) .

« الصدع » التشقق فى الشىء الصلب، كالزجاج والحائط والحديد وغيرها ، من أثر صَكَّة عنيفة بصلب مثله أو أقوى منه . يقال : صَدَع الشى وصَدَّعه يصْدَعه ويصَدِّعه صَدْعا وتصديعا ، فانصدع وتصدع : شقه بنصفين ، وقيل : شقه ولم ينفصل كل شِقٍّ عن الآخر . والصَّدْع : نبات الأرض ، لأنه يصدعها ، يشقها فينصدع به ، وفى التنزيل (٨٦ : ١٢ والأرض ذات الصَّدْع) قال ثعلب : تنصدع بالنبات . وانصدع الصبح: انشق عنه الليل ، ويسمى الصبح صديعا ، وفلقا وفجرا ، قال أبو إسحاق الزجاج « اصدع بما تؤمر » أظهر ما تؤمر به ولا تَخَفْ أحداً ، أخذ من الصديع . وهو الصبح . وقال الفراء : أراد عز وجل اصدع بالأمر الذى يظهر دينك ، أقام « ما » مقام المصدر . وقال ابن عرفة : أى فرِّق بين الحق والباطل ، من قوله عز وجل (٣٠ : ٤٣ يومئذ يَصَّدَّعُون) أى يتفرقون . وقال ابن الأعرابى : أى شُقَّ جماعتهم بالتوحيد . وقال غيره : فرق القول فيهم : مجتمعين ، وفُرادى

وقوله تعالى « بما تؤمر » قال ابن جرير رحمه الله : لم يقل « بما تؤمر به » والأمر يقتضى الباء ، لأن معنى الكلام : فاصدع بأمرنا ، فقد أمرناك أن تدعو إلى ما بعثناك به من الدين خَلقى ، وأذَنَّا لك فى إظهاره . ومعنى « ما » فى قوله « بما تؤمر » معنى المصدر ،

كما قال تعالى ذكره (٣٧ : ١٠٢ يا أبت افعل ما تؤمر) معناه : افعل الأمر الذى تؤمر به .
وكان بعض نحويي أهل الكوفة يقول فى ذلك : حذفت الباء التى يوصل بها « ما تؤمر »
على لغة الذين يقولون : أمرتك أمراً ، وكان يقول : للعرب فى ذلك لغتان ، إحداهما :
أمرتك أمراً . والأخرى : أمرتك بأمر . فكان يقول : إدخال الباء فى ذلك وإسقاطها
سواء . واستشهد لقوله ذلك بقول حصين بن المنذر الرّقاشي ليزيد بن المهلب :

أمرتك أمراً جازما ، فعصيتنى   فأصبحتَ مسلوب الإمارة نادما

فقال : أمرتك أمراً ، ولم يقل : بأمر . وذلك كما قال تعالى ذكره (١١ : ٦٠ ألَا إن
عاداً كفروا ربَّهم) ولم يقل «بربهم» وكما قالوا : مددت الزمام ، ومددت بالزمام وما أشبه
ذلك من الكلام . اهـ

« وأعرض » العَرْض : خلاف الطول ، وأصله أن يقال فى الأجسام ، ثم يستعمل فى
غيرها ، والعرض خُصَّ بالجانب ، وأعْرَضَ عن فلان : ولَّى عنه مُبْدِياً عَرْضه ، وذلك بأن
يتركه ويوليه ظهره ، وعُبِّر عن ذلك بالعرض : لأنه يظهر به عرض الجسم ، ولم تُسَمَّ
الناحية الأخرى من الإنسان بذلك لأن فيها الوجه الذى يعرف به الإنسان كله ، ولذلك
يسمى إقبالا والمعنى : اصرف وجهك عنهم قاليا لهم ، ومحقراً لشأنهم ، ولا تعبأ بهم ،
ولا تقمْ لهم وزنا . وخذ طريقك فى تبليغ الرسالة ، فإنك مؤيد منصور ، وهم أحقر شأنا
وأهون من أن يُعَوِّقوك عن بلوغ الغاية ، مادمت معرضا عنهم صادعا بأمر ربك مبلغا رسالته

«المشركين» الذين اتخذوا لله شريكا فى العبادة ، أو شريكا فى التشريع والطاعة . وأصل
« الشرك » فى اللغة يرجع إلى معنى « الخلط والضم والتسوية » قال فى اللسان : الشِّرْكة
والشَّرِكة ـ بكسر الشين وفتحها ، وسكون الراء وكسرها ـ سواء مخالطة الشريكين
يقال : اشتركنا بمعنى تشاركنا ، وقد اشترك الرجلان وتشاركا ، والشريك : المشارك ،
والشِّرْك كالشريك ، والجمع : أشراك وشركاء ، مثل : شريف وأشراف وشرفاء وفى
الحديث « من أعتق شِرْكا له فى عبد » أى حصة ونصيبا . وفى حديث معاذ « أنه أجاز
بين أهل اليمن الشرك » أى الاشتراك فى الأرض ، بأن يدفعها صاحبها إلى آخر بنصف

ما يخرج منها أو ثلثه أو نحو ذلك . وفى الحديث « الطيرة شرك ، ولكن الله يذهبه بالتوكل » جعل التطير شركا فى اعتقاد جلب النفع ودفع الضر ، وفى حديث تلبية الجاهلية « لبيك لاشريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك» يعنون بالشريك : آلهتهم من أوليائهم وما أقاموه لها من الأنصاب والأوثان ، يريدون : أن آلهتهم وما تملكه ويختص بها من الآلات التى تكون عندها وحولها ، ومن النذور التى كانوا يتقربون بها إليها كلها ملك لله ، فذلك معنى قولهم « تملكه وما ملك » قال محمد بن مكرم « اللهم إنا نسألك صحة التوحيد والاخلاص فى الايمان ، انظر إلى هؤلاء ، لم ينفعهم طوافهم ولاتلبيتهم ، ولا قولهم عن الصنم « هو لك » ولا قولهم « تملكه وما ملك » مع تسميتهم الصنم شريكا ، بل حبط عملهم بهذه التسمية ، ولم يصح لهم التوحيد مع الاستثناء ، ولا نفعتهم معذرتهم بقولهم (٣٩ : ٣ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)» وقوله تعالى على لسان موسى (٢٠ : ٣٢ وأشْرِكْهُ فى أمرى) أى اجعل هارون أخى شريكى فى الرسالة . والشرَك حِبالة الصائد يرتبك فيها الصيد ، واحدته : شرَكة . وشَرَك الطريق : جوادُّه . وقيل : هى التى حفرت الدواب فيها بأرجلها : شَرَكة ههنا ، وأخرى بجانبها ، سميت « شَرَكة » لاشتراك الدواب فى التأثير فيها واختلاط آثارها . والشراك : سير النعل على جانبيه .

وقال الراغب : الشِّرْكة والمشاركة : خلط الملكين ، وقيل : هو أن يوجد شىء لاثنين فصاعدا : عيناً كان ذلك الشىء أو معنى ، كمشاركة الإنسان للفرس فى الحيوانية ،ومشاركة فرس لفرس فى لَوْنى الكُمْتَةِ والدُهْمَة ، قال موسى (وأشركه فى أمرى) اه

وعبارة الراغب الثانية ـ في معنى الشرك ـ أعم من الأولى ، لأن كون الشىء مشتركا بين اثنين فأكثر : يشمل ما كان مملوكا لهما ، كالمال ، أو وصفا لهما ، كالبياض والسواد ، أوجزءا ذاتيا كالحيوانية .

فبالتأمل . فيما ذكر صاحب اللسان والراغب : تعلم أن مرجع « الشرك » إلى « الخلط والضم والتسوية» كما ذكرت لك . فإذا كان بمعنى الحصة والنصيب من الشىء يكون لواحد وباقيه لآخر أو لآخرين ، كما فى قوله تعالى (٣٥ : ٤٠ و٤٦ : ٤ أم لهم شِرْك فى السموات)

وقوله (٣٤ : ٢٢ ومالهم فيهما من شِرْك) فالشريك مخالط لشريكه ، قد انضم إليه فى الملك والمنفعة وتدبير أمر ما شاركه فيه . و إذا كان بمعنى حبالة الصائد : فإن الصيد إنما يمسكه الشرك باختلاط حبالاته وارتباكه فيها فلا يستطيع أن يتخلص ، وقد ضم الشرك الصيد إلى ملك الصائد ناصب الحبالة . وإذا كان بمعني جوادِّ الطريق وما أثرت فيه الدواب بحوافرها وأظلافها وخفافها والناس بأقدامهم ، فإن ذلك إنما كان باختلاط آثارها و بانضمام مرات السير بتكراره حتي ترك تلك الآثار . و إذا كان بمعنى سير النعل : فلأنه يضم النعل إلى القدم و يمسكها كأنها قد اختلطت بها وأصبحا شيئاً واحداً والشرك فى المعانى : تسوية بين الشريكين فى الألوان والصفات والأحوال والحقوق .

ثم إطلاق الشركة فى الشيء لايقتضى مساواة كل من الشريكين للآخر فى الأنصبة والحصص ، ولا فى الصفات والحقوق ، فهذا موسى عليه السلام سأل ربه أن يشرك أخاه هرون معه فى الرسالة ، وقد أجابه الله إلى ذلك ، فقال (٢٠ : ٣٦ قد أوتيت سُؤْلَكَ ياموسى) ولكن ما قص الله فى القرآن عنهما يدل على أن نصيب هرون كان دون حظ موسى منها .

والشركة فى الملك : تصدق بملك الثلث والربع فما دونه ، والشركة في الصفات : تصدق بالمساواة فى صفة واحدة كالسن أو الطول أو اللون ، أو البلد ، أو النسب ، أو العلم ونحو ذلك ، دون أن يكون هناك مشاركة في صفة أخرى ، والمشاركة فى الحقوق : تصدق بنوع دون الآخر ، فحق الأم فى البر أعظم من حق الأب ، و إن اشتركا فى حق البر . والأبناء شركاء فى عطف الوالدين ، و إن كان بعضهم أوفر حظا من الآخر ، وسكان البلد شركاء فى مرافقه . و إن كان حق البعض أعظم من حق الآخر . ووزراء الملك شركاؤه فى الملك وفى طاعة الرعية ، و إن كان حق الوزراء دون فى ذلك حق الملك . وهكذا .

إذا عرفت هذا عرفت أن « المشركين » هم الذين أشركوا مع الله غيره من الخلق فسووهم وعدلوهم به سبحانه فى صفة من صفاته ، أو حق من حقوقه ، أو أي شيء من خصائص ربوبيته أو إلهيته . ولذلك قال ربنا سبحانه (٢ : ١٦٥ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله) أشركوهم معه فى حب العبادة والطاعة الذى لا معه

من التعظيم والتوقير البالغ والتقديس، والذى هو حق الله الخالق الرزاق المدبر العليم الحكيم وحده . وحب العبادة والطاعة والانقياد والتسليم : إنما ينشأ عن عقيدة استحقاق المحبوب المعبود المطاع ما يستوجب له ذلك التعظيم والتقديس والحب والعبادة من الصفات التى علا بها وارتفع عن عابده المطيع المستسلم من صفات وخصائص ومزايا . فهم ما أشركوهم مع الله، ولا سووهم به إلا عن اعتقاد أن لهم من الصفات مثل ما له . فهم ـ بزعمهم ـ أحياء من جنس حياته، يسمعون كسمعه، ويبصرون كبصره، ويرحمون كرحمته، ويبطشون كبطشه، ويقدرون كقدرته، ويعطون كعطائه، كما صرح بذلك الشعراني فى كتاب العهود المحمدية، إذ قال : « للأولياء الرفع والخفض والعطاء والمنع والعزل والتولية والقبض والبسط ، والقهر والتحكم فى الله » وإن نفوا هذا بألسنتهم، فإن أعمالهم وأحوالهم صريحة ناطقة بذلك . مهما ادعوا أنهم لا يسوونهم بالله فى الخلق والرزق والإحياء والإماتة وبقية الصفات، كما قال ربنا عنهم فى سورة يونس (١٠ : ٣١، ٣٢ قل من يرزقكم من السماء والأرض ؟ أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله . فقل : أفلا تتقون ؟ فذلكم الله ربكم الحق . فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟) وقال تعالى (٢٩ : ٦١ ـ ٦٣ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ؟ ليقولن الله، فأنى يؤفكون ؟ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له . إن الله بكل شيء عليم . ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ؟ ليقولن الله . قل الحمد لله ، بل أكثرهم لا يعلمون) وقال (٤٣ ٨٧ ولئن سألتهم من خلقهم ؟ ليقولن الله . فأنى يؤفكون ؟) فهم إنما يجيبون بذلك دفعاً عن أنفسهم خزى الشرك ومَعَرّته لأنهم كانوا منساقين فى دينهم كالأنعام بلا عقل (١١ : ١٠٩ فلا تك فى مِرْية مما يعبد هؤلاء مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل) مقلدين عميا وبكما وصما، فاتخذوا الشياطين أولياء من دون الله وهم يحسبون أنهم مهتدون . ولقد حكى الله عنهم أنهم ينفون جاهدين الشرك عن أنفسهم ، إذ قال (٦ : ٢٣ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا : والله ربنا ما كنا مشركين . انظر كيف كذبوا على أنفسهم) ولذلك فإنهم لما تبين لهم يوم

الدين حقيقة ما كانوا عليه من الوثنية والكفر وظلمهم أنفسهم بالدين الباطل الذي أحَلَّهم البوار جهنم وضل عنهم ما كانوا يفترون ، وقد جعل الله بينهم و بين أوليائهم وشركائهم موبقا (٣٦ : ٩٦ ــ ٩٩ قالوا وهم فيها يختصمون : تالله إن كنا لفى ضلال مبين . إذ نسويكم برب العالمين . وما أضلنا إلا المجرمون) ولقد نفى الله عن أوليائهم ملك الضر والنفع فى كثير من آى القرآن الحكيم ، والاتصاف بصفة الحياة والسمع والبصر وغيرها ، مثل قوله (٥ : ٧٦ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا . والله هو السميع العليم) وقوله (١٠ : ١٠٦ ، ١٠٧ ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك . فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين . و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو . و إن يردك بخير فلا راد لفضله ، يصيب به من يشاء من عباده . وهو الغفور الرحيم) وقوله (١٣ : ١٦ قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ قل هل يستوى الأعمى والبصير ؟) وقوله (٢٢ : ١٢ ، ١٣ يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد . يدعو لَمَنْ ضَره أقرب من نفعه ، لبئس المولى ولبئس العشير) وقوله (٢٥ : ٣ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً) وما يكرر الله و يؤكد نفى ذلك إلا لأنهم يعتقدون لهم هذه الصفات . فإن الله لا يعنى هذه العناية بنفى ما ليس بحاصل منهم ولا موجود فى نفوسهم يستحق هذه العناية بالنفى ، ثم هم مهما حاولوا أن ينفوا ذلك عن أنفسهم باللسان ومُغَلَّظ الأيمان فأعمالهم صريحة الدلالة على ذلك ، وأحوالهم ناطقة بأن ألسنتهم وأقلامهم كاذبة فى هذا التبرى من خزى الشرك ومعرة مساواتهم الموتى بالحى القيوم ، سبحانه وتعالى عما يقولون و يعتقدون علواً كبيراً .

وهذا الشرك الخبيث : إنما يكون ثمرة حتمية لظلم أنفسهم بالعمى عن آيات الله وسننه فى الأنفس والآفاق ، والكفر بنعم الله فى الإنسانية وكرامتها بالعقل والتفكير و بنعم الله التى تتالى منه على عباده فى كل لحظة وطرفة عين ، و بأجل نعم الله عليه فيما أنزل من العلم والهدى على من اصطفى من رسله ، فأعرض المشركون عن ذلك كله ، وكذبوا بآيات ربهم ،

وحقروا نعمه عليهم (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الانسان لظلوم كفار) ظلم نفسه بالجهالة والتقليد الأعمى الذى قتل عقله ، وأمات إنسانيته ، فكفر بنعمة الله فيه وعليه ، من سمع و بصر وصحة وعافية ، وليل ونهار ، وأرزاق وتسخير كل شيء ، وعلم ينزل به الوحى من عنده على من يصطفى من عباده . وذهب بهذا العمى والكفر يجرى بكل قوته فى سبل الضلال والغى والفسوق عن أوامر الله ، حتى أوحى إليه الشيطان وزين له أن يضرب الأمثال لله بمن خلق من الملوك والرؤساء ، فاتخذ له ما يتخذه لهم من الوسطاء ، ثم ذهب يشتد فى غيه ، حتى تمكن الشيطان من قلبه ، فأوحى إليه أن أولئك الوسطاء ما بلغوا إلى تلك المنزلة إلا لأنهم يتصفون بصفات الرب ، فأعطاهم كل ما ينبغى لله وحده من التقديس والذل والحب والعبادة والطاعة ، وجعلهم آلهة من دون ربه ، الذى يربيه ويربى هؤلاء وغيرهم من جميع العالمين بنعمه وفضله وإحسانه .

ولما كان الشرك هو الثمرة الحتمية لشجرة الجهل والعمى عن سنن الله وتكذيب آياته البينات فى الأنفس والآفاق ، والكفر بنعم الله المتتالية : نزل بصاحبه إلى أحط الدركات ، وأركسه فى أقذر الحمآت . فكان المشرك نجسا ، كان أضر على المجتمع من أخبث الحشرات ، وكان أحقر من الأنعام وأضل منها سبيلا ، وكان هو الشقى كل الشقاء فى الدنيا والآخرة ، وأطوار حياته الأولى والأخرى كلها نكد . وحرم الله العليم الحكيم عليه راحة البال ونعيم العيش فى الدنيا والآخرة . قال الله تعالى (٢٠ : ١٢٣ ، ١٢٤ فإما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هُدَاىَ فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضَنْكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى) وقال (٥ : ٧٢ إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار . وما للظالمين من أنصار) .

وما حقر الله شيئاً كتحقيره للشرك والمشركين ، وما حذر من شيء كتحذيره من الشرك والمشركين ، وما لعن شيئاً كلعنته الشرك والمشركين . وما خوف من شيء تخويفه من الشرك وما يجر إليه من الجهالة والتقليد الأعمى . لذلك يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، ولكل داع إلى الله على سنن هذا الرسول الكريم ـ محقراً لشأن المشركين

ومهوناً لأمرهم ومصغراً لما ، يعتزون ويستنصرون به من طواغيت أموات وأحياء ـ
« أعرض عن المشركين »

« إنا كفيناك المستهزئين » قال الراغب : الكفاية ما فيه سَدُّ الخَلّة و بلوغ المراد من الأمر . و « الاستهزاء » ارتياد الهزؤ ، و إن كان قد يعبر به عن تعاطى الهزؤ . و « الهزؤ » سخرية ومزح فى خفية . اهـ .

وظاهر : أن استهزاءهم كان تحقيراً لشأن الرسول صلى الله عليه وسلم ولما جاء به من الحق والهدى وسخرية به، ليصرفوا الناس عن الاستماع إليه وقبول دعوته واتباعه . وكانوا يوهمون أنفسهم ومقلديهم بذلك الاستهزاء والسخرية:أنهم يستطيعون قهره والتغلب عليه، و إبطال الحق الذى جاء به ، أو تحويله عنه ومنعه عن تبليغ رسالة ربه ، بما زعموا من قوة أجسام وقوة جاه وكثرة مال وأتباع وشرف رياسة ، فطمأنه ربه ، وثبت جنانه وربط على قلبه ، ووعده بالنصر عليهم ، وأنه سبحانه ـ وهو القوى العزيز ، القاهر فوق عباده ـ سيكفيه إياهم (٢ : ١٣٧ فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) (٣٩ : ٣٦ أليس الله بكاف عبده ؟).

وقد روى ابن جرير عن عروة بن الزبير قال : « كان عظماء المستهزئين خمسة نفر من قومه ، وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم : من بنى أسد بن عبد العزى بن قصي : الأسود بن المطلب ، أبو زمعة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنى ـ قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه . فقال : اللهم أعْمِ بصره ، وأثكله ولده » ، ومن بنى زهرة : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة . ومن بنى مخزوم : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم . ومن بنى سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي : العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد بن سهم السهمى . ومن خزاعة : الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن ملكان . فلما تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى ذكره (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين . إنا كفيناك المستهزئين ـ إلى قوله ـ فسوف يعلمون) قال محمد بن إسحاق : فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير ـ أو غيره من العلماء ـ « أن جبريل

أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبيت - فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فمر به الأسود بن المطلب ، فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى . ومر به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار إلى بطنه ، فاستسقى بطنه ، فمات منه حَبَنا . ومر به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر جرح بأسفل كعب رجله - كان أصابه قبل ذلك بسنتين . وهو يَجُرُّ سَبَلَه - يعنى إزاره - وذلك أنه مر برجل من خزاعة يَريش نَبْلاً له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ، فخدش رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء . فانتقض به فقتله . ومر به العاص بن وائل السهمى . فأشار إلى إخمص رجله ، فخرج على حمار له يريد الطائف ، فوَقَصَه على شَبْرقة ، فدخل فى إخمص رجله منها شوكة فقتلته - قال أبو جعفر : « الشَّبرقة » المعروف بالحسك . و « الحبن » الماء الأصفر - ومر به الحرث بن الطلاطلة ، فأشار إلى رأسه فامتخط قيحاً فقتله » وكان هؤلاء المستهزئون : هم أئمة الكفر ورءوس المشركين .

« الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر » .

« الجعل » الأخذ فى أسباب ومقدمات تنتهى إلى الشيء المجعول ، فيصير على ما أراد الجاعل . فالله سبحانه (خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) أي أجرى أسباباً وسنناً كونية ، فخلق السموات والنجوم والكواكب والشمس والقمر ، وخلق الأرض ، وأقام كلا منها فى موضعه بأبعاد ونسب مضبوطة ثابتة لا تتغير ، وأجرى كلا منها فى مداره بدورة خاصة به على حسب بعده ، وأمسك كل واحدة منها مثبتاً فى موضعه يجرى فى فلكه حيث أقامه الله ، فتكَوَّن من ذلك الوضع وتلك الحركات والدورات الدائبة : الليل والنهار والظلمات والنور . فالمشركون المستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم و بما جاء به من الحق والهدى ، وتوحيدعبادة الله : أعرضوا عن رسالة رسل الله عليهم الصلاة والسلام شيئاً فشيئا ، وشغلوا عنها بتقليد الشيوخ والرؤساء والأجداد والآباء ، شيئاً فشيئاً كذلك ، فعموا وصموا ، فقادهم الشيطان بحبل هذا التقليد الأعمى فى ظلمات العمى والصمم عن آيات الله وسننه وحكمته ورحمته ونعمه فى أنفسهم وفى الآفاق ، وزين لهم البدع والخرافات شيئاً فشيئاً حتى خرجوا بتلك الأنداد والآلهة من الموتى الذين روج الشيطان - فى ظلمات جاهليتهم و عماهم وصممهم

وتقليدهم ـ الغلو فيهم ، والمبالغة فى تعظيمهم ، حتى أعماهم عن فطرة البشرية فيهم ، وزين لهم أنهم ليسوا ككل البشر فى أصل الخلق والحياة والموت ، وألقى فى قلوبهم الميتة العفنة عقيدة أن أولئك الموتى والأولياء ليسوا من جنس البشر فى كل خصائص البشرية ومزاياها ، بل هم مركبون من عنصرين : نور إلهى وبشرية ، ناسوت أو لاهوت . فاللاهوت نور فاض وانبثق من ربهم ـ يسمونه الحقيقة والخلق الأول ، والكلمة ، وأمثال ذلك من البهتان ـ ثم زعموا أن هذه الحقيقة والخلق الأول ما تزال تتنقل فى أطوار حتى تتجسد فى ناسوت النبى أو الولى المؤله المعبود ـ بزعمهم ـ من دون الله ، فيعتقدون فيمن جعلوه إلهاً أن فيه جزءاً سرياً من ربهم ، غير معروف كنهه عند العامة ـ ومعروفاً عند الخاصة والعارفين ـ وبذلك الجزء الربانى ـ بزعمهم ـ صار وسطاً بين الخلق والرب ، فلا هو بشر خالص البشرية ككل البشر ، ولا هو رب خالص الربوبية ، وبذلك يصير واسطة بين البشر والرب ، فى قضاء الحاجات ، يدعونه ويفزعون إليه ، ويتخذونه نِدًّا لله ، ومن ثم يحل فى قلوبهم شريكا للرب فى كل الحقوق والمعاملات ، ويصير له فى قلوبهم العقيدة بأنه ذو التقديس الذاتى الذى يُكسِبُ التقديس لكل ما نسب إليه ، أو اتصل به أدنى اتصال ، فأبناؤه مقدسون ، وثيابه التى كان يلبسها قبل موته ، وكل ما كان يستعمله ويتناوله بيده من متاع مقدس كذلك ، وما أقيم على قبره من نُصُب حجارة أو خشب أو نحاس مقدسة كذلك كل ذلك يفيض عليهم البركات ، فيتمسحون بها ، ويغترفون من فيضها ، وما يحيط بقبره من المساكن والأرض الزراعية كذلك مقدس . فكل من يسكن بجواره ، أو يدفن فى رحابه مضمون له السلامة والعافية من السراق والآفات والأعداء ما دام حيا ، والمغفرة والجنة ببركته وسره ، ولا بد أن تجود الزروع وتخصب الأرض التى حول قبره ، وتحرس من كل سارق وناهب ، وتحفظ من الآفات والسراق المعتدين . وإن زعمتنى مبالغا فى ذلك أو متجنيا ، فاسأل نفسك عما كنت عليه أيام الجاهلية ، قبل أن ينقذك الله من أوحالها ، ويمن عليك بنعمة العلم به ، ومعرفته سبحانه من سننه وآياته الكونية والقرآنية ويرزقك إخلاص التوحيد والعبادة له والكفر بكل مألوه سواه ، أو اقرأ كتب الصوفية مجرداً من

الهوى والغرض ، أو اذهب إلى أى وثن من الأوثان التى ملأت الأرض والبلاد التى تدعى الإسلام . واسأل من حولها من العاكفين والركع السجود لها من سادن وتاجر وقاطن . والله وحده المسئول أن ينقذ عباده من هذه الوثنية التى ظلموا الإسلام بها ، وشوهوه أقبح تشويه فى نفوسهم بتسميتها باسمه ، وهو منها برىء أشد البراءة . ولا حول ولا قوة إلا بالله

« الالٰه » أصله « وِلاه » قلبت الواو همزة ، كما قالوا فى وشاح إشاح ، وفى وِجاح — وهو الستر — إجاح ، ومعنى « ولاه » أن مُؤَلِّهه يُوْلَهُ إليه فى حوائجه ، ويضرع إليه فيما يصيبه ، ويفزع إليه فيما ينوبه ، كما يولَه الطفل إلى أمه . والإلٰهة والألوهة والألوهية : العبادة . وقرأ ابن عباس (٧ : ١٢٧ ويذَرَكَ وإلاهتك) أى وعبادتك قال ابن برى : يقوى ما ذهب إليه ابن عباس فى قراءته (ويَذَرك وإلاهتك) قول فرعون (٧٩ : ٢٤ أنا ربكم الأعلى) وقوله (٢٨ : ٣٨ ما علمت لكم من اله غيري) والعرب تسمى كل معبود مقدس معظم ، يُرْجَى ويُخاف ، ويُدْعَى ، ويُنْذَر له وتُقَرَّب القرابين ، ويُفْزَع إليه فى الشدائد والملمات ، ويطاف حول ما نُصب باسمه من أنصاب فتلتمس البركات . ويدعى لقضاء الحاجات وتطعم باسمه الأطعمة وتذبح الذبائح وتقام الحفلات ، وتخصص الليالى والأيام لاقامة الأعياد والموالد باسمه والذكرانات ـ تسمى العرب ذلك إلٰها ، وتسميه كذلك « شفيعا » و « واسطة » و « قربانا » و « وليا » بمعنى أنه يتولى كل ذلك من شأنها ، ويستحق الموالاة من مقدسيه بكل تلك العبادات المالية والبدنية . قال الله تعالى (٧ : ١٤ ـ ١٩ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض ـ إلى قوله ـ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو . وإن يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير ـ إلى قوله ـ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى ؟ قل : لا أشهد . قل : إنما هو إلٰه واحد . وإننى برىء مما تشركون) وقال (٧ : ١٩٢ ـ ١٩٦ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلقون ـ إلى قوله ـ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ـ إلى قوله ـ إن وَلِيِّيَ الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين) وقال (١٠ : ١٨ ، ١٩ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء شفعاؤنا عند الله ـ إلى قوله ـ وما كان الناس إلا أمة واحدة) يعنى أن

طبيعة الناس فى كل زمان واحدة ، إن ظلموا أنفسهم فجهلوا وأعرضوا عن آيات الله وسننه ، وكذبوا بها ، وعموا عن نعمه وكتابه وهدي رسوله : كان حتما أن يوحى إليهم الشيطان أن يتخذوا موتاهم آلهة من دون الله . لأن الشيطان مضل الأولين هو مضل الآخرين . وقال (١١ : ١٠١ فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك . وما زادوهم غير تتبيب) وقال (١٣ : ١٦ قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؟ ـ إلى قوله ـ أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم ؟) وقال (١٨ : ١٠٢ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دونى أولياء ؟ إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) وقال (١٩ : ٨١ ـ ٨٢ واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا . كلا ، سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقال (١٦ : ٢٠ ـ ٢٢ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً ، وهم يخلقون . أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون . إلهكم إله واحد) وقال (٢٥: ٣ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا) وقال

(٢٥ : ١٧ ، ١٨ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله ، فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ، أم هم ضلوا السبيل ؟ قالوا : سبحانك ، ما كان ينبغى لنا أن نتخذ من دونك من أولياء) وقال على لسان خليله إبراهيم (٢٩ : ٢٥ : إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا ، ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) وقال (٢٩ : ٤١ ، ٤٢ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء . وهو العزيز الحكيم) وقال (٣٤ : ٤٠ ، ٤١ ويوم يحشرهم جميعا ، ثم يقول للملائكة : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك ! أنت ولينا من دونهم) وقال (٣٩ : ٣ ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون) وقال (٤٢ : ٦ ـ ٩ والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم ـ إلى قوله ـ أم اتخذوا من دونه أولياء ؟ فالله هو الولى ، وهو

يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير) وقال (٤٥ : ١٠ ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم) وقال (٤٦ : ٢٨ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة ؟ بل ضلوا عنهم . وذلك إفكهم وما كانوا يفترون) .

وقال (٣٩ : ٤٣ ، ٤٤ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ؟ قل : أولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون ؟ قل : لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون) وقال (٦ : ٧٠ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تُبْسَل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع وإن تعدل كل عَدْل لا يؤخذ منها) وقال (٦ : ٩٤ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة . وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم . وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء . لقد تقطع بينكم ، وضل عنكم ما كنتم تزعمون) .

هذا ، والناس يخطئون أفحش الخطأ فى فهم معنى كلمة « إله » ويخلطون بينها وبين كلمة « رب » ومن هذا الخطأ الفاحش يقعون فى شرك العبادة والالهية وهم لا يشعرون ، إذ هم لا يميزون بين توحيد الربوبية وتوحيد العبادة والالهية . وذلك نتيجة فساد عقولهم وتفكيرهم وألسنتهم بما طرأ عليها من التقاليد الأعمى ومن البدع والخرافات ، ومن العجمة التى سموها اصطلاحات ، أبعدتهم كل البعد عن مدلول الألفاظ العربية وعن استعمالها فى معانيها الأصلية ، بل عن اشتقاق الألفاظ العربية وما يعطيها من معان كانت العرب ـ الذين نزل القرآن بلسانهم ـ يعرفونها ، ويقصدون إليها وقت الاستعمال ، وبهذا كله التوت العقول فى فهم الإسلام ـ عقائده وعباداته وشرائعه ـ ففهموها على غير وجهه الذى جاء به عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم . وأصبحوا يقرءون القرآن والحديث ويفهمونهما بهذه العقول الزائفة فيعودون إلى الجاهلية وظلماتها وطواغيتها ، وما يتبع ذلك من خيبة وخسران فى كل شئون الدنيا والآخرة . وإنى أنقل من لسان العرب معانى كلمة « رب » وأجعلها بجانب معانى

كلمة « إله » ليعرف الناس الفرق بينهما ، ويصححوا ـ على أساس تلك المعرفة ـ عقائدهم وعباداتهم ، لعلهم يفلحون .

رب كل شيء : مالكه ومستحقه ، ويقال : فلان رب هذا الشيء : أى ملكه له ، ورب الدار ، ورب الدابة ، وهن ربات الجمال . وفى حديث أشراط الساعة « وأن تلد الامة ربها ، أو ربتها » و « الرب » يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربى والقيم والمنعم ، وأراد به فى الحديث : أن السبي يكثر والنعمة تظهر فى الناس ، فتكثر السرارى ، ورببت القومَ سُسْتهم ، وكنت فوقهم . وربَّ الشيء : أصلحه . ورب ولده والصبيَّ يَرُبُّه رَبًّا ، وربَّبْتُه تربيبا : بمعنى رباه ، وأحسن القيام عليه ، ووليه حتى يفارق الطفولية ، والصبى مربوب وربيب اه باختصار .

وفى كتاب الله قول يوسف عن العزيز (١٢ : ٢٣ ، ٤٢ ، ٥٠ إنه ربى أحسن مثواى ـ اذكرنى عند ربك ، فأنساه الشيطان ذكر ربه ـ ارجع إلى ربك فاسأله : ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) فلم يجىء فى لغة العرب، ولافى القرآن ، ولافى الحديث كلمة «رب» بمعنى معبود أبدا ، وإذا جاءت فى القرآن مقصودا بها الله سبحانه ، فإنما يراد بها : المالك ، السيد ، العزيز ، المربى للعالمين بنعمه وآلائه وسننه وآياته وكتبه ورسله ، ووعده ووعيده ، فهو سبحانه يربهم وحده ، وهو الحقيق أن يؤلهوه وحده ، وأن لا يجعلوا فى قلوبهم له شريكا فى الألهية والعبادة بجميع أنواعها . فإن كل من اتخذوهم آلهة : مربوبون له وحده . وهو الذى ربيهم ويربى عابديهم ومواهبهم بنعمه وآياته . فالربوبية صفته سبحانه التى يربى بها خلقه . والألهية : حقه الذى يستحقه وحده على مربوبيه ، شكراً له على ما يربهم به من النعم الدائمة . فآثار الربوبية : نعم متتالية على العباد من ربهم ، وآثار الألهية : عبادات قلبية وبدنية ومالية تصعد من المؤمنين إلى ربهم وحده . وتنزل بالمشركين إلى حضيض المهانة والصغار والشقاء فى الدنيا والآخرة . ولذلك أمكن الشرك وكثر جداً ، فى الألهية ووقع بكيد الشيطان وحزبه ، حتى أصبح الناس (١٢ : ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) أما الشرك فى الربوبية فما يقع إلا من الملحدين الطبائعيين ، الذين

ينكرون أن للوجود خالقا ، ويقولون : إنه وجد بطبعه . وهؤلاء يكفرون بالغيب كله من جن وملائكة وشيطان وجنة ونار وجزاء وحساب . ومعبودهم المادة .

أما بعد ـ فإن الله تبارك اسمه وتعالى جده ـ يقول لعبده ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ، ولكل وارث عن هذا الرسول رسالته ، وقائم فى الدعوة إلى إخلاص العبادة والطاعة لله مقامه فإذا آمنت أن ربك قد آتاك من العلم والحكمة والهدى والسداد والرشاد فى العقيدة والقول والعمل ، بما أوحى إليك من هذا القرآن العظيم، الذى تدعو ثمراته الحلوة الطيبة إلى تثنية قراءته ، ولزوم العود إليه مادامت الحياة ، وما أمدك ربك به مع هذا القرآن العظيم مما يغنيك كل الغنى عن أن تمد عينيك إلى ما يستمتع به الكافرون بالله ونعمه وآياته وسننه وحكمته من زهرات الحياة الدنيا ، التي لا تلبث أن تذبل وتذوى ، وتعود فى قلوب المفتونين بها وفى نفوسهم كالحة ، بل حطاما تذروه الرياح ، فتكون حسرات تسود لها وجوههم ـ إذا آمنت بما أعطاك ربك من كل هذا ، وهو ذو قوة ومتانة ، لا يضعف ولا يهن ، فإنه الحق الثابت على وجه الدهر لا يتبدل ولا يتغير ، وهو الثابت لا يغلب ولا يقهر ، فاصدع به باطل هؤلاء المغرورين المخدوعين الغارقين فى حمأة الأوهام والخرافات والأباطيل فما زعموه جدارا يسدون به طريق الحق ودعوة الصدق ، وما توهموه عقبات كأداء يصدونك ويصدون الناس بها عن الاستقامة على صراط العزيز الحميد ، إنما هو سراب وخيال فى أدمغتهم الخاوية ، فإنهم ما أقاموه إلا من طواغيتهم الباطلة ، ومن عقائدهم الزائفة ، ومن رياساتهم الكاذبة ، ومن دجلهم وتلبيسهم على أشباه الأنعام المنسلخين من آيات الله ، المقيدين بأغلال التقليد الأعمى لأولئك الرؤساء ، فلا تغتر بما يهولون به ، ولا تعبأ بما يبرقون ويرعدون به ، واضرب بحقك باطلهم ، بكل شجاعة وقوة ، وحطم بإيمانك بربك الحق وبدعوتك الحقة إلى إعزاز الإنسانية بإخلاص ذلها وعبادتها لربها الكبير المتعال ، اضرب طواغيتهم التى صنعوها بأيديهم من الأخشاب والأحجار والنحاس ، وأعلن بصوتك الجهورى بكل صراحة ووضوح مافى دينهم من السخف والجهالات ، وما فى عقائدهم من الشرك والوثنيات ، وما لآلهتهم التى أقاموا لها تلك الأنصاب والقباب ، وزعموا أنها تغيث

الملهوف ، وتشفى المريض ، وتقضى الحاجات . وتحبل العقيم ، وتزوج العانس ، أعلن بكل صراحة : أنها عاجزة كل العجز ، فإنها لم تكن فى دنياها تملك لنفسها نفعا ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا ، فكيف بعد موتها وقد ضمتها الأرض وأعادها الحى القيوم إليها ، وتعطلت منها الأعضاء ، وسكنت منها الحركات ، و بطلت منها البشرية ، وعادت رميا ؟ وكيف وقد مات هذا الاله فلان قتلا بيد أعدائه ، ولم يستطع يوم كان حيا أن يدفع عن نفسه بطش أعدائه به ، فكيف يستطيع أولئك الموتى أن يملكوا للأحياء نفعا أوضراً ؟ وكيف تتصورون ـ إن كانت عندكم بقية عقل ـ أن من غسلتموه وكفنتموه ، وحفرتم له فى بطن الأرض وأهلتم عليه التراب ، وأقمتم بينكم و بين جثته سدا منيعـا من محكم الطين والجبس والسمنت ، كيف تتصـورون أنه يسمع دعاءكم ، ويستجيب لـكم ، ويسعى فى رغباتـكم ، على ما تجعلون له من الدراهم تشترطونها له عند قضائه حاجاتكم ؟ إن هذا لأمر يستنكره أبسط العقول ، و يبرأ منه من لا يزال يعرف نفسه إنسانا أكرمه بالإنسانية ر به الله الحى القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم .

لقد كان المشركون يحاولون بكل ما يستطيعون أن يحولوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين الصراحة في القول فى دينهم السخيف ، وجاهليتهم الجهلاء ، وطواغيتهم المنكرة وعقائدهم الوثنية القذرة وتقاليدهم الـكافرة الفاجرة المفسدة ، و يودون لو يتلطف فى القول ولو يلفه ببعض السياسة و يزعمون له ـ ليصلوا إلى مبتغاهم من ذلك ـ أن هذا يجرح إحساس الناس ، و ينفرهم منه ، قال الله تعالى يصف مكرهم هذا السيء (٦٧ : ٧ ـ ٩ إن ر بك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين . فلا تطع المـكذبين . وَدُّوا لو تُدْهن فيدهنون) وقال (١٧ : ٧٣ ، ٧٥ و إن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ، و إذن لاتخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذن لأذقنـاك ضِعْف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) ولذلك يقول الله العليم الحـكيم لعبده ورسوله صلى الله عليه وسلم « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » وفي هذا الأمر إعلان قوى واضح بأن الله للآمر له معه بقوته وتأييده ونصره ، لـكن ر بنا الرءوف الرحيم

لم يكتف بهذا ، بل زاده بيـانا وتأكيدا ، فقال له « إنا كفيناك المستهزئين » وفي قوله « إنا » إشعار بالقوة والقهر والعظمة وشديد البطش ، وأن الذى سيكفيك هو الملك الكبير المتعال ، القاهر فوق عباده ، وإنما تكون أنت حقيقا بأن يكون الله معك ينصرك و يعزك ويكون المشركون حقيقون أن يكون الله خصمهم : لأنك عرفت ربك فآمنت به وقدسته ومجدته وأخلصت له دينك وقلبك وعبوديتك وعملك ، وهم عموا وصموا عن نعم ربهم وآياته فى أنفسهم وفى الآفاق فكفروا بنعمه ، وكذبوا بآياته ، وخاصموه وعادوه ، واتخذوا من شياطينهم وأوليائهم ظُهراء عليه فخسروا أنفسهم واتخذوا من دونه آلهة أخرى بأسماء سموها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان ، وما يتبعون فيها إلا الظن الذى لن يغنى من الحق شيئا

ثم زاد الله عبده ورسوله يقيناً بتأييده ونصره وأن العاقبة له ولمن آمن به واتبعه على بصيرة من أمره ، وأن الوبال والخيبة والهلاك والعذاب لأولئك المستهزئين به و بشريعته ورسالته ، وعقيدة الحق وشرائع الحكمة والرشاد التى أوحاها ربهم إليه وأرسله بها لإخراج الناس من ظلمات ظلمهم لأنفسهم إلى نور الهداية فى كل شئونهم وليسلكوا سبيل الرشاد ، فترك أولئك المستهزئون ذلك واتخذوا دينهم مما أوحى به أعداء المرسلين من شياطين الجن والإنس وزخرفوه مغررين بأولئك المقلدين المنسلخين من آيات الله . فقال فى أسلوب بالغ فى التهديد والوعيد « فسوف يعلمون » ما ستؤول إليه عاقبة إعراضهم عن كتاب ربهم ، واستهزائهم بعبده ورسوله إمام المهتدين ، وما سينالهم من غضب الله وعذابه ولعنته فى الدنيا والآخرة ، كما أَحَلَّ الله بأشياعهم من الأولين ، وأوقع بهم من الهلاك والعذاب المهين ، مما قص الله فى الآيات السابقة عن قوم إبراهيم ولوط وصالح . نسأل الله السلامة والعافية .

فهل للناس أن يقرؤا هذا وغيره من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ وهل لهم أن يتدبروه حق تدبره ويزنوا بميزان هذا الكتاب الكريم ما آل إليه اليوم أمرهم من الخيبة والخسران والشقاء والبلاء والغلاء ، والقطيعة والعداوة بينهم والبغضاء ، والذل والصغار ، وشيوع الشر وانتشار الفساد ، الذى أكل أخضرهم ويابسهم ،

وقضى على كل مزايا الإنسانية الكريمة فى رجالهم ونسائهم وشبابهم وشيوخهم من جميع طبقاتهم ؟! . ألا إنهم لو فعلوا لتقطعت أنفسهم حسرات ، ولأكلوا أيديهم ندما على مافرطوا فى جنب الله ، ولكان ذلك أقوى وازع لهم أن يثوبوا إلى رشدهم ، وينيبوا إلى ربهم ، ويرجعوا إلى هدى نبيهم ، فيصدعون بكلمة الحق فى غير مداهنة ولا مواربة ، ويقولونها صريحة فى غير لف ولا دوران ، فإنهم والله واجدون من الله تأييداً ونصرا ، وواجدون من الله فتحاً للقلوب ، وكشفا إلحجب الغفلات ، وتبديداً لظلمات الهوى والشهوات ، وواجدون أن القلوب لهم مصغية والنفوس إلى نصحهم مسارعة ، وأن الضال يعود إلى سبيل الرشاد ، والكافر يفر إلى ربه الكريم الوهاب ، وأن الفاسق يفزع إلى جنة الطاعة ، ويبادر إلى عمل الصالحات ، وأن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً . (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة)

أسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يدخل قلبي وقلوب المسلمين جنة هداية القرآن ، وينعمنا بحلاوة صادق الإيمان ويسعدنا وينجينا ويعزنا باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأن يتم علينا نعمته ويوزعنا بفضله ومنه شكرها . إنه الهادى إلى سواء السبيل ، وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين .

محمد حامد الفقى

فاصدع بما تؤمر

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

ه نأذن لمن شاء من الصحف والمجلات وغيرها أن ينقل من هذه الكلمات ما يشاء ، أو يقتبس ، أو يترجم . على أن ينسبها صراحة لكاتبها ، وعلى أن لا يجمعها أحد غيرنا فى كتاب . فهذا نحتفظ بحقنا فيه خاصة .

وثانياً : نرحب بكل نقد لما نقول أو رد عليه ، ننشره مرحبين به ، راجعين إلى الصواب إذا ما أخطأنا ، أو معقبين عليه بما يجلو وجهة نظرنا ، أو يرفع شبهة إن كانت . على أن يكون النقد فى حدود البحث العلمى الصحيح ، أما الأهواء ، وأما الجدال والمراء فلا ، بل نعرض عنهما كراماً إن شاء الله .

وثالثاً : من شاء أن ينقدنا أو يرد علينا فى جريدة أخرى أو مجلة ، فمن الإنصاف لنفسه ولنا ، أن يرسل إلينا الصحيفة التى كتب فيها ، خشية أن يخفى علينا موضعها فلا نراها ، فيظن أننا قصرنا ، وما إلى هذا أراد ولا أردنا .

٩ — ولاية المرأة القضاء — مَرّةً أخرى :

يظهر أنني سأضطر لإثارة هذا الموضوع مراراً ، بما يثيره أنصار (النسوان) وأتباعهم في مصر وغيرها ، وبما (جَعَلْنَ) من هذا الموضوع مادة لمهاجمة الإسلام في صورة الدفاع عنه ، وبتحريف معنى (الإسلام) وحقيقته ، عن عمد أو عن جهل عجيب !

وأعتقد أن إثارته من قِبَل المرأة وأنصارها فيه خير كثير ، لأنه فرصة جيدة لوضع الحقائق مواضعها ، وإيضاحها وضوحاً لا يدع شكاً لمستريب .

وأنا أحب أن أواجه المسائل بالصراحة ، دون التواء ولا مداراة ، مهما يكن فيها من دقة علمية ، ومهما يكن من ورائها من تَبِعَات قد يرى الناسُ أن الدوران حولها أَوْلى . وأحب المثابرة والثبات على الدعوة الحقة ، إلى آخر الشَّوْط ، فإما انتصرتُ وإما انهزمتُ فلا أثر لهذا عندي ما قلتُ (كلمة الحق) .

والذي حَفَزَني إلى معالجة الموضوع مرة أخرى ، أن إحدى المجلات الأسبوعية التي تدعو إلى السفور ، وتنشر ألواناً مما ينكره الإسلام من شؤون هاته (النسوة) ، وهي مجلة « أخبار اليوم » ـ نشرت في عددها الصادر يوم السبت (٢٣ محرم سنة ١٣٧٠ = ٤ نوفمبر سنة ١٩٥٠) كلمة لمكتبها في الإسكندرية ، عن قضية إحدى البنات طالبات مناصب القضاء ، قدمتها إلى محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة . وهذا نص ما جاء في المجلة :

« هل تقوم في مصر حكومة دينية ؟ »

« وهل الحكومة القائمة تطبق المبادىء الشرعية ؟ »

« دخلت قضية مساواة المرأة بالرجل ، في دور حاسم ، بعد أن لجأت الأستاذة أمينة مصطفى خليل المحامية إلى محكمة القضاء الاداري ، تشكو وزير العدل ، لامتناعه عن تعيينها وكيلة نيابة أو محامية ، في قلم قضايا الحكومة..

«وقد قال محاميها فى عريضة دعواها المقدمة إلى رئيس مجلس الدولة : إن المدعية بعد أن نالت إجازة الحقوق عام ١٩٤٨ بدرجة جيد ، ومارست المحاماة بنجاح وتوفيق ، طلبت فى ٥ أبريل سنة ١٩٥٠ تعيينهـا محامية ، فجاءها الرد فى ١٩ أبريل بأن طلبها أحيل إلى النيابة الحسبية . فبعثت فى ١٧ يوليو بمذكرة إلى وزير العدل أوضحت فيهـا حقها الطبيعى فى هذا التعيين ، طالبة إلى النائب العام تعيينها فى وظيفة « معاونة نيابة » .

«ولـكن وزير العدل رأى أن يصبغ المسألة بالصبغة الدينية فاستفتى رجال الدين فيها. فجاءت الفتوى مضطربة فى التدليل ، حائرة بين آراء متباينة منسوبة إلى أئمة المذاهب ، ثم انتهت إلى أن تولية المرأة غير صحيحة .

«وقد أخطأت وزارة العدل السبيل حين توجهت إلى رجال الدين تستفتيهم فى مسألة اجتماعية لا تتعلق بالدين فى كثير أو قليل . فـكان حقًّا عليها ـ حتى لا تتخلف عن السير فى ركب الحضارة ـ أن تسائل نفسها : هل تقوم فى مصر حكومة دينيه ؟ وهل الحكومة القائمة تطبق المبادىء الشرعية حقًّا وصدقًا ؟ أو هل يعيش المصريون فى مجتمع شرعى ، تطبق فيه أحكام الدين الحنيف ؟ فإذا كانت الإجابة على هذه الأسئلة بالسلب ، حق على وزارة العدل أن تتورع عن الزج بالدين فى الأمور الاجتماعية البحتة ، أو ليست المرأة تزاول مهنة المحاماة طبقا للقوانين التى وضعتها وزارة العدل ؟ وما هي الفوارق بين المحـاماة فى صفوف الدفاع عن الأفراد ، والمحاماة فى صفوف الدفاع عن الحـكومة

« ثم طلبت المدعية تحديد جلسة يحكم فيها بإلغاء القرار الخاص برفض طلب تعيينها معاونة للنيابة ، أو محامية فى إدارة قضايا الحـكومة »

وجاء فى جريدة المصرى الصادرة صباح يوم الثلاثاء ١٨ صفر سنة ١٣٧٠ (٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٠) ما نصه :

« حقوق المرأة أمام القضاء »

« تنظر أمام محكمة القضاء الإدارى غدا القضية التى رفعتها الأستاذة عائشة راتب على

مجلس الدولة من أجل الاعتراف بمبدإ قبول خريجات كلية الحقوق من الفتيات فى وظائفه .

« وقد سبق أن أشارت الصحف إلى دعوة الأستاذة عائشة راتب إلى العمل بمجلس الدولة ونجاحها فى الامتحان الذى فرض عليها ، وموافقة جميع المستشارين على قبولها فيه ، ثم رفض طلبها بدون إبداء أى تبرير قانوني . وقد قابلت الآنسة عائشة وسألتها عن أملها فى كسب هذه القضية الهامة ؟ فقالت : إنها تعتقد أن هذه القضية ليست قضية شخصية تتعلق بمصالحها الخاصة ، وإنما هى قضية إنسانية عامة ، متعلقة بحقوق المرأة المصرية العادلة مهضومة ، وعبرت الآنسة عائشة عن آمال جميع خريجات كلية الحقوق اللاتى يناضلن منذ وقت طويل من أجل قبولهن فى مناصب الحكومة التى ما زالت مغلقة أمامهن ، فى مجلس الدولة وإدارة قضايا الحكومة والقضاء والسلك السياسى » .

وأنا لم أقرأ صحيفة الدعوى التى تقدمت بها المدعية ، ولكن إذا صدق الملخص الذى نقلته عنها مجلة « أخبار اليوم » استطعنا أن نحدد الاتجاه الذى تتجه إليه المدعية ومحاميها فى توجيه دعواها .

وهو اتجاه طيب جدًّا !! وقد تعجبون أن أقول هذا ، ولكنى أقوله وأقصد إلى معناه وأصر عليه ! لأنه اتجاه يكشف عما يُراد بالإسلام ، مصارحةً ، دون مواربة أو نفاق ! .

فقد يذكر كثير من القراء ، وخصوصاً أترابنا وأندادنا فى السن ، الذين أدركوا بدء الحركة الملعونة : حركة السفور ، أو حركة تحرير المرأة . وما أحاطها بها دُعاتها ، وفي مقدمتهم قاسم أمين ، والذين كانوا من ورائه ، واللائى كن من ورائه يدفعونه ويَدْفَعْنَه إلى تَقَحُّم المهالك ، ويتساقطون ويتساقَطْن فوقه فى الهوة كالذباب ، أحاطها هؤلاء ومن تبعهم ومن جاء من بعدهم بسياج قوىّ برّاق ، من المداورة والنفاق ، يزعمون أنهم لا يريدون الخروج على الإسلام ، وأنهم إنما يبغون تفسيره بما لم يعلمه مَنْ قبلهم من العلماء الجهلاء ، والأئمة الجامدين ! ! وأنهم إنما يريدون له النقاء والصفاء ، وإزالة ما غَشَّى وجهَه من أكدار تراكمتْ عليه بمر العصور ، وتعريضه للضوء والنور : نور أوربة ، حتى يُعجب الخواجات !

٢٥

زعموا أنهم لا يرمون إلا إلى السفور : سفورِ الوجهِ فقط ، لا سفورِ الصدور ، ولا سفورِ النهود والظهور ، ولا سفورِ شيء مما وراء ذلك ، مما يراه الناس عياناً فى كل حَفْل وناد ، بل يَرَوْن بعضه أو كثيراً منه فى المدارس والمعاهد ، بل يرون شيئاً منه فى المساجد والمعابد .

ثم جاءت هذه البُنَيَّة المدعية ، فكشفت الستار كلَّه عن مقاصد هؤلاء الدعاة ، الذين كانوا يجمجمون ولا يكادون يصرحون بالأصل الذى إليه يقصدون ، وإن كانوا لَيفْعَلون ويفعل مَنْ وراءهم ، من المبشرين وأتباع المبشرين وأبناء المبشرين . ومِنْ وراء أولئك المستعمرون المستترون والظاهرون : الذين يريدون استعباد المسلمين الأعزة ، وهم يعلمون أنهم لا يصلون إلى ذلك إلا أن يقلبوهم أذلة بانتزاع هذا الإسلام ، الذى أعزهم الله به من قلوبهم حتى يصيروا أذلة . والذين مهما يَنْسَوْا فلا يَنْسَوْا ثأرَ «لويس التاسع» الذى أسره المسلمون فى مدينة « المنصورة » ، وحبسوه فى « دار لقمان » ، ولا ينسوا ثأر هزائمهم المتوالية فى الحروب الصليبية فى مصر والشأم ، وطردهم من « بيت المقدس » ، إلى آخر ما يعرف الناس عامة إجمالاً أو تفصيلاً .

هذه المدعية صرحت بما يريدون ، بأوضح عبارة تكشف عن مقاصدهم وأقساها ، ووضعت الأمر كله بين يدي هيئة قضائية من أكبر هيئاتهم ، إن لم تكن أكبرها وأعلاها فقد كانوا من قبل يعملون على هِينة وفى لين ، وإذا تحدثوا عن ذلك تحدثوا بحكمة وتحوّط حتى لا يثور عليهم المسلمون غيرة على دينهم ! فإذا ما تحدث منهم متحدث ، ألاَنَ القول ومَهّد له ، حتى لا يكاد القارىء المتوسط يشعر بما وراء ذلك من خطر على الدين وتدمير .

ولا أكاد أذكر قولاً صريحاً لواحد منهم ، إلا كلمة رقيقة لينة ، تنساب على الهوينى انسياب الأفعى ، لرجل من كبار رجالهم ممن له مظهر إسلامى ، أو ممن كان له مظهر إسلامى على الصحيح ، قال فى كلمة نشرت فى صحيفة إسلامية !! واسعة الانتشار ، فى أواسط سنة ١٣٦٨ (أوائل سنة ١٩٤٩) قال فيها مما قال : « ولا يخفى أننا فى مصر نجرى — فى حكمة واعتدال ! ! على فصل الدين عن أمور الحكم وخلافات السياسة » ! ! .

ولست أدعى أن هذه الكلمة هى أصرح ما قالوا من هذا اللون من القول ، ولا أنهم لم يقولوا بمثلها مراراً ، فإن مقدرتى على الاطلاع وعلى القراءة محدودة . ولكنى أستطيع أن أجزم بأني لم أقرأ ، أو على الأقل لا أذكر أنى قرأت مثلها فى التصريح بما ينوون و يعتزمون . و إن كنتُ واثقًا منذ عقلتُ الدين ، وفقهتُ الأوضاع السارية في بلدنا ، أن هذا هو المرمى والمآل من قبل أن نولد ، بل من قبل أن يولد آباؤنا .

ثم جاءت هذه الدعوى ، تضع الأمر كلّه على المنصة بين يدى القضاء ، تعرض الموضوع من أوله : « هل تقوم فى مصر حكومة دينية ؟ وهل الحكومة القائمة تطبق المبادىء الشرعية حقًّا وصدقًا ؟ أو هل يعيش المصريون فى مجتمع شرعى تطبق فيه أحكام الدين الحنيف ؟ » .

وهذه أسئلة فى الصميم ، لا تستطيع المدعية ولا محاميها ، بل لا يستطيع من هو أكبر منهما وأعلم ، من رجال القانون وغيرهم ، أن يجيبوا إلا بالسلب . بل أنا لا أستطيع أن أجيب إلا بالسلب ! فليس فى مصر حكومة دينية ، والحكومة القائمة ـ أعنى نُظُمَ الدولة ـ لا تطبق المبادىء الشرعية حقًّا وصدقًا ، بل لا تطبقها كذباً وزوراً ! بل أقول أكثر من هذا : إن النص فى الدستور على أن دين الدولة الإسلام لا يمثّل حقيقةً واقعة ، إنما هو خيال ووهم ، كبعض ما اقتبسنا من سخافات أوربة فى الخيال والتمثيل . والمصريون لا يعيشون فى مجتمع شرعى تطبق فيه أحكام الدين الحنيف .

ذلك بأن المبشرين والمستعمرين وأتباعهم وأنصارهم ربَّوا فينا أجيالاً متتابعة ، يُنزَع الدين منها تدريجاً ، وتُقلب حقائقُه فى النفوس والعقول ، على مبادىء الثورة الفرنسية وغيرها من مبادئ الهدم والإلحاد ، حتى لقد وضعوا على ألسنة العلماء أنفسهم أنهم « رجال الدين » ، يضاهئون بذلك « رجال الدين » هناك ، ليمكن يوماً مّا أن يقال ما قالته هذه المدعية : « فإذا كانت الإجابة على هذه الأسئلة بالسلب ، حق على وزارة العدل أن تتورع عن الزجّ بالدين فى الأمور الاجتماعية البحتة » !! وليمكنها أن تقول أيضاً : « وقد أخطأتْ وزارةُ العدل السبيل حين توجهتْ إلى رجال الدين تستفتيهم فى مسألة اجتماعية لا تتعلق

جالدين فى كثير أو قليل » !! بل ليمكنها أن تدعى أن مثل هذا يكون سبباً لأن « تتخلف عن السير فى ركب الحضارة » !!

فالمدعية ومحاميها ، وأمثالها ، وكبراؤهم وزعماؤهم ، يرون ما تراه أوربة ، أو ترون ما فهموا أنه رأى أوربة ، بل يَغْلُون فى ذلك أكثر من غلوّ سادتهم ، فيزعمون أن دخول الدين فى الحكم وفى المسائل الاجتماعية تخلف عن ركب الحضارة !! فيجهلون بديهيات الإسلام ومزايا دينهم القويم ، ويرون أنهم إذا تمسكوا به وخضعوا لأحكامه تخلفوا عن ركب الحضارة ! فلا يكون هناك خمر ولا رقص ، ولا سفور ولا فجور ، ولا اختلاط الشبان والشابات فى المدارس والجامعات ، والقهاوى والندوات ، والصيد والقنص ، والخلوات فى الصحارى والسيارات ! فإذا فقدوا هذا وأمثاله ، فماذا بقى لهم من مقوّمات الحضارة ؟ !

وأعجب من ذلك وأغرب : أن المدعية بلسان محاميها ، تَسُبُّ دينها هذا السبّ المقذع ، ثم تصفه بأنه « الحنيف » ! ولم تكن بها حاجة إلى هذا التكلف والتناقض ، وكان أقرب إلى منطق كلامها أن تصفه بوصف يناسب ديناً يتخلف المستمسكُ به عن ركب الحضارة !!

ثم كان من المغالطات الكبرى أنهم — بما أُودع في نفوسهم من معارف ملتوية ، وبما أُشرِبَتْه قلوبهم من فقهٍ لدين أوربة ووثنيتها وثورتها ، بل وحضارتها — : أنهم فهموا الإسلام على غير وجهه ، وظنُّوه دينَ عقيدة وعبادة فقط ، بل ليتهم أخذوا به على المعنى الذى فهموا ، وإن كان خطأً أو نقصاً ، إذنْ لسار بهم الدين «الإسلامى الحنيف» فى سبيل الحق والهدى ، حتى يعرّفهم بما استمسكوا به من عقيدة وعبادة ـ لو كانتا ـ بأنه ليس كما رأوا عند أوربة ودرسوا ، ولَعَرَّفهم أنه « دين ودولة ، وحكم وسياسة ، وقضاء وولاية » . وإذن لعرفوا معنى ما نقلناه عن الحافظ ابن كثير فى الكلمة الماضية ، أن من قدّم أىّ قانون أو أىّ رأى على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله « فهو كافر ، يجب قتالُه حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكّم سواه فى قليل ولا كثير »[1] . وهذا شيء بديهى معلوم من دين

---

(١) مجلة الهدى النبوى (العدد ٢ من السنة ١٥ شهر صفر سنة ١٣٧٠ ص ١٣) .

الإسلام بالضرورة ، لا يعذر بجهله أحد ، أيًّا كانت منزلته من العلم أو الجهل ، ومن الرقى أو الانحطاط .

وليس هذا الخطأ من المدعية أو محاميها ، وممن وراءهما من رجال ونساء ، قاصراً على بلادنا . إنه ليكاد يكون عامًّا فى أكثر المتعلمين المثقفين فى بلاد الإسلام ، خصوصاً البلاد التى خضعت لسيطرة المستعمرين يدفعهم المبشرون ، وعامةً فى البلاد التى سايرت « رَكْبَ الحضارة » الإفرنجية المتعصبة ضد الإسلام . فتجد فى بعض ما يقول الكبراء التناقضَ العجيبَ المدهش ، كمثل ما نقلتْ إحدى الصحف الأسبوعية فى عددها الصادر يوم الجمعة ٧ صفر سنة ١٣٧٠ (١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٠) عن ضيف كبير من ضيوف مصر ، هو « سعـادة السيد تميز خان رئيس التأسيسية بالباكستان » نقلتْ عنه تلك المجلة أنه قال : « إن الباكستان دولة إسلامية ، ولـكنها ليست دولة دينية ، لأن الدولة التى تقوم على تعاليم الدين الإسلامى غير الدولة التى يتولى الحـكم فيها رجال الدين » !!

فهذا رجل عظيم ، من أمة إسلامية عظيمة ، أعرف أنا أنها تحرص على أن يكون تشريعها من دينها الحنيف ، دين الإسلام ، سواء أصابتْ فى التطبيق أم أخطأتْ ، فكل إنسان عرضة للخطأ . وهذا الرجل العظيم لم يسبق لى التعرف إليه حتى أحكم فى شأنه حكماً صحيحاً ، ولـكنى أظن أنه أعلم بدينه وبقوانين أوربة من المدعية وأمثالها . وها هو ذا يخطىء فى مثل هذه الدقائق — إذا صح ما نقلتْه عنه المجلة . فيعقد فرقاً بين « الدولة الإسلامية » و « الدولة الدينية » وهو فرق باطل ، كأنه فرق اصطلاحىّ فقط . فإن كل مسلم يعرف أن « الإسلام دين » ، بل يعتقد المسلمون بنص ما أنزل الله عليهم فى كتابه أن الدين عند الله الإسلام . ويظن سعادته — تقليداً لاصطلاح إفرنجى — أن فى الإسلام شيئاً يسمى « رجال الدين » !!

ولطالما حاولتُ نقضَ هذه الأسطورة ، أسطورة وجود شىء فى الإسلام يدْعى « رجال الدين » ! ! من ذلك ما قلتُه فى محاضرة أعددتُها لألقيها يوم ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٠ (٣ أبريل سنة ١٩٤١) ومنعنى من إلقائها الوزير القائم على الأحكام العرفية الإنجليزية

إذ ذاك ، وهو حسين سرّى باشا رئيس الوزراء . وكان مما قلتُ فيها عن آثار القوانين الإفرنجية فى نفوس متعلميها :

« كان لها أثر بيّنٌ بارز فى التعليم ، فقسّمت المتعلمين المثقّفين منّا قسمين ، أو جعلتهم معسكرَيْن : فالذين عُلّموا تعليمًا مدنيًّا ، ورُبُّوا تربية أجنبية ، يعظمون هذه القوانين وينتصرون لها ولما وضَعَتْ من نُظُم ومبادئ وقواعدَ ، يرون أنهم أهلُ العلم والمعرفة والتقدم . وكثير منهم يسرف فى العصبية لها ، والإنـكار لما خالفها من شريعته الإسلامية ، حتى ما كان منصوصاً محكماً قطعياً فى القرآن ، وحتى بديهيات الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة . ويزدرى الفريقَ الآخر ويستضعفهم ، واخترعوا له اسماً اقتبسوه مما رأوا أو سمعوا فى أوربة المسيحية ، فسَمَّوْهم (رجال الدين) . وليس فى الإسـلام شىء يسمى (رجال الدين) . بل كل مسلم يجب عليه أن يكون رجلَ الدين والدنيا » .[1]

ولقد أخطأ هذا الرجل الـكبير « رئيس الجمعية التأسيسية بالباكستان » خطأ آخر ـ إنْ صدَق ما نقلتْه عنه تلك المجلة ـ أخطأ فى ظنه أن الدولة الدينية هى التى يتولى الحـكم فيها رجال الدين !! فما أظن أن أحداً يقصد إلى هذا أو يرمى إليه ، حتى ممن يسمُّونهم غلطاً (رجالَ الدين) . لأن غاية كل مسلم يفقه الإسلام و يعرف حدوده وحقائقه ، أن يُحكَمَ المسلمون بتشريعهم ، بل أن يجاهدوا فى سبيل الله حتى يحكموا به العالم كله إذا استطاعوا . وأن يعملوا على نشره فى الأمم الإسلامية أولاً على حقيقته النيّرة النقية ، وأن يتعلمه الذين يملـكون السيطرة على شؤون الدولة فى بلاد الإسلام ، والذين يَلُون فيهم الأحكام . فإذا ما كان ذلك كانوا أيضا (رجال الدين) أيًّا كان لونهم من أنواع العلوم الأخر ، حتى هذه القوانين الآثمة التى ضُربت على المسلمين لإذلالهم ومَحْو دينهم فى عُقْر دارهم . فإن المعرفة

---

(١) هذه المحاضرة الممنوعة نشرناها فى مجلة الهدى النبوى (فى العدد ٦ من المجلد ٥) ثم نشرتها مع بحث آخر فى كتاب (الشرع واللغة) المطبوع بدار المعارف بمصر . والفقرة التى هنا فى (ص ٧١) منه .

بها إذْ ذاك لا تضرّ . بل لعلها قد تنفع فى الموازنة بين التشريع المبنىّ على الوحى الصحيح الصادق من عند الله ، و بين الأهواء والأكاذيب ، بل السخافات (فى بعض الأحيان) التي تبنى عليها القوانين الوثنية الملحدة !! ولقد صدق الله : (وأنِ احكمْ بينهم بما أنزل الله ولا تتَّبعْ أهواءهم ، واحذرْهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك)[1] .

وقد أوضحتُ هذا المعنى ومَاإليه ، بأقوى ما أستطيع من بيان ، فى تلك المحاضرة المصادَرة إذْ ذاك . وكانت للدعوة إلى أن (الكتاب والسنة يجب أن يكونا مصدرالقوانين في مصر) وهذا هو عنوانُها وموضوعُها الذي أُعِدَّتْ من أجله . فقلتُ فيها :

« وأريد أولاً أن أقول كلمةً تَرفع شبهةً عن دعوتنا . فإنى عُرِفْتُ بين إخوانى ومعارفي بالدفاع عن العلماء عامةً ، وعن القضاء الشرعى خاصةً ، فقد يبدو لبعض الناس أن يؤوّل دعوتى إلى نحوٍ من هذا المقصد .

« كَلّا ، فإن الأمر أخطرُ من ذلك ، ومقصدنا أسمى من أن نجعله تنازعاً بين طائفتين ، أو تناحراً بين فريقين . إنما نريد رفع ما ضُرب على المسلمين من ذل ، وما لقيتْ شريعتهم من إهانةٍ بوضع هذه القوانين الأجنبية .

« إنما ندعوكم بدعوة الله ، ندعو الأمة أن تعود إلى حظيرة الإسلام ، ندعو إلى وحدة القضاء ، وإلى التشريع بما حَكم الله : (إنما كان قولَ المؤمنين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليَحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون) .[2] (وما كان لمؤمن ولا مؤمنةٍ إذا قَضَى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرَةُ من أمرهم ، ومن يعصِ الله ورسولَه فقد ضل ضلالاً مُبيناً)[3]

« ضَعُوا القوانين على الأساس الإسلامىّ ، الكتاب والسنة ، ثم افعلوا ما شئتم ، فليَحْكُمْ بها فلان أو فلان . لسنا نريد إلا وجهَ الله » .[4]

---

(١) الآية : ٤٩ من سورة المائدة . (٢) الآية ٥١ من سورة النور .
(٣) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب . (٤) ص ٨٧ – ٨٨ من كتاب (الشرع واللغة) .

هذا ما قلته ولا أزال أقوله ، وأعتقد أن كل داعٍ إلى العمل بالشريعة الإسلامية يقوله . وأظن أنه يرفع كل شبهة عن دعوتنا الحقة الصادقة المخلصة ، ولا يدع مجالاً لمن يعادى التشريع الإسلامى ، ممن أشربوا عقائد الإفرنج ، أن يظنوا حالنا كحال أوربة قبل موجة الإلحاد ، التى قامتْ هناك لتدمير سلطان « رجال الدين » عندهم وطغيانهم . ثم لا يدع مجالاً لأن يقول ماقالته المدعية وما قاله أمثالها من قبل ، من الفرق فى الاسلام بين شؤون الاجتماع وشؤون الحكم وشؤون المعاملة وغيرها و بين الدين . فكل ما يفعل الناس وما يَرَوْن وما يعتقدون ، وما يأخذون وما يَدَعُون ، داخل فى حكم الاسلام وخاضع لسلطانه ، رضى هؤلاء وسادتهم من المستعمرين والمبشرين أم أَبَوْا ، فالإسلام واضح بيّن لكل من أراد الهدى ، وهو كما قلتُ في تلك المحاضرة « لا يرضى من مُتَّبعيه إلا أن يأخذوه كلَّه ، ويخضعوا لجميع أحكامه ، فمن أبى من الرضى ببعض أحكامه فقد أباه كلَّه[1] » .

ولذلك صارحتُ الأمةَ كلها حينذاك ، ورجالَ القانون خاصةً ، بالدعوة إلى وضع تشريع جديد على مبادئ الكتاب والسنة وفى حدود قواعدها ، متعاونين متساندين جميعاً . وصارحتُ رجال القانون بأننا سنعمل بالطريق السلمى للوصول إلى الحكم دونهم إذا أبَوْا أن يصغوا لهذه الدعوة الحقة لإعادة سلطان الإسلام فى بلاد المسلمين ، و بأنى سأدعو العلماء عامةً ، من رجال الأزهر ، ورجال مدرسة القضاء ، ورجال دار العلوم « وسيستجيبون لى ، وسيحملون عِبْءَ هذا العمل العظيم ، وسيرفعون راية القرآن بأيديهم القوية ، التى حَملتْ مصباح العلم فى أقطار الإسلام ألفَ عام » ، و بيّنتُ لهم السبيل الذى نسلكه ، أنه « السبيل الدستورىّ السلمىّ : أن نبثَّ فى الأمة دعوتَنا ، ونجاهدَ فيها فيها ونجاهرَ بها ، ثم نصاولكم عليها فى الانتخاب ، ونحتكم فيها إلى الأمة . ولئن فشلنا مرةً فسنفوز مراراً . بل سنجعل من إخفاقنا ، إن أخفقنا فى أول أمرنا ، مقدمةً لنجاحنا ،

---

(١) ص ٦٦ من كتاب (الشرع واللغة) .

بما سيحفز من الهمم ، و يوقظ من العزم ، و بأنه سيكون مبصّراً لنا مواقع خَطْوِنا ، ومواضعَ خَطَئِنا ، و بأن عملنا سيكون خالصاً لله وفي سبيل الله » [١]

وهأنذا قد صارحتُهم بذلك منذ عشر سنين أو نحوها ، وما أظنهم صارحونا بقريب مما فعلنا ، فيما أعلم ، إلا النفاقَ والمداورة ، ومدحَ الإسلام والتظاهر بالدفاع عنه والغيرة عليه ، مع تنحية أحكامه عن كل شيء في الدولة ، أو تغيير أحكامه بالتأويل الكاذب ، والفهم الباطل ، ليقربوه من أوربة التي هم لها خاضعون ، حتى يكون « إسلاماً إفرنجيًا » ! !

حتى جاءتْ هذه المدعية فكشفتْ عن الأمر كله ، لتقرر علناً وصراحةً أن هذا البلد ليس بلداً إسلاميًا ، وأنه لا يجوز أن ينظر فيه إلى « المسائل الاجتماعية » زعمتْ ! ! نظرة إسلامية . وعن ذلك أعجبتني دعواها هذه الواضحة الصريحة ، حتى يعرف المسلمون ماذا يُراد بدينهم ، من غير أقلامنا ، ومن غير أشخاصنا .

وأما شأن المدعية نفسها ، فيما تطلب من المحكمة أن تحكم لها به ، فلا أعبأ به ، ولا يهمني في قليل ولا كثير ، ولا من قريب ولا من بعيد ، أن يُحكم لها بما طلبتْ ، فتدخل في مناصب القضاء ، أو تُرفض دعواها ! لأني قلت من قبل إن ولاية الرجال أنفسهم هذا القضاء « باطلة بطلاناً أصليًا ، لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة [٢] » فلا يزيده بطلاناً ـ في نظري ـ أن تتولاه امرأة ، أو يتولاه شخص ما ، أيًّا كان لونه أو صفته ، فالأمر عندي فيه سواء .

أما بعد فإنه أثناء كتابة هذه الكلمة ، نظرت المحكمةُ هذه القضية بجلسة يوم الأربعاء ١٩ صفر سنة ١٣٧٠ (٢٩ نوفمبر سنة ١٩٥٠) برئاسة المستشار « سعادة السيد على السيد بك » ولخصت جريدة المصرى فى اليوم التالى (الخميس ٢٠ صفر) بعض مادار فى الجلسة ، فذكرتْ أنه حضر فيها « سيزا نبراوى وكيلة الاتحاد النسائى ، وأعلنت انضمام الاتحاد للمدعية طرفاً ثالثًا فى القضية ، ووقف محامى الحكومة وطالب برفض انضمام

---

(١) ص ٩١ ـ ٩٢ من كتاب (الشرع واللغة) (٢) كلمة الحق رقم ٢ ص ١٥ من عدد شهر صفر سنة ١٣٧٠ من مجلة (الهدى النبوى)

الاتحاد ، لأنه ليست له مصلحة مباشرة فى هذا ، ورد رئيس الجلسة بأنه يعتقد أن الاتحاد يرى أن هذه القضية هى قضية الجنس ، وأن الحكم فيها يتعلق بمستقبل المرأة المصرية عامة » ، ثم ذكرت الجريدة أن القضية أجلت لجلسة ٣١ يناير سنه ١٩٥١ للمرافعة .

وليس لنا أن نتحدث فى قبول مايُدْعَى « الاتحاد النسائى » خصمًا ثالثاً فى الدعوى أو عدم قبوله ، فهذا شىء من اختصاص المحكمة وحدها ، تفصل فيه بما ترى ، بعد سماع المرافعة من طالب الدخول ومن المعارض فيه ، ولكنا نتحدث عما يدل عليه طلب الدخول فى ذاته ، وأنه يؤيد كل حرف قلناه من قبل ، ويكشف عما يراد بالتشريع الإسلامى كشفاً واضحاً

وإذا كان لى أن أقترح ، فإنى أقترح على حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وهو مَنْ نعرفه علماً وديناً وتقوى وغيرةً على الإسلام بشخصه أولاً ، وبوصفه شيخًا للأزهر ثانياً ، وبوصفه رئيساً لأكبر هيئة علمية إسلامية رسمية ، وهى « جماعة كبار العلماء » ثالثاً ، أن يرسل محامياً يتدخَّل فى هذه القضية بلسان فضيلته ولسان الأزهر ، خصمًا ثالثاً أيضاً . لأنه يَرَى ـ فيما نعتقد جميعًا ـ أن هذه القضية هى قضيةُ الإسلامِ وشِرْعته ، قبل أن تكون « قضيةَ الجنس » . وليدفع عن الإسلام مايريده به هؤلاء النسوة ، اللائى لايعرفن من الإسلام إلاّ ما أخذْنَه عن (الخواجات وأمثال الخواجات) ، واللائى يُرِدْنَ الانطلاق ، لايُرِدْنَ غيره ، وليدفعَ عن الإسلام ماقد يقوله أنصار (النسوان) من نقد أو تأويل بالباطل أو افتراء

ولست أدرى أيلقَى اقتراحى هذا قبولاً أم إعراضاً ، ولكننى إذا لم أجد لاقتراحى صدًى ، فسأفكر فى التدخل فى القضية بنفسى ، خصماً ثالثاً ، بوصفى من العلماء القدماء ، بالسنّ على الأقل ، وبوصفى مجاهداً طول حياتى ضد الحركة النسوية خاصة ، وضد مهاجمى الإسلام والمتلاعبين به عامة ، وإن كان هذا التدخّل فوق مقدورى علميًّا وماليًّا ، ولكنّى سأحاول ما استطعت ، إن شاء الله . أحمد محمد شاكر

بدعة المولد ومظاهرها الوثنية

الوليد الحبيب : في مثل هذا الشهر تهلل بالإشراق الروحى محيى الوليد الحبيب ، تناسمه من الله روح حكيمة ، وتغمر وجوده الانسانى بالحفظ رعاية من الله هادية وفى المهد ـ ناح من حوله اليتم ـ راح يدرج الوليد ، يباكره الحب ، ويناغيه الحنو من كل من حوله ، إذ شاء الله أن تكون تلك القلوب الوثنية ، حراساً لهـذا الوليد الذى سيدمر الأولياء المعبودة من دون الله ، وينكس ذليلا على رأسه كل طاغوت ، فيا لقدرة الله ، ويا لحـكمته البالغة !!

من غياهب الـكفر ، ومغاور الشرك ، يتألق نور الإيمان ، ويتنضر روح التوحيد ، فإبراهيم من بين الأصنام يدعو القلوب إلى إخلاص العبادة لله ، وموسى من بيت فرعون يذكر المستكبرين بملـكوت الله ، ومحمد : هذا الرسول العظيم الـكامل صلى الله عليه وسلم يختم الرسالات ، ويتم فى الوجود الإنسانى دين الله ، وكان أهله ومن حوله يتخذون مع الله آلهة أخرى !!

محمد بن عبد الله فى رجولته : ويصبح الوليد الحبيب رجلا كملت فوق الـكمال معـانى رجولته ، وتنضرت فيه رَفَّافة النضرة ، عوارف إنسانيته العليا ، وتطهرت عقيدته الصافية من كل ما يشوبها ، فما تفتحت حواسه كلها إلا عن آيات رحمة الرب وحكمته ، وما عرف للوجود رباً يربيه ويدبره غير الله ، ولا استرحمت فى هواجر الحياة غير الرحمن ولا أنابت ـ حين يغشى الليل الظلوم ـ إلا إلى الواحد الديان ..ويستشعر الرجل الإنسان الكامل فى نفسـه غلة الشوق الى الله ، ويحس باللهف الملهوف يعصف بسكونه الشعورى لـكى يعـلم ويسمع . يعلم حقيقة الإيمان تجليها كلمة الله مفصلة لسنن الله ، ويسمع نداء التوحيد من غيب السماء ، ها هى عيناه المشوقتان تتطلعان الى السماء كقلبه المشوق ، وها هى روحه تنساب رفافة تطوى أمد الآزال والآباد تطلعاً الى نبأ من ربه الأول والآخر، والظاهر والباطن

محمد يوحى إليه : وها هو ذا فى ليلة القدر من رمضان، وقد شغفه ربه حباً ، إذ أراه جبريل متبَدِّياً فى الأفق يلهب قلبه بالشوق «أنت رسول الله وأنا جبريل» وأضناه الشوق والحنين إلى روح من عند ربه يحيي بها ما أماتت الجاهلية العمياء من نفوس الإنسان الظالم لنفسه بعبادة الأوثان،حتى ليكاد يستشعر الصلد لفحة الأشواق فى هذا القلب السماوى الرقيق والسموات ومن فيها إصغاء وخشوع لما سيكون ، والوجود فى سكونه الشاعر ترف على آفاقه قداسة علوية ، ها هو ذا محمد العظيم يتلقى عن الله ، فإذا به فى لحظة رسول من الله للانسانية جمعاء . وكان أول ما أوحى إليه تعريف بالله وعظيم ربوبيته «ربك الذى خلق» وتعريف بالانسان فى حقيقته وضعفه وحاجته « خلق الانسان من علق » فيصل حكيم دقيق خبير بين صفات الله ، وصفات البشر ، بين الرب والمربوب ، الخالق والمخلوق ، ليكون ذلك أول ما يقرع السمع من وحى السماء ، اسمع واسمع « إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان مالم يعلم[1] »

تذكير بالربوبية الخالقة المربِّية ، التى تعلم وتعلم ، ثم تذكير بالانسان ، وحاجته وفقره وجهله ، أرأيت كيف يضيف كلمة « الرب » مرتين الى ضمير خطاب محمد مثال البشرية فى سموها ، أرأيت كيف يذكر من صفاته الخلق والعلم بالنسبة إلى ذكر الانسان ؟ حتى لا يستعلى ذلك الضعيف أو يستكبر فأخص صفات الربوبية الخلق ، وأخص صفات الانسان أنه مخلوق ، وأكمل الصفات وأسماها غاية : العلم.. فتأمل كيف يبدأ الوحى بهاتين؟

جهاد الرسول : وجاهد محمد الرسول صلى الله عليه وسلم وما فى البطولات ـ عزت جهاداً وسمت عزائم ، وشرفت غايات ـ مايدنو من بطولة الرسول الأعظم .. ناضل الأعزل من السلاح بالكتاب الذى أنزل عليه ، لأنه حق من الحق ، وقوة من القوِى ، فانتصر المجاهد الأول .

أنظر الى الكعبة المشرفة .. أين منها وحولها أرباب ذلت لها الجباه ، ودان تحت الذل الجبابرة ! إن نور القرآن سطع هنا ، ودعا بآياته رسوله ، فزلزل الشرك ، ولاذ بالرعب

«١» سورة العلق من ١ ـ ٥

المشركون ، فإذا اللات العاتية لقًى مهان ، و إذا العزى وراء الذل صاغرة ، و إذا مناة تلوذ بالمنية فتستعصي عليها .

دعوة الرسول : دعا الرسول صلى الله عليه وسلم الى الله لا إلى نفسه ، والله العليم الخبير جعـل مهمة محمد الأولى والآخرة تأدية رسالة ربه ، فأداها خاشعاً قانتاً فى كنف الله بالذل العزيز من العبودية النقية المطمئنة .. ولقد كان يلمح الرسول ـ الذكي اللماع الذكاء بفطرته، اليقظ ، القوي اليقظة لنزعات الشيطان ـ يلمح من بعض العيون نظرة تـكاد تؤلهه ـ كما ألهت مَنْ قبله من الأنبياء ، ويسمع على الشفـاه همسات توحى بأنهم سيغلون فيه كما غلوا فيمن قبله من الرسل المعظمين ، وهنا يجلجل صوته القوى « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » هكذا وبذلك الأسلوب البليغ القوى فى تأدية معناه يقيم الحجة قاطعة ماحقة لدعوى الزيغ والبهتان : أنه النور الأول أو الخلق الأول الذى فاض من الله ، ويعلو بيان القرآن يعلن كلمة الحق (١٨ : ١١٠ و٤١ : ٦ قل إنما أنا بشر مثلـكم) (٤٦ : ٩ قل ما كنت بدعا من الرسل) . فتصفو القلوب ، وتسكن النفوس ، وتطمئن العقول ، ويتسمع آناً همسة يغلغلها الشيطان بغلو الحب ، أن الرسول يعلم الغيب ، فيرشد القرآن بهداه ، فيـكبح جماح الظنون ويقشع أوهام التخيل إذ يقول : (٢٧ : ٦٥ قل لا يعلم من فىالسموات والأرض الغيبَ إلا الله) وتتهامس الخواطر ، يلونها الشيطان بفنون سحرية من الخيال ، وتهاويل وثنية من الأساطير ، أن محمداً لايعتريه الموت فهو الحى وإن بدا للعين جسداً يواريه التراب ، فإذا بالقرآن الهادى يعلن الحقيقة السرمدية للانسان (٣٩ : ٣٠ إنك ميت وإنهم ميتون) ويعلن (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) ويتأنق الشيطان فى نزغاته فيهمس أن محمداً بيده من الأمر شىء ، وأنه ينفع بما ينفع به الله وحده ، غير أن القرآن يعلن فى جلاء وإشراق مخاطباً الرسول (٣ : ١٢٨ ليس لك من الأمر شىء) (٧٢ : ٢١، ٢٢ قل إنى لا أملك لـكم ضراً ولا رشدا . قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) .

ثم يعلن الرسول هادما ركناً من الوثنية التى توقن بالحسب والنسب ، وتقول إنه نافع شافع عند الله ، يقول الرسول موجهاً خطابه الى أحب وأعز بضعة منه ، ابنتـه فاطمة

« يا فاطمة بنت محمد اعملى . فلن أغني عنك من الله شيئا » ويؤمن أصحابه بكل هـذا ، ويوقنون ويثبت يقينهم أن محمداً البشر له دنياه وعيشه وملبسه وطعامه وشرابه ، فهو ببشريته فى الدنيا لايلزم كائناً من كان بأن يكون مثله ، أما محمد الرسول ، فالواجب التأسى والاقتداء به فيما يأخذ وفيما يذر ، ويحيا محمد صلى الله عليه وسلم فى الدنيا حياة البشر، طعاماً وشراباً ولباساً ونكاحاً يقظة ونوماً ، وإعساراً آنا وإيساراً آخر ، إنه ينساب بفطرته النقية الصافية فى الدنيا يرمقها الدين ، وتوجهها تقواه ، ويسددها الى الغايات القدسية عبودية لله طاهرة ، ولم يمت محمد صلى الله عليه وسلم حتى جعل العقول تفصل فصلا حكيما دقيقاً ، بين الخصائص الربانية ، والخصائص البشرية ، فلا تخلط بين صفات الله وبين صفات البشر .
وإذا كان هذا البشرى محمداً بن عبد الله . لم يمت الرسول حتى جعل بالقرآن وبيانه العبودية تقف برجائها وخوفها ، وذلها وضعفها ، بإيمانها وتوحيدها ، فى رحاب الله الفسـاح مؤمنة مخبتة تقية ، لا تطرف لها عين إلى غيره ، ولا يهمس لها خاطر أمل فى سواه ، ولا ينزع بها خيال رجاء إلى من دونه ، فإذا المؤمنون : إلههم واحد . هو الله رب العالمين ، وإذا هم أمة واحدة هم المسلمون الإخوة ، وكتابهم واحد هو القرآن ورسولهم المقتدى به واحد ، هو محمد رسول الله ، يقتدون به فى رسـالته لا فى بشريته ، فى دينه لا فيما تناول به من دواعى العيش دنياه .

صحابة وصديق : ويسجل التاريخ فى سجل الصدق والحقيقة حباً وصداقة بين رجلين ، أما أولهما : فقد بلغ الرسالة عن ربه ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما الثانى : فقد صدق بما جاء الرسول عن ربه ، وهو أبو بكر الصـديق يسجل التاريخ هذه المحبة وتلك الصداقة ، وتطل القلوب إليها مشغوفة ملهوفة ، لعل أقباسـاً منها تضىء سبيل الصداقات للقلوب ، ولعل إشعاعاً منها يهدى روحية الحب فى متاهات الحياة إلى ربيع الخلود ، ويعلن التاريخ فى صدق أنه لم يعطر الوجود الإنسـانى بمثل ريّا تلك الصداقة ، ولا تسامت الروح ولا تألقت الإنسانية فى صفائها الرقراق كما حدث فى تلك المحبة ، ولا أشرقت أخوة فى الحياة يباركهـا الله مثل ما أشرقت هذه الأخوة بين الرسول وبين صاحبه ووزيره أبى بكر الصديق

هاهما تحت غلائل الليل ، أتت عليه الوحشة الرهيبة : يلفهما صوت عميق سحيق. لا تسمع فيه إلا هينمات الروحين بالتسبيح والخشوع ، هذا هو الصديق يخلف وراءه من من يخلف من الأحبة ، ويدع وراءه مايدع من الدنيا ، ويمتطى الهول والرعب ، ويقتحم الليل والقفر ، ويجوب الدياجير تعوى رياحها النكب الزعازع ، بين ماض لم يذق فيه راحة أو هدوءاً ، أو مستقبل فى كنف الغيوب المجهولة لا يدريه ، ولكن كان يسعده ويجعل الحياة من حوله فردوساً : أنه مع رسول الله ، هاهما فى الغار حيث يترصدهما الموت أمامه . . . أرأيت إلى الصديقين هنا فى الغار تدب هوامه وتخشن صخوره ، ويطغى عليه من ظلم الليل ركام ؟ ! أرأيت إليهما هنا ؟ ! ماذا جمعهما ؟ ! وفى سبيل من اجتمعا ؟ إن الدنيا بعفاتها ومباذلها المكحولة الآثام كانت هناك ، والشرك فى طغواه وصولاته الصائلة يعج أمام باب الغار ، ولكنهما من كل ذلك فى حصن قوى من الإيمان والثقة واليقين ، وحسب أبو بكر أنهما وحدهما ، ولكن المؤمن الأول محمداً صلى الله عليه وسلم يذكره ، فيطمئن الصديق إلى قوله « لا تحزن إن الله معنا » .

ألم تر إلى تلك العاطفة الإيمانية فى قلب أبى بكر لمحمد شبت ، ثم إذا بها تجعل الرسول صلى الله عليه وسلم عنده قبل النفس والمال والأهل والولد ؟ ! أحدثك التاريخ أن رجلا عظيما كريما نبيلاً أحب صاحبه كما فعل أبو بكر الصديق ؟ ! .

ماذا بعد موت الرسول : ويدور الفلك دورته ، وينزل بمحمد (ص) ماينزل بكل بشر ، ينزل به الموت ، أليس محمد نفساً ؟ ! و (٣ : ١٨٥ كل نفس ذائقة الموت) كما بلغه ربه و بلغ هو عن ربه ؟ . ترى ماحال ذلك القلب الرقيق البكاء . قلب الصدّيق إذ يفجعه الموت فى أعز من يحب فى دنياه ؟ ! وماحال تلك العاطفة تتلظى شغفاً وتتلهب حنيناً إذ ترى عيني محمد (ص) يغمضهما الموت وكانتا صفاء قدسياً ، ونوراً علوياً ، وإيماناً نقياً ، كانتا تبثان اليقين فى المريب ، والطمأنينة فى القلق ، والأمن فى الخوف ، والأمل فى اليأس . ؟ ! وتلفت التاريخ رائع الإعجاب ليمجد بطولة قلب عظيم كبير ، لا يهوله الهول ، ولا يذهله الروع ، ولا تزلزله الداهية ، ويتلمظ الشيطان لاعقاً باللهب المحرق شفتيه ، ويصيخ بسمعه وهو يتفجر وسوسة يختتل بها إيمان القلوب ، ولكن الشيطان يسمع الصدّيق الرفيق الرقيق

المؤمن القوى يقول للجازعين من حوله « من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت » ويذكرهم بالآية (٣ : ١٤٤ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) والصحابة جميعاً ينصتون لقول أبى بكر فيؤمنون بموت الرسول ويطمئنون ؟ ولو تكشف لك الشيطان يومها يحثو على رأسه الغبار حسرة وغماً ، لرأيته يحاول إغواء القلوب أن تنسى محمداً البشر ، ليبعث فيها ماوسوس به لعباد عيسى ، فتتوهم أن محمداً (ص) لم يمت ، لأن الآلهة لا تموت .. ولكن أبا بكر وأصحاب محمد (ص) معه لم ينسوا ، ولم يهنوا ، ولم يستكينوا ، ومضوا فى سبيل الله ينشرون النور . ويبددون غياهب ظلمات الأوهام ، هالوا التراب على رسول الله ،ولولا أنهم أمروا بذلك ما فعلوه . كما قال أنس لفاطمة ، ومضوا مضاء عزيمة ، وصلابة إرادة ، وقوة إيمان يحار بون الشرك والمشركين ، والردة والمرتدين ، إعلاء لكلمة الله ، ما صرفهم قبر الرسول عن ربهم مرة ، ولا غزهم خيال بالغلو فى ذكراه بعد الموت إلا بما شرع الله . إن الرسول صلى الله عليه وسلم علمهم أن عظمة محمد فى رسالته ، وأن حبه هداها ، لن يكون إلا باتباع ماجاء به ، إذ قال لهم « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » هذا هو الحب ، وميزانه وبرهانه : محمد (ص) مات ، والله هو الحى القيوم المنفرد وحده بالبقاء، وحب الله وحب رسوله فى العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، أما ذلك القبر ، أما تلك الذكرانات ، أما تلك الدموع التماسيحية المصطنعة والتهاويل والخيالات ، أما ذلك كله فليس من تمجيد محمد (ص) فى شىء إن حب الله هو الأول فى القلوب ، وقد حدد الله السبيل الذى يصل بالقلب إلى حبه تعالى فى قوله (٣ : ٣١ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله) فسبيل حب الله اتباع رسوله ، لا الطواف حول قبره ، ولا التمسح بستره ، ولا إقامة حفل كلما عبرت على الخواطر ذكراه ، بهذا آمن أصحاب الرسول ، فلم يطيفوا حول القبر ، ولم يقيموا فى ربيع الأول له عيدا ولا مولداً .

ويتلفت التاريخ مرة أخرى ممجداً ، وتتلظى عينا إبليس حقداً وبغضا ، فأصحاب محمد وأتباعه مازالوا على العهد ينشرون النور ، ويهتكون بالحق سجن الظلام ، وَتُسْتَبْذَلُ التيجان الطاغية ، وتُثَلُّ العروش الباغية ، وتستعلن كلمة الله فى الآفاق فى قوة سماوية عالية ،

وفى إيوان كسرى بعد النار ـ يعبد الله نور السموات والأرض ، ويتردد في جوانب الصدى المقدس في جلال وجمال من شفاه المؤمنين ، إذ يقولون « الله أكبر » . . ويمر ربيع وربيع وربيع ، ولكم من ربيع وربيع مر على الأصحاب والأتباع . . فماذا فعل أصحاب محمد وأتباع محمد ؟! أأقاموا لذكراه حفلا ؟! مولداً ؟! عرائس مولد ؟! أتلوا له قصصاً ينطلق منها صارخاً شيطان الغريزة !! لم يفعلوا ذلك لأنهم مؤمنون موحدون ، وتمضى حقب طويلة ، ليس فيها « مولد » ولا احتفال بذكرى المولد ، ولا قصص تتلى ، ولا عرائس ولا حكومة تعين على البدعة الوثنية . وعلى هذا مضى السلف الصالح رضى الله عنهم ، وكانوا أعرف بالرسول ، وأصدق حبا للرسول . لأنهم كانوا يعشون على هدى و بصيرة كتاب الله وسنة الرسول ، ولكن خلف من بعدهم خلف هجروا القرآن ، وعموا عن هدى الرسول فاتبعوا الظنون والأوهام ، وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ، وزينها لهم الشيطان باسم البدع الحسنة ، وباسم الحب والتعظيم لرسول الله ، وما هو إلا المحاربة لهدى ورسالة رسول الله ، ولكن أكثرهم لا يعقلون .

المسلمون اليوم ونبيهم : وبعد أحقاب وأحقاب يرنو التاريخ بعينيه الحزينتين يمنة ويسرة ، ويصيخ بسمعه ، ليرى ويسمع ما بقى من دين الله الذى أنزله على خاتم الرسل محمد ورسالة عبد الله ورسوله محمد ، وذعر التاريخ وولولت أمجاده ، ونكس رأسه ، وفي إطراقه ذل اليتيم يسومه الخسف ظلم عات جبار ، وفى عينيه الداميتين مآس دامية ، وعلى فمه الراعش فاجعة وَلَهَى نواحة الدموع ، وجد التاريخ كل شيء إلا دين عبد الله ورسوله محمد فى حقيقته ، وسمع كل اسم تهتف به القلوب إلا اسم الله مالك الملك ،وفى المحاريب أوثان وفى المساجد أصنام ، وعلى المآذن بدع ناعقة ، وجد القرآن عند المسلمين تميمة تباع ، وغناء ماجنا فى المآتم وعلى القبور .

وجاء ربيع والتاريخ محزون أسوان .. فرأى هنا وهناك أوثاناً من الحلوى تصنع باسم سيد الإنسانية وهاديها محمد ، وسمع وزيراً كبيراً خطيراً يقول : إنه سيزيد من كمية السكر ، ليفرح به الناس فى مولد محمد ، ويسأل التاريخ ولهان السؤال ، وأين من كل هذا دين محمد ؟ آهاً لك يا أمجاد الماضى السحيق !! دعينى أقل للتاريخ الجواب : إنها أمة مسلمة

الأسماء (١) يا تاريخ ، جاهلية الحقيقة والأعمال ، مشركة القلوب والعقائد يا محزون ، لم يبق عندهم لمحمد من ذكريات غير عرائس من السكر ، ودمى يعاف أجملها الذباب ، وتهتكات من أغاريد تناجى الشهوات ، وتتملق الغرائز ، وتقف بالرغاب الهيم عندها أسيرة ذلولا ..

عجباً لهذه الأمة الماجنة الهازلة !! من ذا الذى زعم لهم أن الاحتفال بمولد الرسول سنة حسنة ؟ ! إنى لأسائل هؤلاء العباد بالبدعة وللبدعة : إما أن يكون الاحتفال بالمولد بدعة أو غير بدعة ، أو بمعنى آخر : من الدين أو ليس من الدين .. هم لا يقولون بأنه بدعة ، ولا أنه ليس من الدين ، فلم يبق إلا قولهم إن الاحتفال بمولد الرسول ـ فى أية صورة ـ من الدين أو ليس بدعة .. ونحن لو قلنا بهذا رمينا أصحاب محمد بالقصور و بالتقصير ، بالقصور عن إدراك معانى الدين ، وعن سبيل تكريم محمد وتمجيد رسالته ، و بالتقصير فى حق الدين وحق محمد ، أو بمعنى أصرح : نتهمهم بأنهم كانوا قاصرى الفكر والدين ، ونقول : إننا أحكم وأزكى عقيدة ، وأبعد نظراً فى الدين ، وأسلم بصيرة فى التدين ، وأشد حباً لمحمد صلى الله عليه وسلم من أبى بكر وأصحابه ، وما يقول بكل ذلك إلا وثنى ، أو من فى عقله دخل. من ذا الذى أحب الرسول حب أبى بكر وأصحابه ؟! لا أحد . أفيستطيع القول قائل : إننا نكرم بهذا المولد محمداً أكثر مما كرمه أصحابه ؟؟ أفندرك نحن اليوم ما يجب له وما ينبغى لرسوله أكثر من أولئك الأمجاد الأحبة الذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله ، وقاتلوا وقتلوا ابتغاء رضوان الله !! أين نحن من هؤلاء القوم الأعزة المؤمنين الموحدين ؟! أنقول : إن أبا بكر قصر فى حق صاحبه فلم يصنع له مولداً ، ولا احتفل بذكرى مولده ؟ أنقول : قصر عمر فلم يجىء بمنشد ماجن متكسر متخلع سكير عربيد يتلو له قصة محمد و يتغزل فى « بطن ووجنات وحواجب وعيون» محمد ؟ ؟ أنقول : قصر عثمان ذو النورين وعلى الرضى ،فلم يصنعا عرائس مولد أو « أحصنة » ولم يقيما احتفالا حكومياً بمولد محمد ؟!!

لو قلنا إن الاحتفال بمولد الرسول دين أو سنة حسنة . رمينا القرآن بالقصور. فهو لم يبين لنا ذلك ، والله يقول (٥ : ٣ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت

(١) حتى هذا المظهر بدأ يضيعه المسلمون فترى من يسمى ، كوكو ، كيكى ، من هذه الأسماء التى ترمى بالتخنث أصحابها .

لـكم الإسلام دينا) ورمينا الرسول إما بالقصور وإما بإخفاء ما أمر بإبلاغه . لأن السنة لم تأمرنا بالاحتفال بمولده ، بل حذرت من ذلك كل التحذير ، أفيجرؤ إنسان عنده أثارة من إسلام على القول بما ذكرناه ؟؟

يقول قائل : وماذا فى الاحتفال بمولده ؟؟ إن من يتجاهل فيسأل هـذا السؤال كأنما « يهذر » على الله ورسوله . قل لهما : لمـاذا لم تأمرا به ، ولماذا لم تحتفـلا به ؟ ! أنا أعلم منكما بما يجب . . .

إن الله كرم الرسول أجل تكريم فى أمرنا بالصلاة عليه ، وهذا أسمى وأعظم وأبعد غاية فى معـانى التـكريم من كل ما يتخيل البشر ويفتن فى تصويره الوهم الشاعرى ، وتفـكر فيه العبقرية النفاذة اللماحة تستدنى ما خلف النجم .

ويقولون : جرت العادة أن نكرم العظماء بمثل هذا !! نعم جرت عادتكم ، وعاداتـكم وثنيات الجاهلية ، أو وثنيات الغرب . فتنكم شيطانه الأثيم . أفتحكمون فى دين الله عاداتكم ، ومحمد ليس كعظمائكم يا قوم ، بل هو فوقهم وأسمى وأجل ، إنه رسـول عظيم ختم الله به الرسالات والرسل جميعاً ، والله كرمه بإيجاب طاعته وبالصلاة عليه حياً وميتا ، فلنقف عند ما أمر الله ، فهو يحب رسوله أكثر مما نحب ، أستغفر الله من كلمة « أكثر » فمـا ينسب حب الله إلى حبنا نحن ، ولا يقاس أبداً حبنا إلى حبه . والله أحكم وأعلم .

مظاهر الاحتفال بالمولد : لم يبق لمحمد صلى الله عليه وسلم عند هؤلاء إلا مالا يحبه محمد وإلا مالا يرضاه رب محمد ، ولم يبق من أثارة تمجيد لمحمد ، أو شية من تـكريم له فى قلوب هؤلاء وعملهم سوى ما يأفـكون به من مظاهر وثنية نذكر بعضها :

أولا : فى كل ربيع تصنع أصنام من الحلوى باسمه !! إنـ مَنْ حَطَّمَ الوثنية فى شتي صورها ، ومتباين مظاهرها ، وأذل طواغيتها ، ودمر أصنامها ، يحتفى الزاعمون حبه واتباعه بذكراه بأوثان من الحلوى يلعقها الذباب ، ثم يعافها من كثرة ما سلح وبال عليها ، ومن عجب يسمونها بمثل هذه الأسماء « عروسة المولد ، حصان المولد ، كلب المولد ، قرد المولد » أرأيت ما يقرنونه بمولد نبيهم كما يأفـكون ؟؟ ولو أن هذه الأوثان ، لو أن هذه العرائس الصماء ، لو أن هذه الدمى التي تصور الغرائز مجنونة النزوات ، والأخلاق آبقة من الدين

وسلطان الضمير ـ أقول : لو أن كل هذا أنفق ثمنه فى سبيل البائس المحروم ، أو اليتيم المظلوم فى سبيل إعـلاء كلمة الله ، فى سبيل بناء دور للعلم ، مشاف لعلاج المرضى ، فى سبيل تسليح الجيش يدفع عن الوطن غوائل العدو !! فى سبيل الفقير يكاد يسلمه الجوع إلى الشيوعية الهدامة لكل معانى القيم الشريفة العالية ، فى هذا الشهر وأمثاله من كل عام يأكل الذباب آلافا تتأبى على العد من الجنيهات ، أفهذا خير أم ذاك ؟! إن الحياة الاجتماعية فى مصر تنهار إن لم تكن قد تناهى انهيارها ، لأن الحياة الدينية الحقة لا وجود لها ، وتلك مرتبطة بهذه ارتباطاً وثيقا ، فعندى ـ بل عند الحق ـ أن كل معانى الحياة ومقوماتها ، وقيمها يجب أن تتبع من الدين . الأخلاق الفردية ، الأخلاق الاجتماعية ، غاية الفرد ، غاية الجماعة ، الأوضاع الاقتصادية ، المثل العليا للفكر والوجود ، القيم الأخلاقية ، والجمالية ، والفكرية والوجودية ، كل هذه وتلك يجب أن تشع من الدين ، وتستهدف هدفاً واحداً ، هو صلاح الإنسانية حتى تستطيع المثول والنهوض صافية مشرقة بين يدى الله . تؤدى له ما أمرها به لخيرها من صلاح و إصلاح وخير و بر ، وفضيـلة وطاعة ، وهو بالرضى يغمرها ، و بالعناية يسدد خطاها ، و بالرعاية يكلأ أيامها ، فيكون رب واحد و إمام واحد وسبيـل واحد وأمة واحدة ، والله راض والأمة سعيدة برضاه ، فلماذا لا نقيم بثمن هذه الأوثان ـ وقد تطهرنا من شوائب الوثنية ـ ما يعين الداعين إلى الله لتقويم الحيـاة الدينية والاجتماعية ، فلنسخر هذه النقود فى نشر الرحمة والعطف ، وتأسية جراحات القلوب، وصد غائلة الأساطير الهدامة لعقيدة الشعب وأخلاقه ، بهذا نطهر عقيدة المسلمين ، ونندى بالحنو الرقيق غليل عواطف القلوب ، فما دام المسلمون ير بطون مولد رسولهم بالوثنية فلن يقوم لهم بناء ، ولن يرضى عنهم رب الأرض والسماء ، وما دام المسلمون يعبدون البشر ، و يشركون برب البشر ، و يقدسون محمداً و يخلعون عليهم وآله من صفات الألوهية ، فلن يكون ثم صلاح ولا خير ولا إيمان ولا توحيد . لنفهم جيداً قول الله (٣٣ : ٢١ لقد كان لـكم فى رسول الله أسوة حسنة) فالاقتداء يكون بالرسول ، والأسوة بالرسول ، أما محمد فى بشريته ودواعيهـا فى الحياة فما أمرنا أن نقتدى بها ولا أن نتأسى .

المظهر الثانى . القصص والأناشيد : ويحتفـل المسلمون بالمولد بقراءة قصص وترتيل

أناشيد، يالتمجُّن الأخرق !! ليت القصص كان مبنياً على أسس من الصدق والحق من سيرة الرسول ، ولكن العجب الملثم بالعجب : أن ترى قصصهم هذه ، تنمنمها الأساطير ، وتزبرجها الخيالات ، ويهيم بها في شتى الضلالات وتيه الأباطيل صور وثنية الأنساب ، تبحث في قصصهم عن محمد البشرى فلا تجد ، وعن الرسول فتحار أين هو ؟! ولكنك واجد أحياناً إلهاً يسمونه محمدا ، أو فتى جميلا أنيقاً أزج الحواجب أكحل العينين متخنثاً ، يسمونه محمدا ، فالمناوى يقول عن محمد هذا « لولاه ما كان ملك الله منتظما ، ولولاه ما كان شمس ولا قمر ولا دنيا ولا أخرى »ويصف محمده بأن «حواجبه نونية»إلى مثل تلك الصفات المخنثة ... إنك واجد فى قصصهم صفاتٍ ما لمحمد الرسول بها صلة ، وسجايا ليس للنبى الكريم بها نسب ، وأخلاقا ، إنما هى سمات إله متجسد فى صورة بشر ، أو أنثى تردت كساء رجل ، ويا للعهد الفاسق يتنزى من أناشيدهم ، هذا نشيد يتغزل في «حاجب » محمد ، وذاك فى « بطنه » ذات الثنايا ، وذاك فى ظَلْم الشيَم الحلو المذاق ، وذاك في وجنتيه اللتين تتلهف عليهما شهوات القبل العربيدة ، وذاك فى وصاله الذى هفا تحت الليل وغلائل السحر يدعوه إليه ، صيغَ كل هذا فى كلمات تجرح الحياء ، وتدمى الفضيلة ، وتؤذى العفّة ، وتثخن بالجراح التصون ، [1] وينشد هذا بصوت توهجت فيه غلة الشهوة الفاجرة ، وعربدت فيه نشوة الغريزة الآثمة ، وتناوحت فيه الآثام أغرتها ظلمة الليل ، ويذاع كل هذا على الملأ من محطات الإذاعة ، وينشد فى المحاريب، وتبدأ به وتختم صلوات الفجرمن ربيع ومن رمضان أرأيت أية مكانة لمحمد عند أمة زعمت أنها أمته ؟!! يعيبون على غواني الإثم صرخاتهن إليهم بالهوى والفتون ، ولايعيبون على أولئك الذين يلحدون فى أسماء الله ،ويفجرون باسم محمد ، لئن غنت فاجرة ، فستثير نزوة ، وإن غنى فاجر باسم محمد فماذا ما يكون ؟؟! عقيدة تطيح ، وقدسية تهوي ، وفضيلة تذبح ، وفوق ذلك رسول كريم يستهزأ به ويسخر منه ، كثيراً ما نقد الناقدون أغانى الإثم ، وما سمعت من ينقد تلك التى يسمونها قصة المولد النبوى تذاع على الملأ من محطة الإذاعة ، ومن المساجد ، وفى تلك القصة بأناشيدها وما فيها من الأساطير ، والغى والإثم والتحلل من كل معانى الدين والتدين ، عجباً ! نغار على الفضيلة

(١) لم نر داعياً للاستشهاد،فما أكثر مالهم من أناشيد ، وكل قارىء لابد سمع يوما هذا .

كما نزعم من أغانى الفواجر ، ولا نغار على الدين ورسوله من أناشيد الفجرة الملحدين !!

احتفال الحكومات : وتأبى الحكومات المتعاقبة[١] إلا أن تعين على آثام هذه البدعة النكراء ، وتصلح من سلطان الوثنية ، لأنها تتملق الجماهير ، لا يهمها غير سمع الهتاف ، وعلماؤنا - يارب ماذا أقول ؟!؟ راضون ناعمون نشاوى قلوبهم ...

أقول : كل ربيع تقيم الحكومة فيما يسمونها ساحة المولد محفلا كبيراً يهرع إليه سدنة الطواغيت ، وعباد الأصنام من الصوفية ، فيقيمون ثم السرادقات ، وينحرون فيها الذبائح باسم محمدهم ، ويقدمون الطعام باسم محمدهم ، والشراب باسم محمدهم ، ويشهد الله الذى حرم السحت ، من أين جاءوا بذلك السحت الذى يسحت الايمان . ولا تدرى أنت أية أعراض انتهكت فى سبيله ، ولا أية فضائل جُرِّحت ابتغاء جمعه ، إن الصوفية يجمعون ذلك السحت أحياناً باسم محمدهم ، أو سيدهم ، أو دسوقيهم ، أو رفاعيهم من أتباعهم المساكين «الغلابة» والدرويش الغلبان ، قد يبيع قوت أبنائه ، وثيابه ، وما يستر عورة امرأته ، حتى يؤدى لشيخه عوائده .

وفى هذه الساحات والباحات تقوم سوق التسوق ، ويدعو إليها شياطين الجن والإنس كل حزبهم الأخسرين ، وتقذف المدينة والريف بفساقه وعرابيده ، وهناك تحت أروقة الليل ترى الباغين والبغايا ، والمحششين والمحششات ، وينتهكون كل حرمة ، ويجترحون كل إثم ، كل ذلك الإثم الداعر فى حب ... فى حب « صاحب المولد » !!

على قارعة الطريق يفجؤك الاثم فى صولاته ، وصوب عينيك الفسوق ينزو فى خمرته ، فإذا ناديت أو دعوت ، ضاع صوتك فى ضجة صخب الشهوات المجنونة ، ثم يعود الفساق العرابيد ، يطعمون ويشربون من سرادقات « الشيوخ الكبار » طعام وشراب صاحب المولد ، فيستعينون بالطعام وبالشراب على معاودة ما كانوا فيه !!

عذراً قارئى العزيز ، إذا أثرتُ نفسك ، أو لمست بالخدش رقيق حيائك ، فإنما يجب بيان حقيقة الداء ، حتى يعرف على حقيقته وينفع له الدواء .

---

(١) كل الحكومات غرقت حتى أذنيها فى تلك الضلالة الوثنية ، فما برئت من داء ذلك إلا الحكومة العربية السعودية .

ثم يا ويل العفاف، ويارحمتي للفضيلة الأسيانة، وللدين! كم ذا يستغيث من الليلة الكبري للمولد!!... بأصوات النيازك تختلط أصوات الإثم تلعقه الشفاه، وكأنما أنت فى مكان تتكشف فيه الحيوانية عن أحط غرائزها..

وثم فى ناحية أخرى يقوم شيخ وخطه الشيب، وعلى جبينه تجاعيد الزمن، يقوم يَنْأَدُ به حطامه الفانى، ليتلو مايسمى قصة المولد فى حضرة «الأكابر» وينصت الأكابر الذين لا ينصتون للقرآن، وتقشعر جلودهم، وتهيم مشافرهم بالصلاة على نبيهم، إذا «ولَّدوا» نبيهم هبوا وقوفا إجلالا للمولود الجديد وللقابلة، وأطلقوا البخور تحية «لِعُمَّارِ» المكان، حتى لا يؤذوا الوليد الجديد، وتنطلق حناجرهم - وقلوبهم آثمة - بالصلاة على نبيهم صلاة لا تعرف لها حرفا من جَرْف، ثم.. ثم ماذا؟! يدخلون ويشعبذون أن ربهم فى هذه اللاحظة التى «ولَّدوا» فيها محمدهم من جديد يستجيب الدعاء! واحَرَّ قلباه!!...

حتى على الله ذى الجلال يكذبون!!

وهكذا «يوَلِّدون» آلاف المحمدات فى كل عام ثم يميتونهم، حتى يجىء ربيع مرة أخرى!! كنت أحسب الحكومة تحتفل بميلاد محمد - ولنفرض أنه جائز - فتحارب ما كان يحارب رسول الله، وتحيي ما كان يحيي: فتحارب المنكر وتهدم المواخير، وتحطم أصنام الجاهلية، وتحيي علم رسالته وعقيدته الصادقة فى إيمانه بربه، وحكمه الصالح بما أنزل عليه ربه، ولكن الحكومة تحتفل بالميلاد، فتعين على بدعة وثنية، وآثام تهلك أوزارها الدين والفضيلة والحياء، تحتفل الحكومة بالميلاد والاحتفال به شر بدعة منيت بها الأمة، وبهذه الصور الماجنة المسرفة في المجون... فى العقيدة ياحكومات المسلمين خلل وفساد، فأصلحيه بسلطان من دين الله الحق وهداه، يشرق من القرآن ويرف نوره من السنة، وفى الأخلاق عوج أعوج، فقوميه بالأخلاق الإسلامية الصافية.

الوثنية مستعلنة مستعلية الكلمة، والفجور يتلظى شواظُه قوى السلطان، والمنكر البغيض الكالح يستذل تحت نعليه المعروف، والبدع تجتاح نارها كل مكان. والأساطير

والخرافات ! و ... و ... وأشياء كثيرة . كل ذلك يجب أن يوجه إليه الجهد ... ياعجباً ! ! أفعلنا كل شيء لمحمد « ص » حتى لم يبق إلا الاحتفال بمولده فنقيمه !!! ... الاحتفال يكون لرسالة محمد ، وهداية محمد ، وسنة محمد ، بالكتاب الذى نزل على محمد ، فهل حفلنا بالدين ؟ أحفلنا بالقرآن ، أم تلوكه الأشداق فى المآتم ، وعلى القبور تشترى به «القرص» وعلى الطريق « يُشْحَت » به المليم ؟ أحفلنا بالسنة ؟ أم مازلنا نجافى الصادق ـ وكلها صدق ـ منها ، ونحتفى بالموضوع المكذوب مما دسّه أعداء الله ! ! . .

يجب أن نحتفى بالدين نقيمه ، ونطهر عقائد المسلمين من وثنيات الجاهليه . أما أن نحتفى بالإثم ، ونحتفل فى مولد الرسول بالوثنية ، ونقيم لذكرى المولد حفلا شِرْكيًا فاسقا ، فذلك يبين أننا أمة مازالت فى الأغوار البعيدة من نفسها وسوسة الوثنية الأولى ورثناها من آلاف الأحقاب ! فهى تتحين كل فرصة لتستعلن وتستعلى ؛ ودليلنا على ذلك : أننا نرى أن كل واجب ديني مهجور ، وأن كل بدعة شريرة يُحتفى بها و يذاد عنها ، و يستميت علماء كبار فى سبيل الدفاع عنها

كلمة خاتمة : ترى هل نجد من حكومتنا عونا ، ومن علمائنا شد أزر ، ومن المتعلمين فهما ، ومن المقلدين فرارا من التقليد الأعمى وتصديقا للحق ؟ ! ليس الاحتفال وحده بدعة ، فهناك مئات البدع لوثت عقول المسلمين واعتقادهم ، لأن الوثنية متأصلة ، تمتد شعاب جذورها فى الأعماق ، فلنستأصل شأفتها من القلوب والعقول ، وذلك لن يكون إلا بإعلاء كلمة القرآن تبينه السنة الصحيحة ، وقد استعرضنا فيما كتبناه مظاهر الاحتفالات بالمولد ، وكلها أمشاج من الإثم والوثنية الأولى ، ودللنا على أن الاحتفال بالمولد نفسه بدعة سيئة ممقوتة ، وكل بدعة ضلالة ، فنسأل الله أن يعيننا على قول الحق نبتغي به وجهه ، وأن يهدينا والأمة إلى سواء السبيل .

عبد الرحمن الوكيل

الوكيل الأول لجماعة أنصار السنة المحمدية

موقعة الجمل

حين ثارت (موقعة الجمل) بين المفتيَيْن السابق واللاحق ، قابلت الأخ العلامة الشيخ محمود شلتوت ، أحد جماعة كبار العلماء ، وأحد أعضاء لجنة الفتوى فى الأزهر ، وهو من يعرف العالم الإسلامى له فضله وشجاعته فى قول الحق ، وعتبتُ عليه أن لم يتحدث هو ولا لجنة الفتوى فى وضع الحق موضعه ، والفصل بين الرأيين أيهما الصحيح : رأى المفتى السابق أن هذا المحمل بدعة فى الدين ، لايجوز إقرارها ، وأن طواف (الجمل) سبع مرات وتقبيل مقوده حرام منكر . ورأى المفتى اللاحق بإباحة ذلك ، وأنه بدعة « حسنة » ! وحدثته بأن الناس ستتفرق بهم الآراء بين رأيين لعالمين معروفين ، كان كل منهما فى منصب الإفتاء الرسمى للدولة . وأن الفصل بين الحق والباطل إنما يكون بكلمة صريحة حازمة من أكبر هيئة علمية إسلامية فى مصر ، جماعة كبار العلماء ، أو لجنة الفتوى بالأزهر . فقبل منّى هذا العتب ووعد ثم أوفى : فتحدَّث إلى العالَم عن طريق محطة الإذاعة المصرية مساء يوم الثلاثاء ٢١ ذى الحجة سنة ١٣٦٩ (٣ أكتوبر سنة ١٩٥٠) حديثاً شاملاً ، وعرضَ فيه لبدعة (المحمل) هذه بكلمة قيمة فاصلة . فطلبت منه أن يرسل لى نصَّها ، وأن يأذن بنشره فى مجلة (الهدى النبوى) تماماً للبحث ، وختاماً له عظيماً ، بعد أن كتب أخي الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل ، وكيل جماعة أنصار السنة المحمدية ، كلمته الجيدة ، التى نشرناها في العدد الأول من المجلد الخامس عشر (محرم سنة ١٣٧٠) ، فأرسلها لى ، وأذن ـ حفظه الله ـ بنشرها . وها هى ذي كلمته :

خلق الله الملائكة وفضَّل بعضَها على بعضٍ : جعل منها مهابط الوحى ، ومنها منابت الذكرى . ومنها مثابة التقديس والعبادة وخصَّ من ذلك المسجد الحرام ، والمسجد النبوى ، والمسجد الأقصى . وجعل أولها أفضلها : (إن أول بيت وضع للناس لَلّذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بيّنات مقام إبرهيم ، ومن دخله كان آمناً ، ولله على الناس

٤٩

حج البيت من استطاع إليه سبيلا[1]) . فضّله بجملة من وجوه التفضيل لم تجتمع لغيره من أماكن العبادة والتقديس ، فجعل زيارته ركناً من أركان الدين ، وطلب الطواف به ، وجعله ركناً من أركان الحج ، ولم يشرع الطواف لشيء سواه ، وصار معلوماً بيناً من الدين أنه لايجوز الطواف حول مسجد أو بيت سوى الكعبة . فالطواف حول الأضرحة ومقاصير الأولياء ، وأعمدة بعض المساجد والصارى الذى ينصب فى الموالد : ابتداع فى الدين ، وشيء لم يأذن به الله .

ومنه الطواف فى الدائرة التى ترسم للمحمل ، فيطوف بها جمل المحمل سبع مرات ، وهى المعروفة بالدورات السبع ، وقد اقترحت مضاهاة لطواف الحجاج ببيت الله الحرام .

وقد نص الفقهاء على أن التشبه بالواقفين بعرفات فى مكان غير عرفات مخترع فى الدين قالوا : إن الوقوف إنما عُهد قربةً بمكان مخصوص ، فلا يجوز فعله فى غيره ، كما لايجوز الطواف فى غير الكعبة وكما خَصَّ بيته الحرام بالطواف ، وخصَّ عرفات بالوقوف . وحرمهما فى غيرهما ، خصه بتقبيل بعض أجزائه ، وهو الحجر الأسود ، وجعله عبادة خاصة فى هذا المكان .

فمن قبل الأحجار والقبور ، والجدران والستور ، ولو كانت أحجار الكعبة أو القبر الشريف ، أو جدار حجرته أو ستورها ، أو صخرة بيت المقدس : فقد خرج عن هذا التشريع ، وابتدع فى الدين ماليس منه ، فإن التقبيل والاستلام ، ولو بالإشارة ونحوها ، تعظيم ، والتعظيم خاص بالله ، فلا يجوز إلا فيما أذن فيه .

ومن ذلك مايقع فى حفلة المحمل ، التى أحدثتها شجرة الدر ، من تقبيل مقود الجمل ، واستلام الجمل بالإشارة لمن لم يقدر على لمسه ، تبركاً بهما ، وتشبهاً باستلام الحجر الأسود وتقبيله .

* * *

هذه كلمة العلامة الشيخ محمود شلتوت ، وهى فى هذا قول فصل ، وأنا أرى أنها تمثل رأى جماعة كبار العلماء ، ورأى لجنة الفتوى ، بل ما أظنه أذاعها إلا بهذه الصفة وهذا المعنى .

أحمد محمد شاكر

---

(١) الآيتان ٩٦ ، ٩٧ من سورة آل عمران .

داء الشيوعية ودواؤه

للأستاذ العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي
دكتور في الفلسفة من جامعة برلين

سمعت محاورة في إذاعة لندن بالعربية في هذا المعنى ، جرت بين جماعة ، منهم : الدكتور علي عبد القادر ، والأستاذ إدورد عطيه وآخرين . . . نسيت أسماءهم ، وكانت هذه المحاورة جوابا عن سؤال وهو : بأي شيء نعالج داء الشيوعية ؟ وهل يكون نظام الزكاة التي جاء بها الإسلام دواء ناجعاً لهذا الداء ؟ ... قال الدكتور علي عبد القادر : إن نظام الزكاة هو جزء من علاج هذا الداء ، وليس هو كل العلاج ... ثم استطرد فقال : إن الزكاة فرضت في الإسلام وعينت مقاديرها على سبيل الأنموذج ، ولم يقصد بها التحديد الدائم في كل زمان ومكان ، وقد أخطأ الفقهاء في جمهورهم على ذلك التحديد ، ولم يفهموا مقصود الشارع فلو أخذنا بهذا النظام على المعنى الأوسع ، بدون تقييد للمقادير المأخوذة ، لكان نافعاً ... ومما قاله الأستاذ إدورد عطيه : إن الشيوعية قد أصبحت ديناً وعقيدة ، وملأت نفوس أهلها فتفانوا فيها ، وتحمسوا لها ، فلا بد أن تكون للأمم التي تناضلها عقيدة ودين يملأ نفوسهم ويتحمسون له ، ولا يكفي العلاج الاقتصادي فقط ... هذا معنى ما قال : هذان المتحاوران ، وكلاهما متفق يكمل بعضه بعضاً ، ولكني أريد أن أعلق على كلام الدكتور علي عبد القادر تعليقاً فيه تتمة و إصلاح حسب ما أعتقد فأقول لقد صدق في قوله : إن إعطاء الزكاة وحده لايكفي لمناهضة الشيوعية ، ولكنه لم يبين بقية أجزاء العلاج وسأجتهد أن أبينها هنا ثم أرد قوله : إن الشارع لم يقصد التحديد في الزكاة بنص الشارع نفسه فأقول : إن الإسلام جاء بفرض الزكاة في الذهب والفضة ، أي وما في معناهما كالأوراق التي تنوب عنهما ، وفي ماتخرجه الأرض من الحبوب والثمار كما في قوله تعالى (وآتوا حقه يوم حصاده) وفي قوله تعالى (أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض) .

وقد استنبط الفقهاء الزكاة فى قيم أموال التجارة ، وجاء بفرض زكاة الفطر وكفارة اليمين وكفارة الجماع فى نهار رمضان ، وكفارة الظهار ، وكفارة القتل خطأ ، وأوجب على صاحب المواشى والدواب ، وفى معناها السيارات والطائرات وللراكب فى هذا الزمان ، ألا ينسى حق الله فى ظهورها ، وهذا وإن لم يفهم الفقهاء منه الوجوب ، فعبارة الحديث تدل على وجوبه ، وأوجب الضيافة لكل مسلم يمر بمسلم ، وأباح للمار أن يأكل بلا إذن من الثمرات فى الحدائق والجنات حتى يشبع غير متخذ خبنة ، وينهى عن قطع يد السارق فى المجاعة وفى غير الحرز كالثمر المعلق فى أشجاره ، وجعل للمستحقين نصيباً من بيت المال يعطيهم الإمام إياه على حسب اجتهاده ، وعلى حسب حاجتهم ، وحثّ أهله على التبرع بالمال لمن أصابته مصيبة أهلكت ماله ، وحرم الربا وأوجب أن يكون القرض لله خالصاً ، وأوجب فى الركاز وهو ماوجد من مدفونات أهل الجاهلية من الكنوز التى لا مالك لها ، وفى المعادن الخمس ، وأوجب الجزية على أهل الذمة ، وأوجب الخمس فى الغنائم فى الجهاد ، فإذا نفذت هذه الشرائع كلها ، كان ذلك سداداً لجانب كبير من عوز المعوزين ، وأمر قبل إعطاء هذه الحقوق بإقامة العدل بين الناس فى جميع الحقوق والواجبات ، وهو الأساس فى جميع أنواع الإصلاح ، ولا تصلح حال أمة بدونه سواء أكانت مسلمة أم كافرة ، فمتى أقيم العدل وأعطيت هذه الحقوق ، فقد عولجت المسألة من الجهة الاقتصادية والاجتماعية ، وتبقى معالجتها من الوجهة الاعتقادية النفسية ، وقبل أن أتكلم فيها أريد أن أخبر الدكتور على عبد القادر أن ادعاءه هو وجماعة من الذين يتكلمون فى شريعة الإسلام قبل أن يدرسوها ويقولون على الله مالا يعلمون ، إن نظام الزكاة حدده الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأجمع عليه الصحابة اعتقاداً وتنفيذاً ، وتبعتهم خلفاء الاسلام ودوله ، فنالوا بذلك السعادة الكبرى ولا يجوز لأحد أن يغير هذا النظام فيكون لعبة فى أيدى البشر ، يزيدون فيه وينقصون قال الله تعالى مخاطباً رسوله صلى الله عليه وسلم (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)

فقوله تطهرهم بها أى من دنس البخل وداءه ، وأى داء أدوأ من البخل ؟ وقوله :

وتزكيهم أى تنمى أخلاقهم وحسناتهم وأموالهم ، وقوله : سكن لهم ، أى رحمة وطمأنينة لنفوسهم ، فإعطاء الزكاة مع ترك تعاطى الربا وأداء الواجبات المالية الأخرى ، والميل إلى كثرة صدقة التطوع يفيض الطمأنينة على نفوس الناس ، فلا يخشون الشيوعية ولا غيرها وفى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن : «إنك تأتى قوماً أهل كتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فإن هم طاعوك لذلك فأخبرهم ن الله قد افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها و بين الله حجاب»

وهذا الحديث أخرجه البخارى ومسلم عن ابن عباس ، وكان بعث معاذ إلى اليمن فى السنة العاشرة من الهجرة قبل حج النبى صلى الله عليه وسلم ، وقوله : فإياك وكرائم أموالهم يعنى لا تأخذ منهم خير أموالهم ولا شرار أموالهم ، بل خذ من الوسط ، فإن أخذ خيار أموالهم كفحل الغنم وفحل الإبل والحبوب التى يحفظونها للبذر وأجود التمر يبغض إليهم الزكاة ، ويوغر صدورهم ، والأخذ من شرار الأموال تضييع لحق الفقراء الذى هو حق الله واستهانة بهذا الفرض العظيم ، وخير الأمور الوسط ، وقوله واتق دعوة المظلوم ، يعني لا تأخذ أكثر من الواجب ، فإن أخذت أكثر مما هو مفروض كان ذلك ظلماً ، فإذا دعا عليك المظلوم يوشك أن يستجيب الله دعاءه فيك فيصيبك بعذاب ، فقوله تعالى : خذ من أموالهم مع قوله : وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم أى بأقوالك وأفعالك وتقريرك وتروكك وقوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ واتق دعوة المظلوم ، وحديث أبى بكر المبين لمقدار مافرض الله من الزكاة .

كل ذلك يبطل ما ادعاه الدكتور على عبد القادر ، وقد أفاض فيه كثير من كتاب العصر بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير

وأما تقوية الايمان فى نفوس الناس ، الذى يبعثهم على بذل الأموال والأنفس فى سبيل الله ويهون عليهم شدائد هذه الحياة الدنيا ، ويجعلهم يتنافسون ويسارعون فى الخيرات

أكثر من الشيوعيين ، ومن أصحاب رءوس الأموال المرابين ، ومن الفاشستيين والنازيين وغيرهم ، فهذا له سبيل واحدة ، وهي تعليم الصغار والكبار القرآن والحديث ، وغرس معانيهما في نفوسهم ، وإبعادهم عن دروس أهل الإلحاد والتعطيل ، فإن لم يمكن فتنظيف نفوسهم بمعين القرآن والحديث الصافي كل ماعلق بها من دنس من دروس المتهوكين وشيوخهم الضالين ، وليس إلى ذلك سبيل أخرى أبداً

هذا ماظهر لي إملاءه في هذه العجالة ، ولكتاب هذه المجلة الباع الطويل ، والمرجو منهم أن يزيدوا هذه المسألة وضوحاً وجلاء ، ولا يخفى أنها من أهم المسائل ..

الدكتور

تقي الدين الهلالي

محمد بن عبد الوهاب ـ ٢

عودته : بعد هذه الرحلات التى أبعد فيها النجعة ، ولقى كثيراً من العلماء ، عاد إلى بلده ، وقد تغير رأيه فى الكتب والعلماء : رأى أن الكتب ليست بريئة من الخطأ ، وأن طالب العلم لاينبغى أن يقرأها على علاتها ، وعلى أنها صواب خالص لايشوبه خطأ ، بل عليه أن يدرسها دراسة تحقيق وتمحيص ليميز الحق من الباطل ، والصواب من الخطأ ، فيأخذ الحق ويترك الباطل ، وينتفع بما فيها من الصواب ويرد مابها من الخطأ ، ورأى أن العلماء لا ينبغى أن تؤخذ أقوالهم كلها بالرضا والقبول والتسليم ، فليست أقوالهم كلها صوابا ، بل منها الصواب ومنها الخطأ ، وليست آراؤهم كلها أصيلة سديدة ، بل منها السديد والخطل ، ومنها الأصيل والفائل ، وليس تفكيرهم كله سليما مستقيما ، بل فيه السليم والمريض ، والمستقيم والملتوى ، ورأى أن هناك مقياسا قِسْطا تقاس به هذه الأقوال والآراء ، فما كان منها موافقا لهذا المقياس كان حقا ، وما كان مخالفا له كان باطلا ، وهذا المقياس هو كتاب الله ، والصحيح من سنة رسوله فى الأمور الدينية من عبادات وعقائد ومعاملات على ميزان العقل السليم والتجربة الصحيحة فى الأمور العقلية والتجريبية .

عكوفه : عكف فى داره بعد عودته ثمانية أشهر يدير هذه الآراء فى ذهنه ، ويهضم مادرس من العلوم والمعارف بعد التحقيق والتمحيص ، حتى نضجت آراؤه ، واستبان له الحق فخرج يدعو إليه .

أثر القرآن فى نفسه : ألمعنا فيما سلف إلى أن التضلع من كلام العرب ، ومناحى بلاغتها فى جاهليتها و إسلامها ، من منظومها ومنثورها ، وخطبها وحكمها وأمثالها ــ ييسر للإنسان تدبر القرآن وفهمه ، و إدراك أسراره ومراميه ، واستنباط حكمه وأحكامه . وقد أحرز ــ رحمه الله ــ قسطا موفوراً من العلوم العربية واللسانية يسر له أن يتدبر القرآن حق تدبره ،

وأن يفهمه حق فهمه ، وأن يقف على حقيقــة دعوته ، ويوازن بينها و بين ما عليه مسلمو عصره فى جميع الأقطار التى جابها ، والبلاد التى زارها .

وجد القرآن يقول فى صراحة ووضوح وجلاء : (١٨ : ٧٢ وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) .

وفى هذا نهى صريح لا يحتمل تأويلا ولا تخريجا عن بناء المساجد على القبور ، لأن ذلك ينتهى حتما ـ كما تشير الآية ـ إلى دعاء غير الله تعالى .

ووجده يقول فى صراحة الناصح المحذِّر الرحيم : (٦ : ٤٦ ومن أضلُّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة . وهم عن دعائهم غافلون ، و إذا حشر النــاس كانوا لهم أعداء ، وكانوا بعبادتهم كافرين ؟) .

وهذا يدل دلالة بينة واضحة لا لبس فيها ولا غموض على أن أشد الناس ضلالا : هم الذين يدعون من لايسمع دعاءهم ، ولا يقدر على الاستجابة لهم . و إذا جاء يوم القيامة كان لهم عدوا مبينا ، وأنــكر عبادتهم وكفر بها .

ووجده يقول : (١٣:١٤ له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كَفَّيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه ، وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال) ففهم من ذلك : أن الدعوة التى توجه إلى الله تعالى هى دعوة الحق التى تسمع وتستجاب ، وأن الدعوة التى توجه إلى غيره باطلة لاسميع لها ولا مجيب .

وسمع بعض المتصوفة يدعون شيوخهم من مكان بعيد يسألونهم الإمداد والعون ، و يرجون منهم ما لا يرجى إلا من رب العالمين . وسمع بعض غير المتصوفة يدعون الموتى الذين قضيت إليهم آجالهم وانطوت عليهم جوانح القبور ، وهم يعتقدون أنهم يسمعون دعاءهم ، و يقدرون على الاستجابة لهم ، وتحقيق رجائهم . ثم وازن بين دعوة القرآن وأقوال الناس وأفعالهم ، فوجد القرآن فى وادٍ ، وأقوال الناس وأعمالهم فى وادٍ آخر القرآن ينهى عن دعاء غير الله ، و يصف المخالفين بالضلال والشرك والـكفر ، والناس يدعون غير الله ، و يعدون هذا الدعاء تدينا وصلاحا وتقوى ، و يرمون من ينهى عنه بالزندقة والإلحاد ورقة الدين .

ثم وجد القرآن يخبر عن المشركين بأنهم كانوا فى أشد أوقات الضيق والحرج ينسون آلهتهم ، ويدعون الله مخلصين له الدين فى مثل قوله تعالى : (٣٢ : ٣١ وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) وقوله تعالى : (٦٥ : ٢٩ فإذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) ووجد بعض المسلمين إذا حزبهم أمر ، أو انتابتهم شدة ، أو غشيهم كرب : نسوا رب العالمين ، ودعوا الموتى : يسألونهم تفريج كروبهم ، وكشف ضرهم ، وإنقاذهم مما أصابهم من البلاء ، إذ مسهم من الضراء .

ووازن كذلك بين إخبار القرآن عن المشركين ، وعمل المسلمين ، فتبين له من هذه الموازنة : أن فريقا من المسلمين قد تورطوا فى لون من الشرك هو شر من شرك المشركين الأولين .

(يتبع) أبو الوفاء محمد درويش

الداء والدواء

الغرائز ـ ١٠

غريزة الضحـــــك

كل الغرائز التي أسلفنا الكلام عنها وأشبعنا القول فيها لم يختص بها الإنسان وحده. بل كان يشترك معه فيها الحيوان ، أما غريزة الضحك فهى من خصائص هذا الحيوان الناطق الذي كرمه ربه وجعله سيدا على هذا الكوكب بما أودعه فيه من خصائص ومزايا قلّ أن يلتفت إليها أو يعترف بعظم فضل الله عليه فيها . وقد يترجم بعض أفراد الحيوان الراقى عن سروره بما يشبه الضحك ، ولكنه فى الواقع لا يجارى الإنسان فى هذه الغريزة ولا يزاحمه فى آثارها والإفادة من مزاياها .

والانفعال الكامن وراء هذه الغريزة والذى يحركها من وراء ستار : هو انفعال « التسلية » ، فالأصل أن الآدمى حين يضحك إنما تدفعه إلى ذلك الرغبة فى أن يسرى عن نفسه ويجلب لها المتعة والرفاهية . فهو يرمى إلى ما يرمى إليه بقصد اللعب ، ولكن الضحك يلعب دورا هاما فى المجتمع الذى نعيش فيه ويهدف إلى غايات تختلف باختلاف البواعث ، وإن من الضحك لما يرتفع بصاحبه إلى أعلى عليين ، وإن منه لما يهبط به إلى أسفل سافلين وفقا للنفس التى ينبع منها . فقد قلنا إن الغرائز تميل إلى الشر تارة وإلى الخير تارة أخرى حسبما يوجهها المرء ، ولكنها فى نفسها ليست خيرا وليست شرا .

والشر كل الشر فى غريزة الضحك أن تنحرف بها عن الصراط السوى بطرا واستعلاء أو لؤما وخداعا

ولست بسبيل تعداد أنواع هذه الانحرافات التي تجعل من الضحك شرا و بيلا على صاحبه، ولكنني أضرب بعض الأمثال لكي يقاس عليها وأرسم الخطة المحكمة التي ينبغي احتذاؤها ثم أكشف عن موضع الضحك المتزن الخير من حياة وسلوك رسول الله عليه الصلوات والتسليمات لكي نزداد إيمانا بهذه الحقيقة المنيرة التي تشير في غير موار بة ولا إبهام إلى المثالية العليا والأسوة الرفيعة التي يجدها المسلم ماثلة في هذا الرسول الكريم واضحة المعالم، تشق أمامه الطريق وتسمو به فوق خضم الحياة وتأخذ بيده إلى الرفعة والكرامة .

قد تنحرف غريزة الضحك عن طريقها الصحيح وتشتط حتى تجاوز الحد فإذا بنا نجد أشخاصا ينم ضحكهم على السخرية والاستهزاء، أو الشماتة والتشفي أو الفراغ من جد الحياة وعدم الشعور بالمسئولية والاستهتار، أو الترفع على عباد الله والنظر إليهم نظر المتكبرين العتاة الجبابرة الذين تصغر قيم الناس في أعينهم ولا يلقون بالا إلى أحد إلا إلى أنفسهم الكريهة وذواتهم الممقوتة، ثم إذا بنا نجد في الجانب الآخر أناسا يدل ضحكهم الأصفر الباهت على حقد دفين ونفس مطبوعة على الشر وانطواء الأضلع والصدور على النوايا الفاسدة و إضمار الكيد ورسم خطط الأذى .

والضحك الذي هو وسط بين تجاوز الحدود والانحطاط عن المستوى إنما يكون ضحكا رشيدا لا ينجم عنه إلا الخير لصاحبه والخير للناس الذين يعاشرهم والرفاق الذين يصحبهم و يسايرهم . والضحك كذلك درجات . فهناك ضحك صاخب أنت تحكم على صاحبه بالرعونة والطيش وقلق النفس واضطراب الروح ، وهناك نوع فاتر ذابل ينبعث من جانب الفم دليلا على مرض النفس وتهيب الناس والانزواء عن المجتمع وعدم الرغبة في الضرب في زحمة الحياة ، وهناك ابتسامة هي إشراق الحياة في نفس الإنسان الموهوب وحلول السعادة في صدر المؤمن المطمئن الواثق .

وضحك رسول الله لم يكن ضحك سخرية ولا استهزاء ، وما أثر عنه أنه ضحك شامتا أو حاقدا وما عرف عنه أصحابه أن صوته قد علا بهذا الضحك الذي يدل على فراغ النفس وخلوها من التفكير والتأمل والاتزان والتعقل . إنما هي بسمة يفصح بها رسول الله — حين

تبدو نواجذه وتبدو ثناياه كحب الغمام - عن هذه السعادة التى تغمر نفسه وهذا الرضا الذى لايفارقه وهذا الترحيب بالحياة التى صنعتها يد الله الرحيم ، تلك الابتسامة التى يستنير لها وجهه وتنبسط أساريره يعلن بها عن حبه للناس وشجاعته فى مجابهة الحياة وصبره على أحكام الله ويكشف بها عن هذا الجلد وهذه العزيمة الماضية التى تستهين بكل ما يلاقى من نصب وما يلقى من أعداء أنفسهم من عنت - هى عنوان الفتوة والتفاؤل والاعتراف بحكمة الله فى خلق هذا الوجود على ما هو عليه من أحكام الصنع وجمال الخلق .

والرسول يشجع على الابتسامة فى الحياة فهى أكبر عزاء وأوثق صلة الناس وفى هذا المعنى يقول عليه الصلوات والتسليمات : « تبسمك فى وجه أخيك صدقة » - ويقول : « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق » .

والإسلام ينفر الناس من الفرحة التى تنم على البطر والعلو والاستكبار : (ولا تمش فى الأرض مرحا) - (ولا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) - « ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

فالابتسامة الإسلامية هى ابتسامة رضا واطمئنان نفس وتسليم لأحكام الله ، بعد أن يبذل المرء ما لديه من جهد و بعد أن يطلق ما عنده من قوى ، وهى ابتسامة صريحة تتكشف بها طبيعة النفس المؤمنة وما أودع فيها من حب الخير والرغبة فى إسعاد الناس . وقد عرف الناس فضل الابتسامة فى جلب المودة وتوثيق عرى الصداقة وتهدئة النفس الثائرة و إدخال العزاء إلى القلوب المكلومة والكسر من حدة الغضب .

والرجل الذى يعنّى نفسه بدراسة الابتسامة وتاريخ حياتها يجد لها مكانا مرموقا فى حياة رسول الله وأتباعه من المؤمنين ، وكأنما كتب لهذه الابتسامة أن تزدهر حياتها و يتسع أفقها فى هذه الحياة الإسلامية على يد رسول الله الذى أكدها قولا وعملا فى سلوكه مع أهله وعشيرته واتصاله بإخوانه من المؤمنين ، وكأنما كانت طابعا لهم يجرى منهم مجرى الدم و يتردد مع أنفاسهم . فابتسامة الرسول صلى الله عليه وسلم حين يؤذَى وابتسامته حين يطلع على الناس يرشدهم و يهديهم سواء الصراط ، وابتسامته حين يتعامل معهم و يتبادل معهم المنافع وابتسامته حين يزور مرضاهم و يعزى مصابهم وهكذا تتعدد ابتسامات رسول الله فى كل

موطن لا يلمح الناس فيها ابتسامة بلهاء ولا ابتسامة كيد وغدر ولا ابتسامة حقد وغل ولا ابتسامة فراغ وتبطل .

ونحن معشر المسلمين فى حاجة إلى هذه البسمة المشرقة الصافية التى تخفف عنا أعباء الحياة وصروف الزمن وتدفعنا إلى تحمل المسئوليات بعزم وانفساح صدر .

والآن يحلو لى أن أقدم إليك أيها الأخ المسلم منهاجا تسير عليه فى هذه الناحية حتى تكون أهلا للانتساب إلى رسولك الكريم والانتماء إلى دينه القويم :

١ ــ يقول المثل الصينى : « ينبغي للرجل الذى تفارقه الابتسامة ألا يفتح حانوتا » ويقول بعض الغربيين : « إن الابتسامة تعدل فى قيمتها مليون ريال من الناحية العملية » فواجب عليك أن تحرص على الابتسام فهو يقوى شخصيتك ويفتح لك مغاليق الأمور .

٢ ــ الابتسامة مفتاح سحرى ذو أثر فعال فى الحياة ورباط متين بين الناس فلا يفوتنك أن تستغلها فى جلب المودة ودفع المضرة .

٣ ــ الابتسامة الفاترة لا تؤدى إلى الغاية ، بل ينبغى أن تكون ابتسامتك ابتسامة مشرقة تترك أثرا فى النفوس ولا ينساها الناس إذ يفكرون فيك .

٤ ــ مارس الابتسامة فى كل صباح قبل أن تذهب إلى عملك ــ وإذا اقتضى الأمر أن تتطلع إلى المرآة لتشهد أثر هذه الابتسامة فى نفسك ومعالم وجهك فافعل .

٥ ــ جرب أن تبتسم فى كل مرة تتحدث فيها إلى الناس ، واعلم أن تقطيب الوجه سم زعاف يقتل النفس ويذهب بحيويتها .

٦ ــ اجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم دائما على بالك . واعلم أنه كان يبتسم ، فى العسر واليسر والمنشط والمكره والشدة والرخاء لا يصرفه صارف عن ابتسامته الحبيبة .

٧ ــ الحياة الدنيا جهاد ، والإنسان مخلوق فى كبد ولن يعينك على جهادك وتحمل أعبائك التى تفصح عن رضاك عن ربك وجميل تدبيره ، وخيرات نعمه التى تتوالى عليك إلا ابتسامتك المعسولة . التى تفصح عن رضاك عن ربك وجميل تدبيره ، وخيرات نعمه التى تتوالى عليك .

عبد الحليم محمد حمودة

مات صـــــادق

رحمه الله وغفر لنا وله

إنا لله و إنا إليه راجعون !

مات صادق !

مات صادق ، وكل نفس ذائقة الموت !

مات صادق ، فمات فى شخصه الـكريم ملأ من الموهوبين .

مات الرجل ، والمؤمن والتقى ، والديّان ، والصبّار ، والدءوب ، والمخلص ، والمضحى ، والعالم ، والمثقف ، والأديب ، والخطيب ، والمحاضر ، والـكاتب ، والشاعر .

مات كل أولئك يوم مات صادق ، وخلا مكان فى كل صف من صفوف أولئك الـكرام الموهوبين ، فأحسوا جميعاً فدح الخطب ، وشعروا جميعاً بثقل الـكارثة ، وذاقوا جميعاً مرارة النوى ، ولواعج الفراق . و بكى كل فريق مصيبته فيه ، ولوعته به ، بكى الرجال رجلا متزنا عزوما غيورًا تـكاملت فيه خصائص الرجال . و بكى المؤمنون مؤمنا وفر الإيمان فى قلبه فدفعه إلى النهوض بما فى وسعه من جلائل الأعمال . و بكى الأتقياء تقيا عف القلب والقلم واللسان ، يتقى الله حيثما كان . و بكى المجاهدون مجاهدًا كبيرًا لا يبالى ما ناله من الأذى فى سبيل نصرة الحق و إعلاء كلمة الله . و بكى الصابرون من صبر ابتغاء وجه الله على أفدح الخطوب ، وآلم الـكوارث ، يوم فقد من فلذات كبده شابا موفور الصحة والعافية ، تتفتح فى صدره أزهار الآمال ، وتلوح لعينيه بوارق الأمانى ، خرج من بيته أنضر ما يكون شبابا ، وأتم ما يكون صحة ، ثم لم يعد : فلم يدر أهو حى ترجى أو بته ، وتنتظر عودته ، أم ميت عصف به ريب المنون ؟! فما رؤى حزينا ولا متبرما ولا جزوعا ، بل كان صابرًا محتسبا ، خاضعاً لأحكام القدر ، راضياً بقضاء الله .

وبكى الخطباء خطيبا سلم إليه البيان زمامه ، فكانت قلوب المستمعين معلقة بشفتيه ، وطوع لسانه ، يضحكهم إن شاء ، ويبكيهم إن أراد ، ويسمو بهم حينا إلى آفاق روحية تفيض بالتقوى ، وتغمرها أنوار اليقين فينسون الدنيا وزينتها ، ويتمثلون دار الخلود فى قدسها وبهجتها ، ونعيمها ونضرتها . ويهبط بهم حينا إلى دنيا الناس ليكشف لهم عما فيها من متاع الغرور ، حتى يأخذوا بحظهم منها على هدى بصيرة وتقوى ، ويتخذوها سلما يرقون على درجاته إلى منازل الأبرار .

وبكي الكتاب فيه كاتبا لبقا أديبا يصور للجماعة الإسلامية داءها ، ويصف لها دواءها بعبارة تخلب اللب ، وتأسر القلب . وكان لقلمه عشاق ينتظرون شروق الهدى النبوى كما ينتظر المدلج الحائر شروق الشمس فى صبر نافذ ، وشوق لجوج . فلا تكاد طلعتها تلوح لأعينهم حتى يتخاطفوها باحثين عن مقال « صادق » فإذا ظفروا به قرت أعينهم ، وثلجت صدورهم ، وأرووا بعذب بيانه ظمأهم ، وأطفأوا بسلسبيله غليلهم ، وإن خاب أملهم فلم يجدوه ، أحسوا حسرة لاذعة ، ووجدوا ألما مريرًا .

وبكى الشعراء فيه شاعرًا عبقريا ملهما ، يغوص على أروع المعانى ويصوغها شعرًا يهز النفوس ، وسحرًا يلعب بالألباب .

ولن أنسى تلك الدرة الفريدة العصماء التى حيّا بها كتاب صيحة الحق يوم ظهور الطبعة الأولى منه ، والتى يقول فى مطلعها :

سمع المكابر صيحة الحق   فهوى صريعا فاقد النطق
ولقد أصيب غداة فاجأه   هذا الكتاب بقصة الخلق

* * *

ولقد أراد الله به الخير ، فثوى جسده فى التربة التى ضمت جثمان الرسول الكريم وصحبه الطاهرين .

فعزاء لأهله وذويه ، وعزاء لصحبه ومحبيه ، وعزاء لزملائه وعارفيه ، وعزاء لعشاق قلمه ، وطلاب درسه ، وعزاء لأنصار السنة أجمعين .

وأبتهل إلى الله أن يسبغ على جدثه شآبيب الرحمة ، ويلهمنا على فقده الصبر الجميل .

آه ! مات صادق . وكل نفس ذائقة الموت .
مات صادق !
فإنا لله و إنا إليه راجعون ؟

أبو الوفاء محمد درويش

عزاء الشيخ عبد العزيز بن راشد

لقد روعنا هذا النبأ الفاجع الذى نعى إلينا أخانا المبرور المجاهد الأستاذ محمد صادق عرنوس ، فكان موته أشبه ـ فى فجاءته ـ بهؤلاء الشهداء يسقطون فى ساحة الوغى وهم شاكو السلاح على الأعداء يلفظون أنفاسهم فى بسمة المؤمنين الممتلئة نفوسهم بالشجاعة والتعطش إلى الملأ الأعلى بما فيه من نعيم مقيم وخلود سرمدى .

لقد كان أخونا حبيبا إلى نفوسنا جميعا لما توفر فيه من فتوة المؤمنين ، وشجاعة المجاهدين واحتساب الصابرين، ولقد أدركته المنية التى تدرك كل حى ، ولكنها خلفت لنا ذكراه العاطرة وأثر قلمه الصارم المشبوب على أعداء التوحيد ، ورءوس الضلال . وتركت بين صفوف الموحدين فراغا قل أن يوجد من يصول و يجول فى ميدانه ليعلنها حربا شعواء على أئمة الكفر وطواغيت الضلالة .

لهذا كان رزؤنا بهذا الأخ الكريم عظيما ووطأة هذا النعى على نفوسنا شديدة ـ ولكن الإيمان يدعونا إلى التسليم لهذا القضاء ورفع أكف الضراعة إلى الله أن يسبغ على فقيدنا الرحمة ، وأن يفسح له فى جنته وأن يجعل له مكانا رفيعا بين الذين سبقوه بإحسان من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

والله المسئول أن يفرغ علينا جميعا الصبر على فقده وأن يلحقنا به على خير حال ، وأن ينزله منازل الأبرار المجاهدين وأن يبارك لنا فى هذه الدعوة الطيبة التى نؤمن بها فى قوة ونبشر بها فى الآفاق غير خزايا ولا نادمين والسلام عليكم ورحمة الله ؟

لقد وردت إلينا كلمات العزاء والتفجع على أخينا صادق عرنوس ـ رحمه الله وغفر لنا وله ـ من جميع فروع جماعة أنصار السنة فى القطر المصرى من الإسكندرية إلى أقصى جنوب الوادى ، والأقطار الشرقيـة من الحجاز والشام والعراق واليمن وغيرها . فجزاهم الله خيراً ، وشكراً لهم وعوضنا الله و إياهم خيراً ، وجعل فيهم خير خلف لأخيهم صادق .

شيخ علماء نجد

سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ

تشرفت ــ في يوم الثلاثاء ١١ صفر سنة ١٣٧٠ ــ مصر بقدوم حضرة صاحب الفضيلة والسماحة : الشيخ محمد بن ابراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن الشيخ بن شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مجدد الإسلام فى الجزيرة العربية فى القرن الثانى عشر الهجرى . والشيخ محمد بن ابراهيم : هو العالم الثقة الفقيه الورع الزكى القلب، السليم الصدر ،الذي يثق به جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى كل الشئون، مع العلم بأن حكومة جلالة الملك ابن السعود إنما تقوم فى إدارة شئونها على الأحكام الشرعية فالشيخ محمد بن ابراهيم : هو مرجع المملكة السعودية ، والمستشار الدينى الأمين لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود .

وقد حضر ــ حفظه الله ــ إلى مصر للاستشفاء من بعض الأكازيما البسيطة ، عجل الله له الشفاء والعافية .

وقد أقام الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية مأدبة حافلة لسماحته ، دعا إليها نخبة كريمة من أفاضل علماء مصر ، على رأسهم حضرة صاحب الفضيلة العلامة الفقيه ، الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر . ويتوافد كل يوم الكثير من كبار الشيوخ والفضلاء على سماحة الشيخ ابن ابراهيم ، فيخرجون من حضرته مندهشين بما يروا من سبقة علمه ، وسماحة نفسه ، وسعة صدره ، ويتمنون لو أنهم تشرفوا بمعرفته ومجالسته من زمن طويل . وفى الحق : أن زيارة سماحة الشيخ لمصر ستترك أطيب الأثر فى نفسه وفى نفس علماء مصر .

وإنا لنرجو للشيخ إقامة طويلة طيبة بمصر ، وعافية عاجلة متعه الله بحياته ، وأبقاه ذخراً للمسلمين .

أخبار الجماعة

فرع السيدة

فى مساء غرة صفر ١٣٧٠ الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٥٠ الساعة السابعة والنصف أقام فرع أنصار السنة المحمدية بالسيدة زينب احتفالا عاماً حضره ما يزيد على ثمانمائة من أعضاء أنصار السنة المحمدية بالقاهرة .

وقد افتتح الحفل فضيلة الرئيس العام الاستاذ الشيخ محمد حامد الفقى بكلمة جامعة بين فيها أثر التوحيد فى الصدر الأول من الإسلام وأنه كان سبب العزة والسؤدد والانتشار .

وتبع فضيلته الأستاذ عدلى المرشدى رئيس فرع السيدة شكر فيها الحاضرين على تلبيتهم للدعوة ومهنئاً بنجاح الحفل ومبشرا بمستقبل سعيد للجماعة .

ثم ألقى الأستاذ عبد المنعم الزيات المهندس بالسكة الحديد وعضو الجماعة كلمة بين فيها بلاغة اللغة العربية و بعض نواحى من إعجاز القرآن الـكريم

وألقى الأستاذ سعد عبد الرحمن المحامى وسكرتير لجنة الدعاية مبيناً سبل نشر الدعوة والوسائل المؤدية إلى حمل لواء السنة المحمدية رفرافاً فى بقاع الأرض داعياً للجماعة بالتوفيق والسداد .

كما تكلم الأستاذ عبد المعبود دويدار الطالب بكلية دار العلوم وعضو الجماعة بفرع مصر الجديدة داعياً إلى حمل راية الجهاد و إعلان كلمة الحق معتمدين على الله الذى لا يخاف غيره ولا يخشى سواه

وتكلم الأستاذ سيد برهان واعظ الجماعة بفرع الجيزة عن مكانة الأولياء من نفوس أنصار السنة وأن تكريم الأولياء لا يخرجهم عن نطاق البشرية و بسط هذه المشكلة بسطاً واضحاً ظاهراً

واختتم الحفل الأستاذ رشاد الشافعى سكرتير عام الجماعة مبيناً أن التبعة الكبرى فى قيادة الأمة إنما تقع على عاتق أنصار السنة المحمدية بعد أن فشلت كافة الهيئات فى قيادتها إلى بر السلامة و بين ضرورة العودة إلى الكتاب والسنة كعلاج لكافة أمراض المجتمع السياسية والاجتماعية والخلقية .

وانتهى الحفل حيث كانت الساعة العاشرة والنصف مساء

* * *

فى يوم الأحد ٩ صفر ١٣٧٠ الموافق ١٩ / ١١ / ١٩٥٠

زار المركز العام ٣٨ عضواً من أعضاء فرع المحلة الكبرى و بعض أعضاء فرع محلة أبو علي حيث أقيمت حفلة شاى لحضراتهم حضرها بعض أعضاء مجلس إدارة المركز العام ثم افتتح الحفل فضيلة الأستاذ الرئيس العام الشيخ محمد حامد الفقى بكلمة بين فيها أهداف الجماعة ووسائل علاج المجتمع المصرى الذى فسد فى كل مرافق حياته وأن لاسبيل ولاملجأ ولا منجاة إلا بالعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم أوصى جميع أعضاء فرع المحلة ألا يكونوا جامديين فلا يتعصبوا لقول رئيس ولا عالم ولا إمام ولا شيخ ولا لإنسان أكبر من ذلك ولا أصغر و إنما يكون التعصب والتمسك دائما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه وحده المعصوم وغيره يخطىء و يتبع الهوى و إن الإنسان يجب أن يكون هواه تبعاً لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تكلم من بعده الأستاذ محمود أبو الأسعاد رئيس الفرع مبيناً كيف كانت نشأة هذا الفرع والعقبات التى وقعت فى سبيله وكيف مكن الله لهم فى تذليلها واكتساحها

وأعقبهما كل من حضرات الخطباء

رشاد الشافعى سكرتير عام الجماعة والشيخ محمد أبو زيد وكيل فرع القبيلة والأخ عبد المعبود دو يدار الطالب بكلية دار العلوم .

وانتهى الحفل حيث كانت الساعة التاسعة مساء ثم سافروا على بركة الله إلى المحلة الكبرى

* * *

مسجد أنصار السنة المحمدية بدمنهور

يسر المركز العام أن يزف إلى أنصار السنة المحمدية ومحبيها داخل القطر وخارجه نبأ طالما تمنى الجميع تحقيقه ألا وهو مشروع إخواننا أنصار السنة المحمدية بدمنهور فى إقامة دار ومسجد لهم بعاصمة البحيرة يأوى إليها الراغبون فى إقامة الشعائر الإسلامية الصحيحة والتزود من علوم السنة المحمدية المطهرة .

فنرجو من كل مؤمن أن يساهم فى هذا المشروع بكل مايستطيع أن يقدمه تعاونا على البر والتقوى .

ترسل التبرعات باسم الشيخ محمد محمد أبو علو رئيس الجماعة ـ بشارع سوق البندر بدمنهور

* * *

افتتاح فرع الجماعة بنكلا

بحمد الله وتوفقيه افتتح فرع لجماعة أنصار السنة المحمدية بنكلا مديرية الجيزة فى مساء يوم الخميس ٢٣ ذى الحجة سنة ١٣٦٩ الموافق ٥ أكتوبر سنة ١٩٥٠ بحضور الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل . وكيل أول المركز العام وكثير من حضرات أعضاء المركز العام وباقى الفروع .

ثم انعقدت الجمعية العمومية لهذا الفرع لاختيار أعضاء مجلس الإدارة فكان ما يأتى :

الشيخ شاكر أحمد الديب رئيساً . الشيخ محمود سالم وكيلا أول . الشيخ عبد السلام رزق وكيلا ثان الشيخ عبد القادر رزق سكرتير أول الشيخ محمد فرج أبو النجا سكرتير ثان . الشيخ عبد القدوس أيوب أمينا للصندوق الشيخ شتا محمد هاشم مراقب إدارى . الشيخ رضوان عبد الرحمن ، والشيخ مبروك عبد الله الطويل ، والشيخ صلاح أحمد الديب ، والشيخ عبد الغفار شلبى ، والشيخ عبد الله هاشم والشيخ عبد الستار أيوب ، والشيخ عبد الرزاق عبد المقصود أعضاء .

كما اختارت الشيخ رزق عبد الوهاب مراقباً مالياً .

المسنــــد

للامام أحمد بن حنبل .

أوسع كتب السنة ، وأكثرها شمولاً وإحاطة . لايستغنى عنه العالم المحقق ، ولا الطالب المجتهد . وهو حجة للمحدث ، والفقيه ، والمؤرخ ، وصاحب اللغة . ألفه إمام المحدثين وزعيم أهل السنة وقدوتهم ، وجعله مرجع العلماء وحجتهم . حتى لقد قال لابنه راويه وهو يوصيه : « احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماماً » .

وهذا (الديوان الأعظم) بحر لا يدرك مداه ، أعجز أكثر العلماء أن يصلوا إلى غوره ، حتى وفق الله له الشيخ أحمد محمد شاكر المحدّث المصرى ؛ فصنع له الفهارس الدقيقة المتقنة ، من علميـة ولفظية ، وشرحه شرحاً فنيًّا على أوثق القواعد العلميـة التى ميز بهـا الحفاظ صحيح الحديث من ضعيفه ، ليكون مرجعاً حقًّا لـكل طالب وعالم .

ثم كان من توفيق الله وحسن صنعه لهذا (الكتاب الحجة) أن حضرة صاحب الجلالة الملك العظيم ، أسد الجزيرة و إمام أهل السنة فى هذا العصر ، الملك الإمام (عبد العزيز آل سعود) أطال الله بقاءه ، شمله برعايته السامية الكريمة ، حبًّا فى نشره وإحيائه ، وتقرباً إلى الله بعموم النفع به فأصدر أمره العالى بطبعه على خير ما يستطاع من الإخراج والإتقان .

فنفذ الشارح الأمر الملكى المطاع ، بطبعه فى أجزاء متتالية ، طبعة ممتازة خاصة ، وطبعة شعبية عامة ، ليعم النفع به كل الطبقات .

ظهر منه ثمانية أجزاء

ص	
٨٠	ثمن الجزء الواحد من الطبعة الممتازة
٣٠	« « « « « الشعبية

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

العدد ٤ المجلد ١٥

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

ربيع الثاني سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

المشرف على التحرير
أحمد محمد شاكر

مطبعة السنة المحمدية
• شارع غيط النوبى — القاهرة
ت ٧٩٠١٢

الفهرس

الهدي النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

٢٠ ق في مصر والسودان

٣٠ في الخارج

الإدارة : ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

تفسير القرآن الحكيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قول الله تعالى ذكره وجل ثناؤه

(١٥ : ٩٧ ـ ٩٩ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ، وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ)

« الصدر » هو أعلى مقدم كل شىء وأوله وما يواجهك منه ، حتى إنهم يقولون : صدر النهار والليل ، وصدر الشتاء والصيف . وما أشبه ذلك . وهو مذكر . ومنه صدر الإنسان . وجمعه صدور ، وصَدَرت الإبل عن الماء : شربت حتى ارتوت وامتلأت رِيًّا وسمى هذا الجزء من الإنسان صدراً : لأنه أول مايواجهك ، وهو الذى يجمع كل القوى المادية والمعنوية التى ينبعث عنها الإنسان فى كل أعماله .

و « ضيق الصدر » ضد شرحه . قال موسى عليه السلام (٢٠ : ٢٥ رب اشرح لى صدرى ويَسِّر لى أمري) وقال الله (٦ : ٢٥ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً ، كأنما يصَّعَّد فى السماء) وقال تعالى (٣٩ : ٢٢ أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه ؟) وقال لخاتم رسله (١١ :١٢ فلعلك تارك بعض مايوحى إليك وضائق به صدرك) (١٦: ١٢٨ واصبر وماصبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون) (٩٤ : ١ ألم نشرح لك صدرك ؟) وأصل الشرح : بسط الشىء وتمديده ، حتى يتضح وتظهر كل جوانبه . فشرح الصدر : أن يبسط الله بالراحة والطمأنينة إليه سبحانه ، وحسن التلقى لنعمه والثقة به ، وإمداده

بالقوى الانسانيـة المعنوية ثم الجسميـة ، حتى ينهض المشروح صدره إلى القيام بأعباء الحياة قويا واثقا بالنجاح ، ويدخل ميدان الجهاد فيها مطمئنا إلى الظفر والنصر ، فيمشى إلى غايته وقد أخذ أهبته لـكل ما سيجد من عقبات ، لابد من ابتلائه بها بسنة العليم الحـكيم ، فـا يدنو من عقبة إلا وقد اتقاها وتهيأ لاقتحامها ، واستجمع قواه لتذليلها ، وكلما تذللت أمامه عقبة فاقتحمها اكتسب قوة جديدة ، وانبسطت قواه وأمدها الله بمدد جديد ، فهانت العقبة الثانية ، وكانت الثالثة أهون ، وهكذا ، فييسر له كل أمره ويمهد كل السبيل بين يديه . (١٦:١٣٩ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

و « ضيق الصدر » : عكس ذلك : تنقبض عناصر القوة فى الإنسان وتنكمش بما يخيل إليه من العجز والوهن عن اقتحام العقبات ، وتذليل الصعوبات ، حين يتوهم أن الله لم يعطه من القوى ما يقدر به على اقتحام العقبات ، وحتى يتوهم أن هذه العقبـات ليست من سنن الله اللازمة لهذه الحياة ، فعند ما تصادفه عقبة ـ لم تـكن فى حسبانه ـ فلا يتقيها فيصطدم بها بذلك العجز والوهن المخيل إليه من غفلته ، ونسيانه ما أعطاه الله من أسباب التمـكين والنجاح والنفاذ إلى غايته ، فيحزن ويغتم لذلك ، فيتولد من حزنه وغمه ستار من الظلمة يغشى بصيرته ، فيزيد في حَجْبها عن نعم الله وآيات رحمته وحكمته فيه وله ، فيقف أمام العقبـة حيران ذاهلاً . ثم يزداد غما كلما ازداد ذهولاً وحيرة ، ويتكاثف ستار الظلمة على بصيرته ، وهو لا يجد مفراً عن اقتحام العقبة ، فيأخذ فى اقتحامها مسيئا من غير الوجه السليم ، وعلى غير سنة الله الحـكيمة ، لما غشى على بصيرته من ظلمات لهم والحزن ، فلا يكاد يتخطاها إلا وقد ارتطم بها ارتطاما حطم من قواه مازاده ضعفا على ضعف ووهنا على وهن ، وهكذا تكون حياته كلها اصطدامات وتخبطا ، ويدخل عليه الشيطان فى هذه الظلمات ويزين له ظن السوء بربه ، فيوسوس له أنه ظلمه بمنعه ماتفضل به على غيره من الناجحين السعداء بالحياة الطيبة والعيش الرغد

و « التسبيح » من مادة « سبح » قال فى اللسان : « السَّبح ، والسباحة » العوم ، سبح بالنهر وفيه يسبح سَبْحاً وسباحة ، ورجل سابح وسَبُوح وسابح : وفرس سابح وسبوح : يسبح فى جريه ، إذا كان حسن مد اليدين فى الجرى . اهـ

فتسبيح الله : هو الإسراع فى خفة وحسن تصريف للأعضاء والقوى والنعم الظاهرة

والباطنة فيما خلقت له ، بحيث تكون ناطقة بلسان حالها : أن الذى خلقها وصورها وأعطاها هذه القوى : رءوف رحيم عليم حكيم ، ما خلق شيئا عبثا ولا باطلا ، وإنما خلقها بالحق وللحق ، وأن قوله حق ، وأمره حق ، ووعده حق . فمعنى « سبحان الله » أبعدُ بما فى نفسي وفى الآفاق من آيات ربي ونعمه ، وأسْرِع بكل ذلك فى طمأنينة وسهولة ويسر ، سابحا ـ بنعم الله ، وفى نعم الله ـ فى بحر هذه الحياة ، وما تصطخب به أمواجها من حولى ، حتى أصل إلى شاطيء السلامة والعافية ، واثقا برحمة ربى وحكمته وإحسانه وفضله ، وإمداده المتواصل ، متبرئا من حولى وقوتى ، فانى عاجز جاهل ، إلى حوله وقوته . فانه المنزه عن أن ينسانى أو يعجز عن إنجائى وإبلاغى إلى ما فطرنى وألهمنى وأمرنى أن أسعى إليه من الخير والهدى والرشاد . فإن بيده الخير كله . وهو على كل شيء قدير .

و « بحمد ربك » الحمد : هو تعظيم المحمود والثناء عليه بصفات كماله ونعوت جلاله ، مع محبته والرضا عنه والخضوع له .

و « الرب » هو المربِّى لخلقه وعبيده بجميع أنواع التربية ، وهو المعطى الكلَّ أسباب الحياة والقوة والسمو والكمال ، فربنا سبحانه ماينعم على الإنسان بأى نعمة ـ (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ـ إلا وهو سبحانه يريد للإنسان أن يتربى بها ويسمو بها على معارج الكمال الإنسانى ليحيي الحياة الطيبة التى يحبها له ربه الرحمن الرحيم ، فإن كل أسمائه حُسْنَى ، وكل أفعاله جميلة ، وكل ما يعطيه لعباده خير وحسن وجميل ، فإن تقبلها الإنسان بالقبول الحسن ، مقدراً لنعمة ربه ، عارفاً بأسمائه وصفاته تيسر له أن يشكرها بحسن الانتفاع بها والاستفادة منها ، فيزداد بها دائماً قوة على قوة ، وحياة أطيب فى حاله الثانى منها فى حاله الأول ، فيكون كالسبَّاح اليقظ الماهر الذى عرف خصائص البحار والأنهار ، وتمرن على العَوْم والسباحة فيها ، حتى لانت أعضاؤه ، فطاوعته على ماير يد ، وذلت له غمرة الماء ، حتى كانت له مطية ، وسُخرت له الأمواج حتى كانت له عوناً على بلوغه بر السلامة فى هدوء وأمن واطمئنان ، فهو ينتفع بكل ماحوله ، ويستفيد بكل ماأعطاه ربه . لأنه ذاكر غير غافل ؛ بصير ليس أعمى ، يراها كلها خيراً له ، ويوقن أنها جميعها عون له

على بلوغ مايسمى إليه من الغاية التى يرجوها ، وهكذا المؤمن المسبح بحمد ربه : قلبه سليم يقظ ذاكر ، حاضر مع نعم الله وآياته ، سابح فى أسماء ربه الحسنى ، وصفاته العلا ، وما تقتضيه من الخير والرشد والحياة الكريمة الطيبة له فى الدنيا والآخرة ، وأعضاؤه كذلك سابحة فيما يُلزِمها القلب ويدعوها إليه من الاستسلام والانقياد لما تقتضيه هذه الأسماء الحسنى ، ولسانه سابح فى تمجيد ربه بما يستحقه وينبغى له بمقتضى هذه الأسماء الحسنى ، وبما يليق بهذه النعم المتتالية ، وما تستدعيه هذه السنن والآيات الكونية ، وما تهديه وترشده إليه الآيات القرآنية والبيانات النبوية ، وهذا الحال يستدعى من صاحبه أن يكون من الخاضعين المستسلمين الساجدين لربهم سميمين مصفين ، مبادرين إلى الطاعة بكل جارحة وفى كل حال ، ولذلك قال ربنا « وكن من الساجدين » يعنى أنك إن لزمت حالة التسبيح بحمد ربك لزم أن تكون دائماً من الساجدين له .

و « السجود » قال فى لسان العرب : « سجد » إذا انحنى وتطامن إلى الأرض وأسجد الرجل : طأطأ رأسه وانحنى ، وكذلك البعير ، قال الأسدي ـ أنشده أبو عبيد ـ

* وقُلنَ له اسْجُدْ لليلى ، فأسْجدا *

يعنى بعيرها : أنه طأطأ رأسه لها لتركبه . وفى الحديث « كان كسرى يسجد للطالع وينحنى » والطالع : هو السهم الذي جاوز الهدف من أعلاه ، والمعنى : أنه كان يسلم لراميه ويستسلم ، وسجد : خضع ، قال الشاعر :

* ترى الأُكْمَ فيها سُجَّدًا للحوافر *

وكل من ذل وخضع لما أمر به : فقد سجد . ومنه قوله تعالى (١٦ : ٤٨ يَتَفَيَّأُ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجَّداً لله وهم داخرون) أى خُضَّعا مسخرة لما سخرت له ا هـ .

وبنحو ذلك قال ابن الأثير فى النهاية . وقال فى القاموس « سجد » خضع .

وقال النووى فى تهذيب الأسماء قال الأزهرى « السجود » أصله التطامن والميل .

وقال الواحدى : أصله فى اللغة : الخضوع والتذلل . قال : وسجود كل شىء فى القرآن :

طاعته لما سجد له . هذا أصله فى اللغة ، ثم قيل لكل من وضع جبهته على الأرض : سجد ، لأنه غاية الخضوع . اهـ . و بنحوه قال الراغب فى المفردات .

فالمعنى ــ على ذلك ــ الزم أيها الرسول الخضوع والذل والاستسلام والطاعة لربك وحده ، فإنه هو الذى يربيك بكل نعمه الجميلة وفضله و إحسانه ، واحذر أن يتطامن قلبك أو يتضع أو يضيق بما يقول أولئك الكافرون بالله وأسمائه وصفاته ونعمه وآياته ، المنتقصون لربهم مما يتخذونه له من الوسائط والشفعاء والأنداد ، و بما يدينون من دين الباطل من التقاليد الخرافية الوثنية ، والعادات الجاهلية .

« واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » قال فى اللسان : العبادة فى اللغة : الطاعة مع الخضوع ، ومنه طريق معبد ، إذا كان مذللا لكثرة وطء الأقدام له، وكل من دان لملك : فهو عابد له . وفلان عابد ، وهو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره ، والمعبَّد : المكرم المعظم ، كأنه يعبد . قال حاتم الطائى :

تقول : ألا تمسك عليك ؟ فاننى أرى المال عند الباخلين معبَّدا

و بعير معبَّد : وهو الذى ذلَّله الجرب ، أو الذى هُنِىء بالقطران ، لأنه يتذلل لشهوته القطرانَ وغيره . فلا يمتنع . اهـ وقال فى المصباح المنير : العبادة الانقياد والخضوع . والفاعل عابد . والجمع عُبَّاد وعَبَدة ، مثل كافر وكفار وكفرة . ثم استعمل فيمن اتخذ إلٰها غير الله وتقرب إليه فقيل : عابد الوثن والشمس وغير ذلك . اهـ وفى الصحاح : تقول : عَبْد بيِّن العبودة والعبودية ، وأصل العبودية : الخضوع والذل . والتعبيد : التذليل . يقال : طريق معبد . والبعير المعبد : المهنوء بالقطران المذلل والعبادة : الطاعة . والتعبد : التنسك . اهـ وقال الراغب : العبودية : إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التذلل . ولا يستحقها إلا من له غاية الافضال . وهو الله تعالى . ولهذا قال على لسان رسله (أن لاتعبدوا إلا إياه) و يقال : طريق معبد ، أى مذلل بالوطء ، و بعير معبد : مذلل بالقطران . وعَبَّدت فلانا : إذا أذللته : و إذا اتخذته عبدا . اهـ . وفى فروق العسكرى : الفرق بين العبادة والطاعة : أن العبادة غاية الخضوع . ولا تُسْتَحَقُّ إلا بغاية الإنعام . ولهذا لايجوز أن يعبد غير الله تعالى .

ولا تـكون العبادة إلا مع المعرفة للمعبود. والطاعة : الفعل الواقع على حسب ماأراده المريد متى كان المريد أعلى رتبة ممن يفعل ذلك. والطاعة : تكون للخالق . والعبادة لا تكون إلا للخالق اهـ . وقال ابن فارس : العين والباء والدال أصلان صحيحان، أحدهما : اللين والذل .اهـ

ويؤخذ من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم : أن العبادة حال يجمع غاية الذل مع غاية الحب وقال السيد رشيد رضا : تدل الأساليب الصحيحة والاستعمال العربي الصراح : على أن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، ناشيء عن استشعار القلب عظمة للمعبود لايعرف منشأها ، واعتقاده بسلطة له لايدرك كنهها وما هيتها . وقصارى ما يعرف عنها : أنها محيطة به ، ولـكنها فوق إدراكه . اهـ .

فبالتأمل فيما ذكره هؤلاء العلماء نتبين : أن « العبادة » على أى حال ، وبأى استعمال تصرفت ، فانها تعطى معنى الذل والاستسلام ، وسهولة الانقياد ، والموافقة لما يرضاه المعبَّد من عابده فالعبد المملوك : ذليل بالرق مستسلم لمالـكه ، سهل الانقياد والموافقة له فى مراضيه وأصل رقه : جاء من استسلامه له حين غُلب فى ميدان القتال على الدين الصحيح والعقيدة الحقة ، والدين الفاسد والعقيدة الزائغة . فـكان إصراره على الدين الباطل وقتاله عنه ، وحربه للدين الحق مستوجبا لإذلاله ، واقتضى أسره على ذلك استسلامه وانقياده لآسره الذى ملك رقبته بذلك الأسر على الحق . وأخرجه من بيئة الـكفر الظالمة الفاسدة ، وضمه إلى بيئة الإسلام الرحيمة العادلة ، الصالحة المصلحة فهي نعمة عليه لآسره ومنقذه ، تقتضى تلك العبودية وهذا الإستسلام . وكذلك البعير المعبَّد : سهل الانقياد لمن يأخذ زمامه . والطريق المعبد : وطأه كثرة الأقدام والأرجل التى ضربت فيه حتى أصبح سهلا مذللا للسائرين ، وتفسيرهم « العبادة » بالانقياد والخضوع : تفسير باللازم . لأنهما لازمان للذل والسهولة . ولذلك جمع صاحب المصباح فى تعريفهـا : الانقياد والخضوع على وجه التقرب .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة «العبودية» : الدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدانَ : أى ذللته فذل . ويقال : يدين اللهَ ، ويدين لله : أى يعبدُ الله ويطيعه ويخضع له فدين الله : عبادته وطاعته والخضوع له . والعبادة : أصل معناها : الذل أيضا . يقال :

طريق معبد ، إذا كان مذللا قد وطأته الأقدام ، لـكن العبادة المأمور بها : تتضمن معنى الذل ومعنى الحب . فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له . فإن آخر مراتب الحب : هو التتيم ، وأوله العلاقة ، لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم الصبابة ، لانصباب القلب إليه ، ثم الغرام . وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق . وآخرها : التتيم ، يقال : تيّم الله ، أى عبد الله. فالمتيم: المعبَّد لمحبوبه ومن خضع لإنسان مع بغضه له لايكون عابداً له . ومن أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه وزوجه . ولهذا لا يكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شىء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل أحد فإنه لا يستحق الحب التام والذل التام إلا الله ـ إلى أن قال ـ فجنس المحبة : تـكون لله ولرسوله ، كالطاعة فإن الطاعة لله ولرسوله (٣ : ٣٢ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) والإرضاء لله ولرسوله (٥٩ : ٦٢ والله ورسوله أحق أن يرضوه) والإيتاء لله ولرسوله (٩ : ٥٩ ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) وأما العبادة وما يناسبها ، من التوكل والخوف والرجاء والرغبة والرهبة ، ونحو ذلك : فلا تـكون إلا لله وحده ـ إلى أن قال ـ وتحرير ذلك : أن « العبد » يراد به المعبَّد الذي عَبَّده الله ، فذلله ودبره وصرَّفه . وبهذا الاعتبار : فالمخلوقون كلهم عباد الله : الأبرار منهم والفجار ، والمؤمنون والـكفار ، وأهل الجنة وأهل النار ، إذ هو ربهم كلهم ومليكهم ، لايخرجون عن مشيئته وقدرته وكلماته التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر . فما شاء كان وإن لم يشاءوا ، وما شاءوا إن لم يشاء لم يكن ، قال الله (٣ : ٧٣ أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها . وإليه يرجعون) فهو سبحانه رب العالمين وخالقهم ورازقهم ، ومحييهم ومميتهم ، ومقلب قلوبهم ومصرف أمورهم . لا رب لهم غيره ، ولا مالك لهم سواه ، ولا خالق لـكل شىء ، ومدبره ومسخره إلا هو ، سواء اعترفوا بذلك أو أنكروه ، وسواء علموا ذلك أو جهلوه . لـكن أهل الإيمان منهم عرفوا ذلك وآمنوا به وشكروه بعبودية الالٰهية : رغبا ورهبا ، بخلاف من كان جاهلا بذلك أو جاحداً له ، مستكبرا على ربه ، لا يذل ولا يخضع له ، مع علمه بأن الله ربه وخالقه فالمعرفة بالحق إذا كانت مع الاستكبار عن قبوله والجحد له كانت عذابا على صاحبها ، كما

قال تعالى (٢٧ : ١٤ وجحدوا بهـا واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا . فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وقال (٢ : ١٤٦ فإنهم لا يكذبونك ، ولـكن الظالمين بآيات الله يجحدون) . فإن اعترف العبد أن الله ربه وخالقه ورازقه ، وأنه مفتقر محتاج إليه : عرف العبودية المتعلقة بالربوبية . وهذا العبد يسأل ربه ويتضرع إليـه ، لـكن قد يطيع أمره وقد يعصيه ، وقد يعبد معه الشيطان والأوثان ، ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار ، ولا يصير بها صاحبها مؤمنا ، كما قال تعالى (١٢ : ١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله وهم مشركون) - إلى أن قال - حتى يدخل فى للمعنى الثانى من معنى « العبد » وهو العبد بمعنى « العابد » فيكون عابداً لله وحده ، ولا يعبد إلا إياه ، فيطيع أمره وأمر رسله ، ويوالى أولياءه المؤمنين المتقين ، ويعادى أعداءه الـكافرين والفاسقين . وهذه العبادة متعلقة بألوهيته ، ولهذا كان عنوان التوحيد « لا إله إلا الله » فالإله : هو الذى يألهه القلب بكمال الحب والتعظيم والإجلال والخوف والرجاء . وهذه العبادة : هى التى يحبها الله ويرضاها . وبها وصف المصطفين من عباده . وبها بعث رسله وأنزل كتبه . اهـ .

ومن هذا يتبين لك أن هناك عبوديتين : عبودية كونية ، وعبودية شرعية إلهية . فالعبودية الـكونية : هى فى جميع الخلق . لأن الله هو الذى يربيهم وحده بجميع نعمه . ويدبرهم وحده بحكمته ورحمته ومشيئته . وهذه العبودية لازمة لهم لا يمكنهم الانفكاك عنها بحال من الأحوال وهى التى أشهدهم على أنفسهم بها فى قوله سبحانه (٧ : ١٧١ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا) أى قالوا بلسان حال هذه العبودية التى يخضعون بها وينقادون مسلـمين رغم أنوفهم لسنن الله الـكونيـة فى أصل الخلقة : من تراب ثم من نطفـة ، ثم أجنة فى أرحام أمهاتهم ، ثم أطفالا ، ثم غلمانا ، وهلم جرا ، وما فى كل تلك الأدوار وما يلزم فيها ولها من التقلبات فى الليل والنهار ، والصحة والمرض ، والجوع والظمـأ ، واليقظة والنوم ، وما إلى ذلك ، فان ما فيهم وعليهم من آثار الربوبية يقهرهم أن يكونوا عباداً خاضعين لله وحده . وهذه العبودية الـكونية اللازمة للانسان كله والمتساوية فى الإنسان كله : من عرفهـا حق المعرفة وتأملها حق

التأمل، وقدرها حق التقدير، وشكرها بعبودية الإلهية، و إخلاص الحب والذل، والطاعة والرجاء والخوف، والتوكل والدعاء وما يلزم كل ذلك من المسارعة إلى اتباع كل ما بعث الله به رسله، وأنزل كتبه لتحقيق تلك العبادة التى عليهـا تدور سعادة الدنيا والآخرة وعزهما وفلاحهما.

و « اليقين » ضـد الشك. وهو حال يثمرها العلم الصحيح من التفـكر فى آيات الله الـكونيـة ـ الذى هو التسبيح بحمد الله ـ ومن التدبر لآيات الله القرآنية. فهو شاطىء السلامة والغاية الحميدة التى يسعى إليها المؤمنون الصادقون. و يعبرون عن هذا اليقين بأنه: استقرار العلم الذى لاينقلب ولايتحول ولا يتغير. وقد فسره جمهور المفسرين هنا بأنه الموت وهذا لأنه آخر يقين هذه الدنيا، وأول يقين الآخرة. و إن كان الواقع: أن المؤمن لابد أن يعتمد فى عقيدته على يقين، وفى صحة عمله على يقين، ولولا هذا اليقين ما استقر له حال. و إنما اضطرب حال الناس فى عقائدهم وأعمالهم لأنهم ليسوا على يقين منها، إذ لم يسلـكوا إليها سبيل العلم الصحيح من التفـكر فى سنن الله وآياته الكونية، وتدبر وفقه آياته القرآنية، ومعرفة هدى وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، و إنما عقائدهم المزعومة وأعمالهم: تقاليد وراثية تقوم على ظنون وتخرصات لاتغنى من الحق شيئا.

قال الشيخ ابن القيم رحمه الله فى مفتاح دار السعادة فى فضل العلم: الوجه الحادى والثلاثون بعد المائة: أنه لو لم يكن من فوائد العلم إلا أنه يثمر «اليقين» الذى هو أعظم حياة للقلب و به طمأنينته وقوته ونشاطه وسائر لوازم الحياة لـكفى. ولهذا فقد مدح الله سبحانه أهله فى كتابه وأثنى عليهم بقوله (٢ : ٣ وبالآخرة هم يوقنون) و بقوله (٢ : ١١٧ قد بينـا الآيات لقوم يوقنون) وقوله فى حق خليله إبراهيم عليه السلام (٦ : ٧٥ وكذلك نرى إبراهيم ملـكوت السموات والأرض وليـكون من الموقنين) وذم من لايقين عنده فقال (٢٧: ٨٢ أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وفى الحديث المرفوع، حديث سفيان الثورى عن سليمان التيمى عن خيثمة عن عبـد الله بن مسعود ـ يرفعه ـ « لا ترضين أحداً بسخط الله. ولا تحمدن أحداً على فضله، ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله. فان رزق الله لا يسوقه حرص

حريص ولا يرده عنك كراهية كاره ، . وإن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة والفرح في الرضا واليقين . وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط » فاذا باشر القلب اليقين امتلأ نوراً ، وانتفى عنه كل ريب وشك وعوفى من أمراضه القاتلة وامتلأ شكراً لله وذكراً له ومحبة وخوفا . فيحيي عن بينة . واليقين والمحبة : هما ركنا الإيمان وعليهما ينبنى ، وبهما قوامه . وهما يمدان سائر الأعمال القلبية والبدنية ، وعنهما تصدر . و بضعفهما يكون ضعف الأعمال و بقوتهما قوتها . وجميع منازل السائرين ، ومقامات العارفين : إنما تفتح بهما . وهما يثمران كل عمل صالح وعلم نافع وهدى مستقيم . اه

يقول الله تعالى ذكره لعبده ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، ولكل وارث عن هذا الرسول هداه ، ومتبع لسبيله القويم : لا يكن عندك أى شك ولا ريب فى أن ربك يعلم مايقول و يفعل أولئك الكافرون المحاولون تثبيطك عن النهوض بتبليغ رسالة ربك ، و إن ذلك لايخفى شيء منه على السميع العليم ، وأنه لايعجزه أمرهم ، ولكن لربك سنن حكيمة يربيك بها فى مواقفهم هذه و إعلانهم بالعداء فيما يقولون و يفعلون تقوية لشأنك وتثبيت لقلبك إذا أنت سبحت بحمد ربك وكنت من الساجدين العابدين .

ومن عرف سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم حق المعرفة ــ من مصادرها الصحيحة من كتاب الله ، والصحيح الموثوق من سنة رسول الله ــ عرف أنه كان فى جميع أطواره وفى كل أوقات حياته ــ عليه الصلاة والسلام ــ أكمل خلق الله معرفة وتقديراً لربوبية ربه عليه ، وأعظمهم شكراً لها ، وخيرهم انتفاعا بها واستعمالا لها بمابيع الرشاد والحكمة فى مواضعها التي ترضى ربه عنه ، فيزيده رشاداً على رشاد ، وحكمة على حكمة ، وهدى على هدى ، حتى اصطفاه الله ، وجعله خاتم المرسلين (٦ : ١٢٤ والله أعلم حيث يجعل رسالته) فكان أصدق المهتدين بما يوحي إليه ، وأصدق المؤمنين به ، وأهدى المهتدين به ، وكان لا تمضى عليه ساعة إلا و يزداد فيها علما بربه ، وحسن تربيته له بآياته الكونية فيه وفى الآفاق ، و بآياته القرآنية التى يتنزل عليه بها جبريل من عند الله ، وما زال على هذه السنة الرشيدة ، وهذا الهدى المستقيم ، كل ساعة ، فكانت كل حالة ثانية خير له ، وهو خير فيها من الأولى

يزداد به علما ويقينا بفضل ربه ، وعظيم إحسانه ، وسابغ نعمه ، وشكرا على الدرجة العليا التي رفعه ربه إليها ، فجعله خاتم رسله ، واصطفاه فحمله أكبر رسالة ، وأضخم أمانة ، كان صلى الله عليه وسلم هو المتأهل لها وحده ، وكان يجد لهذا اليقين حلاوة هى أعظم حلاوة في قلبه ، ونعيما هو أنعم النعيم ، وروحا هى أقوى روح وأطهرها وأزكاها .

وكان ربه الرحمن الرحيم يعلم ـ والله العليم الخبير ـ ما يحاول أعداؤه من توهين قواه ، وزلزلة ثباته ، وزعزعة يقينه ، إذ يقولون (١٥: ٦، ٧ يا أيها الذى نزل عليه الذكر ، إنك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين) (١٥ : إنما سُكِّرت أبصارنا . بل نحن قوم مسحورون) (٦ : ٧ إن هذا إلا سحر مبين) (٦ : ٢٥ إن هذا إلا أساطير الأولين) (٦ : ١٤٨ لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء) (٨ : ٣٢ اللهم إن كان هـذا هو الحق من عنـدك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) (١٠ : ٢ إن هذا لساحر مبين) (١٠ : ١٥ ائت بقرآن غير هذا أو بَدِّله) (١١ : ١٢ فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك : أن يقولوا : لولا أنزل عليه كنز ، أو جاء معه ملك ؟) (١٣ : ٥ أئذا كنا تراباً أئنّا لفى خلق جديد ؟ !) (١٣ : ٤٣ لست مرسلا) (١٤ : ١٣ لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) (١٦ : ٣٥ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) (١٦ : ٣٨ لا يبعث الله من يموت) (١٦: ١٠١ إنما أنت مفتر) (١٦ : ١٠٣ إنما يعلمه بشر) (١٧ : ٤٧ إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) (١٧ : ٩٠ ـ ٩٣ لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كِسَفاً ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ، أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لِرُقيِّك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه) (١٧ : ٩٤ أبعث الله بشراً رسولا ؟ !) (٢٠ : ١٣٣ لولا يأتينا بآية من ربه ؟ !) (٢١ : ٢ ، ٣ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، لاهية قلوبهم ، وأسروا النجوى الذين ظلموا : هل هذا إلا بشر مثلكم ؟ أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟!)

(٢١ : ٥ أضغاث أحلام ، بل افتراه بل هو شاعر . فليأتنا بآية كما أرسل الأولون) (٢١ : ٣٦ و إذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا : أهذا الذى يذكر آلهتكم ؟ ! وهم بذكر الرحمن هم كافرون) (٢٢ : ٨٢ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) (٢٣ : ٣٣ ـ ٣٨ ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ، ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذاً لخاسرون . أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ؟ ! هيهات هيهات لما توعدون . إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيي وما نحن بمبعوثين . إن هو إلا رجل به جِنّة ، فتربصوا به حتى حين) (٢٥ : ٤ ، ٥ إن هذا إلا إفك افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا : أساطير الأولين اكتتبها ، فهى تُملَى عليه بكرة وأصيلا ـ ٧ ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ! لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا — ٢١ لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا . لقد استكبروا فى أنفسهم وعتَوْا عتُوًّا كبيرا — ٣٢ لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة — ٤١ ، ٤٢ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا : أهذا الذى بعث الله رسولا ؟ ! إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها — ٦٠ وما الرحمن ؟ ! أنسجد لما تأمرنا ؟ وزادهم نفورا) (٢٨ : ٥٧ إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا . أو لم نمكن لهم حرماً آمناً يُجبَى إليه ثمرات كل شىء رزقا من لدنا ؟ ولكن أكثرهم لا يعلمون) (٣٢ : ١٠ أإذا ضللنا فى الأرض أإنا لفى خلق جديد ؟ !) (٣٤ : ٧ ، ٨ هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مُزِّقتم كل ممزَّق : إنكم لفى خلق جديد ، أفترى على الله كذبا ، أم به جِنّة ؟ — ٣١ لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه — ٤٣ ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم . وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى) (٣٨ : ٤ ـ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم . وقال الكافرون : هذا ساحر كذاب ، أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟ إن هذا لشىء عجاب ، وانطلق الملأ منهم : أن امشوا واصبروا على آلهتكم ، إن هذا لشىء يراد . ما سمعنا بهذا فى الملّة الآخرة . إن هذا إلا اختلاق . أأنزل عليه الذكر من بيننا) (٣٩ : ٤٥ و إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون

بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) (٤١ : ٥ وقالوا : قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا وبينك حجاب ، فاعمل إننا عاملون — ٢٦ لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه ، لعلكم تغلبون) (٤٣ : ٣٠ ، ٣١ ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون . وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ؟ !) (٤٥ : ٣٢ ما ندرى ما الساعة ؟! إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) (٤٦ : ١١ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : لو كان خيراً ما سبقونا إليه . وإذا لم يهتدوا به فسيقولون : هذا إفك قديم) (٦٨ : ٥١ وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ، ويقولون إنه لمجنون) (٨٥ : ٢٩ — ٣٢ إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين . وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالون) (٩٦ : ٩—١٩ أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى ؟ أرأيت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ؟ أرأيت إن كذب وتولى ؟ ألم يعلم بأن الله يرى ؟ كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة فليدع نادية . سندع الزبانية كلا ، لا تطعه واسجد واقترب) .

هذا بعض ما كانوا يقولونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان أبرّ بهم من أنفسهم قبل أن يصطفيه الله ويرفعه أعلى درجات الرسالة ، فكيف به بعد أن جاءهم بهذا الهدى والرحمة ، وهم يتلقونه بهذا القول السفيه البذىء ؟ وإذا كان هذا قولهم فكيف أعمالهم وسخريتهم واستهزاؤهم ؟ إنك لا تستطيع أن تتصور ذلك على بعض حقيقته فى الواقع إلا إذا كنت من ورثة هذا الرسول الكريم فى دعوته وهداه وخلقه وأدبه ، وقمت تدعو إلى ربك مقتدياً به ، ووقفت فى وجه أئمة الكفر وطواغيت الوثنية ، معلنا بكفرهم فى غير لف ولا دوران ، ولا مداهنة ، ولا ما يسميه أهل العصر باسم السياسة والكياسة ، وهو فى الحقيقة الجبن والنفاق والمخادعة ، نعم إذا قمت مقام رسول الله الصادق الأمين ، تصدع بالدعوة الصريحة إلى الكفر بطواغيت وأوثان البدوى والدسوقى والرفاعى والشاذلى والمرسى والتيجانى والميرغنى وما إليها ، مما اصطنعه شياطين الجن والإنس وأقاموه للدهماء

وأغفال الجماهير فى ظلمة الجاهلية الثانية ـ وهى شر من الجاهلية الأولى ـ حين خدعوهم عن أنفسهم فأعموهم عن نعم الله عليهم فى السمع والبصر والعقل الإنسانى المميز ، وعن نعمة الله الكبرى فى كتاب الله الصريح المبين المعانى والمقاصد ، المفصل المحكم الآيات ، الصارخ فى أولئك العمى البكم الصم (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) (١٦ : ٢٠ ـ ٢٢ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون ، إلهكم إله واحد ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) ـ نعم إنك لو قمت تدعو إلى هدم هذه الطواغيت والأوثان ، تصدع بهذا القرآن الحكيم فى إخلاص وشفقة على أمتك المسكينة لتنقذها من براثن الدجالين الآكلين السحت باسم الدين ـ والإسلام منهم برىء ـ لشهدت الرواية تمثل من أعداء ربهم بل أعداء أنفسهم : سباً مقذعاً وشتما قذراً ، ولساناً فاحشاً ينضح بكل سوء وهجر ، ذلك هو سلاحهم النجس ، الذى يليق بهم ولا يليق بهم غيره ، فإنما هو سلاح السفيه الجاهل الأعمى عن آيات الله وأسمائه وصفاته ، ونعمه وحقه الذى لا ينبغى إلا له ، من إخلاص الدعاء والعبادة بجميع أنواعها له ـ سلاح الأعمى الأصم عن كل ذلك . فانه لا يملك إلا قلباً مجرماً ولساناً آثماً . أليسوا يسبون الله ، فيسوونه بالموتى ، ويضربون له الأمثال ، ويجعلون له ما يكرهونه لأنفسهم ؟! سبحان الله .

ولقد كان أعداء ربهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، يملكون سواعد وحراباً وسيوفاً ، وكان لهم سيادة زائفة تخدع الدهماء ، ورياسة كاذبة يستخدمونها عند الاقتضاء ، فطالما نال الرسول الكريم الشفوق الرحيم ـ عليه من الله أفضل الصلاة وأزكى التسليم ـ ألوان الأذى بالأيدى إلى أن أعلنوها عليه وعلى حزب الله المفلحين معه حربا شعواء ، أريقت فيها دماء ذكية طاهرة ، حظيت بحسنى الشهادة ، وفيها وبها قطع الله رؤوس المشركين وحطم هامات أعداء الرسول الكريم ، وأرغم الشيطان الرجيم ، ولقد كان أكبر وأهم ما يستعين به رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصر على أولئك المجرمين ما يمده ربه به دائما من الإمدادات الروحية المعنوية من هذا القرآن الكريم ، والذكر الحكيم ،

ليثبت بها جنانه ، ويربط بها على قلبه ، ويشرح بها صدره ، فكلما توهم أعداؤه المجرمون من حزب الشيطان عبدة طواغيت الموتى والأنصاب والقباب — كلما توهموا أنهم نالوا منه بأيديهم وألسنتهم ، أو من أصحابه الذين أسعدهم الله بالإيمان به واتباعه ، وأن ذلك لا بد مضيق صدره ، وموهن قواه ، ومفزع قلبه ، فلا يعود يجرأ على مصارحتهم القول ، ولا مجابهتهم بأنهم إنما يعبدون الشيطان باسم الموتى من الصالحين وأن دينهم إنما هو هزؤ ولعب ، لأنه أعياد وموالد للموتى أوحاها إليهم الشيطان لإشباع شهواتهم ، وإغرائهم بالفساد ، والتمادى فى عبادة الموتى والشيطان من دون الله . فإذا بالرسول الصادق ، والعبد الكريم الشفوق الرحيم يخرج عليهم فى ثبات أقوى ، وعزيمة أمضى ، ويقين أثبت من الأمس ، يناديهم (٤٦ : ١ — ٩ حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . ما خلقنا السموات والأرض ومابينهما الا بالحق وأجل مسمى . والذين كفروا عما أنذروا معرضون . قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ؟ أرونى : ماذا خلقوا من الأرض ، أم لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة . وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء . وكانوا بعبادتهم كافرين) فيقع ذلك وأمثاله من الذكر الحكيم وقع الصواعق على رءوسهم ، ويعلوهم الخزى ، ولكن الشيطان يعود إليهم بوحى جديد : شنعوا عليه، انه يكره الأولياء ، انه ينكر كراماتهم ، انه يسفه أحلام آبائكم ، انه خارج على مذاهب الآباء والشيوخ ، وهم أعلم منه وأتقى وأصلح ، إنه وإنه ، من أمثال ماتسمعه اليوم من إفك ومفتريات أعداء ربهم خلفاء أبى جهل وشيعته المجرمين

فعليك يا وارث الهدى والإيمان الصادق ، وعقيدة التوحيد النقية الصافية ، عليك يا عارف ربك وواصفه بما وصف به نفسه فى كتابه وعلى لسان رسوله ، من غير تحريف ولا تأويل ، ولا تشبيه ولا تعطيل ، فجعلتك هذه المعرفة تخلص العبادة له وحده ، وتجاهد فيه صابراً محتسبا ، عليك يا ناصر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتسبيح بحمد ربك — على المعنى الذى شرحت لك — لا باللسان الجاهل والقلب الغافل ، الزم التسبيح بحمد ربك دائماً واحرص على أن تكون نعم ربك وآياته فيك وفيما حولك ناطقة بلسان إسلامك

الصادق وأدبك وخلقك واستقامتك وشكرك : أن من تفضل بها عليك حكيم رحيم ، له الأسماء الحسنى ، وانه العلى الأعلى ، رب العرش العظيم ، فانك حينئذ تكون بهـا خاضعاً ذليلا مسلما لربك وحده رب العالمين ، لا تجد السـعادة والراحة الا فى قربك منه فى كل حال ، ورضاه عنك على كل حال . فإن أكرمك الله بهذا ـ وأسأل الله أن يكرمنى و إياك بذلك ـ فإن الله سيمدك بهدايته وتوفيقه و يرزقك علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين بأن الدين الحق والهدى الصـافى هو ما أشرق نوره على قلبك من كتاب الله وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعندئذ لا يزيدك استهزاء أعداء الله وسخريتهم بك ، وحربهم لك إلا ثبات قلب ، وانشراح صدر ، وصدق إيمان ، وشجاعة على الدعوة إلى الله على بصيرة ، ورغبة أكيدة فى أن تزيد روابط قلبك بربك بالقول الصالح والعمل الصالح والأدب الصالح الذى ينبغى أن تعرفه من هدى نبيك إمام الهـداة المهتدين ، حتى يأتيك اليقين الأخير ، وينـاديك داعى ربك الرحمن الرحيم (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية ، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى)

حقق الله لى ولك ولاخواننا المؤمنين الموحدين ذلك بمنه وكرمه . و (سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين) وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله الـكريم محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

إصدع بما تؤمر

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

---

* نأذن لمن شاء من الصحف والمجلات وغيرها أن ينقل من هذه الكلمات ما يشاء ، أو يقتبس ، أو يترجم . على أن ينسبها صراحة لكاتبها ، وعلى أن لا يجمعها أحد غيرنا فى كتاب . فهذا نحتفظ بحقنا فيه خاصة

وثانياً : نرحب بكل نقد لما نقول أو رد عليه ، ننشره مرحبين به ، راجعين إلى الصواب إذا ما أخطأنا ، أو معقبين عليه بما يجلو وجهة نظرنا ، أو برفع شبهة إن كانت . على أن يكون النقد فى حدود البحث العلمى الصحيح ، أما الأهواء ، وأما الجدال والمراء فلا ، بل نعرض عنهما كراماً إن شاء الله .

وثالثاً : من شاء أن ينقدنا أو يرد علينا فى جريدة أخرى أو مجلة ، فمن الإنصاف لنفسه ولنا ، أن يرسل إلينا الصحيفة التى كتب فيها ، خشية أن يخفى علينا موضعها فلا نراها ، فيظن أننا قصرنا ، وما إلى هذا أراد ولا أردنا .

٦ ــ السمع والطاعة

قال الإمام أحمد بن حنبل فى مسند عبد الله بن عمر :

حدثنا يحيى عن عبيد الله أخبرنى نافع عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« السمعُ والطاعة على المرء فيما أحبَّ أو كره ، إلا أن يُؤْمر بمعصية فإن أُمر بمعصيةٍ فلا سمعَ ولا طاعة »

إسناده صحيح . ورواه البخارى (٦ : ٨٢ و ١٣ : ١٠٩ من فتح البارى) عن مسدد عن يحيى بن سعيد ، بهذا الإسناد ، ورواه أيضاً (٦ : ٨٢) من طريق إسمعيل بن زكريا عن عبيد الله . ورواه مسلم (٦ : ٨٦) من طريق الليث بن سعد . ومن طريق يحيى القطان وابن نمير ، ثلاثتهم عن عبيد الله .

وهذا الحديث أصل جليل خطير من أصول الحكم ، لا نعلم أنه جاء فى شريعة من الشرائع ، ولا فى قانون من القوانين ، على هذا الوضع السليم الدقيق المحدَّد ، الذى يحدّد سلطة الحاكم ، ويحفظ على المحكوم دينه وعزّته .

فقد اعتاد الملوك والأمراء ، واعتادت الحكومات فى البلاد التى فيها حكومات منظمة وقوانين ، أن يأمروا بأعمال يرى المكلف بها أن لا مندوحة له عن أداء ما أمر به .

وصارت الرعية ، فى هؤلاء وهؤلاء ، لا يطيعون فيما أمروا به إلا أن يوافق هوًى لهم أو رغبة عندهم ، وإلا اجتهدوا أن يقصروا فى أداء ما أمروا به ، ماوجدوا للتقصير سبيلاً ، لا يلاحقهم فيه عقاب أو خوف .

وكل هذا باطل وفساد ، تختل به أداة الحكم ، وتضطرب معه الأنظمة والأوضاع . إذ لا يرون أن الطاعة واجبة عليهم ، وإذ يطيعون ــ فى بعض مايطيعون ــ شبه مرغمين إذا لم يوافق هواهم ولم يكن مما يحبون .

أما الشرع الإسلامى : فقد وضع الأساس السليم ، والتشريع المحكم ، بهذا الحديث

العظيم. فعلى المرء المسلم أن يطيع من له عليه حق الأمر من المسلمين، فيما أحب وفيما كره، وهذا واجب عليه، يأثم بتركه، سواء أعرف الآمرُ أنه قصّر أم لم يعرف، فإنه ترك واجباً أوجبه الله عليه، وصار ديناً من دينه، إذا قصّر فيه كان كما لو قصّر فى الصلاة أو الزكاة أو نحوهما من واجبات الدين التى أوجب الله.

ثم قيد هذا الواجب بقيد صحيح دقيق، يجعل للمكلف الحق فى تقدير ما كلف به، فإن أمره من له الأمر عليه بمعصية، فلا سمع ولا طاعة. ولا يجوز له أن يعصى الله بطاعة المخلوق، فإن فعل كان عليه الإثم، كما كان على من أمره، لا يعذر عند الله بأنه أتى هذه المعصية بأمر غيره، فإنه مكلف مسؤول عن عمله، شأنه شأن آمره سواء.

ومن المفهوم بداهة: أن المعصية التى يجب على المأمور أن لا يطيع فيها الآمر، هى المعصية الصريحة التى يدل الكتاب والسنة على تحريمها، لا المعصية التى يتأول فيها المأمور ويتحايل، حتى يوهم نفسه أنه إنما امتنع لأنه أمر بمعصية، مغالطة لنفسه ولغيره.

ونرى أن نضرب لذلك بعض المثل، مما يعرف الناس فى زماننا هذا، إيضاحاً وتثبيتاً:

١ — موظف أمره من له عليه حق الأمر أن ينتقل من بلد يحبه إلى بلد يكرهه، أو من عمل يرى أنه أهل له، إلى عمل أقل منه، أو أشد مشقة عليه، فهذا يجب أن يطيع من له عليه حق الأمر، لا مندوحة له من ذلك، أحب أو كره، فإن أبي من طاعة الأمر كان آثماً، وكان إباؤه حراماً، سواء أبى إباء صريحاً واضحاً، أم أبى إباء ملتوياً مستوراً، بتمحل الأسباب والمعاذير.

ولقد يرى المأمور أنه بما أمر به مغبون، أو مظلوم مهضوم الحق، وقد يكون ذلك صحيحاً، ولكنه يجب عليه أن يطيع فى كل حال، فإن الظلم فى مثل هذه الأمور أمر تقديرى، تختلف فيه الأنظار والآراء، والمأمور فى هذه الحال ينظر لنفسه، ويحكم لنفسه، فمن النادر أن يكون تقديره للظلم الذى ظن أنه لحقه تقديراً صحيحاً، لما يشبه أن يكون من غلبة الهوى عليه، ولعل آمره أقدر على الإحاطة بالمسألة من وجوهها المختلفة، ولعل تقديره إذ ذاك أقرب إلى الصواب، إذا لم يكن فعل مافعل عن هوى واضح وتعنت مقصود.

والظلم فى مثل هذا حرام ، ولـكنه حرام على الآمر ، أما المأمور فلم يؤمر بمعصية ، لأن ما أمر به فى ذاته ليس معصية ، إنما المعصية فى إصدار الأمر على غير جهة الحق .

٢ — نرى بعض القوانين تأذن بالعمل الحرام الذى لا شـك فى حرمته ، كالزنا ، و بيع الخمر ونحو ذلك ، وتشرط للإذن بذلك رخصة تصدرمن جهة مختصة معينة فى القوانين فهذا الموظف الذى أمرته القوانين أن يعطى الرخصة بهذا العمل إذا تحققت الشروط المطلوبة فيمن طلب الرخصة لا يجوز له أن يطيع ماأمر به ، و إعطاؤه الرخصة المطلوبة حرام قطعاً ، و إن أمره بها القانون ، فقد أمر بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة . أما إذا رأى أن إعطاء الرخصة فى ذلك حلال ، فقد كفر وخرج عن الإسلام ، لأنه أحل الحرام القطعى المعلوم حرمته من الدين بالضرورة .

٣ — نرى فى بعض بلاد المسلمين قوانين ضربت عليها ، نقلت عن أوربة الوثنية الملحدة ، وهى قوانين تخالف الإسلام مخالفة جوهرية فى كثير من أصولها وفروعها ، بل إن فى بعضها ماينقض الإسلام ويهدمه ، وذلك أمر واضح بديهى ، لا يخالف فيه إلا من يغالط نفسه ، ويجهل دينه أو يعاديه من حيث لا يشعر ، وهى فى كثير من أحكامها أيضاً توافق التشريع الإسلامى ، أو لا تنافيه على الأقل .

و إن العمل بها فى بلاد المسلمين غير جائز ، حتى فيما وافق التشريع الإسلامى ، لأن مَنْ وضعها حين وضعها لم ينظر إلى موافقتها للإسلام أو مخالفتها ، إنما نظر إلى موافقتها لقوانين أوربة أو لمبادئها وقواعدها ، وجعلها هى الأصل الذى يرجع إليه ، فهو آثم مرتدّ بهذا ، سواء أوضع حكماً موافقاً للإسلام أم مخالفاً .

وقد وضع الإمام الشافعى قاعدة جليلة دقيقة فى نحو هذا ، ولـكنه لم يضعها فى الذين يشرعون القوانين عن مصادر غير إسلامية ، فقد كانت بلاد الإسلام إذ ذاك بريئة من هذا العار ، ولـكنه وضعها فى المجتهدين العلماء من المسلمين ، الذين يستنبطون الأحكام قبل أن يتثبتوا مما ورد فى الـكتاب والسنة الصحيحة ، ويقيسون ويجتهدون برأيهم على غير أساس صحيح ، فقال فى كتاب (الرسالة) رقم ١٧٨ بشرحنا وتحقيقنا : « ومن تـكلف

ماجهل ومالم تثبته معرفته كانت موافقته للصواب ـ إن وافقه من حيث لايعرفه ـ غير محمودة ، والله أعلم ، وكان بخطئه غير معـذور ، إذا مانطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه » .

ومعنى هذا واضح : أن المجتهد فى الفقه الإسلامى ، على قواعد الإسلام ، لا يكون معذوراً إذا ما كان اجتهاده على غير أساس من معرفة ، وعن غير تثبت فى البحث عن الأدلة من الـكتاب والسنة ، حتى لو أصاب فى الحـكم ، إذ تـكون إصابته مصادفة ، لم تبن على دليل ، ولم تبن على يقين ، ولم تبن على اجتهاد صحيح .

أما الذى يجتهد و يتشرع ! ! على قواعد خارجة عن قواعد الإسلام ، فإنه لا يكون مجتهداً ، ولا يكون مسـلماً ، إذا قصد إلى وضع مايراه من الأحكام ، وافقت الإسلام أم خالفته ، فـكانت موافقته للصواب ، إن وافقه من حيث لا يعرفه ، بل من حيث لا يقصـده ، غير محمودة ، بل كانوا بها لا يقلون عن أنفسهم كفراً حين يخالفون ، وهذا بديهى.

وليس هذا موضع الإفاضة والتحقيق في هذه المسئلة الدقيقة . وما كان هو المثل الذى نضر به ، ولـكنه تمهيد .

والمثل : أنا نرى كثيراً من المسلمين الذين عهد إليهم بتنفيذ هذه القوانين والقيام عليها ، بالحـكم بها ، أو بالشرح لها ، أو بالدفاع فيها ، نراهم مسلمين فيما يتبين لنا من أمرهم ، يصلون و يحرصون على الصلاة ، و يصومون و يحرصون على الصوم ، و يؤدون الزكاة و يجودون بالصدقات راضية نفوسهم مطمئنين ، و يحجون كأحسن ما يحج الرجل المسلم ، بل نرى بعضهم يكاد يحج هو وأهله فى كل عام ، ولن تستطيع أن تجد عليهم مغمزاً فى دينهم ، من خمر أو رقص أو فجور . وهم فيما يفعلون مسلمون مطمئنون إلى الإسلام ، راضون معتقدون عن معرفة و يقين .

ولـكنهم إذا ما رسوا صناعتهم فى القضاء أو التشريع أو الدفاع ، لبستهم هـذه القوانين ، وجرت منهم كالشيطان مجرى الدم ، فيتعصبون لها أشد العصبية ، و يحرصون على تطبيق قواعدها والدفاع عنها ، كأشد ما يحرص الرجل العاقل المؤمن الموقن بشىء يرى أنه

هو الصواب ولاصواب غيره ، و ينسون إذ ذاك كل شيء يتعلق بالإسلام فيهذا التشريع ، إلا ما يخدع به بعضهم أنفسهم أن الفقه الإسلامى يصلح أن يكون مصدراً من مصادر التشريع ! فيما لم يرد فيه نص فى قوانينهم ، و يحرصون كل الحرص على أن يكون تشريعهم تبعاً لما صدر إليهم من أمر أوربة فى معاهدة منترو ، مطابقاً لمبادىء التشريع الحديث ، وكما قلت مراراً فى مواضع من كتبى وكتاباتى : وتبًّا لمبادىء التشريع الحديث .

فهؤلاء الثلاثة الأنواع : المتشرع والمدافع والحاكم ، يجتمعون فى بعض هذا المعنى و يفترقون ، والمآل واحد .

أما المتشرع : فإنه يضع هذه القوانين وهو يعتقد صحتها وصحة ما يعمل ، فهذا أمره بيِّن ، و إن صام وصلى وزعم أنه مسلم .

وأما المدافع : فإنه يدافع بالحق و بالباطل ، فإذا ما دافع بالباطل المخالف للاسلام معتقداً صحته ، فهو كزميله المتشرع . و إن كان غير ذلك كان منافقاً خالصاً ، مهما يعتذر بأنه يؤدى واجب الدفاع .

وأما الحاكم : فهو موضع البحث وموضع المثل . فقد يكون له فى نفسه عذرحين يحكم بما يوافق الإسلام من هذه القوانين ، و إن كان التحقيق الدقيق لا يجعل لهذا العذر قيمة .

أما حين يحكم بما ينافى الإسلام ، مما نص عليه فى الكتاب أو السنة ، ومما تدل عليه الدلائل منهما ، فإنه ـ على اليقين ـ ممن يدخل فىهذا الحديث : قد أُمر بمعصية ، القوانينُ التى يرى أن عليه واجباً أن يطيعها أمرتْه بمعصية ، بل بما هو أشد من المعصية : أن يخالف كتاب الله وسنة رسوله ، فلا سمع ولا طاعة ، فإن سمع وأطاع كان عليه من الوزر ما كان على آمره الذى وضع هذه القوانين ، وكان كمثله سواء .

٤ — وقد صنع رجال كبار من رجال القانون عندنا شيئاً شبيهاً بهذه القاعدة ، احتراماً منهم لقوانينهم التى وضعوها .

فقد قرر مجلس الدولة مبدأين خطيرين ، فيما إذا تعارض قانون عادى من قوانين الدولة

مع القانون الأساسى ، وهو الدستور ، فجعل الأولية للدستور ، وأنه يجب على المحاكم أن لا تطبق القانون العادى إذا عارضه .

ومجلس الدولة هيئة من أعلى الهيئات القضائية ، وُكل إليه فيما وُكل إليه من الاختصاص أن يحكم بإلغاء القرارات الإدارية التى تصدرها الحكومة إذا ما صدرت مخالفة للقوانين .

وهذان المبدآن اللذان نحن بصددهما أصدرتهما الدائرة الأولى من ذلك المجلس ، برئاسة رئيسه محمد كامل مرسى باشا ، وهو واضع قانون مجلس الدولة ، أو هو الذى له اليد الطولى فى إصداره ، وهو الذى ولى رئاسته أول ما أنشىء ، وهو مرسى قواعده ، ومثبت أركانه .

والمبدآن اللذان قررهما :

أحدهما : « أنه ليس فى القانون المصرى ما يمنع المحاكم المصرية من التصدى لبحث دستورية القوانين ، بله المراسيم بقوانين ، سواء من ناحية الشكل ، أو الموضوع » .

وثانيهما : « أنه لا جدال فى أن الأمر الملكى رقم ٤٢ لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستورى للدولة المصرية ، هو أحد القوانين التى يجب على المحاكم تطبيقها ، ولكنه يتميز عن سائر القوانين بما له من طبيعة خاصة تضفى عليه صفة العلوّ ، وتسمه بالسيادة ، بحسبانه كفيل الحريات وموئلها ، ومناط الحياة الدستورية ونظام عقدها . ويستتبع ذلك : أنه إذا تعارض قانون عادىّ مع الدستور فى منازعة من المنازعات التى تطرح على المحاكم ، وقامت بذلك لديها صعوبة ، مثارها أي القوانين هو الأجدر بالتطبيق ، وجب عليها بحكم وظيفتها القضائية أن تتصدى لهذه الصعوبة ، وأن تفصل فيها على مقتضى أصول هذه الوظيفة ، وفى حدودها الدستورية المرسومة لها . ولا ريب فى أنه يتعين عليها عند قيام هذا التعارض أن تطرح القانون العادى وتهمله ، وتغلب عليه الدستور وتطبقه ، بحسبانه القانون الأعلى الأجدر بالاتباع . وهى فى ذلك لا تعتدى على السلطة التشريعية ، ما دامت المحكمة لا تضع بنفسها قانوناً ، ولا تقضى بإلغاء قانون ، ولا تأمر بوقف تنفيذه . وغاية الأمر . أنها تفاضل بين قانونين قد تعارضا ، فتفصل فى هذه الصعوبة ، وتقرر أيهما الأولى بالتطبيق . وإذا كان القانون العادى قد أهمل ، فمرد ذلك فى الحقيقة إلى سيادة الدستور العليا على سائر

القوانين ، تلك السيادة التي يجب أن يلتزمها كل من القاضي والشارع [يريد المتشرع !!] على حد سواء » .

(القضية رقم ٦٥ سنة ١ قضائية ، في مجموعة أحكام مجلس الدولة ، تأليف الأستاذ محمود عاصم ج ١ ص ٣٧٧ ، ٣٧٩) .

ومن البين البديهي الذي لا يستطيع أن يخالف فيه مسلم : أن القرآن والسنة أسمى سمواً ، وأعلى علواً ، من «الدستور» ومن كل القوانين ، وأن المسلم لا يكون مسلماً إلا إذا أطاع الله ورسوله ، وقدم ما حكما به على كل حكم وكل قانون ، وأنه يجب عليه أن يطرح القانون إذا عارض حكم الشريعة الثابت بالكتاب والسنة الصحيحة ، طوعاً لأمر رسول الله في هذا الحديث : « فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة » .

(٣٣:٣٦ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرَة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) (٤:٦٠-٦٥ ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ؟ يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت - وقد أمروا أن يكفروا به - ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيدا ، وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً . فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ، ثم جاءوك يحلفون بالله : إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً . أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ، فأعرض عنهم وعظهم ، وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً - إلى قوله - فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) (٥ : ٥٠ أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ؟) .

٧ – أيتها الأمم المستعبدة :

يوشك أن تقع الواقعةُ ، وقد تكون هي الحاسمة المدمّرة ، على رأس الطغاة المستبدين المستكبرين . فحذار أن تُخدَعوا عن أنفسكم وعن أممكم كما خُدعتم من قبل .

إنهما فريقان يتناحران ، ليس بهما إلا الاستبداد والطغيان ، وليس بهما إلا أن يستعبدكم الفريقُ المُنتصر . لا تصدقوا أن واحداً من هؤلاء أو هؤلاء يريد بكم الخير أو الحرية .

أيتها الأمم المستعبدة ، من العرب ، من أقصى العراق إلى أقصى المغرب ، ومن المسلمين وغير المسلمين ، فيما يسمونه « الشرق الأوسط » و « الشرق الأقصى » ! إنكم ضحيةُ هؤلاء الفجرة ، وقد لبثتُم في إسار الذل والاستعباد بضعَ مئات من السنين . ذاق هؤلاء الوحوشُ الأوربيون طعمَ الخيرات في بلادكم ، ثم طردهم أبطالُ الإسلام في الحروب الصليبية من بلاد الإسلام و بلاد الشرق . وعرفوا منكم ومن بلادكم معنى الحضارة وحقيقة الحرية فلم يستطيعوا صبراً عن مطامعهم وثاراتهم .

لا تُخدعوا بما يزعمون من دفاع عن الحرية وعن الحضارة ، فإنما الحرية عندهم حريةُ أوربة ، وحريةُ الأوربيين في أمريكا وغيرها . وشاهدكم على ذلك ما فعلوا و يفعلون في أهل أمريكا الأصليين إلى اليوم ، وما فعلوا و يفعلون في أهل أستراليا الأصليين إلى اليوم .

لا تُخدعوا بما يسمونه « الدفاعَ المشترك » و « المواقعَ الإستراتيجية » ، فإنكم ترون بأعينكم وتسمعون بآذانكم ما يقولون في صحفهم ، وما يعلن به قادتهم وزعماؤهم ، وهم يصارحونكم بأنهم يأبَوْن عليكم أن تقفوا موقفَ الحياد بينهم و بين خصمهم ، و بأنهم سيأخذونكم في صراعهم إلى جانبهم ، رضيتم أم أَبَيْتُمْ . و بأنكم أنتم السياج القويُّ دونَهم و بأنكم الخطُّ الأول في دفاعهم أو هجومهم .

وثِقُوا بأنه إذا تندَّر الناسُ يوماً مّا بأن الإنجليز قالوا في الحرب الماضية « سنقاتل إلى آخر جنديّ فرنسي » ! فسيكون حقيقةً واقعةً أن الأمم التي تسمى نفسها « الدمقراطية » وقد ضموا إليهم أعداءهم السابقين من « النازية » « والفاشية » – ستقول في الصراع القادم

سنقاتل إلى آخر رجل أو امرأة أو طفل فى الشرق الأوسط والشرق الأقصى ! ! وسيمتصُّون كل قطرة من دمائكم ، وسيأكلون كل ذَرَّةٍ من خيراتكم ! ! فإنهم لا يفقهون إلا أنكم خُلقتم رِدْءًا لهم أولاً ، ثم غُنْماً لهم أخيراً .

أيها الناس :

لا تُخْدَعُنَّ بما فى أيدى بعض أممكم من مظاهر الاستقلال ، فإنما هو استقلال زائف مُوَقَّت ، سينقلب إلى أشد ما لقيتم من قبلُ من ألوان الاستعباد ، إذا ما وقعت الواقعة ، وجاءت الطامة على رؤوس هؤلاء السادة . وقد جرَّبناهم فى حر بين سالفتين ، فما رأينا منهم إلا شرًّا ، و إلا استعلاء واستعباداً . بل لا تزال أممٌ كُثْرٌ منكم تَرْسِفُ فى أغلال العبودية وما حال المَغرِبَيْنِ الأدنى والأقصى منكم ببعيد .

ولا تنسوا أن هؤلاء الوحوش المتعصبين يكرهون اليهود بأكثر مما تكرهون أضعافًا مضاعفةً ، ولكنهم فى سبيل إذلالكم ووضع أيديهم على أعناقكم ، وامتصاص خيراتكم ودمائكم ـ جاؤوا بشُذَّاذ الآفاق من مجرمى اليهود ووضعوهم فى قلبكم ، قريباً من الحرمين . و بين العراق والشام ومصر . واصطنعوا لهم دولةً يُمِدُّونها بالمال والعتَاد ، لتملك عليكم أمركم كلَّه من كل ناحية . وجعلوها دولةً دينية زعموا ! فى العصر الذى يَدَّعون أن الدول الدينية لا بقاء لها ولا قَرار .

ولا تظنوا أن الروس خير لكم منهم ، أو أنهم سينصرونكم أو يَدَعُونكم أحرارًا إذا ماظفروا ، فكل هولاء وأولئك شرٌّ ، وكلهم عدوّ . ولكنا نأبى أن ننصر عدوًّا على عدوٍّ ، ونأبى أن نكتب وثيقة استعبادنا بأيدينا ، لهؤلاء أو هؤلاء .

بل يجب أن نقاوم هؤلاء وهؤلاء ، بما استطعنا من مقاومةسلبية أو إيجابية ، فلا نمكِّنَ لواحدٍ منهم فى شبرٍ من أرضنا ، ولا بِحَبَّةٍ واحدة من قُوتِنا . فمن فعل ذلك فهو خائن لأمته ولبلاده ، ولسائر بلاد الشرق من آسيا وأفريقيا .

واعلموا ـ أيها المسلمون خاصة ـ أن من خاض منكم غمار الحرب القادمة ، مع هؤلاء أو هؤلاء ، ثم كُتبتْ له الحياةُ ، كان حيًّا كميت ، وعاش عبداً ذليلاً ، آثمًا عاصياً ،

حتى يُسْلِمَهُ أجله إلى مصيره ، وإن كُتب عليه القتلُ ، لم يكن شهيداً ، بل مات خارجاً على دينه ، مخالفاً عن أمر ربه ، عاصياً لرسوله ومصيرهُ إلى النار .

أيها الناس :

اعلموا « أن أعرابيًّا أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، الرجلُ يقاتل للمَغْنَمَ ، والرجلُ يقاتل ليُذْكَر ، والرجلُ يقاتلُ ليُرَى مكانُه ، فَمَنْ فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قاتل لتكون كلمةُ الله هى العليا فهو فى سبيل الله [1] »

وأنه « جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيتَ رجلا غَزَا يلتمس الأجر والذِّكْرَ ماله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاشيء له ، فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا شيء له ، ثم قال : إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ، وابتُغى به وجهُه . [2] » .

أيها الناس :

قد أنذرتُكم فاحْذَروا .

احمد محمد شاكر

---

(١) حديث صحيح . رواه أحمد وأصحاب الكتب الستة من حديث أبى موسى الأشعرى . أنظر الترغيب والترهيب ٢ : ١٨٠ — ١٨١ ، والمنتقى رقم ٤١٩٢ ، وجامع الأصول لابن الأثير رقم ١٠٦٣ .

(٢) رواه أحمد والنسائى من حديث أبى أمامة الباهلى . أنظر المنتقى رقم ٤١٩٤ ، وجامع الأصول رقم ١٠٦٦ . ونسبه المنذرى فى الترغيب والترهيب ٢ : ١٨١ لأبى داود والنسائى ، وهو خطأ ، فإنه لم يروه أبو داود .

ابن بطوطة ...

يفترى الكذب على ابن تيمية

مما افتراه الخراصون على شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية رضى الله عنه أنه كان يوما يعظ الناس على منبر جامع دمشق ، فكان من جملة كلامه أنه قال : « إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا ، ونزل درجة من درج المنبر » ، ومن العجب المقنع بالأعاجيب أن هذه الفرية المفتراة وجدت من يصدقها ويذيعها ، ويدب بها صِلاً غداراً جباناً ينفث بها سمومه ، فليس فى كتب الإمام ابن تيمية ، ولا فى فتاويه التى خلفها شية من ذلك البهتان ، ولا آثاره تنم عن هذه الفرية فى ظنونها الآثمة ، فابن تيمية المؤمن الصادق الموحد من أعلم الناس بربه ، وما ينبغى لجلاله ، إن ابن تيمية كان نداء الإيمان القوى الذى دوى ، فأيقظ المسلمين من سبات الغفلة الجاهلة ، كان نوراً شعاعاً يمزق عن العقول أسداف التقليد . إن ابن تيمية وجد القلوب يتنازع هواها جِيَفٌ فهم فيها الضالون الربوبية من دون الله ، فحاول جمعها على محبة الله الحى القيوم ، وجد المسلمين قد لوثت عقولهم الفلسفة الحيرى ، ومزق اعتقادهم علم الكلام المضطرب ، وأضلت قلوبهم الصوفية الزنديقة ، وشتت دينهم الفقهاء المتنابذون ، فأعلن فى جرأة الحق وصولة الإيمان القوى ، غير هياب ولا وجل ، أن كلمة الله هى العليا ، وأن الدين نَبْعٌ من كتاب الله ، وإشراق من سنة رسول الله ، أعلن أن الدين ليس فلسفة ولا كلاماً ولا صوفية ، ولا « فقهنة » ، بل إن الدين هدي يستهل إشراقاً من الذكر الحكيم ، ومن سنة النبي الكريم ، فأنى لابن تيمية الخاضع الضارع الخشوع لله أن يشبه نزول ربه بنزوله هو من على منبره ؟ ! . آه لو تجردت العقول من الهوى ، ولو رفع عنها حجب التقليد العمياء الصماء ، لرأت الحق أبلج البرهان ، ولشهدت الهدى علوى البيان ! ! .

بدهتني هذه الفرية من زمن ، فطالعت من كتب شيخ الإسلام ما ثبّت يقيني أن الشيخ

برىء من هذه الفرية ، ولكنى ساءلت نفسى : أيقنا بكذب الفرية ، ولكن أين ؟ ومن هو المفترى ؟ ! ومن ذا الذى تسرب بها فى ثنايا التاريخ أفعوانا يدب على ختل وغدر ؟ وما زلت تصرفنى الصوارف ، ثم يعود بى الفكر كلما ناقشنى مجادل مقلد ، ومضى يُرْجف بهذه الفرية ، ويبدهنى بهُجره : حسبكم ضلالاً يا أنصار السنة قولكم وقول ابن تيمية : إن الله ينزل من فوق عرشه كنزولكم من على منابركم . وثم أحيله على كتب شيخ الإسلام فينفر مذعوراً غبي الخوف قائلا : أأقرأ فى كتب ابن تيمية ليهدم عقيدتى ؟ ! كلا ! ! إنها سم زعاف ! !

نعم يا رجل : سم زعاف لطاغوتك ، وصاعقة تدمر على رءوسها أصنامك ! !

وما زلت حتى أعثرنى الله على المفتري الكذوب ، و بدهى أن أشنع الكذب ما كانت الماديات المحسة تكذبه ، وما كانت حقائق التاريخ الجلية ترميه بالبهتان . .

ها هو كتاب « مهذب رحلة ابن بطوطة » فى يدى ، وهأنذا أطالع من جزئه الأول ما يأتى : « وصلت يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين إلى مدينة دمشق الشام [1] » ، ثم أطالع بعدها فأجد ابن بطوطة يقول : « وكان بدمشق من كبار فقهاء الحنابلة تقي الدين بن تيمية كبير الشام يتكلم فى الفنون إلا أن فى عقله شيئا [2] ، وكان أهل دمشق يعظمونه أشد التعظيم ويعظهم على المنبر » ثم يقول : « حضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم ، فكان من جملة كلامه أن قال : إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا . ونزل درجة من درج المنبر [3] » . .

هذا هو بيت القصيد كما يعبرون ، فابن بطوطة الحقود على الإمام يريد رميه بما ابتدعه

(١) ص ٦٨ من مهذب رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٩٣٩

(٢) تأمل حقد ابن بطوطة على شيخ الإسلام حيث يفترى عليه هذه التهمة ، ولست أدرى كيف يكون ابن تيمية مخبولا ثم يعظمه أهل دمشق هذا التعظيم ؟ إلا أن يكونوا جميعاً مخبولين ، وكيف يخلف من فى عقله شيء هذا التراث الأدبى الدينى الفكرى الرائع الذى يسمو به العقل البشرى إلى الآفاق العلوية الذرى فى العقيدة الناصعة والعمل الصالح ؟

(٣) ص ٧٧ ج ١ المرجع السابق .

المبتدعة : بالتجسيم ، يريد رميه بأنه يشبه صفات الخالق بصفات المخلوق ، وأن هناك حركة متجسدة محسة يتحركها الإله ، وبأن هنالك مسافات تطوى وتجشمه جهداً كالإنسان . سبحان ربنا وتعالى .

تلك هى فرية الحقد وبهتان الحسد ، ويقينى أنها المصدر الأول لكل حاقد مبغض لابن تيمية ولمقدريه ، ولكن الله الذى يؤيد بالنصر أولياءه ، ويقيم بالحق أود الحق ، ويشيع نور العدل فى حوالك الجور ، أقول : إن الله العدل الخبير جعل لنا من الحقائق المادية التى يكاد يلمسها الحس حجة على ابن بطوطة تدمغه بالإفك ، وتجعل من بهتانه فرية « مُسَيْلِمِيَّة » النسب ، « بهائية » الدعوى . .

يقول ابن بطوطة : إنه وصل دمشق فى يوم الخميس التاسع من شهر رمضان المعظم عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية ، فهو يحدد تحديداً دقيقاً باليوم ، وبالشهر وبالسنة ، وقت دخوله دمشق ، ولا ريب فى أنه سمع ابن تيمية ـ كما يفترى ـ بعد ذلك . لأنه سمعه يوم جمعة ، فلا ريب يكون مراده أنه سمعه فى اليوم العاشر من رمضان ، إن لم يكن بعد ذلك ، وإنه بهذا التحديد الدقيق قد أقام الحجة على كذبه الكذوب ، وإليك الدليل :

ها هو كتاب العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية[1] بيدى ، وهأنذا أقرأ فيه « فلما كان فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وقع الكلام فى مسألة شد الرحال وإعمال المطي إلى قبور الأنبياء والصالحين . وظفروا للشيخ بجواب سؤال فى ذلك كان قد كتبه من سنين كثيرة يتضمن حكاية قولين فى المسألة وحجة كل قول منهما ، وكان للشيخ فى هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير ذكره فى كتاب اقتضاء « الصراط المستقيم[1] » وغيره وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذى ظفروا به » ويقول فى صفحة تسع وعشرين وثلاثمائة « ولما كان يوم الاثنين بعد العصر السادس

---

(١) تأليف الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن عبد الهادى تلميذ ابن تيمية بتحقيق فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد حامد الفقى ط ١٩٣٨ ص ٣٢٧ .

(٢) طبعت مطبعة السنة المحمدية هذا الكتاب القيم الجليل بتحقيق العالم المحقق الشيخ محمد حامد الفقى ، طبعة متقنة فخمة بفهارس جيدة هذا العام . والكتاب كله علم وحق وحكمة . فانظر فيه الحجة والدليل على ما يذكر ابن عبد الهادى فى أكثر من صفحة .

من شعبان من السنة المذكورة « ٧٢٦ هـ » حضر إلى الشيخ من جهة نائب السلطنة بدمشق. مِشَدُّ الأوقاف ، وابن خطير ، أحد الحجاب . وأخبراه : أن مرسوم السلطان ورد بأن يكون فى القلعة ، وأحضرا معهما مركوباً . فأظهر الشيخ السرور بذلك . وقال : أنا كنت منتظراً ذلك . وهذا فيه خير عظيم . وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة ، وأخليت له قاعة حسنة ، . وأجرى إليها الماء ، ورسم له بالإقامة فيها . وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان ، ورسم له بما يقوم بكفايته وفى يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور قرىء بجامع دمشق الكتاب السلطانى الوارد بذلك و بمنعه من الفتيا وفى يوم الأربعاء منتصف شعبان أمر القاضى الشافعى بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم ، وذلك بمرسوم النائب له فى فعل ما يقتضيه الشرع فى أمرهم ، وأوذى جماعة من أصحابه ، واختفى آخرون ، وعزر جماعة ، ونودى عليهم ، ثم أطلقوا ، سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر إمام الجوزية فإنه حبس بالقلعة وسكنت القضية » . ويقول ابن عبد الهادى بعد ذلك « ثم إن الشيخ رحمه الله تعالى بقى مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياماً . ثم توفى إلى رحمة الله ورضوانه ، وما برح فى هذه المدة مكباً على العبادة ، والتلاوة وتصنيف الكتب ، والرد على المخالفين[1] » ويقول ابن عبد الهادى ــ راوياً عن الشيخ علم الدين ــ ما يأتى : « وفى ليلة الاثنين لعشرين من ذى القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة توفى الشيخ الإمام العلامة الفقيه ، الحافظ ، الزاهد ، القدوة ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس ، أحمد ، بن شيخنا الإمام المفتى ، شهاب الدين ، أبى المحاسن عبد الحليم ، بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام مجد الدين أبى البركات ، عبد السلام ، بن عبد الله ، بن أبى القاسم ، بن محمد بن تيمية الحرانى ثم الدمشقى ، بقلعة دمشق ، التى كان محبوساً[2] فيها » .

من هذه النصوص نفهم أن ابن تيمية سجن فى شعبان سنة ٧٢٦ ، ونفهم أنه دخل سجنه بالقلعة فى دمشق ، ومكث فيه عامين لم يخرج فيهما مطلقا حتى توفى رضى الله عنه فى ذى القعدة سنة ٧٢٨ ، والذى يقص لنا كل هذا تلميذه الصدوق ابن عبد الهادى ،

---

(١) ص ٣٦١ من كتاب العقود الدرية . (٢) ص ٣٦٩ من كتاب العقود الدرية .

ومن أرخوا لابن تيمية حددوا هذه التواريخ المذكورة من قبل .

بعد تقرير هذا نعود لمناقشة ابن بطوطة على ضوء مشرق من هذه الحقائق التاريخية الثابتة اليقين .

يقول ابن بطوطة : إنه دخل دمشق فى تسعة خلت من رمضان عام ٧٢٦ هـ وأنه سمع يوم الجمعة بنفسه وأذنه ابن تيمية يخطب على المنبر فى الجامع بدمشق مشبهاً نزول الله ـ جل الله وسبحانه ـ بنزوله من على منبره .

والثابت من تاريخ ابن تيمية أنه سجن فى ٦ شعبان سنة ٧٢٦ هـ بالقلعة وأنه ظل فى سجنه حتى مات ، لم يخرج منه بعد عامين وثلاثة أشهر وأيام سنة ٧٢٨ هـ .

يثبت من هذا أن ابن بطوطة دخل دمشق بعد أن سجن ابن تيمية بشهر يزيد قليلا فابن تيمية سجن فى ٦ شعبان وابن بطوطة سمع ابن تيمية حسب زعمه وكذبه فى عشرة من رمضان أى سمعه بعد أن مضى على سجنه أربعة وثلاثون يوماً ، ياللكذب الفاضح المفضوح ؟ ؟ ! !

ابن تيمية سجين القلعة حين دخل ابن بطوطة دمشق ! . فمتى سمع ابن بطوطة خطبة ابن تيمية ؟ ! إن ابن تيمية ما كان يغادر محبسه مطلقاً ، لعل شيطان ابن بطوطة تمثل بابن تيمية فخطب على منبر الجامع فسمعه ابن بطوطة ! ! ! من هذا التحقيق الجلى لوقائع التاريخ يعلن التاريخ فى قوة وجلاء ، بل يصرخ فى وجه ابن بطوطة رامياً إياه بالافتراء والكذب على ابن تيمية . فمن المستحيل المادى المحس الواقعى أن يكون ابن بطوطة قد سمع ابن تيمية .

بقى أن نعرف سر حقد ابن بطوطة على شيخ الإسلام ابن تيمية وافترائه عليه هذه الفرية ، لو قرأت رحلة ابن بطوطة لفهمت السر . . إن ابن بطوطة كان ممن يعبدون من يسميهم أولياء ، ويستشفع بقبورهم ، ويثبت لأوليائه علم الغيب ، والقدرة على التصرف ، وكتابه مشحون بأمثال هذه الوثنيات وما من بلد نزل فيها إلا ويثبت لقبر فيها كرامة وتصريفاً ، وأنه استشفع بالقبر فأجيبت شفاعته ولو نقلنا عنه بعض ما ذكر لطال بنا المقام فحسبنا الإشارة إلى ذلك .

وابن تيمية كان فى عصره المعول القوى الذى دك هياكل الأصنام والطواغيت على سدنتها

وعبادها ، لقد أشعلها لظى تمور على البدع والأساطير والخرافات ، وابن بطوطة من السدنة العباد ، فلم لايشنع على ابن تيمية بهذا ؟ ؟ !

ها نحن كذبنا من الناحية التاريخية تلك الفرية ، بقى أن نكذبها من الناحية الموضوعية ولو ذهبنا نتقصى كل ما كتب ابن تيمية عن النزول وسواه من صفات الله وأسمائه فى كتبه لطال بنا الوقت ، ولطال المقال كثيراً ، والسطر اليوم في المجلة بقدر وحساب . فنكتفى بذكر ما يأتى وأمرنا إلى الله

يقول شيخ الإسلام « مذهب السلف والأئمة إثبات الصفات ونفى مماثلتها لصفات المخلوق ، فالله تعالى موصوف بصفات الكمال الذى لا نقص فيه ، منزه عن صفات النقص مطلقاً ، ومنزه عن أن يماثله غيره فى صفات كماله ، فهذان المعنيان جمعا التنزيه ، وقد دل عليهما قوله تعالى « قل هو الله أحد * الله الصمد » فالاسم « الصمد » يتضمن صفات الكمال ، والاسم « الأحد » يتضمن نفى المثل . . . فالقول فى صفاته كالقول فى ذاته ، والله تعالى ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله » أفمن يقول هذا يشبه نزول الله إلى سماء الدنيا بنزوله هو ؟ ! أم هو الحقد الحقود من ابن بطوطة وعبد الطاغوت على شيخ الإسلام ؟ ! .

ولعلنا لا نجد بعد ذلك من قوم يبغضون كل حق على لسان عربى ، ويقدسون كل باطل على لسان أعجمى ، تعلات أسخف من عقول أصحابها ، فيزعمون أن ابن تيمية سجن فى رجب ، يقولون ذلك من افتراءاتهم ليثبتوا صدق ابن بطوطة وإنها لحجة جديدة على كذب ابن بطوطة . فشهر رجب - بالبديهة - سابق لشهر رمضان ، فلئن كان ابتداء حبس شيخ الإسلام فى رجب أو فى شعبان ، فقد كان من المحقق الذى لا شك فيه محبوساً فى رمضان ، الذى يدعى ابن بطوطة وقوع فريته فيه . وإنا لمنتظرون لما يأفكون ؟

عبد الرحمن الوكيل

الوكيل الأول لجماعة أنصار السنة المحمدية

الديانات والفلسفـــــات

إلى أي حدٍّ تلتقي ، وفيم تنفصل ؟

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء
ودكتور فى الفلسفة من جامعة السربون

إذا نحن أحصينا ضروب المعرفة الإنسانية ، على كثرة اختلافها وفرط تنوعها ، وجدنا من بينها ضرباً يجرى مع الأديان فى مجال ، ويكاد يعدّ من عصبتها أو من ذوى رحمها الأقربين ، ولا نجد ضرباً آخر يزاحمه أو يدانيه فى هذا النسب ، ذلك هو مااصطلح العلماء على تسميته باسم « العلم الأعلى » أو « الفلسفة العامة » .

أليس موضوع الفلسفة هو نفسه موضوع الدين ؟ أو ليست المشكلة التى تعالجها الفلسفات هى بعينها المشكلة التى انتدبت الأديان لحلها ؟ فمهمة الفلسفة هى البحث عن أصل الوجود وغايته ، وتعرّف سبيل السعادة للانسانية فى العاجل والآجل ، هذان هما موضوعا الفلسفة بقسميها العلمى والعملى . وهما كذلك موضوعا الدين بمعناه الشامل للأصول والفروع .

غير أن الاتحاد فى موضوع البحث ، لايعنى دائماً الاتفاق فى نتائجه . فكما أمكن أن تختلف الأديان فى تعيين الحلول لهذه المسائل الكبرى[1] اختلفت مذاهب الفلسفة فيما بينها اختلافاً كثيراً . بل قد يكون الاختلاف بين الفلاسفة أشد تشعباً وتباعداً منه بين أهل الأديان .

---

(١) لم تختلف الأديان الصحيحة قط فى تعيين الحلول لهذه المسائل الكبرى أى مسائل أصول الدين ، بل الدين الصحيح واحد ، هو الذى أوحاه الله إلى جميع الأنبياء ، بنص القرآن الكريم وإنما جاء الخلاف فى الفروع فقط ، ثم جاء فى بعض الأصول من تحريف الضالين وزيغ الزائغين ، ونعوذ بالله من ذلك . أحمد محمد شاكر

وليس يعنينا الآن أن نبحث عن وجوه الاختلاف الداخلي بين أهل المعسكر الواحد هنا أو هناك . ولكن الذى يعنينا أن نعرف الوجوه التى فصلت بين هذين المعسكرين الدينى والفلسفى ،حتى جعلت كل طائفة منهما ذات لقب خاص لايصح نقله إلى الطائفة المقابلة لها . وإذا كان لاسبيل لنا إلى الفصل بين موضوعى الديانة والفلسفة ، بعد أن تبينت لنا وحدة هذا الموضوع ، لم يبق لنا إلا البحث عن النتائج التى وصل إليها كل منهما .

وهنا أيضاً نجد أن كثيراً من المذاهب الفلسفية قد توصلت بمجهودها المستقل إلى تقرير النتائج الكلية التى تقررها الأديان[1] بينما أخذت بعض هذه المذاهب تنفصل عن الحقائق الدينية انفصالاً جوهرياً ، وأشد هذه المذاهب انفصالا وأكثرها بعداً هى المذاهب المادية التى لا تعترف بشىء فى الوجود وراء الحس والمشاهدة ، فتنكر بذلك عنصراً أساسياً مشتركا تقوم عليه جميع الأديان وتقره سائر الفلسفات .

---

(١) هذا غير صحيح ولا يثبته شىء من التاريخ الثابت ، ولا من العلم بالأديان ، ولا من العلم بالفلسفات . ثم لا ننسى أن الوحى والنبوات بدأت مع بدء الخليقة ، منذ آدم عليه السلام ثم إذا بعد العهد ونسى الناس حقائق الدين أرسل الله إليهم من يعلمهم ويدعوهم إلى التوحيد والإخلاص والدين الحق ، وهكذا حتى ختم الوحى والنبوة بخاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم . فاستقر الوحى والدين وامتنع التحريف والافتراء ، إلا بالتأويل والأهواء . وأما النظرية التى تقرر أن (المذاهب الفلسفية قد توصلت بمجهودها المستقل إلى تقرير النتائج الكلية التى تقررها الأديان) فإنما هى مبنية على علوم أوربة الوثنية الملحدة بعد موجة الإلحاد وإنكار الوحى وإنكار ما وراء المادة ، بل إنكار الألوهية . ففهموا — بجهلهم وحمقهم — أن الدين تطور مع الإنسان الذى تطور على مر العصور من الحيوانات الدنيا إلى القردة ، إلى أن صار إنساناً ، فإنهم ينكرون بدء الخلق على ما عرفته الأديان وورد به الوحى الصحيح . وتجدون ذلك مجملا أو مفصلا بعض التفصيل فى كتاب تاريخ الفلسفة فى الشرق الذى ترجمه الدكتور الشيخ محمد يوسف موسى ، وفى الكتاب الذي ينشر الإلحاد ، والتى سرقت أكثر المعلومات التى فيه من كتاب تاريخ الفلسفة فى الشرق ، وهو الكتاب الذى ألفه عباس محمود العقاد ، وأجترأ أن يسميه (الله) ، جرأة منه على مقام الألوهية ، فيما سمى وفيما كتب .
أحمد محمد شاكر

بل الفلسفات الروحية التى تتلاقى مع الديانات فى الاعتراف بأن فوق العالم إلها مدبرا قد تفهم الصلة بين هذا الإله و بين العالم على وجه غريب يجعلها تتخلف عن ركب الأديان فى مرحلة أو أكثر من المراحل الثلاث التاليــة ، بناء على فقدها عنصراً جوهرياً من عناصر الديانات .

العنصر الأول : عنصر « الخلق » فقد بنيت مذاهب بعض فلاسفة اليونان على أن الروح المدبّر للعالم لم ينشىء هذا العالم إنشاء من العدم بل إنه وجد أمامه المواد الـكونيـة مبعثرة فقام بتنسيقها على هذا الوجه الهندسى البديع ، فهو فى نظرهم ليس خالقاً بارئاً ، بل هو بنّاء ماهر .

العنصر الثانى : هو عنصر « الربوبية » أو « العناية المستمرة » بيان ذلك : أن الفلسفة فى بحثها عن علل الأشياء صاعدة إلى نهايتها العليا ، قد تفهم هذه العلة الأولى على أنها سبب بعيد قد أدى عمله ، وانتهت مهمته ، وأن مثل الفاعل الأول كمثل البناء أو المهندس حين يفرغ من رسم البيت و إنشائه ، و يصبح لاعلاقة له بسياسته وتدبيره ، بينما الأديان كلها قائمة على فـكرة الربوبية ، بمعنى أن القوة التى تمجدها الأديان لها صلة بالحوادث اليومية ، وأنها ذات عناية مستمرة بالـكائنات ، لا تنفك عن تدبيرها و إمدادها ، وذلك هو أساس فـكرة العبادة .

العنصر الثالث من العناصر التى تمتاز بها الفـكرة الدينية عن الفـكرة الفلسفيـة : هو إثبات صلة معنوية شعورية بين العارف والمعروف ، وهى صلة تقوم فى جوهرها على معنى الالزام والالتزام الأدبى بينهما ، فهذه الصلة تـكاد تـكون مفقودة فى الفلسفة من حيث هى فلسفة ، ذلك أن غاية الفيلسوف من ربطه المسببات بأسبابها ، هو فهمه الأشيـاء على وجه منطقى معقول ، يضع كل حد منها موضعه اللائق به ، فالقوة التى يضعها على رأس الحوادث يكفى أن يكون شأنها فى الكون شأن الصانع فى تدبير صنعته ، أو الربان فى قيادة سفينته ، فهى صلة آلية خارجية ، لايتبادل فيها الخطاب ولا تتناجى فيهـا الأرواح ، ولا يتجه فيها العارف إلى معروفه بالمحبة والتبجيل ، والخشية والتأميل ، وما إلى ذلك من المعانى

التي لايتحقق مفهوم الدين بدونها ، إذ الدين ليس إيماناً ومعرفة فحسب ، بل هو التفات روحى متبادل ، هو رباط من الطاعة والولاء ، ومن الحدب والرعاية ، بين المتدين و بين الحقيقة التي يؤمن بها ، ومن هنا تعرف السر فى اتفاق ناقدى الأديان على المذهب الذى اشتهر فى القرن الثامن عشر باسم « الديانة الطبيعية [1] » ليس فى الحقيقة ديناً ، ولم يكن يوما ما ديناً من الأديان ، ولكنه نوع من الفلسفة الجافة تنقصه هذه الصلة الروحية ليستحق اسم الدين .

والآن هب الدين والفلسفة اتفقا فى الموضوعات والنتائج فهل يصل هذا الأمر بينهما أن يتفقا فى كل شيء حتى يصبحا اسمين لمسمي واحد ؟ .

هيهات ! فقد بقيت وستبقى دائماً بينهما فروق جوهرية يراها بعض العلماء فى الوسائل والمناهج ، و بعضهم فى المصادر والمنابع ، و بعضهم فى الظروف والملابسات ، ونراها نحن في شيء أعمق من هذا كله : فى العناصر المقومة لحقيقة كل منها .

يقول الفارابى نقلا عن علماء اليونان : أن اسم الفلسفة خاص عندهم بالعلم الذى تعقل فيه حقائق الأشياء بذاتها ، لا بمثالها ، و يتوسل فيه إلى فهمها بالبراهين اليقينية ، لا بمجرد الإقناع . أما الملل والأديان فطريقهما فى التفهيم إقناعى ، وتمثيلى .

نقول : إن صحت هذه التفرقة فى بعض الأديان ، فإنها لاتنطبق على جميعها . فهذا دين الإسلام مثلا قد جمع فى تعاليمه بين طريقتى اليقين والإقناع ، و بين منهجى التحقيق والتمثيل والفيلسوف ابن رشد يقرر لنا هذه الحقيقة بطريقة تطبيقية على كثير من المسائل والنصوص فى كتابه « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » فبعد أن بين أن طباع الناس متفاضلة فى التصديق فمنهم من يصدق بالبرهان ، ومنهم من يصدق بالأقاويل الجدلية تصديق صاحب البرهان ، إذ ليس فى طبيعته أكثر من ذلك ، ومنهم من يصدق بالأقوال الخطابية كتصديق صاحب البرهان بالأقاويل البرهانية ، قال مانصه :

---

(١) يتلخص هذا المذهب فى الاعتراف بثلاثة مبادىء : الإله الخالق ، وخلود الروح ، والواجب الأخلاق .

ولما كانت شريعتنا هذه قد دعت الناس من هذه الطرق الثلاث عم التصديق بها كل إنسان ، إلا من يجحدها عنادا بلسانه أو لإغفاله ذلك من نفسه . ولذلك خص عليه السلام بالبعث إلى الأحمر والأسود ، أعنى لتضمن شريعته طرق الدعاء إلى الله تعالى . وذلك صريح فى قوله تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن[1]) وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب : « فإن الكتاب العزيز إذا تؤمل وجدت فيه الطرق الثلاثة أعنى (الطريق) الموجودة لجميع الناس ، و (الطريق) المشتركة لتعليم أكثر الناس ، و (الطريق) الخاصة[2] »

ليس لنا إذاً أن نقول إن الأديان كلها تقوم على الإقناع الخطابي والتمثيلى لا على التحقيق واليقين .

ثم ليس من الصواب أن نقول من الجهة الأخرى إن التعليمات الفلسفية تستمد دائما من نور العقل وتستند إلى البراهين القطعية ، إذ لو كانت كلها كذلك ما أمكن أن يحدث بينها هذا الاختلاف والتضارب ، فإن الحق لا يعارض الحق ولا يكذبه ، بل يسنده و يؤيده .

فهذا التعارض دليل واضح على أنه ليس كل منها يمثل الحقيقة المطلقة و يقول فيها الكلمة الأخيرة ، بل من الجائز أن يكون كل منهما يمثل جانبا من حقيقة مركبة تتألف من مجموعها ، ومن الجائز أن يكون الحق واحدا منها وسائرها باطلا ، أو يكون الحق وراء ذلك كله . ولا بد لمعرفة أى ذلك هو الواقع فى موضوع ما من إعادة النظر فيه بالفحص والمقارنة بين مذهب مذهب ، ودليل دليل ونحن نعرف بالاستقراء والتجربة أن أكثر هذه النظريات الفلسفية المتضاربة فروض وتقديرات تدور كلها فى فلك الإمكان والاحتمال ، وتتفاوت فيما بينها بقدر ما فيها من حسن العرض وتناسق الوضع ، لا اعتمادا على العقل المجرد ومتانة البرهان ، بل على جودة الخيال وبراعة البيان ، فهى لا تعدو أن تكون ضربا من

---

(١) فصل المقال لابن رشد (ص ٨)

(٢) فصل المقال (ص ٣٠)

الشعر المنثور يناجي العاطفة و يستهوى القلوب ، من غير أن يكون فى حجتها مايشفى طالب اليقين ، ولا فى حكمها ما يحسم مادة النزاع بما فيه فصل الخطاب .

فلننتقل إذن إلى فرق آخر :

يرى ابن سينا : أن الدين والفلسفة مع اشتراكهما فى تعريف « الحق » و « الخير » يختلفان في مبلغ عنايتهما بهذين الأصلين ، و يقول إن الشريعة الإلٰهية يستفاد منها مبادىء الحكمة العملية وحدودها على الكمال ، أما الحكمة النظرية فإنها تعنى الشريعة بمبادئها فقط على سبيل التنبيه ، تاركة للقوة العقلية أن تحصلها بالكمال على وجه الحجة [١]

نقول : هذا الفرق على عكس الفرق الذى حكاه الفارابى ينطبق بوضوح على التعاليم الإسلامية ، فإنها نبهت على مبادىء الحكمة النظرية و بينت الحكمة العملية بكمالها . ولكن هل ينطبق ذلك على سائر الشرائع الإلٰهية ، فضلا عن الديانات الأخرى ؟ كل ما يمكن أن يقال هو أن عناية الأديان فى جملتها بالناحية العملية أشد منها بالناحية النظرية . ولكننا نعرف من مدارس الفلسفة أيضاً ما يغلب عليها أو يكاد يستأثر بها هذا العنصر العملى [٢] . فلا يصلح ذلك فارقا كافيا لتمييز ماهية التعاليم الدينية عن التعاليم الفلسفية بصفة مطردة . أما علماء الغرب اليوم فيرون الفرق بين الدين والفلسفة من الوجوه الآتية : —

يتبع

محمد عبد الله دراز

---

(١) رسالة الطبيعيات لابن سينا (ص ٢ — ٣) .

(٢) كما يظهر جليا فى فلسفة سقراط .

كيف نشأت الفرق الاسلامية ـ ٢

وهو بحث ممتع موجز فى نشأة الفرق الكلامية بالاستناد إلى التاريخ من غير تعرض إلا لرءوس المسائل ، إلى أن تكونت أهم الفرق ، كتب مقدمة لكتاب « مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين » إحدى مصنفات أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى .

— ٥ —

فى أوائل القرن الثانى كان شر الخوارج قد استطار ، وكانوا قد أعلنوا أن مرتكب الكبيرة كافر مخلد فى النار لا يخرج منها أبدا ، وكان جماعة المسلمين يقولون : إنه مؤمن وإن فسق بارتكاب الكبيرة ، وكان أبو حُذَيفة ـ واصل بن عطاء ـ يجلس إلى الحسن البصرى ويتتلمذ عليه ، فجرى يوماً ذكر هذه المسألة ، فقال واصل : أنا أقول فى مرتكب الكبيرة من هذه الأمة : إنه لا مؤمن ولا كافر ، منزلة بين المنزلتين ، فغضب الحسن لذلك ، وطرده من مجلسه ، فاعتزل عنه وجلس فى ناحية من المسجد ، وانضم إليه عمرو بن عُبَيْد وجماعة ، فقيل لهما ولأتباعهما : المعتزلون ، أو المعتزلة[1]

فأما واصل بن عطاء « فكان أحد الأئمة البلغاء المتكلمين ، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غينا ، قال أبو العباس المبرد فى حقه فى كتاب الكامل : كان واصل بن عطاء أحد الأعاجيب ، وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة فى الراء ، فكان يخلص كلامه من الراء ، ولا يُفْطن لذلك لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه ، ففى ذلك يقول شاعر من المعتزلة ـ وهو أبو الطروق الضبى ـ يمدحه بإطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه :

عليم بإبدال الحروف ، وقامع   لكل خطيبٍ يغلبُ الحقَّ باطلُهْ

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان (٣ / ١٣٠ و ٢٤٨ ـ ٥ / ٦١ بتحقيقنا) .

وقال آخر :

ويجعل البُرَّ قمحا فى تصرُّفه   وخالَفَ الراء ، حتى احتال للشَّعَرِ
ولم يُطِقْ «مطرا» والقولُ يُعْجِلُه   فعاذ بالغيث إشفاقا من المطر

ولم يكن واصل بن عطاء غزالا ، ولـكنه كان يُلَقَّبَ بذلك لأنه كان يلازم الغَزَّالين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن ، وله من التصانيف كتاب « أصناف المرجئة » وكتاب فى التوبة ، وكتاب « المنزلة بين المنزلتين » وكتاب « معانى القرآن » وكتاب « الخطب ، فى التوحيد والعدل » وكتاب « ماجرى بينه و بين عمرو بن عبيد » وكتاب « السبيل إلى معرفة الحق » وكتاب فى « الدعوة » وكتابه « طبقات أهـل العلم والجهل » وغير ذلك ، وكان مولده بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى سنة ثمانين ، وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائة[1] » .

وأما عمرو بن عُبَيْد فهو « أبو عثمان عمرو بن عُبَيْد بن باب ، المتكلم ، الزاهد ، مولى بنى عقيل ، وكان جدُّه بابٌ من سَبْى كابل إحدى بلاد السند ، وكان عمرو شيخ المعتزلة فى وقته ، وكان آدَمَ ، مَرْبُوعاً ، بين عينيه أثر السجود ، وسُئل الحسنُ البصرى عنه ؟ فقال : لقد سألْتَ عن رجل كأن الملائـكة أدَّبَتْه ، وكأن الأنبياء رَبَّتْهُ ، إن قام بأمرٍ قعد به ، و إن قعد بأمر قام به ، و إن أمرَ بشيء كان ألْزَم الناس له ، و إن نهى عن أمر كان أتْرَكَ الناس له ، ما رأيت ظاهرا أشْبَهَ بباطنٍ منه ، ولا باطنا أشبه بظاهر منه . ودخل عمرو بن عبيد يوما على أبى جعفر المنصور في خلافته ـ وكان صاحبه وصديقه قبل الخلافة ، وله معه مجالس وأخبار ـ فقربه أبو جعفر وأجلسه ، ثم قال له : عِظْنِي ، فوعظه ، فكان فيما قاله له « إن هذا الأمر الذي أصبح فى يدك لو بقى فى يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك ، فاحذر ليلةً تتمخض بيوم لا ليلة بعده » فلما أراد النهوض قال أبو جعفر : قد أمرنا لك بعشرة آلاف درهم ، فقال : لاحاجة لى فيها ، قال : والله تأخـذها ، فقال : لا ، والله لا آخذها ، وكان المهدىُّ بن أبى جعفر حاضراً ، فقال : يحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ؟ فالتفت عمرو بن عبيد إلى المنصور وقال : مَنْ هذا الفتى ؟ قال : هو ولى العهد ابنى المهدىُّ ،

(١) انظر الترجمة رقم ٧٣٩ فى وفيات الأعيان لابن خلـكان (٥ / ٦٠ بتحقيقنا)

فقال عمرو : أما والله لقد ألبسته لباسا ما هو من لباس الأبرار ، وسمَّيْتَه باسم ما استحقه ، ومَهَّدْتَ له أمرا أمْتَع ما يكون به أشغل ما يكون عنه ! ثم التفت عمرو إلى المهدى فقال : نعم ياابن أخى ، إذا حلف أبوك أحْنَثَه عَمُّك ؛ لأن أباك أقوى على الكفارات من عمك ، فقال له المنصور : هل مِنْ حاجة ؟ قال : لاتبعث إلىّ حتى آتيك ، قال : إذًا لاتلقانى ، قال : هى حاجتى ، ومضى ، فأتبعه المنصور طَرْفَهُ ، وهو يقول :

كلكم يَمْشى رُوَيْدْ   كلكم يطلب صَيْدْ
غَيْرَ عمرو بن عُبَيْدْ

وكانت ولادة عمرو فى سنة ثمانين ، وتوفى بمَرَّان ، وهو راجع إلى مكة فى عام أربعة وأربعين ومائة ، ورثاه المنصور بقوله :

صَلَّى الإله عليك من متوَسِّدٍ   قبرًا مررت به على مَرَّانِ
قبرا تضمَّنَ مؤمناً متحَنِّفًا   صَدَقَ الإلهَ ودَان بالعرفان
لو أن هذا الدهْرَ أبْقَى صالحاً   أبقى لنا عمرًا أبا عثمانِ

ولم يُسمع بخليفة يَرْثِى مَنْ دونه سواه[(١)] » .

وأصبحت المعتزلة بعد هذين الرجلين فرقة لها أصول وقواعد ، وتتابعت طبقاتها ، وقد رزقهم الله تعالى فى كل عصر بجماعة من فحول أهل العلم وذوى البَرَاعة فى التمحيص ، فنشروا آراء الفرقة واستَعْلَوْا بحججهم على كل ذى حجة ، واتَّصل منهم قومٌ بالخلفاء والأمراء ، فاتخذوا من جاههم وسيلةً لإعلاء كلمتهم ، وأخذ الناس بما يذهبون إليه .

فعن عمرو بن عبيد وأصحابه أخذ بشر بن المعتمر وأبو الهذيل محمد بن الهذيل بن عبد الله ابن مكحول المعروف بالعلاف[(٢)] وعن أبى الهذيل أخذ ابن أخته إبراهيم بن سيار المعروف بالنظام ، وهشام بن عمرو الشيبانى المعروف بالفَوَطى ، وأبو يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصرى ، وعن النظَّام أخذ أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى ،

---

(١) انظر الترجمة رقم ٤٧٦ من وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ١٣٠ بتحقيقنا) .

(٢) له ترجمة فى وفيات الأعيان لابن خلكان رقم ٥٧٨ ، وله ترجمة فى « نكت الهميان » للصفدى (ص ٢٧٧)

المعروف بالجاحظ ، والقاضى أبو عبد الله أحمد بن فرح بن جرير ، الإيادى المعروف بابن أبى دؤاد [١] ، وعن أبى يوسف الشحام أخذ محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حُمران ابن أبان المعروف بأبى على الجُبَّائى [٢] ، وعن الجاحظ أخذ أبو موسي بن صبيح ، وعن أبى موسى أخذ جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب ، وعنهما أخذ محمد بن عبد الله الإسكافى . وعن أبى على الجبائى أخذ ابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، كما أخذ عنه شيخ أهل السنة والجماعة ـ فيما بعد ـ أبو الحسين على بن إسماعيل الأشعرى

ويقصُّ العلماء مناظرة جرت بين أبى على الجبائى وتلميذه أبى الحسن الأشعرى كانت نهاية لتلمذة أبى الحسن عليه [٣]

(يتبع) محمد محيى الدين عبد الحميد

(١) له ترجمة فى وفيات الأعيان رقم ٣١
(٢) له ترجمة فى وفيات الأعيان رقم ٥٧٩
(٣) انظر هذه المناظرة فى ترجمة الجبائى من وفيات الأعيان (٣/٣٩٨ بتحقيقنا)

أخبار الجماعة

أنباء القاهرة

المركز العام

فى يوم الإثنين ٢٢ ربيع أول سنة ١٣٧٠ (أول يناير سنة ١٩٥١) أقام فضيلة الرئيس العام للجماعة مأدبة غداء تكريما لحضرة صاحب الفضيلة والسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، شيخ علماء نجد الكرام حضرها نخبة من رجال الدين والأدب والفضل . وعلى رأسهم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر وسعادة محمد المفتى الجزايرلى باشا وزير الأوقاف الأسبق ، وفضيلة رئيس المحكمة العليا الشرعية وفضيلة مفتى الديار المصرية ، وسعادة الشيخ عبد الله إبراهيم الفضل الوزير المفوض للمملكة العربية السعودية ، وسعادة عمر بك الدمرداش وكيل وزارة الأوقاف والماحى بك مدير الإدارة وأصحاب الفضيلة الشيخ أحمد حسين مفتي الأوقاف السابق ، والشيخ محمد عبد اللطيف دراز مدير المعاهد الدينية والشيخ محمد البنا مدير الشؤون الدينية برئاسة مجلس الوزراء ، والشيخ سيد زهران مراقب الشئون الدينية بوزارة الأوقاف والشيخ عبد الحميد سليم مفتي وزارة الأوقاف ، وفضيلة مدير المساجد وأصحاب الفضيلة أعضاء لجنة الفتوى بالأزهر ، والشيخ محمد نور الحسن رئيس التفتيش بالأزهر ، والشيخ سليمان نوار رئيس الوعظ بالأزهر ، وشيوخ الكليات ، ونخبة من أفاضل علماء الأزهر ، والشيخ أحمد محمد شاكر رئيس محكمة شبين الكوم الشرعية ، والشيخ كامل عجلان ، مندوب جريدة الأساس ، والأستاذ مصطفى غيث مندوب جريدة الزمان .

وقد أرسل كتاب اعتذار رقيق حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف، لانشغاله بدعوة جلالة الملك لضيوف الجامعة إلى أنشاص . وكذلك الدكتور كامل بك حسين مدير جامعة ابراهيم ، وسعادة الحاج عبد الستار ستي سفير الباكستان ، وفضيلة

الشيخ عبد الرحمن حسن وكيل شيخ الجامع الأزهر ، وسعادة الشيخ حمد السليمان وكيل وزارة المالية السعودية ، وسعادة الشيخ إبراهيم السليمان رئيس ديوان النائب العام لجلالة الملك وسعادة الشيخ عبد الله محمد الفضل رئيس مجلس الشورى السابق والشيخ محمود شلتوت مدير البحوث بالأزهر ، وفضيلة الشيخ حسنين مخلوف المفتى السابق وفضيلة الشيخ ابراهيم حمروش رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ، والأستاذ ابراهيم بك مصطفى عميد كلية دار العلوم والأستاذ جواد بك مستشار المفوضية السعودية والأستاذ ابراهيم بك السويل السكرتير الأول للمفوضية والأستاذ ابراهيم بك الشورى .

و بعد تناول الغداء ألقى فضيلة الرئيس العام للجماعة كلمة رحب فيها بسماحة المحتفى به ، منوها بعلمه وفضله ومكانته العلمية السامية ، وما لأسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الفضل ، ثم نوه بما بين الأمة المصرية والسعودية من الروابط العلمية والاقتصادية . وما كان لجماعة أنصار من الأثر الطيب فى ذلك ، ثم رغب إلى الحاضرين – وهم نخبة الأمتين – أن يعملوا جادين على إنقاذ الأمة مما تورطت فيه من الخرافات الجاهلية ، والتقاليد الأوربية الفاسقة ، التي مهدت للعدو ، ثم عطف على ما تقوم به الجماعة بجميع فروعها فى مصر وفى الشرق ، من الجهود التى ينبغى للجميع أن يتعاونوا معها و يناصروها على القيام به ، ونوه بما لجلالة ملك المملكة السعودية وحكومته من الفضل المشكور في تعضيد الجماعة ماديا ومعنويا مما كان له أحسن الأثر فى تركيز الجماعة وانتشار دعوتها الحقة .

ثم ختم كلمته بشكر الحاضرين على تفضلهم بتشريف دار الجماعة متمنيا نهضة مباركة للاسلام والمسلمين تقوم على اليقظة والدين الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم

فرع القبيلة

كان يوما كريما تجلت فيه روح التضامن بين أعضاء الجماعة بالقاهرة ، حيث أقيم سرادق فخم يتسع لنيف وألف شخص ، وأخذت وفود الأعضاء من مختلف فروع القاهرة تفد على السرادق زرافات ووحدانا ، حتى إذا حانت ساعة افتتاح الحفل ضاق السرادق على رحابته ، و بدأ فضيلة الرئيس بكلمة الافتتاح حيث رحب بالمجتمعين ، وراح يكشف عن نواحى الفساد فى كل زاوية من زوايا المجتمع المصرى والشرقى و بين الداء ووصف الدواء

وأطال القول فى أنه لا نجاة للأمة إلا بالعودة إلى هدي كتاب الله وسنة رسوله

ثم تبعه الأستاذ رشاد الشافعى سكرتيرعام الجماعة بكلمة هاجم فيها الانهيار الدينى والخلقى المتمثل فى انتخاب فتاتين فى اتحاد الجامعة المصرية بشدة ، وأن ذلك إنذار بالهلاك والدمار الذى ينتظر أمة تولى أمورها امرأة .

ثم قام الأستاذ عبد الرحمن الوكيل وكيل الجماعة الأول مبينا خطر الصوفية وأثرها فى تأخر المسلمين ، و إفساد عقيدتهم تشتيت شملهم ، وتمزيق وحدتهم ، وتفريق صفوفهم ، وضياع كلمتهم ، وكيف اتخذوا هذه الطرق سبيلا لأكل السحت على حساب الدين .

وتكلم كل من حضرات الأستاذ محمد عبد الوهاب البنا مراقب الجماعة ، والأستاذ سعد عبد الرحمن المحامى سكرتير لجنة نشر الدعوة ، ومصطفى افندي عبد الجواد الطالب بكلية التجارة ، وكانت كلمة الختام للشيخ حسن حماد الطالب بكلية أصول الدين أيد فيها دعوة التوحيد .

فرع الجيزة

وافق مجلس بلدية الجيزة على بيع ٧٠٠ متر من أملاك المجلس لفرع جماعة أنصار السنة المحمدية بالجيزة ، وسيعرض القرار على سعادة مدير الجيزة لتوقيعه ورفعه إلى وزارة الشئون البلدية ، و ينتظر أن تتم كافة الإجراءات فى خلال الشهر المقبل إن شاء الله .

وتعتزم الجماعة إقامة دار ومسجد ومستوصف فى هذه المنطقة بمعونة الله تعالى .

أنباء الأقاليم

الإسكندرية ـ فرع كرموز

١ ـ تم شراء قطعة أرض مساحتها ٢٠٠ متر لبناء مسجد ودار للجماعة فى منطقة كرموز و بلغ ثمن الأرض ٦٠٠ جنيه مصرى .

٢ ـ عين الدكتور أمين رضا عضو مجلس الإدارة بالمركز العام نائبا للمستشفى الأميرى بالإسكندرية و ينتظر أن يقوم حضرته بإنشاء اتحاد عام لجميع فروع الإسكندرية .

الزقازيق

كان اليوم الأول من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٠ موعداً لافتتاح فرع الجماعة بالزقازيق. حيث توجه نيف وخمسون من أعضاء المركز العام يتقدمهم فضيلة الرئيس العام وهناك أقيم سرادق كبير اجتمع به لفيف كبير من العلماء ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ الحسينى شيخ معهد الزقازيق والشيخ على النصيرى وطلبة المعهد وأعيان الزقازيق .

وأعلن الأستاذ محمد عبد الوهاب البنا مراقب الجماعة افتتاح الحفل . ثم ألقى فضيلة الرئيس كلمة جامعة ناشد فيها الجميع أن يعملوا مخلصين على نصرة الدين المتين الذى أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم لصلاح الناس وهدايتهم إلى طريق الحياة الآمنة الطيبة . وأنه لا صلاح للأمة ولا نجاح لها إلا بمعرفته واتباعه ، وإقامة شرائعه فى العقيدة والعمل والحكم . وتكلم فضيلة الشيخ محمد مرسى المدرس بالمعهد مبينا ما لفضيلة الرئيس من فضل واسترشاده بآرائه القيمة عند تدريسه لطلبته فى المعهد .

وتكلم فضيلة شيخ المعهد شاكرا لفضيلة الرئيس تفضله بالحضور وافتتاح الفرع متمنيا له كل نجاح فى الدعوة إلى الله على هدى و بصيرة .

واختتم الحفل الأستاذ رشاد الشافعى سكرتير عام الجماعة ورئيس لجنة نشر الدعوة شاكرا للحاضرين سعيهم إلى الخير وتسابقهم لتلبية دعوة الصدق ، وصيحة الحق ، وانتهى الاحتفال حيث كانت الساعة العاشرة مساء .

وشربين ...

وهكذا منَّ الله على الجماعة بفتح فرع جديد فى بندر شربين حيث توجه نيف وخمسون عضواً برئاسة فضيلة الرئيس . وتم افتتاح الفرع المذكور فى يوم الإثنين ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٧٠ الموافق ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٥١ حيث ألقى فضيلة الرئيس محاضرة استغرقت أكثر من ساعتين بيّن فيها دعوة أنصار السنة المحمدية بياناً واضحا صريحا . وكان ذلك فى سرادق كبير أمه عدد كبير من أهالى وموظفى وأعيان شربين وعلى رأسهم حضرتى اليوزباشى عبد الغنى رزق معاون البوليس والأستاذ سليمان بدير .

نـكلا ـ جيزة

أقامت جماعة أنصار السنة المحمدية ببلدة نـكلا جيزة حفلا ثقافيا عاما فى يوم الخميس ٢٠ صفر ١٣٧٠ (٣٠ / ١١ / ١٩٥٠) حضره مايربو على الخمسمائة نسمة من أهل نكلا ومن البلاد المجاورة حتى احتشد المكان بالوافدين وضاق بما رحب من المستمعين . ثم قام الأستاذ عبد السلام رزق وكيل فرع الجماعة وتكلم كلمة دعا فيها أهل البلدة إلى حضور الحفل ثم نهض الأستاذ شاكر أفندى الديب رئيس فرع الجماعة وتكلم كلمة الفرع . ثم ألقى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى رئيس المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية : كلمة موفقة جامعة على ضوء قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنو استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) بين فيها أهداف الجماعة ودعوتها . ثم أعقبه الأستاذ رشاد الشافعى السكرتير العام للجماعة شكر أهالى البلاد المجاورة على تلبيتهم لدعوة الفرع . ثم قام الأستاذ الشيخ ابراهيم الخولى وتكلم فى مكارم الأخلاق وأثرها فى المجتمع . وانتهى الحفل حيث كانت الساعة الحادية عشرة مساء

كفر الدوار

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع الجماعة بكفر الدوار فى يوم الأحد الموافق ٣ من المحرم ١٣٧٠ ﻫ (١٥/١٠/١٩٥٠ م) لانتخاب مجلس الإدارة الجديد وتنظيمه كالآتى : إبراهيم أفندى عبد الرحمن حسين رئيسا ـ على أفندى السيد جاد وكيلا أول ـ مصطفى أفندى على الفقى وكيلا ثانياً ـ عثمان أفندى زين خليل مراقباً عاماً ـ يوسف أفندى عبد الرحمن حسين سكرتيراً ـ عبد الفتاح أفندى عبد الصمد سلامة مساعداً للسكرتير ـ عبد القوى أفندى محمد حسين أميناً للصندوق ـ عبد المنعم أفندى عبد الصمد سلامة مساعداً لأمين الصندوق ـ الشيخ ابراهيم الصاوى أبو النجا واعظاً

والشيخ زكى حسن رومه والشيخ سعيد محمد المظالى وعباس أفندى زين خليل والشيخ عبد الفتاح محمد سالم والشيخ على حسن الصقيلى وفتوح أفندى بيدق شحاته والشيخ معوض عليوة شعيب أعضاء

والمركز العام للجماعة يهنؤهم و يسأل الله لهم التوفيق والسداد

هل صلاتك حركات تقليدية باللسان والجوارح ؟.

هل صلاتك لا تمس قلبك ولا أعمالك ولا أخلاقك ؟.

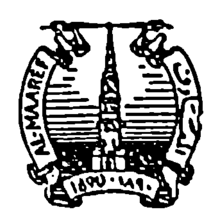
هل صلاتك لا تغسل قلبك ولا تزك نفسك ؟ .

وهل تُقبل على صلاتك بقلب سليم يقظ ؟.

وهل تشعر نفسك وأنت فى صلاتك أنها محتاجة فقيرة أشد الحاجة إلى رضوان الله ؟.

وهل تقبل على صلاتك وأنت محتاج لعلاج أمراض قلبك ؟

وإذا انصرفت من صلاتك هل ترى قلبك مشرق مستبشر ؟.



ذخائر العرب

مجموعة جديدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب
لبعث الكنوز العربية الخالدة ، تقدم إلى جمهور
القراء فى أنصع حلة من التحقيق وجمال الإخراج

ظهر منها :

١ — مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب (قسمان)
تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٢ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم .
تحقيق المستشرق الأستاذ ا . ل . بروفنسال .

٣ — إصلاح المنطق لابن السكيت .
تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هرون .

يظهر قريباً :

٤ — رسالة الغفران (عن أقدم نسخة خطية) لأبى العلاء المعرى .
تحقيق السيدة بنت الشاطىء .

تحت الطبع

٥ — حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسى، تحقيق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

٦ — ديوان أبى تمام (شرح التبريزى) تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام .

تصدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف حضرات

محمد حلمى عيسى باشا والدكتور طه حسين باشا والدكتور أحمد أمين بك
والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ إبرهيم مصطفى

العدد ٥ المجلد ١٥

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

جمادى الأولى سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

المشرف على التحرير
أحمد محمد شاكر

مطبعة السنة المحمدية
شارع غيط النوبي ــ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدى النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

٢٠ ص فى مصر والسودان

٣٠ فى الخارج

الإدارة ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

سورة النحل

آياتها ثمان وعشرون ومائة آية . يقال : إنها نزلت بعد سورة الكهف

قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر : كلها مكية ، وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة ، بعد قتل حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وهى الآيات (٩٥ ـ ٩٧ ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا ـ إلى قوله ـ ولنجزينهم بأحسن ما كانوا يعملون) وقيل : إلا قوله (١١٠ ثم إن ربك للذين هاجروا ـ الآية) وقوله (١٢٦ ـ ١٢٨ و إن عاقبتم ـ أى إلى آخر السورة) .

وسميت سورة النحل : لأن الله ذكر فيها فى الآيتين (٦٨ ، ٦٩ وأوحي ربك إلى النحل : أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سُبُل ربك ذُلُلاً ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، فيه شفاء للناس) والنحل ـ بشؤونه هذه ـ لم يذكر إلا فى هذه السورة ، ولذلك عرفت به واشتهرت .

وقد روي ابن أبى حاتم : أنها تسمى أيضاً سورة النِّعَم . وذلك : لأن الله سبحانه عدد فيها نعمه على الإنسان ، ليذكره مانسى ، وينبهه من غفلته ، فإنه بنسيانه لنعم الله وغفلته عنها ـ فى نفسه وفيما سخر له ربه فى السموات والأرض وما بينهما ـ : جهل حقيقة نفسه ، وجهل حقائق الأشياء ، واشتدت ظلمات هذا الجهل وتكاثفت طبقاتها على قلبه بتوالى ،

وتكرر النسيان والغفلة عن النعم المتتالية التي لا تعد ولا تحصى من ربه الغفور الرحيم الذى يعلم مايسر الإنسان وما يعلن ، لجره الشيطان فى ظلمات هذه الجاهلية الكثيفة وأبعده عن السبيل القاصد ، ودفعه إلى كل سبيل جائر منحرف عن جادة الفطرة ، وعن صراط الله المستقيم فى السنن والآيات الكونية ، وفى الوحي والآيات والرسالات المنزلة هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فكان لزاماً أن يقع سالك هذه السبل الجائرة ناسياً غافلا فى هاوية الشرك والوثنية ، واتخاذ الآلهة والأنداد من دون الله ، ثم يخدع نفسه بالأمانى الكاذبة ، ويسميها بأسماء جديدة ما أنزل الله بها من سلطان ولا حجة ، لا فى سنن الفطرة ولا فى كتاب الهدى والعلم والحكمة . وكان لزاماً كذلك : أن الفرد والمجتمع الذى يتردى إلى تلك الهاوية الوثنية ـ باسم الإسلام ، أو غيره من الدين ـ أن تضطرب كل شئونه فى الحياة ، فينتشر الكفر ويعم الفسوق والعصيان ، وتشيع الفاحشة ، وَيُعْلَنَ بالمنكر ، وتقسو القلوب وتتحجر ، وتذهب الرحمة والشفقة من النفوس ، وتغلب الأهواء وتتحكم الشهوات ، ويغلب الظلم والبغى ، ويختل الأمن وتنتهك الحرمات ، وتَنقضَ العهود والمواثيق ، ويُقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ويسعون فى الأرض بجميع أنواع الفساد ، ثم يكون عيشهم ـ من كل ذلك ـ نَكِداً وضنكا وشقاء .

والفرد والمجتمع لن ينجو من هذا العيش النكد ، ومن حياة الضنك والشقاء ، وينال العيش الهنيء والحياة الطيبة : إلا بأن يعود إلى الجادة ، ويسلك السبيل القاصد . ولن يحظى بذلك ويعرف السبيل القاصد إلا بأن يعود إلى الفطرة السليمة ، وأن يرجع إلى نعم ربه سبحانه التى يَرُبُّه ويُرَبِّيه بها ، فيعرفها بكل يقظة . ويذكرها بكل تعقل وتفكر ، فيحضر مع ربه حضوراً دائما بروحه وعقله وفكره ، بحيث يعرف نعمه واحدة واحدة ، ويعرف لكل واحدة خيرها ونفعها وغايتها وحكمتها التى من أجلها أعطاه إياها ربه ، فيقدرها عندئذ قدرها ، ويضعها موضعها ، ويحسن الانتفاع والاستفادة بها ، واقياً نفسه بها وفيها من كل ما يكره ويخاف فى دينه ودنياه وآخرته . وبذلك تكون له جُنَّة وحصناً من كل وساوس ونزغات عدوه من شياطين الجن والإنس ، وتكون أعظم موقظ لنفسه وقلبه وروحه ، وأقوى مادة

يحيا بها الحياة القوية الطيبة ، إذ يعرف ربّه العليم الحكيم الرؤوف الرحيم ، الرقيب الشهيد ، القوى العزيز الغنى الحميد ، القاهر فوق عباده ، فيكون بها منيباً رجّاعاً إليه وحده فى كل شأنه ، ذليلا خائفاً ضارعاً له وحده ، فيجد أن ربه معه فى كل حال ، يمده بالمعونة والقوة والتسديد والهداية والتوفيق ، ويزيده إحساناً على إحسانه ، وهدى على هداه ، وإيمانًا على إيمانه ، فيسعد فى نفسه أهنأ سعادة ، ويحيا أطيب حياة ، ويسعد به مجتمعه ويحيي أطيب حياة ، فى ظل العدل والإحسان ، والرحمة والشفقة والمودة والإخاء الصافى ، والحب الصادق فى الله ولله ، والتعاون على البر والتقوى والتناصح ، كمثل الجسد الواحد .

وإن الله ربنا الرحمن الرحيم ليحب للإنسان هذه الحياة الطيبة ، والعيش الهنى ، ولذلك هيأ له كل الأسباب إلى ذلك .

فهذه نعم ربنا المتجددة ، وهذه آياته وسننه الكونية البينة ، وهذه كتبه الحكيمة ، وهؤلاء رسله عليهم الصلاة والسلام ، كل أولئك من فضل ربنا ورحمته ، يريد بها خير الإنسان وسعادته ، وهناءه ورفاهته فى الدنيا والآخرة ، و (٢٢ : ٦٥ إن الله بالناس لرؤوف رحيم) ولكن قتل الإنسان ما أكفره . إنه لظلوم جهول ، ماأسرع مايُشغَل بالنعمة عن المنعم ، وما أسرع ماتتلاشى النعمة فى هواه وشهواته بجاهليته ، ثم ما أسرع أن ينسى النعمة ، وبالتالى ما أسرع أن يغفل عن المنعم ، وما أسرع ماتمادي به هـذه الغفلة فى غمار الغرور والأمانى الكاذبة : مما يسميه علما ، وهو جهالة ، وما يسميه إسلاما وهو تمرد ، وما يسميه عبادة وهو استهزاء وسخرية ولهو ولعب ومايسميه حياة وهي موت وما يسميه أمة إسلامية وهى غثاء كغثاء السيل ، وما يزال كذلك أمره حتى يخرج من دار الغرور إلى دار الحق ، فيقول (يا حسرتَى على ما فرطت فى جنب الله ، وإن كنت لمن الساخرين) (ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى . وكان الشيطان للإنسان خذولا) .

لأجل ذلك نجد ربنا الرحمن الرحيم ـ سبحانه وله الحمد ـ يكرر التذكير بنعمه فى الأنفس والآفاق ، فى اختلاف الليل والنهار ، وتقليب الشؤون والأحوال ، ووقوع الحوادث

للأفراد والمجتمعات وفى آيات الكون المتجددة فى كل لحظة وكل حين ، وفى آيات القرآن الحكيم ، من أول القرآن إلى آخره ، ليكون من كل ذلك : اليقظة والتذكر ، والإنابة والرجعة والاستقامة على سبيل الرشد والهدى لمن أراد الله لهم الهدى وسعادة الدنيا والآخرة ، جعلنا الله منهم ، ولتقوم حجة ربنا قوية بالغة على الذين أبوا إلا أن يعيشوا معرضين عن ربهم ونعمه ، مكذبين بآياته غافلين ، أضل من الأنعام ، عمياً وبكماً وصماً ، خاسرين أنفسهم . حتى يكون مأواهم جهنم وساءت مصيراً . نسأل الله السلامة والعافية .

ابتدأ ربنا سبحانه سورة النِّعَم هذه بالإعلان القوى : أن وعده محقق لن يخلف ؛ وأن مرد العباد إلى الله حق لاتبطله أمانيهم الكاذبة ، وأن جزاءه بميزان القسط والعدل المطلق لا يقيم لغرورهم ولا لشفعائهم وزنا ، فلا تغنى يومئذ عنهم من عذاب الله شيئا ، ثم أخذ فى تذكيرهم بما غفلوا ونسوا من نعمه التى تتنزل بها الملائكة من عنده وحده لتنفخ فيهم روح الحياة الحيوانية ، فتتغذى وتقوى ، وتصح أجسامهم ، وروح الحياة الإنسانية الكريمة ، فتحيي وتقوى عقولهم وقلوبهم وأرواحهم ، فيعرفوا ربهم ويؤمنوا أنه الرب الذى يربيهم ، جميعهم وحده ، وكلهم مربوب له ، وأنه الذى يستحق الآلهية والعبادة وحده ، وأنه الذى ينبغى أن يقدسوه ويذلوا له وحده ، ويطيعوا أمره ، وينتهوا عما نهاهم عنه ، ويقفوا عند حدوده ، فإنه الذى تفضل فخلق لهم السموات والأرض وما فيهما بالحق الثابت ، الذى لا يتبدل ، وجعل كل ذلك آيات بينات على أنه الرب الحق ، الحى القيوم : وأن وعده حق وجزاءه حق ، وقوله الحق ، وأمره الحق وفى كل ذلك من خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما من الحقائق الثابتة ، أوضح دليل وأقوى حجة وبرهان : أنه يتعالى ويتنزه عما زعموه له من الشفعاء والوسطاء والأنداد الذين اتخذوهم بغفلتهم وعماهم شركاء الله فى العبادة ، وسبحان الله العليم الحليم !! من هو الذى اتخذ هؤلاء الشركاء ؟ هو الإنسان الذى خلقه ربه من عدم : من تراب ثم من نطفة مهينة ، وأكرمه بهذا الخلق الكريم ، وصوره فى أحسن تقويم ، وسخر له جميع ما فى السموات وما فى الأرض ليعرف لربه هذا الفضل والإحسان ، وهذه القوة القاهرة ، والقدرة الغالبة ، والرحمة السابغة والحكمة البالغة ، فيقوم

فى المقام اللائق بكرمه و بما أسبغ عليه ربه من نعم ، مقام العبودية لهذا الرب الكريم ذليلا خاضعاً ، عابداً مخلصاً سميعاً مطيعاً ، كان هذا هو الذى ينبغى و يليق بالإنسان الذى أكرمه ربه وميزه بالعقل والتفكير ، ولكن الإنسان عاد بكل ذلك خصيما بيّن الخصومة لربه ، يجاهره بالشرك واتخاذ الأنداد ، ويعلن عليه الحرب بطاعة عدوه الشيطان (٢٥:٥٥ و يعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم . وكان الكافر على ربه ظهيراً) وهو فى الحقيقة إنما يعادى نفسه ، إذ كل ذلك يعود عليه بالأذى والضرر ، والشقاء والوبال ، ولن يضر الله شيئا ، ولن ينال من ربوبيته ولا ينقص من ملكه شيئا ، فلا يزال ربه يخلق له الأنعام ، ويجعل له منها الدفء مما يتخذ من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعا إلى حين ، ويجعل له منها منافع غير ذلك في طعامه وشرابه وتجمله فى مسرحها ومراحها وأسفاره وحمل أثقاله ، ولا يزال يخلق له من الدواب : البغال والحمير ليركبها وزينة له ، ولا يزال يخلق له ربه مالم يكن يعلم ، ويهيىء له من أسباب مواصلات وآلات فى البحر والأرض والجو ، توصله إلى غاياته فى أسفاره القريبة والبعيدة ، ويحمله عليها فى سبله إلى مقاصده ، فى معاشه وحروبه وحاجه ، ولا يزال ربه هو الهادى له فى كل شأنه سبل الرشاد والسداد ، وهو سبحانه يعلّمه بما وقع له فى كثير من شئونه ، أنه مشى فى بعضها إلى أن قطع شوطا تبين له أنه آخذ غير الطريق الموصل إلى مقصده من هذا الشأن : الزراعى أو السياسى ، أو الإقتصادى ، أو الصناعى ، أو العلمى أو الحربى ، أو غيرها من بقية شئون الحياة الفردية أو الإجتماعية ، فاذا هو يرجع عن هذا الطريق ، ويبدأ طريقاً أخرى ، يتحرى أن تكون طريق القصد إلى مراده ومقصده ، وهكذا الشأن فى سبيل الدين والآخرة ، لا بد أن يكون فيها يقظة وتبصر ،فإن منها جائر ومنها قاصد ، بل هى أحق وأولى باليقظة والتبصر ، لأن غايتها أخطر غاية ، ومقصدها أجل مقصد ، بل هو المقصد ، ولأن الشيطان قائم بكيده ووساوسه وإزاغته على كل خطوة لا منجا منه إلا بالعوذ واللجأ الصادق إلى الله وأسمائه وآياته وهداه .

ثم عدد الله مقتضى أسمائه الحسنى من النعم والآيات التى تهديه السبيل القاصد ، وذكر

أن الذين أعرضوا عن معرفة هـذه الأسماء وغفلوا عن هذه النعم والآيات سلـكوا طريقاً يقصدون فيها إلى الله و إلى رضوانه ، فإذا بهم عموا ، فقصدوا إلى غضب الله وشديد سخطه، باتخاذهم الموتى آلهة من دون الله ، زاعمين أنهم شفعاء ووسطاء بينهم وبين الله ، فيقرعهم ربنا أشد تقريع ، و يو بخهم أعنف تو بيخ ، فيقول (أفمن يخلق كمن لايخلق؟ أفلا تذكرون؟ و إن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ، إن الله لغفور رحيم . والله يعلم ماتسرون وما تعلنون . والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء ، وما يشعرون أيان يبعثون ، إلهـكم إله واحد)

ثم ذكر أن الذى أوقعهم فى هذا : هو أنهم لايؤمنون بالآخرة على ما وصفها الله ، من أن جزاءها بالحساب العادل على الإيمان الصادق والأعمال الصالحة وضدها ، إذ زعموا بغبائهم وعمى بصائرهم وغفلتهم : أنهم سيجزون فيها بالمحسو بية والأنساب ، والتمسح بقبور الصالحين وعبادتهم بأنواع العبادة ؛ فسيكونون لهم شفعاء فى تخفيف الحساب ودخول الجنة ، على ما ورثوا من دين الآباء والشيوخ ، وأنهم لذلك كانوا يرون و يحسون آيات الله الـكونية و يعرفونها كما تعرفها الأنعام والبهائم ، بدون تعقل ولا تفـكر ، ومن ثم كانوا يقرءون القرآن أو يسمعونه ، كما يقرأون و يسمعون الأغانى والقصص من أساطير الأولين على سبيل التفـكه والتسلية ، لا للاهتداء و إصلاح العقيدة ، وتصحيح الأعمال ، و إقامة الحدود ، وعلاج المجتمع وفصل الخصومات ، و يحاولون أن يمكروا بربهم ، بما يأتون من حركات آلية يسمونها صلاة ، و بما يهمهمون مما يسمونه تسبيحا واستغفارا وذكراً ، و بما يزخرفون من جلود المصاحف، و يكثرون من حفظ ألفاظه والهمهمة بها ، فيخوفهم الله و ينذرهم ما حل بمن قبلهم من التدمير عليهم فى الدنيا ، و إذاقتهم العذاب الأليم عند الموت و يوم القيامة .

لـكن الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وآياته فآمنوا به وقدروا نعمه ، يجعلون من كل نعمة وقاية وجُنـة تقيهم مايخافون و يحذرون فى دينهم ودنياهم وآخرتهم ، فيعرفون أن كل ما آتاهم الله من النعم إنما هو خـير وجميل ، وأعظم منه وأجـل : الخير الذى أنزل عليهم من كتاب الهدى والرحمة والشفاء لمـا فى الصدور ، فهم محسنون فى النعم وبالنعم،

محسنون فى تلقى كتاب ربهم إيماناً واهتـداء ، يضعونه على أمراض قلوبهم من الشهوات والشبهات فيقتلعها ، ويغذى قلوبهم فيحييها بالتوحيد الخالص والإيمان الصـادق والعمل الصالح والخلق الـكريم ، فلهم فى الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ولنعم عقبى الدار .

ثم عاد ربنا يستنكر على أولئك الغافلين المعرضين عن تذكر آيات الله ونعمه تماديهم فى النسيان والإعراض والغفلة ، مع كل هذه المذكرات : ماذا ينتظرون ؟ وما الذى يحملهم على التمادى فى هذه الغفلات التي يركضون بها مع الشيطان فى الشرك والفسوق والعصيان ، والتمرد على الله ؟ إذ ينسبون إليه الظلم والباطل ، فيعتذرون عن شركهم وفسوقهم بأبطل الباطل (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء) إنهم بعمى قلوبهم يتعرضون لأشد ألوان العذاب تتنزل به الملائكة ، أو أن يأتى أمر ربك فيأخذهم بما أخذ به فرعون وقوم لوط وقوم إبراهيم وقريشا فى بدر وإخوانهم من كل ظالم جهول ، وما ظلمهم الله شيئا ولـكن كانوا أنفسهم يظلمون ، بالغفلة والجهـالة والأمانى الـكاذبة ، والأسماء الغرارة ، والمظاهر الخادعة التى لا تغنى من غضب الله ولعنته شيئا ، فإن سنن الله لا تتبدل ، فالإنسان هو الإنسان ، والليل والنهار هما الليل والنهار ، والشيطان هو الشيطان ، والشرك هو الشرك ، والتوحيد هو التوحيد ، والعمل الصالح هو العمل الصالح ، والفسوق هو الفسوق ، وأسباب الرحمة والرضوان والعذاب والغضب من الرب هى أسبـاب الرحمة والرضوان والعذاب والغضب ، لا يتبدل شىء من ذلك ولا يتغير مهما خلع الغافلون عليه من أسماء أوحاها إليهم شياطينهم وخدعوهم بها (وما ربك بظلام للعبيد) فهل من مذكر ؟ وهل من معتبر ؟ .(أتى أمر الله . فلا تستعجلوه . سبحانه وتعالى عما يشركون)

وفى العدد الآتى إن شاء الله نتم بقية العرض الإجمالى لهذه السورة .

والله نسأل أن يجعلنا من الذاكرين العارفين لنعم ربنا ، المقدرين الشاكرين لهـا ، القابليها ، المثنين بهـا . ونسأله سبحانه أن يتمها علينا . وصلى الله على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

اصدع بما تؤمر

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

ه نأذن لمن شاء من الصحف والمجلات وغيرها أن ينقل من هذه الكلمات مايشاء ، أو يقتبس ، أو يترجم . على أن ينسبها صراحة لكاتبها ، وعلى أن لا يجمعها أحد غيرنا فى كتاب . فهذا نحتفظ بحقنا فيه خاصة

وثانياً : نرحب بكل نقد لما نقول أو رد عليه ، ننشره مرحبين به ، راجعين إلى الصواب إذا ماأخطأنا ، أو معقبين عليه بما يجلو وجهة نظرنا ، أو يرفع شبهة إن كانت . على أن يكون النقد فى حدود البحث العلمى الصحيح ، أما الأهواء ، وأما الجدال والمراء فلا ، بل نعرض عنهما كراماً إن شاء الله .

وثالثاً : من شاء أن ينقدنا أو يرد علينا فى جريدة أخرى أو مجلة ، فمن الإنصاف لنفسه ولنا ، أن يرسل إلينا الصحيفة التى كتب فيها ، خشية أن يخفى علينا موضعها فلا نراها ، فيظن أننا قصرنا ، وما إلى هذا أراد ولا أردنا .

٨ — حق الخادم على سيده .

قال الإمام أحمد بن حنبل :

حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد ، يعنى ابن أبى أيوب ، حدثنا أبو هانىء عن عباس الحَجْرى عن عبد الله بن عمر بن الخطاب : « أن رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لى خادماً يسىء و يظلم ، أفأضرب به ؟ قال : تعفو عنه كل يوم سبعين مرة » ؟

إسناده صحيح . والخادم : واحد الخدم ، يقع على الذكر والأنثى ، لإجرائه مجرى الأسماء غير المأخوذة من الأفعال ، كحائض وعاتق . قاله بن الأثير . ومعناه أصلاً يشمل المملوك والأجير ، ولكنهم إذا أطلقوه كان المملوك فى أكثر استعمالهم والمراد هنا المملوك على أكثر الاستعمال .

فهذا ماترى فى أدب رسول الله للمسلمين فى معاملة الخدم والرفق بهم. وقد كان المسلمون الأولون يتأدبون بهذا الأدب ، إلا من أخطأ منهم أو جهل . وكان الرقيق نعمة من نعم الله عليهم جليلة ، بل كان نعمة على الرقيق أنفسهم . ثم أخطأهم التوفيق وخالفوا عن أمر الله ورسوله ، فقَسَوْا على الرقيق ، وركبهم العنف و بطروا نعمة الله ، فسلط الله عليهم عدوهم من قساة القلوب الوحوش ، أوربة الوثنية الملحدة . زعموا أنهم يحررون الرقيق ، ليستعبدوا الأمم الأحرار المستضعفين الأذلاء !

ثم لا يزال الناس فى حاجة إلى الخدم لا تنقضى فاستخدموا الأجراء ، وطغت عليهم المدنية الجارفة الكاذبة ، فكانوا فى معاملة الأجراء أسوأ مما كانوا فى معاملة الرقيق وأشد تنكيلا ، لا يخافون الله ، بل يخافون القانون الإفرنجى الذى ضرب عليهم .

ولم يكن هذا علاجاً ، بل كان أسوأ أثراً ، بما جبلت عليه النفوس من الظلم والطغيان و بما تساهل مطبقوا القانون فى النظر إلى الطبقة الظالمة دون الطبقة المظلومة . حتى لقد رأينا

فى عصرنا حوادث تقشعر منها الأبدان ، وتتقزز النفوس . نضرب منها مثلا نذكره ، قد يغنى عن كل مثال .

فقد عُرض على القضاء الأهلى المصرى ، منذ عهد غير بعيد ، حادث امرأة قبطية استأجرت خادمين صغيرين ، وكانت من قسوة القلب ومن الطغيان لا تفتأ تعذبهما بأنواع العذاب ، حتى الكىّ بالنار ، حتى مات الخادمان بعد أن رجعا إلى أهليهما . فكان العجب كل العجب أن تحكم عليها محكمة الجنايات بالحبس سنة واحدة مع وقف التنفيذ ، بحجة أعجب من حكمها ، تنبىء عن نفسية لاأستطيع وصفها ! أن هذه المرأة المجرمة المتوحشة كبيرة السن ، ومن أسرة كريمة !!

بل مثل آخر عجيب ، لا يتصل بقضايا التعذيب ، ولكنه يكشف عن نفسية الطبقة التى تسمى عالية فى بلادنا ، وما علوها إلا الكبرياء والاستعلاء على أمتهم ، ثم العبودية لسادتهم الخواجات والاستخذاء !!

امرأة من نساء طبقة المستوزرين جمعت جمعًا من مثيلاتها فى دارها ، وكانت الصحف المصرية تفيض بالمنكر الذى يسميه النسوان وعبيد النسوان (حق المرأة فى الانتخاب) . فنظرت هذه المرأة إلى خادمها النوبى ، وعجبت لمن حولها أن يكون لهذا (العبد) حق الانتخاب دونها ، وهى المتعلمة المثقفة التى تراقص الوزراء والكبراء والخواجات !!

وما كان الرجل (عبداً) لها ولا لأبيها ولا لزوجها ، وإنما هو من فئة معروفة بالحفاظ والكرامة فئة النوبيين الأمناء . وأنا أثق أن لو قد سمع هذا (العبد) ما قالت لعرف كيف يؤدبها ويؤدب اللائى حولها من النسوان . بل لعرف كيف يؤدب زوجها الوزير الخطير !!

وما أعتقد أن أمثال هؤلاء مسلمون وإن ولدوا على فرش إسلامية ، وإن سماهم آباؤهم بأسماء المسلمين . ذلك بأنهم أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين !! والله سبحانه يصف المؤمنين بأنهم (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) . وذلك بأن المسلمين إنما هم الذين يطيعون أمر الله وأمر رسوله ، ويعفون عن الخادم إن أساء وظلم « كل يوم سبعين مرة » .

٩ — الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا

حدث شيء منكر جدًّا منذ أسابيع ، فى الاحتفال بالجامعة المصرية « جامعة فؤاد الأول بالقاهرة » فقد دعا شيوخ السنّ الوقورون من زعماء الجامعة ، وقدوةُ الشباب ، بضعَ بنات راقصات ، تابعات لإحدى الدول الأجنبية ، وهى إحدى الدول التى تعلن المسلمين بالعداء المسلح العملى ، و بالصداقة المنافقة المعسولة ، وجاء البنات على رؤوس الأشهاد ، وتحت أنظار عشرات الألوف من شيوخ السن الوقورين ! ومن شباب الجامعة الجامحين ، يعرضْنَ مفاتن الجسَد ، و يُثِرْنَ الشهوات فى أولئك وهؤلاء ، تحت ستار « الفن » البغيض الماجن ! الذى يريد عبيد أوربة ، بل عبيد الشهوات ، بل عبيد الجسَد ، بل عبيد مالا أستطيع أن أكتبه فى صحيفة محترمة مثل هذه المجلة ! ! أن يجعلوه شرعة الأخلاق فى مصر ، وفى بلاد الإسلام ، بدلاً من شرعة الله التى شرع فى كتابه وسنة رسوله

فثار بعض الشبان ، بطبيعة ما يُعرَض عليهم من إثارة الشهوات ، و بطبيعة ما وَأَجَ فى نفوسهم ، وأُشْرِبَتْه أجسامهم وعواطفهم ، من إباحية وانحلال ، وقبَّلوا بعض هاتيك الفاتنات غصباً وكرهاً ، ومَرِج أمرُ القوم واضطربوا ، وخرج الأمر من أيدى شيوخ الجامعة الوقورين ، وكانت فضيحة !!

ثم ثار السفير الذى يتبعه أولئك الفتيات ، فلم يجد الكبار بدًّا من أن يعتذروا له رسميًّا ، باسم الجامعة ، بل لعلهم اعتذروا باسم الدولة

وغلب الحياء الدولة ، فلم تدر كيف تستر وجهها من هذا الحياء ومن هذه الفضيحة ، فرفعتْ ذيلها تغطى به وجهها ! ! فاصطنعت بلاغا رسميًّا تنفى به ما رأته عشرات الألوف من العيون . . ولست أدرى ؟ أكَفَى هذا فى ستر حياء الدولة أم لم يكف ؟ ! ولكن هكذا كان

ثم ثارت الصحف ، وثار كبار الكتاب المساكين ! بالطلبة الجامحين . . لم يثوروا من أجل الخلق والدين — أستغفر الله — هم يَرَوْن أنفسهم أجلّ من هذا وأعظم ، ولا يرضون لأنفسهم ولا لأمتهم أن يُسْلكوا فى عداد أمثالنا من الرجعيين والجامدين !

إنما ثاروا من أجل فضيحتهم بين سادتهم الأوربيين ، أن يظنوهم متأخرين ، ولا يقدرون الفن الماجن قدره ، ولا يعبدون الجسد كما يعبدون ! ! وثاروا من أجل فتيات زعموا أنهن في بلادهن من « الأسر الكريمة » !

ولا أحب أن أجادلهم فى هذا ، فإن مقاييس الكرامة تختلف اختلافاً كبيراً - بين الأمم الإسلامية والأمم العربية ذات الحفاظ والغيرة ، و بين الأمم الحيوانية الوحشية الوثنية فى أوربة وأمريكا وأتباعها ، بل نحن نرى أن مقاييس الكرامة اختلت فى بلادنا اختلالا كثيراً أيضاً ، بما أفسد عبيد أوربة عندنا من كل المقاييس والموازين .

ذهب هؤلاء الكتاب وغيرهم ينحون باللائمة على الطلاب المجرمين وحدهم ، ويخيل إلىّ أن لو استطاعوا لطلبوا عقابهم بالقتل أو بما قريب من القتل

نعم إن ماصنع هؤلاء الطلاب من أشد المنكرات نكراً فى نظر الإسلام ، وفى نظر الخلق السليم والفطرة المستقيمة ، لا من جهة أن هذا التقبيل كان كرهاً فقط ، فإن الغصب والإكراه فى مثل هذه الجريمة إنما يزيد من شناعتها ، والجريمة فى مثل هذه الحادثة جرائم متعددة منفصلة ، اجتمعت فى حادثة واحدة .

فرؤية نساء شبه عاريات حرام ورؤية رقصهن و إظهار مفاتن أجسامهن حرام ، وتقبيل الرجل امرأة غير زوجه أو ملك يمينه حرام ، وتقبيل الرجل امرأة ولو كانت زوجه على أعين الناس حرام ، ثم يزيد هذه الحرمات شناعة وتحريماً أن يتصل بها الغصب والإكراه .

وهذه أحكام إسلامية بديهية ، معلومة من دين الإسلام بالضرورة ، لا يجهلها عامى أو متعلم ، إلا أن يكون إفرنجيًا أو من عبيد الإفرنج .

وأيما أحد انتسب إلى الإسلام ، ظاهراً أو باطناً ، استحل شيئاً من هذه المحرمات ، المعلوم تحريمها من الدين علماً ضروريا ، فرأى أن ليس بها بأس ، أو رأى التظاهر بالرضا بها تقرباً الى الوثنيين المتوحشين الإباحيين ، خرج من الاسلام ، واستحق أن يحكم عليه بحكم المرتدين ، إلا أن يتوب توبة نصوحًا ، و يرجع عن استحلال أى شيء حرمه الله

ثار الكتاب الكبار ! والمصلحون الاجتماعيون ! لهذا الجرم الشنيع الذى وقع ، وكان الظاهر فى ثورتهم أنهم أنكروا وقوع الحادث كرهاً وغصباً ، وما أظن ثورتهم كانت

لذلك ، إنما كانت لأن الجريمة وقعت على بنات الخواجات ، وأمام الخواجات ، فخشوا أن تحقرهم أوربة وتغض من أقدارهم لدى رجالها العظماء (كبار العقول) ، كما وصفهم من قبل زعيم من زعماء الإلحاد فى مصر

ما أظن أن ثورتهم كانت لهذا الغصب والاكراه وحده ، فكم من حادث مشابه فى الغصب والاكراه وقع ، فما كان له عندهم من أثر

ولكنى سأفترض أن غضبهم وثورتهم كانا من أجل هذا ، فأين سائر الجرائم التى تضمنها هذا الحادث الشنيع كما فصلتها ؟ ؟

كل المحرمات التى تضمنها هذا الحادث جرائم ، وهذا معنى التحريم فى الإسلام ، يجب على ولى الأمر أن يعاقب من يفعلها بالعقوبة التى يراها مناسبة للعمل الحرام ، وهذه العقوبة هى التى تسمى فى اصطلاح الفقهاء « التعزير »

ولو كانت القوانين فى بلادنا تؤخذ من تشريعنا السامى النقى وحده ، فى حدود ما أنزل الله فى كتابه ، وما شرعه لنا فى سنة رسوله ، الذى أمر أن يبين للناس ما نزل إليهم — : لكانت لهذه الجرائم مفصلة عقوبات معينة ، أو عقوبات مجملة فى قواعد عامة ، تدور على محور الشريعة ، لا تحيد عنها قيد شعرة ، إلا ما يكون من خطأ فى الاجتهاد أو الاستنباط ، أو من خطأ فى التطبيق والتقدير . فأين هذا مما نحن فيه ؟ ؟

أين العقوبات التى فرضت على من ينظر إلى امرأة شبه عارية ؟ أو إلى رقص النساء الكاسيات العاريات ؟ وأين العقوبات على النساء إذا ارتكبن هذه الجريمة ؟ .. وأين العقوبة التى تحفظ الحياء العام بين الناس ، فتعاقب من يقبل امرأة علناً على رؤوس الأشهاد ، أيًّا كانت المرأة منه ، زوجاً أو غير زوج ، وتعاقب من يذيع صور هذه القبلات فى الصحف والمجلات ، والاعلانات والسينمات ؟ ؟

بل إني لأرى الناس استهتروا فى هذا الشأن ، حتى انحطوا إلى درجة الحيوان أو كادوا !! فما من حفل عامّ أو لقاء خاصّ فى توديع مسافر أو استقباله ، إلا والقبلات تتوالى بين

١٦

المتلاَقِين ، كأنهم فى مخادع النوم لايستحون ! . بل إن الصحف لتنشر صور قبلات بين عروسين ، فى أظهر المواضع منها ، وفى بيوتات من أكرم الأسر التى يعرف الناسُ لها أقدارَها وكراماتِها ، بما كان لها من مجد فى أعراق الثرى والثراء ، وبما كان لها حفاظ وغيرة وتصوّن !! ثم كان أمرهم إلى ما نرى ، والصغائر باب واسع إلى الكبائر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أيها الناس : إن الرجل ـ أعنى الرجل ـ ليستحى أن يقبل امرأته فيراه أقرب الناس إليه ، أمه أو أبوه ، أو ابنته أو أخته

أيها السادة : لقد فقدتم الدين ، ثم فقدتم الحياء ! وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا لم تستحى فاصنع ماشئت » .

وكان من أثر هذا الحادث المنكر ، ومن ثورة الصحف بالطلاب الجامحين : أن قام من الكتاب من يلتمس لهم المعاذير ، ليصلوا إلى شىء وراء هذا ، من مقاصدهم الدقيقة فى إشاعة الفاحشة فى الذين آمنوا ، وتهاوت خواطرهم واتفقت ، كأنهم على ميعاد ، يقحمون أنفسهم وأتباعهم فى النار ! فرأينا الدعوة إلى إباحة الزنا الحكومى الرسمى سافرة غير مستحيية ، فى بلد يزعم دستوره أن دينه الاسلام ، وينتسب أهله إلى الاسلام ، إلا أقلية تنتسب الى دين عيسى ابن مريم ، وإلا أفراداً قلائل ، لايكادون يسمون أقليـة ، ينتسبون إلى دين موسى بن عمران ، على نبينـا وعليهما السلام ، وهى أديان التوحيد الثلاثة الظاهرة فى الأرض ، المقدسة فى السماء ، وهى الأديان التى لم تختلف قط فى أن الزنا من أكبر الكبائر .

وكان من أقبح مارأينا من ألوان هذا الاعتذار ، بل كان من البلاء المضحك ، وشر البلية مايضحك . أن تقوم بنت « جامعية » فتكتب فى إحدى الصحف اليومية ، بتوقيعها ظاهرة غير مستترة ، تعتذر عن هؤلاء الشبان وأمثالهم ، بأنهم « مكبوتون ! » ، وأن « الكبت » هو الذى دفعهم إلى هذه الفعلة الفاضحة ! !

وأنا أعجز عن أن أرد على بنت فى هذا المقام الدقيق الحرج ، وإنما آسف لها ، بل آسف لأهلها إن كانوا رجالا ، أن تقفهم ابنتهم مثل هذا الموقف المخجل ، وأسأل الله أن يصون أعراضنا وأعراضهم .

ولن أقول لها إلا أن هـذا من نتائج تعليم البنات ، وترك حبلهن على غاربهن فى الجامعات والندوات . بل هو من آثار خطط المبشرين الكبار ، الذين لم يجدوا منفذاً لهدم الاسلام إلا من ناحية تعليم النساء .

وأمامى وأنا أكتب هذا ، كلمةٌ للأستاذ الكبير أحمد أمين بك ، فى مجلة « رسالة الإسلام » (العدد ١ من السنة ٣ شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٠) يتحدث فيها عن (الجامعة الإسلامية) أشار فيها إلى (مؤتمر المبشرين) الذى عقد من أربعين سنة (سبتمبر سنة ١٩١١) برئاسة المبشّر العتيق ، عدوّ الإسلام الألدّ « المستر زويمر » . وفيها أن هذا الرجل ذا الناب الأزرق ، استعرض نهضة المسلمين الظاهرة ، ثم قال : « وكل هذه الحوادث تحتم على الكنيسة أن تعمل بحزم وجد وتنظر فى أمر التبشير . والمبشرين بكل عناية . وعلى ذلك فسيوضع برنامج للأمور الآتية : درس الحالة الحاضرة . إنهاض الهمم لتوسيع نطاق تعليم المبشرين ، **والتعليم النسائى** وإعداد القوات اللازمة ورفع شأنها » وقد صدقت فراسة هـذا المبشر اللدود ، ونجحت خطته ، بما حمل تلاميذُه وأنصارُه من المسلمين من دعوته المغرية الخادعة ، فتوسعوا فى تعليم البنات إلى قعر الهاوية ، حتى صرنا ما نرى ، وحتى صرنا إلى أن نسمع « بنتاً جامعية » تلتمس المعاذير لفسق الشبان بأنهم « مكبوتون » وتنشر هذا فى الصحف اليومية السيارة ، باسمها الواضح الصريح . ونعوذ بالله من الخذلان !

ثم ما هـذا « الكبت » الذى يزعمون ، والذى جرت به أقلام الكتّاب واصطنعته نفوسهم المريضة الجاهلية ، تحريفاً للكلم عن مواضعه ، وإشاعة للمنكر إشاعة مجرمة ؟ !

أليس هو (العفة) التى أمر الله بها فى كتابه : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الذى لا يجدون نكاحاً

حتى يُغْنِيَهُمُ اللهُ من فضله)[1] . ؟ بل التي أمر الله بها فى كل دين سماوى ؟ !

أيها المسلمون !

خذوها عنى ، وسترون أثرها فى كل حين :

إنكم لم تُؤْتَوا إلا من تعليم النساء ، تنفيذًا لخطط المبشرين الكبار وأتباعهم ، ومن ترك حبلهن على غاربهن يَنْطَلِقْن إلى ما لا تدركون مداه .

وليس لكم فلاح ، ولا يرجى أن تقوم لكم قائمة ، إلا أن تردوا المرأة إلى خدرها طوعاً أو كرهاً ، وأن تمنعوا تعليمها إلا فى حدود ما أذن به الله ورسوله ، (وإن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قوماً غيركم ، ثم لا يكونوا أمثالكم)[2] ؟

أحمد محمد شاكر

(١) الآية ٣٣ من سورة النور

(٢) الآية ٢٨ من سورة محمد .

اصطفاء واختيار - الأشهر الحرم

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت
عضو جماعة كبار العلماء ومدير البحوث بالأزهر

لله فى كل شىء من خلقه اصطفاء واختيار ، وله فى كل شىء اصطفاه تشريع وأحكام (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) (وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

نعم خلق الله واختار مما خلق ، ووضع أحكاما لما اختار ، وليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يغير اختيار الله واصطفاءه ، ولا أن يعدل أو يبدل شيئاً من أحكامه ، ولا أن يخترع ما لم يأذن به الله) (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله)

خلق الله الناس ، واصطفى منهم لقيادة الخلق من شاء ، ويصطفى منهم إلى يوم القيامة من يشاء : إصطفى العلماء والفلاسفة ، واصطفى القواد والمصلحين ، ثم اصطفى الأنبياء والمرسلين (وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات) (إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين) (يا موسى إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى و بكلامى) (الله أعلم حيث يجعل رسالته)

(أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)

هذا اصطفاء الأنبياء والمرسلين وهو أعظم أنواع الاصطفاء وقد أوجب لذلك احترامهم والإيمان بهم ، وجعل طاعتهم من طاعته ، وعصيانهم من عصيانه ، كما جعل الوقوف عند

بيانهم و إرشادهم من أصول التدين المقبول ، فمن خالفهم فى البيان ، أو زاد فيما جاءوا به ، أو نقص عنه فقد تعدى وظلم .

وخلق الله الأمكنة وفضل بعضها على بعض : جعل منها مهابط الوحى ، ومنها منابت الذكرى ، ومنها مثابة التقديس والعبادة ، وخص من ذلك المسجد الحرام ، والمسجد النبوى والمسجد الأقصى ، وجعل أولها أفضلها (إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا)

فضله بجملة من وجوه التفضيل لم تجتمع لغيره من أماكن العبادة والتقديس ، فجعل زيارته ركناً من أركان الدين ، وطلب الطواف به ، وجعله ركناً من أركان الحج ، ولم يشرع الطواف لشىء سواه ، وصار معلوماً بيناً من الدين أنه لا يجوز الطواف حول مسجد أو بيت سوى الكعبة ، فالطواف حول الأضرحة ومقاصير الأولياء ، وأعمدة بعض المساجد ، والصارى الذى ينصب فى الموالد ابتداع فى الدين ، وشىء لم يأذن به الله ، ومنه الطواف فى الدائرة التى ترسم للمحمل فيطوف بها جمل المحمل سبع مرات ، وهى المعروفة بالدورات السبع ، وقد اقترحت مضاهاة لطواف الحجاج ببيت الله الحرام ، وقد نص الفقهاء على أن التشبه بالواقفين بعرفات فى مكان غير عرفات مخترع فى الدين ، وقالوا : إن الوقوف إنما عهد عبادة بمكان مخصوص فلا يجوز فعله في غيره ، كما لا يجوز الطواف فى غير الكعبة .

وكما خص بيته الحرام بالطواف ، وخص عرفات بالوقوف ، وحرمهما فى غيرهما : خصه بتقبيل بعض أجزائه وهو الحجر الأسود ، وجعله عبادة خاصة فى هذا المكان ، فمن قبل الأحجار والقبور، والجدران والستور ، ولو كانت أحجار الكعبة ، أو القبر الشريف ، أو جدار حجرته أو ستورها ، أو صخرة بيت المقدس ، فقد خرج عن هذا التشريع وابتدع فى الدين ما ليس منه ، فإن التقبيل والاستلام ولو بالإشارة ونحوها تعظيم ، والتعظيم خاص بالله ، فلا يجوز إلا فيما أذن فيه ، ومن ذلك مايقع فى حفلة المحمل التى أحدثتها شجرة الدر من تقبيل مقود الجمل ، واستلام الجمل بالإشارة لمن لم يقدر على لمسه تبركا بهما ، وتشبهاً باستلام الحجر الأسود وتقبيله .

وكما خص البيت الحرام بالطواف وعرفات بالوقوف ، والحجر الأسود بالتقبيل : خص مواضع أخرى هناك بصور من العبادات لا توجد فى غيرها ، وقد كان كل هذا من آيات التعظيم الخاص لبيت الله ، وما يتصل به ومن آثار الاصطفاء والاختيار .

وكما اصطفى الله من الناس ، وجعل لمن اصطفى أحكاماً خاصة ، واصطفى من الأمكنة وجعل لما اصطفى أحكاماً خاصة ، واصطفى من الأزمنة وجعل لما اصطفاه منها أحكاماً خاصة إصطفى منها مواسم لرحمته ، وأياماً وليالى لنعمه و إفضاله (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآ ن ، هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان) (ليـلة القدر خير من ألف شهر) (إن قرآن الفجر كان مشهودا) ثم بعد هذا أفرغ على أر بعة أشهر من أشهر السنة صبغة التحريم والتقديس (إن عِدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أر بعة حُرُم ، ذلك الدين القيِّمُ فلا تظلموا فيهن أنفسكم).

وقد أجمع العلماء أخذاً من بيان الرسول صلى الله عليه وسلم على أن هذه الأشهر الأربعة هى ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، ثلاثة متتابعة وواحد فرد ، وأن تحريمها كما يدل عليه القرآن الكريم شرع قديم تناقلته الأجيال وتوارثه العرب ، ولقد عظمت حرمتها فى نفوسهم إلى درجة أن يلقى الرجل فيها قاتل أبيه فلا يتعرض له بسوء ، وأجمعوا على أن حرمتها ترجع إلى أن الطاعة فيها أشد تأثيراً فى القرب إلى الله من الطاعة فى غيرها ، وأن المعصية وظلم النفس فيها أشد تأثيراً فى البعد عن الله من المعصية فى غيرها ، ولعل الحكمة فى تحريمها هو العمل من المشرع الحكيم على تخفيف الطغيان الإنسانى مدة تكفى ــ بحسب العادة ــ لتدريب النفس على الفضائل ومجانبة الرذائل ، فإن الله ــ وهو العليم بخلقه ــ يعلم أن التنافس والتعارض فى الرغبات والشهوات مما طبع عليه الإنسان ، وهو بذلك دائماً نزاع للخصومات والتقاتل ، فأراد سبحانه بتحريم هذه الأشهر توجيه عباده إلى الخير ، وصرفهم عن الشر مدة من السنة بعامل شعور دينى ، فيريحون أنفسهم من عناء الخصومات وشر التقاتل ، وأعلمهم بحرمتها كما أعلمهم بمضاعفة ثواب الخير والشر فيها ، وحسب الإنسان

فى ذلك أنها ثلث السنة وفيها يستطيع أن يراجع نفسه ، وأن يوازن بين خير الأعمال وشرها وصالح النيات وسيئها فيطهر قلبه وتزكو نفسه ، ويصل ما انقطع بينه وبين ربه ، ويصلح ما فسد بينه وبين الناس ، ولو أن الناس تنبهوا لهذا التشريع الحكيم لما اتصلت حروب ، ولا دامت خصومات ، ولاتخذوا من هذه الأشهر هدنة إلهية يعاونهم فيها التوفيق الإلهى ، على إنهاء مابينهم من حروب وإراقة دماء وتخريب عامر ، فيعود إليهم الأمن والاستقرار ، وتأخذ السعادة طريقها إلى النمو والكمال ، ولكن طغت عليهم الشهوات والأهواء ، فأنستهم إرشاد الله وتعليمه فاندفعوا يظلمون ويستعبدون ، ويتحاربون ويخربون ، وقديماً تصرف أهل الجاهلية فى الأشهر الحرم وحكموا فيها أهواءهم ، ونقلوا حرمتها إلى غيرها ، احتيالا فى الخروج عن أحكام الله فقضى الله عليهم بأنه كفر ، وأعلمهم أن التحريم ليس مرتبطاً باسم الشهر ولا بالعدد ، وإنما هو مرتبط بذوات الأشهر ونفس أيامها سميت بأسمائها أم سميت بغيرها ، وفى ذلك يقول الله تعالى (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ، ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله ، زين لهم سوء عملهم والله لايهدي القوم الكافرين) .

وإذا كان هذا فيمن اعترف بالحرمة فى جملتها ونقلها إلى أشهر أخر ، فما بالنا بمن ألغوا فى حياتهم حرمتها ولم يرتدعوا فى شهر ما باسم التحريم الإلهى عن اقتراف الذنوب والمعاصى؟ إنى أخشى أن أقول : إنهم أشد كفراً وأبعد عن هؤلاء فى الشعور بأحكام الله فيها .

وإذا كانت هذه هى الحكمة العامة لتحريم الأشهر ، فهناك حكمة خاصة لتوالى ثلاثة أشهر منها ، ذلك أن الله قد شرع الحج من زمن بعيد فى شهر ذى الحجة ، وللحج مكانته الخاصة من بين العبادات ، فقضت الحكمة أن يسبق شهره بشهر حرام ، تصفية للنفس واستعداداً للرحلة الإلهية ، وأن يعقب بشهر تتويجاً لهذا القرب الإلهي الذى سطعت أنواره على قلوب حجاج بيت الله ، ومن ذلك توالت أشهر : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وقد كان من لطائف التدبير الالهى أن تختم السنة الهجرية التى سبق فى علم الله أنها مبدأ التاريخ

(البقية على صفحة ٤٦)

كيف نشأت الفرق الاسلامية ـ ٣

وهو بحث ممتع موجز فى نشأة الفرق الـكلامية بالاستناد إلى التاريخ من غير تعرض إلا لرءوس المسائل ، إلى أن تكونت أهم الفرق ، كتب مقدمة لـكتاب « مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين » إحدى مصنفات أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى .

— ٦ —

كان المعتزلة منذ نشأوا أكثر أهل الفرق نشاطا ، وقد عاونهم على هذا النشاط ثلاثة أمور .

أولها : أن الله تعالى قيض لهم فى كل طبقة من طبقاتهم قوما من أهل البراعة واللسن ، فواصل بن عطاء من أوسع الناس عقلا وأغزرهم علما ، وأقدرهم على الجدل والمناظرة ، وأسرعهم بديهة فى استحضار آيات القرآن الـكريم التى يؤيد ظاهرها مذهبه ، وفى تأويل مالا يتفق مع ما يدعو إليـه ، وهو ـ مع ذلك ـ أعلم الناس بكلام غالية الشيعة ومارقة الخوارج ، وكلام الزنادقة والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين ، وأقدرهم على الرد عليهم . وأبو الهذيل العلاف « نسيج وحده وواحد دهره فى البيان ومعرفة جيد الـكلام » وهو الذى يقول عنه المبرد « ما رأيت أفصح من أبى الهذيل والجاحظ ، وكان أبو الهذيل أحسن مناظرة ، شهدته فى مجلس وقد استشهد فى جملة كلامه بثلاثمائة بيت » « وقد امتلأت حياته بالمناظرة والجدل مع الزنادقة والشكاك والمجوس والثنوية ، وَرَوَوْا أنه أسلم على يده أكثر من ثلاثة آلاف رجل » « وقد تـكلم وحاج خصومه وفلج عليهم وهو ابن خمس عشرة سنة » ثم إبراهيم بن سيار النظام شيخ أبى عثمان الجاحظ إمام أهل الأدب وأوسعهم اطلاعا ، وهو آية من آيات الله تعالى فى النبوغ وحدة الذهن وصفائه وسعة الاطلاع والغوص

على المعانى الدقيقة ثم صوغها فى أبرع قالب وأجمل بيان ، وغير هؤلاء ممن لا يحصيهم العد ولا يأتى عليهم البيان .

والأمر الثانى : اتصالهم بالخلفاء والأمراء ، واستطاعتهم ـ بما مُنِحوا من خلابة وقوة عارضة ـ أن يؤثروا فيهم ، وأن يُحْرِزوا عندهم منازل مرموقة ، وأن يستعدوهم على خصومهم إن أرادوا ، فعمرو بن عبيد صفى أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور وصديقه ، بل إن أمير المؤمنين ليعرض جائزته عليه فيترفع عن قبولها ، بل إنه ليطالب إليه ألا يدعوه إلى لقائه ، بل إنه ليتكلم فى شأن ولى العهد أمام الخليفة بما لم يكن أبو جعفر ليحتمله لولا ما يكنه لعمرو بن عبيد من التجلة والإكرام ، وأبو الهذيل العلاف أستاذ أمير المؤمنين المأمون ، وفيه يقول أبو حنيفة الدينورى « وعقد المأمون المجالس فى خلافته للمناظرة فى الأديان والمقالات ، وكان أستاذه فيها أبا الهذيل محمد بن الهذيل العلاف » وكان النظام متصلا بمحمد ابن على بن سليمان أحد أمراء البيت العباسى ، وأحمد بن أبى دُوَاد قاضى قضاة المعتصم ، وهو الذى كتب المأمون عنه إلى أخيه المعتصم فى وصيته عند الموت « وأبو عبد الله أحمد بن أبى دواد لا يفارقك الشركة فى المشورة فى كل أمرك ؛ فإنه موضع ذلك[1] »

والأمر الثالث : تعاون هؤلاء الناس على ماهم بسبيله وصلة بعضهم ببعض الصلة الوثيقة العروة ، وعطف بعضهم على بعض ، حتى ضرب الأدباء المثل بتآلفهم . كتب أبو محمد العلوى إلى أبي بكر الخوارزمى يقول « إن اعتداده به اعتدادُ العَلَوى بالشيعى ، والمعتزلى بالمعتزلى »

وكان من أثر ذلك أن ظل المعتزلة يفتلون للمأمون فى الذروة والغارب حتى أخذ الناس فى عهده بالقول بخلق القرآن ، وأرسل بذلك منشورا لولاة الأمصار يأمرهم فيه بتنفيذ ذلك وقد جاء هذا المنشور مصر فى جمادى الثانية من سنة ٢١٨ من الهجرة ، فامتحن والى مصر قاضيها حتى قال بخلق القرآن ، وامتحن الشهود والمحدثين ، وما زال أمر هذه الفتنة يتطاير فى عهد المأمون ومن بعده حتى « لم يبق أحد من فقيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم إلا أخذ

(١) ابن خلكان (١/٦٧)

بالمحنة ، فهرب كثير من الناس وملئت السجون ممن أنكر عليهم ، وأمر ابن أبى الليث بأن يكتب على المساجد : لا إله إلا الله رب القرآن المخلوق ، فكتب ذلك على المساجد فى فسطاط مصر ، ومنع الفقهاء من أصحاب مالك والشافعى من الجلوس فى المسجد ، وأمروا ألا يقربوه » .

ومن قبل ذلك كان واصل بن عطاء قد كون حوله رجالا كثيرين ، و بعث منهم دعاة إلى البلدان يعلنون الاعتزال و ينشرونه بين الناس ، فبعث عبد الله بن الحارث إلى بلاد المغرب ، و بعث حفص بن سالم إلى خراسان ، فجاء ترمذ وناظر جَهْمَ بن صفوان حتى قطعه ، و بعث القاسم إلى اليمن ، و بعث أيوب إلى الجزيرة ، و بعث الحسن بن ذكوان إلى الكوفة و بعث عثمان الطويل إلى أرمينية ، وجَدَّ هؤلاء المبعوثون فيما أرسلوا به ، وكان لهم نشاط ملحوظ ، وزاحموا بالمناكب علماء هذه البلاد والطارئين عليها ، ثم كانت المحنة ومنشور المأمون الذي ذكرنا شأنه ، فزاد عدد أتباعهم وقويت شوكتهم وامتد سلطانهم ، حتى لم يبق غريبا أن تسمع ياقوتا الحموى يقول « إن مجمع الواصلية (أتباع واصل بن عطاء) كان قريباً من تاهَرتَ ، وكان عددهم نحو ثلاثين ألفاً فى بيوت كبيوت الأعراب يحملونها » وتسمع الصفدى يقول « ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار علم قدر ما كانوا عليه من العدد والعُدَد »

وكان المعتزلة « أول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستقوا منها فى تأييد نزعاتهم « فأقوال كثيرة من أقوال النظام وأبى الهذيل والجاحظ وغيرهم بعضها نقل بحت من أقوال فلاسفة اليونان و بعضها يستقى من نبعه و يغترف من معينه بشىء من التحوير والتعديل » .

— ٧ —

وكان الذين عرفوا الفلسفة اليونانية واتصلوا بها وجعلوها تجرى من علومهم ومن حوارهم مع خصومهم مجرى الأصل الذى يجب ألا يُعْدَل عنه ، كان هؤلاء يتهمون المتكلمين ـ وخصوصاً أهل السنة منهم ـ بالتعصب واستحسان التقليد واللجاج فى الخصومة وأنهم قد انفتح عليهم باب الحيرة وأوصدت فى وجوههم أبواب اليقين ، فلم يكن بد من

أن يقيض الله ـ سبحانه ! ـ لهذا الدين رجلا مأمون السر والعلانية ، يعتصم بكتاب الله تعالى و بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الطيبين الطاهرين و بما كان عليه السلف الصالح من أئمة الحديث ، ثم يكون له من العلم بالجدل وأصول المناظرة وما طرأ على أهل هذه الملة من وجوه المعرفة ما يستطيع أن يَدْرَأ به فى نحور أهل الباطل و يرد كيدهم عليهم ، فكان هذا الرجل هو أبا الحسن على بن إسماعيل الأشعرى .

ظهر أبو الحسن الأشعري فأعلن عقيدته فى هذه العبارة « قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التى ندين بها التمسُّكُ بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما رُوِيَ عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون ، و بما كان عليه أحمد بن حَنبَل ـ نَضَّرَ الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مَثُوبَته !! ـ قائلون ، ولمن خالف قولهُ قَولَهُ مجانبون، لأنه الإمامُ الفاضل ، والرئيس الكامل ، الذى أبان الله به الحقّ عند ظهور الضلال » وفيما ذكره في كتاب المقالات ـ بعد أن حكى مذهب أهل السنة والحديث تفصيلا ـ وذلك قوله [1] « و بكل ماذكرنا من قولهم نقول ، و إليه نذهب ، وما توفيقنا إلا بالله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، و به نستعين ، وعليه نتوكل ، و إليه المصير » .

والظاهر أن أهل الحديث لم يتقبلوا أبا الحسن الأشعرى يوم ظهر بمذهبه هذا الذى حاول به أن يوفق بين مذهب أهل السنة والعقل ، بما كان يتوقع ، إما لأن نشأته فى أحضان المعتزلة لم تكن لتزيل عنه أوهامهم وشكوكهم ، و إما لأنهم يمقتون مذاهب المتكلمين ولا يقبلون أن يلفظوا بعبارة من عباراتهم التى أحدثوها ، و يظهر أثر نفور أهل الحديث من الأشعرى فيما ذكره ابن الجوزى عنه من « أن الأشعرى ظل على مذهب المعتزلة زماناً طويلا ، ثم تركه وأتى بمقالة خبط بها عقائد الناس» ولكن قوماً من أهل الحديث جاءوا من بعدُ قد عرفوا لأبى الحسن الأشعرى منزلته ، وقدَّروا له جميل مقاصده ، فكان من أثر ذلك مايقول ابن تيمية فى كتابه « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول [2] » وأبو الحسن

---

(١) مقالات الاسلاميين (١/ ٣٢٥) (٢) انظره (٢ / ١٠ بتحقيقنا).

الأشعرى لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كُلاَّب ، ومال إلى أهل السنة والحديث ، وانتسب إلى الإمام أحمد كما ذكر ذلك فى كتبه كلها كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها ، وكان مختلطاً بأهل السنة والحديث كاختلاط المتكلم بهم ، بمنزلة ابن عقيل عند متأخريهم ، لكن الأشعرى وأئمة أصحابه أتْبَعُ لأصول الإمام أحمد وأمثاله من أئمة السنة مِنْ مِثْلِ ابن عقيل فى كثير من أحواله وممن اتبع ابن عقيل كأبى الفرج بن الجوزى فى كثير من كتبه ، وكان القدماء من أصحاب أحمد ـ كأبى بكر عبد العزيز وأبى الحسن التميمى وأمثالهما ـ يذكرونه فى كتبهم على طريق ذكر الموافق للسنة فى الجملة ، ويذكرون ماذكره من تناقض » ويذكر ابن تيمية سبب انحراف أهل الحديث عن الأشعرى بعد ذلك بقليل ، وذلك قوله « وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به ، فإن ابن كلاَّب والأشعرى وغيرهما ينفونها ، وعلى ذلك بَنَواقولَهم فى مسألة القرآن ، و بسبب ذلك وغيره تكلم الناسُ فيهم فى هذا الباب بما هو معروف فى كتب أهل العلم ، وَنَسَبُوهم إلى البدعةو بقايا الاعتزال فيهم ، وشاع النزاع فى ذلك بين عامة المنتسبين إلى السنة من أصحاب أحمد وغيرهم » وذكر بعد ذلك مَنْ يوافق الأشعرىَّ فيما ذهب إليه فى هذه المسألة من أصحاب أحمد .

و إذن فالمسألة التى خالف الأشعرىُّ فيها ما نُقل عن الإمام أحمدَ لم ينفرد فيها الأشعرىُّ بالخلاف ، بل إن كثيراً من أتباع الإمام أحمد كالقاضى أبى يعلى وأتباعه كابن عقيل وأبى الحسن الزاغونى وأمثالهم يذهبون فيها إلى مثل ماذهب إليه أبو الحسن الأشعرى فليس لِتَبْديع الأشعرىِّ وَرَمْيه ببقاء أثر الاعتزال فى صَدْره من وَجْه ، والذى دعا الأشعرىَّ إلى ماذهب إليه فى هذه المسألة هو رغبته الصادقة فى التوفيق بين مذهب أهل السنةوالعقل.

هذا مانراه نحن وَمَنْ سبقنا فى هذه المسألة وأمثالها بعد مُضى الحِقب المتطاولة ، وفى هدوء يمكن لنا من البحث ومعرفة الآراء المختلفة لمن ثار بينهم النزاع ، ولكنا ـ مع الأسف ـ لا نجد هذا الهدوء وهذا التروِّى فيما تَقُصُّهُ علينا الأحداث عند ظهور مذهب الأشعرى وَبَعْدَه ، فإنه ما كاد مذهب الأشعرى يُعْلِن عن نفسه حتى بدأت تظهر آثار الاضطهاد له ، « وقد حاول الحنابلة أن يمنعوا الخطيب البغدادى (المتوفى عام ٤٦٣ من

المجرة) من دخول المسجد الجامع ببغداد ، لأنه كان يذهب مذهب الأشعرى ، وكان أكابر الأشاعرة في ذلك العهد يضطهدون و يُنفَوْنَ . وتحاملت الحنابلة على رجل من كبار الأشاعرة ذوى النفوذ وهو القشيري (المتوفى عام ٥١٤ من الهجرة) ووقع بسبب ذلك قتال فى الشوارع واضطر القشيرى إلى ترك بغداد ، ومن هذه الحادثة أَرَّخَ ابن عساكر مبدأ وقوع الانحراف بين الحنابلة والأشاعرة ، وكان شيخ الحنابلة فى أخريات القرن الرابع الهجرى « يلعن أبا الحسن الأشعرى ، وينال من الأشاعرة [١] » ومن ناحية أخرى كان الكرامية قد تحزبوا على الأشاعرة وهاجموهم مهاجمة عنيفة ورفعوا أمرهم إلى السلطان محمود ابن سبكتكين مُدَّعين أن الأشاعرة يعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم ليس نبيا اليوم ، وأن رسالته قد انقطعت بموته ، ولم يكن هذا معتقداً للأشاعرة يوماً ما [٢] » .

(يتبع) محمد محيي الدين عبد الحميد

(١) انظر طبقات الشافعية لابن السبكى (٣/ ١١٧)
(٢) انظره (٣/ ٥٤) .

الديانات والفلسفات

إلى أي حدٍّ تلتقى ، وفيم تنفصل ؟

لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء
ودكتور فى الفلسفة من جامعة السربون

— ٢ —

عرضنا فى مقالنا الأول آراء بعض الفلاسفة الاسلاميين فى الفرق ما بين الدين والفلسفة أما فلاسفة الغرب فى العصر الحاضر فإنهم يرون الفرق بينهما فى الوجوه الآتية :

١ ـ مثلا كل الفلسفة يناط حلهـا بالأفذاذ من ذوى العقول الراجحة ، بينما المسائل الدينية ـ زعموا ـ تحلها الشعوب والجماهير . ولذلك كانت نشأة الأديان وحياة واضعيهـا والظروف التى ألفت فيها كتبها ـ بزعمهم ـ غامضة مدفونة فى ظلمات التاريخ . ولا كذلك الآثار الفلسفية .

٢ ـ الدين يرثه الشعب عن أسلافه ، بينما النظريات الفلسفية يستقيهـا الفيلسوف من عقله ومن ملاحظاته ، ولو خالف فيها الديانات الموروثة .

٣ ـ الديانات تميل إلى الثبات وعدم التطور ، لأن الجماعات لا تقبل أن تغير عقيدتها كل يوم ، أو أن تعيد النظر فيها من جديد ، ولا سيما إذا كان كتاب العقيدة مفروضاً فيه أنه كلام الرب المعبود .

٤ ـ الديانة لها فى المجتمع مقام الصدارة ، لأن لها الأسبقية الزمانية ، والصلة بالماضى ، ولأنها عقيدة الجمهور وفى متناول عقول العامة .

٥ ـ الدين لا يستغنى عن مظهر اجتماعى فى حفلات يومية أو سنوية أو موسمية يوثق

بها الأفراد أواصرهم الطائفية، كما أن الفكرة الدينية بحاجة إلى التجسد فى صور معينة ورسوم محددة ، يجدد بها المتدين عهده بعقيدته التى هى دائما عرضة للنسيان من جراء المشاغل الحيوية المادية ، بينما الفلسفة لا حاجة بها إلى هذه المحافل ، لأن عقيدة الفيلسوف حاضرة فى نفسه فى غالب الأمر ، كما أنها لا يصح أن تتمثل فى رسوم عبادة معينة ، لأنه لا شيء من تلك الصور المحددة يفرضه العقل فرضاً ، بحيث يكون الخروج عنه شذوذا في التفكير . ولو التزم الفيلسوف شيئاً من هذه الأوضاع الخاصة وجعله شعاراً لفلسفته ، لخرج إلى ضرب من الهزل والمجون حَرِى أن يسخر منه .

٦ ـ الديانة تعيش بسلطان ونفوذ كنفوذ الدولة . والفلسفة لا تعيش إلا فى جو الحرية

***

الناظر فى هذه الفروق يرى أنها فى جملتها لا تصور الديانة والفلسفة فى كل الأدوار التى مرت بهما بل تصفهما فى حالتهما الحاضرة ، وفى أوربا المسيحية على وجه أخص فهى تصور لنا الأديان الموروثة عن السلف فى حالة استقرارها وثباتها ، بعد أن أصبحت عقيدة للجمهور وجزءا من تاريخه ، محفوفة بجلال الماضى ، محوطة بسلطان الكنيسة ، بعيدة العهد بتاريخ نشأتها الغامض . وتصور لنا الفلسفة بازغة فى عقل الفيلسوف مطبوعة بطابع عقله ونزغاته وأحاسيسه ، طليقة من كل قيد ، تستطيع أن تلبس كل يوم ثوبا جديدا .

ولا ريب أننا حين نعقد المقارنة هكذا فى ملابسات متباينة ، نحصل على صورتين متفاوتتين . فالديانات تبدو لنا فى مظهرها الاجتماعى المستقر ، والفلسفة فى طابعها الفردى الحر المتجدد . وهكذا يصدق القول بأن « الديانات هى فلسفة الشعوب والجماهير » وأن « الفلسفة هى ديانة الافذاذ الممتازين »

أما إذا عدنا بالديانات إلى عصور نشأتها ، أو عصور تجديدها و إصلاحها ، فانها تبدو لنا هى أيضا وهى تحمل أعلاما شخصية : موسى ، أو بوذا ، أو عيسى ، أو محمدا ، أو لوثر ، أو محمد بن عبد الوهاب ، أو غيرهم . حتى الديانات الوثنية لم تعدم زعماء وضعوا أساسها ، أو وسعوا بنيانها ، إما بالتفنن والاختراع ، و إما بجلب « تماثيل الآلهة » من رحلاتهم فى مختلف الاقطار ، كما يحدثنا التاريخ عن بعضهم .

وليس جهل الشعب بحياة مؤسسى ديانته دليلا على أن هذه الديانة فى نشأتها من وضع الشعب فى الجيل نفسه ، أو فى جيل سابق . وكل ما فى الأمر : أنها ميراث جهلوا مورثه .

نعم ، إن هذه التركة قد يكون أصابها على مر العصور شيء قليل أو كثير من التحول والتطور ، حتى أصبحت فى وضعها الأخير أثراً مشتركا وثوباً مرقعاً ، ينتسب إلى أكثر من فرد واحد ، وتقبله الشعب هكذا على علاته . ولكننا مهما ارتقينا بهذا الميراث الشعبى من عصر إلى عصر حتى نصل إلى عهد نشأته لا بد أن نصل إلى مبدأ لا يكون هو الشعب فى جملته ولا جماعة من الشعب ، وإلا فليجيئونا بمثال تاريخى واحد اجتمع فيه شعب من الشعوب أو طائفة من رؤسائه ، فتواضعوا فيما بينهم على ابتكار منظمة دينية جديدة يخلقون عقائدها وعباداتها جملة وتفصيلا ، من غير أن يكون بين أيديهم أثر يأثرونه عن سلفهم ، ولا كتاب يدرسونه ويجتهدون فى فهمه وتأويله ، منسوب إلى فلان أو فلان .

على أن غموض تاريخ مؤسسى الديانات ، وعدم تحديد العصور والملابسات التى ظهرت فيها كتبهم ليس قاعدة عامة. فهذا تاريخ الإسلام ونبيه وكتابه غض طرى ، كأنه ولد أمس وعلماء أوروبا يعترفون بذلك ، ويعلنونه فى إنصاف وصراحة غير أنهم يعدونه استثناء من قاعدة الأديان . لكن الحقيقة أن القدر الذى يصح عده استثنائياً فى الإسلام من هذه الناحية : هو درجة الوضوح التاريخى ، ومتانة الأسانيد المتصلة لكتابه فى جملته وتفصيله ، أما الوجود التاريخى لزعماء الأديان ومجمل دعوتهم ، فهذا قدر مشترك بينه وبين كثير من الملل ، حتى لو سلمنا أنه استثناء فقد أصبح الفارق الذى يزعمونه بين نشأة الدين ونشأة الفلسفة غير صحيح على عمومه .

وإذا كانت الديانات بعد تأسيسها تميل إلى الثبات والاستقرار بين الشعوب حتى يقوم فيها مجددون أو مصلحون ، فكذلك تعاليم الفلسفة ومقررات العلوم ، حتى الرياضيات والطبيعيات ، مالت إلى الركود فى كثير من القرون والتجديد فى كلا الميدانين يلاقى مناهضة شديدة . وكم من الاختراعات والاكتشافات الحديثة عدت جنوناً من مدعيها في الأوساط السياسية والعلمية نفسها

أما حديث المظاهر الاجتماعية فى شعائر العبادة : فإنه ينطبق حقيقة على الأديان العامة التى استكملت عناصرها وفروعها ، ولـكنه لا ينطبق على الأديان الفردية التى لا تعدو أن تـكون وجدانا غامضا أو عقيدة مبهمة تتجمجم فى الصدر ، ولا يحسن صاحبها التعبير عنها بشعار خاص ، وقد رأينا مثلا من ذلك فى أديان الحنفاء ، ولا نزال نرى أمثالهم فى كل أمة من ذوى الفطر السليمة الذين لم تصـل إليهم تعاليم الأديان الصحيحة ، ولم يعجبهم ما فى بيئتهم من العقائد الزائفة ، والعوائد المنحرفة ، ولـكنهم فى الوقت نفسه لم يصلوا إلى تحديد وضع معين يتخذونه شعاراً لعقيدتهم ، فهؤلاء غرباء فى قومهم لا يجد الواحد منهم فى نفسه حافزا للاجتماع بغيره ، لأن كلا منهم أمة وحده ، فضـلا عن أن يتفقوا على نشيد واحد وحركات واحدة يجعلونها شعارا ظاهراً لعقيدتهم .

بل نقول إن حديث الشعائر والمظـاهر لا ينطبق على كل الأديان الشعبية ، فهذه البوذية الأولى يقولون : إنها لم تـكن تعرف إلا العزلة التامة والتفـكير العميق ، بعيداً عن كل الرسوم والأوضاع العملية ، وعلي نقيض ذلك رأينـا بعض الفلاسفة مثل (أوجست كونت) يجهزون مذاهبهم الفلسفية بكافة النظم والشعائر المعروفة فى الديانات الكاثوليكية ، وهكذا نرى التفرقة المذكورة لا تستقيم طرداً . ولا عكسا .

يتبع　　　　　　　　　　محمد عبد الله دراز

روائح أنصــار السنة

تباع أنواعها : الإفرنجية والعطرية بدار جماعتكم وفى كل اجتماع ، فابتاعوا عطركم منها ، تشجيعاً لإخوانكم ، واستحساناً لأنفسكم ، فهى أطيب طيب وأذكى رائحة .

ويوجد أيضاً كلونيات فاخرة ، وزيت شعر معطر يخصب الشعر ويمنعه من السقوط .

اطلبوا طيبكم من أخيكم

على خطـاب

تعقيب على تعقيب

أشرنا فى مقالنا السابق إلى أن اشتراك الأديان والفلسفات فى أن مطلبها كلها هو الوصول إلى الحق الأعلى والخير المطلق ، ليس معناه : أنها جميعاً قد وفقت فى بحثها وهديت إلى الصواب فى أحكامها .

وواضح أننا حين نتحدث ها هنا عن الأديان بإطلاق نعنى ما نقول ، ولا نقصد إلى طائفة معينة من الديانات بل ذلك صريح فى آخر المقال المشار إليه ، حيث بينا أن كل خاصية يدعى أنها يتميز بها الدين عن الفلسفة يلزم لصحتها أن تكون منطبقة لا على الشرائع الالٰهية فحسب ، بل كذلك على « الديانات الأخرى » وعلى « الأديان فى جملتها » ويستبين ذلك فضل استبانة بمتابعة البحث إلى نهايته حين نتحدث عن البوذية والبرهمية وعن الوثنيات عامة ، باعتبارها داخلة فى مسمى الديانات ، وليس هذا بدعا فى التسمية ، فالقرآن المجيد قد سماها كذلك ، حيث يقول « لكم دينكم ولى دين » .

فإذا قلنا إن الأديان بإطلاق ، والفلسفات بوجه عام ، قد تختلف فيما بينها كما قد تختلف فى أنفسها ، هل يكون معنى هذا أن الأديان السماوية بخصوصها تختلف فى أصولها ؟ وكيف يدور ذلك فى خلد مسلم ، بعد أن جعل الله الأنبياء جميعاً أمة واحدة ، وأمر خاتم المرسلين أن يقتدى بهدى الرسل من قبله عليهم صلوات الله وسلامه ؟ .

غير أن قلم التعقيب على مواد المجلة قد بلغ به حب الإيضاح وإزالة اللبس فيما يظهر أن تشكك فى ذكاء القراء ولم يطمئن إلى قوتهم على فهم هذا المعنى اللائح ، ولذلك حرص أشد الحرص على أن يزيده بيانا بقوله « إن قضية الاختلاف بين الأديان لا تسرى على أصول الأديان الصحيحة » وهو فى ذاته قول سديد لا غبار عليه ، وإن لم تشتد الحاجة إليه

وإنما الذى لم نفهمه بعد هو ذلك الاستنكار البليغ للمقدمة القائلة : « إن كثيراً من المذاهب الفلسفية قد توصلت بمجهودها المستقل إلى تقرير النتائج الكلية التى تقررها

الأديان » ومحاولة هدم هذه القضية بدعوى أنها ليست من الدين ولا من الفلسفة ، ولا من التاريخ في شيء ، وأنها من واردات أوربة الوثنية الملحدة ، وأنها ترتبط فى سلسلة واحدة مع نظرية تطور الانسان عن القرد ، ونظرية إنكار الوحى ، و إنكار الألوهية . الخ . الخ

لقد حاولت عبثا أن ألتمس طرف الخيط الذى يربط تلك المقدمة الصحيحة بهذه النتائج الشنيعة . . . وما أريد الآن أن أشق على زميلى الفاضل بطلب إرشادى إلى صلة القرابة بينهما ، ولكن أحب أن ألفت نظره إلى النتيجة المنطقية الخطيرة التى تستتبعها معارضته لهذه الحقيقة :

ذلك أننا لو أنكرنا أن بعض المذاهب الفلسفية تلتقى مع الأديان فى أصول العقائد الكبرى (من وجود خالق ، بارىء ، مصور ، مدبر ، رقيب ، حسيب) ـ أقول لو أنكرنا ذلك لوجب أن نقرر نقيضه ، وهو أن جميع الفلاسفة الذين فكروا بعقولهم فى المبدأ والمعاد انتهى بهم تفكيرهم إلى الكفر والالحاد . فهل هذا صحيح؟ وهل يسع أحداً أن يقول : إن البحث العقلى الذى لا يستند إلى وحى ولا كتاب سماوى لا يمكنه أن يؤدى بصاحبه إلى معرفة الله ؟ فعن أى طريق إذاً كان إيمان الحنفاء ؟ وفيم إذاً كانت هذه الدعوة الإسلاميه الملحة إلى التفكر والتدبر ؟ .

إننا نحتكم فى هذا إلى كتاب الله وسنة رسوله :

فالقرآن الكريم قد سمى هذا الدين « فطرة الله التى فطر الناس عليها » ، ثم دعا الناس إليه من طريق واحدة هى طريق النظر والتفكر « قل إنما أعظكم بواحدة . . » ، وسمى الوحى « تذكرة » والرسول « مذكرا » ، وجعل العقل شرطا فى الانتفاع بالسمع « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » .

والرسول صلوات الله عليه وعلى آله يقول : « كل مولود يولد على فطرة الإسلام »[(١)] ويروى عنه يقول : « إن الكافر لاعقل له » ومفهوم هذا : أن العاقل يهديه عقله إلى الايمان وقد صرح بهذا المفهوم فى الرواية الأخرى : « مه ، فإن العاقل من يعمل بطاعة الله »[(٢)]

---

(١) رواه البخارى فى باب عذاب القبر

(٢) رواها القرطبى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن فى تفسير سورة الطور ج ١٧ ص ٧٣ عن الترمذى الحكيم .

و بعد فلسنا فى حاجة إلى سرد مقالات سلفنا من العلماء فى هذا الشأن ، وإنما نكتفى بكلمة واحدة ذهبية من كلمات شيخ الاسلام ابن تيمية ، حيث يقول : « الرسل إنما بعثت لتكميل الفطرة لا لتغيير الفطرة » و يقول : « كل ضلالة فهى مخالفة للعقل ، كما هى مخالفة للشرع[١] » .

على أن قليلا من التأمل يهدى إلى أن عقيدة الألوهية بخصوصها إنما مناطها العقل السليم ولا يمكن إثباتها بالوحى وحده ، لما فى إثباتها به من الدور الباطل فى بداهة العقول ، إذ الايمان بأن شيئاً ما وحيٌ من الله : فرع عن الايمان بوجود الله[٢]

وأختم كلمتى بأن أذكر صديقى بوصية الله التى وصي بها المؤمنين ، « فتبيَّنوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين » والله المسئول أن يهدينا جميعاً إلى سبيل الرشاد[٣].

محمد عبد الله دراز

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ٨١ — ٨٢

(٢) ما أظن أن بينى وبين أخى وصديقى الأديب الممتاز ، العالم الكبير الشيخ محمد عبد الله دراز ، خلافاً جوهرياً فى هذا كله . إلا أن يريد بقوله أن (الفلسفة توصلت بمجهودها المستقل إلى تقرير النتائج الكلية التي تقررها الأديان) : أن الفلسفة وحدها وصلت إلى الإيمان بالله ومعرفته معرفة صحيحة وإلى الإيمان بالآخرة إيماناً كاملاً

ومع ذلك فإن هذا لو كان فإنما هو فى الحقيقة من بقايا عقائد الأديان السماوية القديمة . ونحن — المؤمنين — نعتقد أن الله أرسل رسله ، وأولهم آدم عليه السلام ، وما من أمة إلا خلا فيها نذير . وأما الفلاسفة فأظنهم يزعمون غير هذا بل إن ملحدى أوربة يعتقدون — كما قلت — أن الأديان تطورت فى عقائد الإنسان ، كما تطور خلقه فى رأيهم من الخلية الأولى إلى التدرج فى الحياة ، حتى وصل إلى الإنسان الأول ، وهو عندهم نوع راق من القردة . وحيث إن الأستاذ قد استنكر هذه الآراء فلا محل للخلاف . (أحمد محمد شاكر)

(٣) كنت أحب لأخى الأستاذ محمد عبد الله دراز أن لا يتمثل فى هذا المقام بهذه الآية الكريمة . فإن الخلاف بينى وبينه إنما هو فى بعض الرأى وفى دلالة ما قال على معنى يراه بعيداً وأراه قريباً . لم يجئني أحد بنبأ عن قوله فى هذا هو نفسه . كتب شيئاً رأيت أن لى فيه نظراً ورأياً ، سواء أوافق رأيه أم خالفه .

وقد تبينت الذى جاءنى عنه وتثبته منه ، على الوجهين فى القراءتين : (فتبينوا) و (فتثبتوا). هدانا الله إلى سبيل الحق والرشاد (أحمد محمد شاكر)

باب التراجم

محمد بن عبد الوهاب

— ٣ —

وسمع وتلا قول الله تعالى (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيراً) .

وقوله تعالى (أليس الله بكاف عبده ؟ ويخوفونك بالذين من دونه) .

وقوله تعالى (وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ، لم يمسسهم سوء) .

ووجد أكثر الناس لايتدبرون هذه الآيات ؛ ولا يقتدون بهداها ، ولا يكتفون برب العزة سبحانه وليًّا يلجأون إلى حماه ، ونصيرا يتضرعون إليه ، وكافيا يفزعون إلى عونه إذا مسهم الضر ، أو حَزَبَهم أمر ، بل يسألون المخلوقين من الأحياء والموتى ، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا ، ويستعينونهم على أمورهم ، ويستغيثونهم فيما لا يقدر عليه إلا رب العالمين

وكان تغمده الله برحمته ، على أتم يقين بأن القرآن حق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ فأيقن أن ما عليه أكثر الناس باطل لايمت إلى الدين بصلة ، ولا تربطه بالتوحيد الذى دعا إليه القرآن رابطة ، بل هو شرك صريح ليس فيه من التوحيد مثقال ذرة مناهض لدعوة القرآن ، مناقض لدعوة الرسل جميعا ، مخالف لجميع الشرائع المنزلة التى جاء قصصها فى كتاب الله لتكون فيه عبرة لأولى الألباب .

* * *

وسمع وتلا قوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) .

وقوله تعالى (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) .

وقوله تعالى (قل : الله أعبد مخلصا له دينى ، فاعبدوا ماشئتم من دونه) .

ورأى أن هذه الآيات الكريمة وأشباهها تدعو إلى إخلاص الدين لله تعالى وأراد أن يلتمس هذا الإخلاص الذى يدعو إليه القرآن الكريم فى عبادة المسلمين ودعائهم . فوجد فريقا منهم لا يدعو الله مخلصا ولا مشركا ؛ وفريقا يدعو غير الله مخلصا ، وفريقا يدعو الله تعالى مقسما عليه بخلقه ، متوسلا إليه بذوات العباد وأشخاصهم .

ورأى أن كل أولئك مخالفون للقرآن ، الذى يدعو بغير هوادة إلى إخلاص العبادة والدعاء لله الواحد القهار رب العالمين لا شريك له .

* * *

ووجد أكثر الناس معرضين عن الفضائل التى يدعو إليها القرآن ، ويأمر بها عاكفين على الرذائل التى يحذرها ، وينهى عنها ؛ فالخمر تشرب سرا وجهرا ، والربا يؤكل أضعافا مضاعفة ، والميسر تنفق على موائده الأموال والأوقات ، والعفة مجفوة مصابة فى صميمها ، والكذب يجرى على الألسنة أكثر مما يجرى عليها الصدق ، والغيبة جل أحاديث الأندية وشهادة الزور أكثر ما يسمع فى مجالس القضاء والخيانة فاشية فى جميع البيئات ، وخلف الوعد من الأمور المألوفة التى لا يقوم فى وجهها نكير ، والتعاون مفقود مبتورة أسبابه ، والتخاذل شائع حتى بين الأقربين ، والتحلل الدينى والخلقى حظ كثير من المترفين ، حتى لو بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى ما عليه المسلمون لظن أنه فى غير بلاد الإسلام ، وأن من يرى من الناس لا تربطهم بالقرآن آصرة ، لبعد الشقة ، وانفراج مسافة الخلف بين العقائد التى دعا إليها القرآن وعقائدهم ، والأخلاق التى نادى بها الإسلام وأخلاقهم .

* * *

صراعه النفسى : هذه الفوضى فى العقائد والأخلاق يراها رجل نشأ فى طاعة الله ، وتأدب أدب القرآن ، واستمسك بالفضيلة منذ الصبا الباكر ، وأحب دينه حبا جما ، لا جرم أنها تحزنه وتسوؤه ، وتدفعه إلى الانقباض عن الناس ، والفرار منهم بنفسه ودينه وخلقه ؛ والانطواء على نفسه ، والانزواء فى عقر داره .

فمكث فى داره ثمانيــة أشهر كما أسلفنا ، وهو منطو على نفسه ، لا يخالط الناس ، ولا يجلس إليهم ، بل يعانى صراعا نفسيا أليما ، ويقاسى ألما مكبوتا .

لقد رأى الحق وعرفه . أفيعلنه للناس فى شجاعة وصراحة وإخلاص ، أم يسكت عنه في جبن والتواء ورياء ، وهو يعلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس ؟ أيبادى النـاس بفساد ما هم عليــه من عقائد وأخلاق ؛ ويغير هذا المنـكر بيده ولسانه . أم يسر ذلك فى نفسه ، ويغير للنكر بقلبه ، ويرضي بأضعف الإيمان ؟ .

أيجهر بدعوة الحق ، ويتعرض لما استهدف له المصلحون قبله من ألوان الأذى ؟ أم يؤثر العافية ، ويفر بدينه من الفتن ، ولا يضره من ضل إذا كان من المهتدين ؟ .

أخذت هذه الخواطر تجيش في صدره ، ويتردد صداها فى جوانب نفسه ؛ فتارة كان يؤثر الصمت والسلامة وعدم الاستهداف لما يصيب المصلحين ، وتارة يرى أن العلم أمانة يجب أن تؤدى ، ورسالة ليس من إبلاغها بد . ويذكر قول الله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنـكر وأولئك هم المفلحون)

وقوله (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) .

ويعتقد أنه ـ وقد بصره الله بالحق وهداه إليه ـ أصبح مطالبا وحده بالبيان ، مسئولا عن الجهر بكلمة الحق ، مأخوذاً وحده بتبعة الـكتمان .

ويقوى هذا الخاطر فى نفســه حتى يصير عقيدة راسخة ، وطبيعة متحكمة ، وفـكرة ملهمة ، وقوة قاهرة ، وسلطانا ليس إلى الخروج على حكمه من سبيل .

ويستخير الله ، فيخير له ، فيعد للأمر عدته ، ويأخذ له أهبته ، ويوطن النفس على احتمال ما يلقى من الأذى فى سبيل الحق ، والدعوة إليه ؛ واثقا بوعد الله تعالى فى قوله : (ولينصرن الله من ينصره) وقوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين) متخذاً كتاب الله وسنـة رسوله نبراسا يهتدى به ، ومناراً يستضىء بنوره .

ثم ... جهر بدعوته ..

(يتبع) أبو الوفاء محمد درويش

توزيع العطاء بين المسلمين

فى عهد الرسول وخلفائه الراشدين

قال الله تعالى (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ، إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وقال تعالى (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) .

كانت موارد الدولة الإسلامية منذ فجر حياتها تتكون من الغنيمة والفيء والجزية والخراج والزكاة . فالغنيمة : هى كل مال وصل من الكفار للمسلمين على وجه الغلبة والقهر . والفيء : هو كل مال وصل من الكفار للمسلمين عفواً من غير قتال . والجزية : هى مبلغ معين من المال يوضع على الرؤوس ويسقط بالإسلام ، ولا تؤخذ إلا من الذميين ، فلا تؤخذ من مشركى العرب ، لأن هؤلاء لايقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ، وقد ثبتت بنص القرآن بقوله تعالى (قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) وكانت تؤخذ من الأغنياء ٤٨ درهماً ومن المتوسطين ٢٤ درهماً ومن الفقراء الذين يكسبون ١٢ درهماً ومن عجز منهم كان يخفف عنه .

والخراج : هو مبلغ معين من المال أو مايقوم مقامه من زرع أو ثمر يوضع على الأرض لا على الرؤوس وقد لا يسقط بالإسلام ، والزكاة : هي مبلغ معين من المال أو من الزرع والثمار يؤخذ من المسلمين إذا مابلغت أموالهم أو تجارتهم أو زرعهم وثمارهم النصاب الخاص ، وكانت

هذه الموارد الأساسية تنحدر من منابعها المختلفة ثم تتجمع فى بيت مال للمسلمين ، ويقوم بالإشراف عليها وتدبير شؤونها الحاكم الأول للدولة الاسلامية ، وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدين من بعده وكانوا جميعا يسيرون فى توزيع تلك الأموال وتقسيمها بين المسلمين على ضوء من هداية الله وإرشاده . ويضمون إلى ذلك خبرتهم وخبرة أصحابهم بالبيئة التى يعيشون فيها وتقديرهم جميعا للجو الذى يحيط بهم ، فكان خمس الفيء والغنيمة يقسمان كما أمر الله تعالى إلى خمسة أسهم: سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق منه على نفسه وأزواجه ويصرفه فى مصالحه ومصالح المسلمين ، وسهم لذوى القربى وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وسهم لليتامى وسهم للمساكين ، وسهم لأبناء السبيل . وكانت أربعة أخماس الغنيمة تقسم بين المحارب بين للراجل سهم وللفارس سهمان ، وأما أربعة أخماس الفيء فتبقى رصيداً فى بيت مال المسلمين يضاف إليه مايتجمع بعد ذلك من الجزية والخراج والزكاة .

كانت الرقعة الإسلامية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صغيرة لا تتعدى شبه الجزيرة وكانت موارد بيت المال إذ ذاك محدودة ضئيلة لا تكاد تسعف المسلمين بجميع مايلزمهم فى جهادهم ، وكفاحهم لإعلاء كلمة الحق والدين ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على الرغم من ذلك يصرف بيت المال بتدبير حكيم يهدف دائماً قبل مصلحة الفرد إلى مصلحة الجماعة حتى لقد كان يسخط عليه أحياناً بعض السفهاء من الناس أو قصار النظر أو ضعفاء الإيمان ولكن لا يلبثون حتى يتبين لهم بعد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم وسداد رأيه ومن ذلك ما وقع عقب غزوة حنين حينما أعطى الرسول لبعض المسلمين من غير الأنصار عطاء سخيا ميزهم به على غيرهم ، لكى تتألف قلوبهم إلى الاسلام فتحدث قصار النظر من الأنصار بعضهم إلى بعض وقالوا : لقد لقى رسول الله قومه ، ويقصدون بذلك أن العصبية القبلية هى التي جعلت الرسول يميز بعض هؤلاء القرشيين، فلما بلغت تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الأنصار وخاطبهم قائلا « يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني عنكم ، وجدة وجدتموها فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله ؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ أوجدتم يامعشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ،

وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءا من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار » فبكى الأنصار من فرط تأثرهم بكلام الرسول ، وأدركوا مدى خطئهم وقالوا « رضينا برسول الله قسما وحظا ».

وكان أبو بكر رضى الله عنه يتحرى العدالة الكاملة فى توزيع العطاء بين المسلمين ، فلم يكن يفضل أحداً على أحد حتى ليروى أنه جاءه مال كثير قسمه بين الناس ، فأصاب كل إنسان عشرين درهما ، فجاءه ناس من المسلمين فقالوا ياخليفة رسول الله ، إنك قسمت هذا المال فسويت بين الناس ، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم ، فلو فضلت أهل السوابق والفضل والقدم بفضلهم ؟ فقال : أمّا ما ذكرتم من الفضل والسوابق والقدم ، فما أعرفنى بذلك وإنما ذلك شىء ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش ، فالأسوة فيه خير من الأثرة » وفى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، اتسعت رقعة الإسلام كثيراً بسبب الفتوح الإسلامية المتعاقبة ، فنمت الموارد ، واحتاجت المالية إلى مجهود ضخم ، يتناسب مع اتساع الدولة ، ويوازن بين الإيرادات والمصروفات ، على حد التعبير العصري الحاضر ، فوضع عمر ديواناً سماه ديوان العطاء ، وجعل للعطاء نظاما يخالف نظام أبى بكر فى الظاهر ، ولكنه في الواقع يتمشى مع العدالة والمساواة ذلك أنه جعل التمايز فى العطاء بحسب الأسبقية فى الإسلام لا فرق فى ذلك بين العرب والأعاجم ، فإن تساووا فى ذلك ، فبحسب القرابة من الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال فى ذلك كلمته المأثورة « لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كمن قاتل معه » وفى بعض الأحيان كان عمر يفضل فى العطاء بحسب المكانة والمنزلة لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعله كان يرى أن الرجل لا تعظم منزلته لدى رسول الله إلا على أساس التقوى والإيمان الصادق ، فلقد فرض لأسامة بن زيد خمسة آلاف ، بينما فرض لعبد الله بن عمر — ابنه — ألفين ، فقال ابن عمر لأبيه « فضلت علي أسامة وقد شهدت مالم يشهد ؟ فقال إن أسامة كان أحب إلى رسول الله منك ، وأبوه أحب إلى رسول الله من أبيك »

وهكذا يتضح لنا من سياسة عمر ، أنه قد حاول بقدر الإمكان أن يطبق النظرية

الإسلامية ، فلم يجعل التمايز بين الناس على أساس اختلاف القبائل أو الأجناس ، ولكن جعل الأساس هو التقوى والإخلاص ، وكثرة البلاء والجهاد ، ولذلك إنما يكون فى الغالب بالسبق إلى الإسلام ، لا فرق بين قرشي وباهلى ، ولا بين عربي وعجمى .

وقد كان سفيان بن عيينة يفسر نظرية أبي بكر ونظرية عمر فى العطاء فيقول : ذهب أبو بكر فى التسوية إلى أن المسلمين إنما هم بنو الاسلام كإخوة ورثوا آباءهم ، فهم شركاء فى الميراث تتساوى فيه سهامهم وإن كان بعضهم أعلى من بعض في الفضائل ودرجات الخير والدين ، قال : وذهب عمر إلى أنهم لما اختلفوا فى السوابق حتى فضل بعضهم بعضا وتباينوا فيها كانوا كإخوة العلات ، وهم الإخوة لأب ، ورثوا أخاهم أو رجلا من عصبيتهم فأولادهم بميراثه أمسهم رحما وأقعدهم إليه فى النسب ، فكذلك هم فى ميراث الاسلام فأولاهم بالتفضيل فيه أنصرهم له وأقومهم به وأذبهم عنه .

وأما عثمان بن عفان رضى الله عنه فقد خالف رأى عمر ، ورجع الى رأى أبى بكر رضى الله عنه ، وهو التسوية التامة فى العطاء بين المسلمين على اختلاف قبائلهم وأجناسهم ، حتى لقد أنقص عائشة عما كان يعطيها عمر بن الخطاب ، وصيرها أسوة غيرها من نساء الرسول

وكذلك كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يسوى بين المسلمين فى العطاء ، ولا يفضل سيدا على مسود ، ولا عربيا على عجمى ، حتى لقد تقاعد عن نصرته الكثير من أشراف العرب من أجل ذلك ، ومشت طائفة منهم إليه ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، أعط هذه الأموال ، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش ، على الموالى والعجم ، فقال لهم : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور . ؟

وبعد ، فهذه صفحة مشرقة تتجلى بها السياسة الإسلامية الرشيدة ، والتدبير الحكيم السديد ، وتدل دلالة صادقة على ما كان يتجه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون من رعاية الصالح العام والحرص على سعادة الجماعة ، كل بحسب اجتهاده وتقديره وفى ذلك عبرة وتبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والسلام عليكم ورحمة الله

محمد الطيب النجار

المدرس بتحضير البعثات بمكة

باب الفتاوى

أسئلة وأجوبتها

س ١ ـ ما حكم رفع الصوت ، والسؤال عن الضالة والبيع والشراء فى المساجد ، وحمل الإبريق المملوء ماء والمرور به على المصلين فيقول أحدهم : أسقنى بالصلاة على النبي ، ويقول الآخر : وأنا مثله ؟ .

الجواب : أما رفع الصوت فى المساجد فإنه لا يجوز ، لما رواه البخاري من حديث السائب بن يزيد قال : « كنت قائما فى المسجد فحصبنى رجل ، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال : اذهب فأتنى بهذين ، فجئته بهما . فقال : من أنتما ؟ أو من أين أنتما ؟ . قالا : من أهل الطائف قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » فعمر عليه الرضوان لا يوجع رجلين من المسلمين إلا لاقترافهما أمراً لا تبيحه الشريعة . ولا يرضاه الدين . ولا جرم أن حكم سائر المساجد من حيث منع رفع الصوت كحكم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يمتاز من جهة أخرى بأفضلية الصلاة فيه على غيره إلا المسجد الحرام .

وأما نشدان الضالة فى المسجد فلا يجوز كذلك ، لحديث أبى هريرة : « من سمع رجلا ينشد ضالة فى المسجد فليقل : لا أداها الله إليك ، فإن المساجد لم تبن لهذا » ونحوه عن بريدة . رواهما الإمام أحمد ومسلم وابن ماجة . وكذلك البيع والشراء ، لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البيع والشراء فى المسجد وأن تنشد فيه الأشعار ، وأن تنشد فيه الضالة ، وعن الحلق يوم الجمعة قبل الصلاة » رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجة .

وأما حمل الأبريق المملوء ماء ، والطواف به على المصلين ، فهو عمل خير . والله تعالى يقول : (وافعلوا الخير) ما لم يكن معه مرور بين أيدى المصلين أو شغل لهم عن صلاتهم وعبادتهم .

وأما قول الظامىء : اسقنى ، فلا إثم فيه ، ما لم يكن بصوت عال يحدث تشويشاً على المصلين . وأما قوله : بالصلاة على النبى ، فإن أراد القسم لم يجز ، لأن القسم لا يكون إلا بالله تعالى . لقوله صلى الله عليه وسلم : « من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت » وإن أراد غير ذلك كان من لغو القول الذى لا فائدة فيه ، وتركه أولى والله أعلم . وللصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مواضع غير هذا ، هى فيها أكرم وأليق .

س ٢ ـ ما حكم من يبيح ذبح الشاة ونحوها عند خروج الميت من الدار ، أو تحت الخشبة أو عند القبر ، والنياحة عليهم ولطم الخدود وشق الجيوب ، ويدعي أن الشريعة المحمدية تبيحه صونا للعرض ؟ .

الجواب ـ لا نزاع فى أن الذبح للموتى من أعمال الجاهلية ، وهو ما كانوا يسمونه « العقيرة » وهو محرم ، لأنه إهلال بالذبيحة لغير الله تعالى . أما إذا كان الذابح لا ينوى الذبح للموتى بل ينوى أن يذبح الذبيحة ليتصدق بلحمها عن والديه أو أحدهما ، فذلك جائز ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أقر سعد بن عبادة على أن يتصدق عن أمه .

وأما النياحة على الموتى ، ولطم الخدود ، وشق الجيوب فهي من الأمور المحرمة ، لحديث أم عطية قالت « أخذ النبى صلى الله عليه وسلم علينا العهد عند البيعة أن لا ننوح » ولقوله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » فمن يبيح هذه الأمور يكون محللا للحرام ، والذى يحلل الحرام أو يحرم الحلال يدعى لنفسه صفة الربوبية وكفى بهذا إثماً مبينا . لما نزل قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال عدى بن حاتم : والله ما عبدناهم يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام « ألم يكونوا يحلون لكم الحرام ويحرمون الحلال فتبعتموهم ؟ قال : بلى ، قال : فذاك »

وأما ادعاء أن الدين يبيح هذا فهو افتراء على الله (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة) .

س ٣ ـ ما حكم إقامة الأربعين للموتي ؟ .

الجواب : هذه بدعة منكرة ، وتشبه بقدماء المصريين في وثنيتهم . ولم يكن عليها أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أمر صحابته . ذلك إلى مابها من الإسراف وإضاعة المال وقد حرم الإسلام ذلك

س ٤ ـ ما حكم جمع البنت مع خالتها تحت زوج واحد ؟ .

الجواب : يحرم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها كما يحرم الجمع بين الأختين لما رواه البخارى من حديث جابر رضى الله عنه قال : « نهى رسول الله أن تنكح المرأة على عمتها أو خالتها » وما رواه كذلك من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها » .

س ٥ ـ ما حكم التشاؤم ببعض الأيام ، والتطير فى السفر ، وشد الرحال إلى القبور ، وإقامة الأعياد والحولية لها ، والزواج على سير النجوم ، وإشعار البهائم باسم المشايخ الأحياء والأموات ، وإحضار القراء فى دار الميت وقراءتهم القرآن فيها سبعة أيام وهم يأكلون ويشربون ما لذ وطاب : وأخذ أجرهم من تركة الميت وقولهم : أحل الحلال الطيب ما أكل بالقرآن ؟ .

الجواب : أما التشاؤم ببعض الأيام فهو من الطيرة ، وكذلك التطير فى السفر ، والطيرة شرك ، لحديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الطيرة شرك »

وأما شد الرحال إلى القبور فلا يجوز ، لنهى النبى صلى الله عليه وسلم عنه ، يقول : (لاتشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى»

وأما إقامة الأعياد الحولية لها فهى محرمة بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا تتخذوا قبرى عيداً » وإذا لم يجز اتخاذ قبر أفضل الخلق عيداً فكيف يجوز اتخاذ قبور من سواه أعياداً ؟ .

وأما الزواج على سير النجوم فهو من أعمال الصابئة عباد النجوم ، ومتعاطى هذه الصناعة يسمى بالعراف ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : «من أتى عرافاً فسأله فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » ولقوله صلى الله عليه وسلم : «أصبح من عبادى مؤمن بى ، وكافر

بالـكوكب . وكافر بى مؤمن بالـكوكب . فمن قال : مطرنا بفضل الله و برحمته فهو مؤمن بِى ، كافر بالـكوكب ، أما من قال مطرنا بنوء كذا وكذ فهو كافر بى ، مؤمن بالـكوكب» فالذين يتزوجون على سير النجوم ينسبون إلى النجوم التأثير فى يمن المرأة وشؤمها، كما كان الجاهليون ينسبون المطر إلى الـكواكب والأنواء ، وقد اعتبر الرسول صلى الله عليـه وسلم ذلك كفرا به تعالى و إيمانا بالـكوكب . وأما إشعار البهائم بإسم المشايخ الأحياء والأموات فهو من الإهلال بها لغير الله تعالى ، وذلك شرك أما الذبيحة التى أهل بها لغير الله فالأكل منها محرم لقوله تعالى فى ذكر الأطعمة المحرمة (وما أهل به لغير الله) وأما إحضار القراء فى دار الميت وقراءتهم القرآن سبعة أيام وهم يأكلون و يشربون الخ . . . فهذه الأمور كلها من البدع المنكرة التى لم يكن عليها أمر الرسول صلى الله عليـه وسلم ولا أمر صحابته فهي مردودة على فاعليها ، ولا ثواب لها ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردّ » ذلك إلى مافيه من إثم الابتداع ، وشراء تلاوة القرآن بسقط المتاع وأخذ الأجر من الناس على عبادة الله . والعبادة لا يكون الجزاء عليها إلا من الله ، فليس للقارىء على قراءته أجر ، ولا ينتفع الميت فيها بشىء . وأما قولهم : أحل الحلال الطيب ما أكل بالقرآن ، فهو من تحليل الحرام والافتراء على الله ، وقد تقدم حكم هذا ، والله أعلم .

أبو الوفاء محمد درويش

بقية المنشور على صفحة ٢٢

الإسلامى بشهر محرم ، وأن تبدأ بشهر محرم ليشعر المؤمن بالقداسة والحرمة فى سنة يودعها ، وفى أخرى يستقبلهـا ، وبذلك يكون له علامتان بارزتان فى تاريخه ، يحولان بينه و بين ارتكاب المعاصى فيما بينهما وقد ضم شهر رجب إلى شهر شعبان ورمضـان اللذين اكتسبا حرمة خاصة و بذلك يكون له ستة أشهر كاملة ، هي نصف السنة ، يتلقى فيها درساً إلهيـاً يحفظه من المعاصى والآثام . هذا هو اصطفاء الله واختياره فى الإنسان ، وفى المـكان وفى الزمان ، وهذه هى أحكامه فيما اصطفى من كل ذلك فراقبوها وانتفعوا بهـا ، واحتفظوا بحرمتها ، ولا تخترعوا تعظيما لما لم يعظم الله (تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم) .

الثقافة الاسلامية فى التركستان الشرقية

كانت التركستان عريقة فى الحضارة منذ أقدم العصور ، وكانت ثقافتها توركية بحتة ، وكان أهلها يتدينون بالدين الشامانى وهو دين الأتراك القديم ، وكانوا يشتغلون بالزراعة والتجارة، وكانت التجارة بين شرق الأرض وغربها فى أيديهم ، إذ لم يكن حينذاك طريق بين الشرق والغرب إلا طريق آسيا الوسطى ، وكانت صناعة الورق والحرير متقدمة جداً فى التركستان .

ولما اعتنق أهل التركستان الشرقية دين الإسلام منذ أوائل القرن الرابع الهجرى بطريق سلمية قبلوا الثقافة الإسلامية بطبيعة الحال فانضم إلى ثقافتهم القديمة ثقافة جديدة ، فتقدموا تقدماً هائلاً ، فارتقوا من عبادة مظاهر الطبيعة إلى عبادة خالق الكون ، ومن تقديس قبور الآباء إلى الخضوع بين يدى الله الواحد الأحد .

وصارت اللغة العربية لساناً رسمياً فى المحاكم الشرعية فى القرن الخامس ، يشهد بذلك تسعة صكوك عثر عليها البعثة العلمية الروسية قبل ثلاثين سنة فى بلدة ياركند ؛ وكانت كتبت سنة ٤٧٠ فى محكمة ياركند فى زمن الخاقان أبى على الحسن بوغرخان ووضعت عليها فواتيح القضاة ، وهى الآن محفوظة فى متحف موسكو ، ونبغ فيهم العلماء والفلاسفة ، مثل أبى نصر محمد بن أوزلغ طوخان الفارابى أشهر فلاسفة الإسلام؛ ومحمود بن الحسين الكاشغرى ويوسف الحاجب ومحمد البلاساغونى ويعقوب السكاكى وعلاء الدين الخوتانى والجوهرى صاحب الصحاح وجمال الدين القرشى ، وسعد الدين الكاشغرى وأحمد بك الكشارى وغيرهم، وقد خدم هؤلاء العلماء الاسلام والأمم الإسلامية خدمات جليلة جزاهم الله خيراً . وصارت البلاد غاصة بالمدارس الإسلامية ، وكان التعليم فيها باللغات الثلاث : العربية

والتوركية ، والفارسية ، تدرس فيها جميع العلوم الإسلامية ، وكان الملوك والأمراء والأغنياء يتسابقون على تأسيس المدارس والمكاتب ووقف العقارات الواسعة عليها ، ويتفاخرون بها و بقى إلى الآن بعض من تلك المدارس القديمة باسم المدارس الخانية فى كاشغر ، و ياركند ، وخوتان فدامت الثقافة الإسلامية تزداد وتنمو إلى زحف جنكيز خان المغولى فتوقفت فترة من الزمن ، ولما قبل الاسلام (تغلق تيمور خان) من أحفاده بدعوة العالم الربانى المولى عرش الدين من علماء بلدة كشار أخذت الثقافة الإسلامية تتقدم فى مجراها القديم وتزدهر البلاد بالعلم والعدل والرخاء ، إلى أن استولى الصين على البلاد سنة ١١٧٨ هـ . فأخذوا فى المدارس والجوامع ومصادرتها واضطهاد العلماء وقتلهم و إحراق الكتب وغيرها من الاضطهادات ، أخذت الثقافة الإسلامية تنحط حتى كادت أن تضمحل ، فأراد الله أن يجدد دينه بأن بعث زعماء للثورة على الصينيين فثاروا ثوارات عنيفة من سنة ١٢٤٠ إلى سنة ١٢٨٠ حتى أخلصوا البلاد من سلطة الصين وشكلوا حكومةً مستقلةً إسلامية ، فجلبوا العلماء من التركستان الغربية وأفغانستان والهند ؛ وعمروا المدارس من جديد فاكتسبت الثقافة الإسلامية فى البلاد حياة جديدة ونمواً هائلاً

ولما استولى الصين على البلاد سنة ١٢٩٠ هـ رأوا أن أهل التركستان الشرقية و إن عجزوا عن المدافعة عن حقوقهم السياسية ولكنهم مستعدون للدفاع عن حقوقهم الدينية بكل ما استطاعوا فقبلت الحكومة الصينية لمطالبة الأهالى بحريتهم فى أمور الدين ، وتأسيس المحاكم الشرعية وما يناسب ذلك ، فحفظ الأهالى ثقافتهم الإسلامية وخدموها خدمات لا يستهان بها ، ولكن من غير نظم يتكفل التقدم ، فإن نظام التعليم والتربية كان مأخوذاً من أنظمة تجار البالية ، حتى تنبه المصلح الكبير المولى عبد القادر الا نوجى للتأخر المحزن فى البلاد ، وعقد النية للإصلاح ، فخرج للسياحة وطاف البلاد الإسلامية ودرس أنظمة التدريس فى مصر وسوريا ، والهند درساً دقيقاً ، ورجع إلى بلاده فشرع فى الإصلاح منذ سنة ١٣٢٠ هـ . فاكتسب الدين والسنة رواجاً وأخذت البدع والأهواء فى الانحطاط ، حتى اغتاله حساده سنة ١٣٤٣ فمات رحمه الله شهيداً فى سبيل الله ، ولكن

طريقته لم تمت ، فإن تلاميذه داموا فى الاجتهاد لنشر دعوته الإصلاحية . حتى ازدهرت المدارس بعلوم القرآن والحديث ، والجوامع بالمواعظ الدينية، وتطهرت عقائد الناس وأعمالهم من رجس الخرافات والبدع ، ولما تسلم أهل البلاد زمام السياسة ، وجه الحكام هممهم إلى ترويج الدين وتنمية الثقافة الإسلامية فى البلاد ، ولـكن من سوء الحظ ، استولى على تلك البلاد الطاهرة الأجانب البلاشفة ، وكان أول مهمتهم إقفال المدارس الدينيـة والجوامع ، ومصادرة الأوقاف واضطهاد العلماء ، ويعلم كل أحد أن ديدن البلاشفة ، هو إمحاء الثقافة الإسلامية والوطنية ، والدعاية إلى الزندقة والتهور ، وإفساد الأخلاق لـكى تنعدم العصبية الدينية والوطنية ، والاتحاد القومية ، التى هى قوام الدفاع عن الوطن والقومية ضد الاستعمار الحمراء ، وبيد الله عاقبة الأمور .

محمد أمين بوغرا

الحاكم السابق للتركستان الشرقية

أخبار الجماعة

فى الساعة السادسة من مساء يوم الجمعة ٤ ربيع الثانى سنة ١٣٧٠ ـ ١٢ / ١ / ١٩٥١ أقام المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة ، حفلة شاى كبرى ، تكريماً لحضرة الوجيه الشيخ حسن قسم السيد عضو الجماعة بالأبيض عاصمة إقليم كردفان بالسودان

وقد دعى لهذه الحفلة عدد كبير من الطلبة السودانيين بالأزهر ، و بعض ضيوف مصر من السعوديين ، وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، وشاعر نجد الشيخ محمد بن بليهد .

وقد افتتحت الحفلة بكلمة من فضيلة الأستاذ الرئيس العام ، الشيخ محمد حامد الفقى ، رحب فيها بالمحتفى به ، وحيي فى شخصه جميع أنصار السنة المحمدية فى جنوب الوادى سائلا الله أن يحقق أمنية عزيزة ، تجيش فى صدره . . ألا وهى : زيارة إخوانه فى السودان ، ثم أعقبه الأخ على افندى جبارت الله ، ثم الشيخ محمد بن بليهد ، ثم الأستاذ رشاد الشافعى سكرتير عام الجماعة ، ثم كانت كلمة الختام لفضيلة الأستاذ الرئيس العام ، حيث تكلم عن دعوة أنصار السنة المحمدية ، ووجوب تضافر الجهود والقوى لإبلاغها للناس كافة ، ثم كرر الترحيب والتحية بالمحتفى به ، ثم ألقى الشيخ حسن قسم السيد كلمة شكر .

فرع بولاق

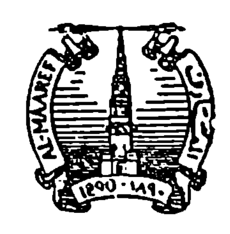
فى مساء يوم الأحد ٢٠ ربيع الثانى ١٣٧٠ (٢٨ / ١ / ١٩٥١) ، إفتتحت جماعة أنصار السنة المحمدية فرعاً لها فى حى بولاق ، وكان يوماً مشهودا ، فقد أقيم سرادق كبير جداً فى أول شارع بولاق الجديد .. إجتمع فيه أكثر من ثلاثة آلاف نفس من أهل الحى يستقبلهم حضرات الأفاضل : الحاج عبده على إبراهيم سلطان ، والحاج عبد ربه عوض والحاج إبراهيم قنديل وغيرهم من أعضاء الجماعة ببولاق

وفى تمام الساعة الثامنة اشرأبت الأعناق متجهة نحو باب السرادق حيث شرف الحفل فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى الرئيس العام للجماعة ، ومعه بعض الضيوف من علماء الهند وعلى رأسهم الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوى ، ثم بدأ فضيلة الأستاذ الرئيس يلقى كلمة ضافية عن أنصار السنة المحمدية ودعوتها للناس أن يعودوا إلى الإسلام كما جاء من عند الله سبحانه وتعالى ، و بينه رسوله صلى الله عليه وسلم فى العقيدة ، والعبادة ، والحكم والجهاد والسياسة ، وأنه لامنجاة ولا فلاح للأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها إلا بالرجوع إلى أحكام الدين فى جميع شئونهم ، ومعاملاتهم ، وأخلاقهم

ثم بين أن جميع الثقافات قد أفلست فى تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق وتحسين الطباع ، كما هو ظاهر فى جميع مرافق الحياة . . فمن جشع في التجار ، إلى طمع فى العمال ، إلى فساد فى الحكام ، إلى عبادة للشهوات البهيمية تلفُّ الجميع ، كباراً وصغاراً ، رجالاً ونساء

كل ذلك بما كسبت أيديهم بتقليدهم للغرب ، فى عقائدهم وعاداتهم وأخلاقهم ، ثم أنذر بأنه لن تقوم للشرق قائمة ، ولن يسترد المسلمون مكانهم ، وتكون لهم كلمة بين الأمم ويفكوا رقابهم من أسر الاستعمار والعبودية ، إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح من كتاب الله وسنة الرسول ، مع نبذ هذه الخرافات والبدع : من عبادة القبور والموتى ، الذين صاروا ترابا ، كما كانوا ترابا

ثم حيى أهل بولاق ، وشكرهم على تلبيتهم للدعوة وحسن استماعهم ، وأعقبه حضرات الأساتذة : عبد الرحمن الوكيل ، ورشاد الشافعى ، وغيرهم من أعضاء الجماعة ، وقد استمر الحفل حتى الساعة ١٢ مساء



المسنــــــد

للامام أحمد بن حنبل

أوسع كتب السنة ، وأكثرها شمولاً وإحاطة . لايستغنى عنه العالم المحقق ، ولا الطالب المجتهد . وهو حجةٌ للمحدث ، والفقيه ، والمؤرخ ، وصاحب اللغة . ألفه إمام المحدثين وزعيم أهل السنة وقدوتهم ، وجعله مرجعَ العلماء وحجتَهم . حتى لقد قال لابنه راويه وهو يوصيه : « احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماماً » .

وهذا (الديوان الأعظم) بحر لا يدرك مداه ، أعجز أكثر العلماء أن يصلوا إلى غوره ، حتى وفق الله له الشيخ أحمد محمد شاكر المحدّث المصرى ، فصنع له الفهارس الدقيقة المتقنة ، من علميــة ولفظية ، وشرحه شرحاً فنيًّا على أوثق القواعد العلميــة التى ميز بهــا الحفاظ صحيح الحديث من ضعيفه ، ليكون مرجعاً حقًّا لــكل طالب وعالم .

ثم كان من توفيق الله وحسن صنعه لهذا (الكتاب الحجة) أن حضرة صاحب الجلالة الملك العظيم ، أسد الجزيرة وإمام أهل السنة فى هذا العصر ، الملك الإمام (عبد العزيز آل سعود) أطال الله بقاءه ، شمله برعايته السامية الكريمة ، حبًّا فى نشره وإحيائه ، وتقرباً إلى الله بعموم النفع به . فأصدر أمره العالى بطبعه على خير ما يُستطاع من الإخراج والإتقان .

فنفّذ الشارح الأمر الملكى المطاع ، بطبعه فى أجزاء متتالية ، طبعة ممتازة خاصة ، وطبعة شعبية عامة ، ليعم النفع به كل الطبقات .

ظهر منه ثمانية أجزاء

ص	
٨٠	ثمن الجزء الواحد من الطبعة الممتازة
٣٠	« « « « « الشعبية

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

المجلد ١٥ المدد ٦

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

المشرف على التحرير
أحمد محمد شاكر

مطبعة السنة المحمدية
شارع غيط النوبى – القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدي النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

٢٠ ص فى مصر والسودان

٣٠ فى الخارج

الإدارة ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

بقية العرض الاجمالى

لسورة النحل

ثم ذكر الله سبحانه : أنه ما ترك أمة من الأمم إلا و بعث فيها رسولا يدعو الناس إلى سعادتهم وفلاحهم وصلاحهم بإخلاص العبادة لله وحده ، وأن لا يعبدوا الله إلا بما شرع وأن ذلك لا يتم لهم إلا باجتناب الطواغيت ، ولن يكون ذلك إلا بمعرفة الطواغيت ومافيها وماتدعو إليه من خبث وشرك وفساد للمجتمع ، و بغضها بغضا يجعل من أهم المقاصد لسلامة الدين والدنيا والآخرة البعد عنها ومحاربتها ، ولن يكون ذلك إلا بمعرفة ما بعث الله به رسله من البينات والهدى والفرقان ، ليتميز الحق من الباطل ، والضلال من الهدي ، و بذلك انقسم الناس — على ماتقتضيه السنة الكونية التى لا تتبدل — فريقين : مؤمنون ومكذبون فالمؤمنون هم الذين عرفوا نعم ربهم عليهم ، وتأملوا فى سننه وآياته الكونية ، فهداهم الله بذلك إلى معرفة ربهم وبارئهم فذلوا له وخافوه وسارعوا إلى عبادته وحده و إلى طاعة الرسل ففازوا بالحسنى فى الدنيا والآخرة والمكذبون هم الذين عموا عن آيات ربهم ونعمه و تمادوا فى زيغهم عن هدى الفطرة ، وعماهم عن نعم الله وآياته ، فحقت عليهم الضلالة فى الدين والدنيا ، وكانت عاقبتهم الخيبة والشقاء والخسران فى الدنيا والآخرة . وهذه آثارهم باقية فى البلاد التى يسكنها الأحياء من الناس (٢٥ : ٣٩ وكُلاً ضربنا له الأمثال ، وَكُلاً تَبَّرْنا تَتْبِيراً) (فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

ولقد كان عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، أشد المرسلين حرصا على إيمان الكافرين وهدى الضالين ، وانقاذهم من مخالب الطواغيت ، على قدر ما كان فى قلبه الكبير الكريم الرحيم من الشفقة والرأفة . فكان يحزنه أشد الحزن إعراضهم عن الهدى حتى ليكاد يبخع نفسه على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا . فهون الله عليه أمرهم وزاده بصيرة على بصيرة . وقال له (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدى من يضل . وما لهم من ناصرين) إذ قد جازاهم الله الجزاء العادل الحق على ضلالهم عن هدى الفطرة فى سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم ، وما بث الله فيهم ولهم من مواد العلم وفتح من أبواب المعرفة بربهم وآياته وصفاته ونعمه وسننه . فزادهم ضلالا على ضلالهم ، وعمى على عماهم ، لأنهم وقفوا من ربهم موقف المعارض المعاند الذى يأبى الكرامة ، ويحقر النعمة . وقد بلغ من معارضتهم ومعاندتهم لربهم أن (أقسموا بالله جهد أيمانهم : لا يبعث الله من يموت)
أن كل الدلائل والشواهد فى أنفسهم وفى آبائهم وفى كل شىء تنادى بأن ذلك
أبطل الباطل ، وأن الله ما خلقهم فى هذه الحياة وأعطاهم ما أعطاهم فى أنفسهم
ما سخر لهم فى السموات والأرض عبثاً ولا باطلا ، وإنما خلقهم ليكدحوا ويه
الحياة ما بقوا فيها بآجالهم المعلومة ، ثم يفارقونها إلى حياة البرزخ فى القبور ثم يبعثهم
الذى خلقهم أول مرة ليجزيهم فى الحياة الآخرة بما كانوا عليه من عقائدهم وأعمالهم .
العادل الحكيم ، فيبين لهم بهذا الجزاء ــ بيانا عمليا واقعيا ــ ما كانوا فيه يختلفون من العقائد والأخلاق والأعمال ، وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين فى الله وعلى الله . وفى أنفسهم وعلى أنفسهم . وإن ذلك البعث والجزاء لأهون شىء وأيسره على الله رب العالمين (إنما أمره إذا أراد شيئا . أن يقول له : كن فيكون) هذا موقف وجزاء عبدة الطواغيت فى الدنيا والآخرة . فأما الذين عرفوا ربهم الغنى الحميد ، العليم الحكيم ، وعرفوا فقرهم إليه وحده فى كل شأنهم : فهم التائبون المنيبون ، الفزعون إليه سبحانه فى كل حال ، وهم لذلك يسيرون فى حياتهم وفى كل شئونهم على يقظة وحذر ، وهم دائما يتحرون أن يبتعدوا ويهجروا بكل سبيل كل ما يمكّن لعدوهم من أنفسهم وما يمكن لحزب الشيطان

من ظلمهم ، فيهاجرون من الأهواء إلى العقل السليم المستنير بهدى أسماء الله وصفاته وسننه وآياته وكتبه ورسله ، و يهاجرون من الشهوات إلى الفطرة المتفقة الموزونة بميزان الرشد والحكمة من هدى الله وهدى رسوله ، و يهاجرون من النفس الأمارة إلى النفس اللوامة ، ثم إلى النفس المطمئنة .و يهاجرون من الجبن والخوف من الإنسان الباغي الفاسق إلى العزة بالذل والخوف من الله القاهر فوق عباده . ويهاجرون من البيئة الفاسدة المفسدة التى لا ينجع فيها دواء ، ولا يرجى لها شفاء ، إلى البيئة الصالحة لغرس كلماتهم الطيبة ، و بث روح الهدى النافع ، ليعودوا إلى البيئة الأولى بقوة وحديد يحطم رءوس الفساد ، و يقضى على طواغيت البغي . فتكون لهم بذلك كله الحياة الطيبة ، والحالة والدولة والأعمال والأحوال الحسنة في الدنيا (ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) هؤلاء هم (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) .

ولقد كانت المشكلة ــ وما تزال ــ فى نظر عبدة الطاغوت : أن كيف يبعث الله إليهم رجلا بشرا مثلهم رسولا ، يأكل الطعام كما يأكلون ، و يستخرج فضلاته كما يستخرجون ويمشى فى الأسواق و يزاحم الناس بجسمه البشرى فى اضطرابه فى شؤونه كما يزاحمون ؟ ! إذ أوحى إليهم الشيطان من قديم أن أولياءهم ومقدسيهم الذين يعبدونهم من دون الله ، ليقربوهم إلى الله زلفى ، والذين يتخذونهم وسطاء بينهم و بين الله : فيهم نور ذاتي ، انبثق من الرب ، وفيهم ولهم بذلك أسرار كانوا بها « أهل الله » وكانوا فى خلقهم طبقة فوق طبقة البشر . فكانوا يطيرون فى الهواء و يمشون على الماء ، و يعيشون الأيام على التمرة والزبيبة ، و يأكلون من تحت السجادة ، وما إلى ذلك من الأوهام والخرافات التى حشاها دجاجلة الصوفية فى رءوسهم ، ليخروا لأذقانهم ركعا وسجودا لهؤلاء الطواغيت من دون الله . فكيف يتأتى فى ظلمات هذه الرءوس الخربة من كل هدى وفطرة ، العامرة بكل ما باض الشيطان وفرّخ فيها من قذارات وحشرات ، كيف يتأتى لهذه الرءوس أن تفهم وتعقل : أن الله يبعث بشرا مثلهم رسولا ؟

وما هى بالمشكلة . و إنما المشكلة فى هذه الخربات ، فلو أنها خلصت وتطهرت من

القذارات والأوهام الوثنية : لكان من أوضح الواضحات أن يبعث الله بشرا رسولا . فما أرسل من قبل عبد الله ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم إلا رجالا ، ما كانت ميزتهم فى الخلق ولا فى الأجسام ، وإنما ميزتهم : أن يوحى إليهم أنه لا إله إلا الله وحده فاعبدوه مخلصين له الدين ، وأن لا مشرع إلا الله ، وأن لا علم يهدى إلى الرشد إلا ما كان من عند الله ، فإن كنتم فى شك من ذلك فاسألوا من أتباع الأنبياء السابقين : أهل الذكر الذين لا يزالون يذكرون رسالة رسلهم ، لا أهل الغفلة والنسيان الذين خدعهم الشيطان ، فأنساهم رسالة رسلهم وزين لهم أن يعتقدوا الباطل فيهم ، ويكذبوهم ، ويقولوا : إنهم النور الفائض المنبثق من الله ، وأنهم أول خلق الله . فهؤلاء أهل الجهل والغفلة الذين اتخذوا من الأنبياء أوثانا وأصناما . فكانوا أشد الناس عداوة لرسل الله وكفرا بهم ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ؟ وما لهم يصرون على الكفر ويتمادون فى الغفلة والعمى عن آيات الله وسننه ؟ ويأبون إلا المكر السيء برسل الله وأتباعهم على الهدى ؟ ماذا غرهم بالله حتى فقدوا كل شعور إنسانى ، وكل عقل وتفكير ؟ (أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض ، أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ؟ أو يأخذهم فى تقلبهم ؟ فما هم بمعجزين . أو يأخذهم على تخوف ؟ فإن ربكم لرءوف رحيم . أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يَتَفَيَّأُ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجَّدًا لله، وهم داخرون؟ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون).

ثم إن الله تعالى قرر توحيد الأسماء والصفات وما يلزمه أشد لزوم من توحيد العبادة والإلهية فى الآيات (٤٩ ـ ٦٤) معلناً بذلك أن من المستحيل أن يعبد الله العبادة الخالصة الصادقة الا مَنْ عرفه بأسمائه وصفاته وسننه وآياته ، وأنه الرب القاهر الرحيم الحكيم الذى يسجد ويذل ويسلم وينقاد له كل ما فى السموات وما فى الأرض ، وأنه الذى يملك كل ذلك وحده ، وهو الذي يعطى كل ذلك وحده ويدبر كل ذلك وحده ، وهو الذى يعطى كل شيء من ذلك ما يناسبه ويصلح له ويهديه إلى ما خلق له بمشيئته الحكيمة الرحيمة ،

وأن من جهل ذلك وعمى عنه فلا بد أن يتخذ من دونه أنداداً وآلهة وطواغيت ، يغلبه بها الشيطان على أمره ، وينفذ بها سلطانه عليه ، ويكبه بها على وجهه فى مهاوى التباب والخسران فى الدنيا والآخرة ، وأن من نتائج ذلك العمى والجهل : الجرأة الوقحة على الله الرزاق ، فهو يعطيهم الأرزاق ، وينزل عليهم من فضله أنواع الخيرات فى الزروع والثمار وغيرها ، ثم هم يجعلون منها نصيباً يتعبدون به لأوليائهم وموتاهم الذين غيبتهم القبور عنهم ، فهم لا يعلمون عنهم شيئًا ، ومن نتائج هذا أيضاً الجرأة الوقحة على علم الغيب ، والتكلم فيه بالسفه وما يلقى الشيطان ويزين له من القول على الله وفى الله بغير علم ، فينسب إلى الله ما يتعالى ويتنزه عنه من الولد ، فيقول : الملائكة بنات الله ، والأولياء أهل الله ، والأنبياء . وذرياتهم أبناء الله ، لأنهم النور الأول الفائض من الله ، وأنهم الوسائط بين الخلق وبين الله فى قضاء الحاجات واستجابة الدعوات ، وأن الله لا يدبر أمر السموات والأرض الا بواسطتهم ، ولا يقضى أمراً إلا بشفاعاتهم ، فجعل أولئك العمىُ الجاهلون باسماء الله وصفاته لله ما يكرهون لأنفسهم ورؤسائهم من تحكم الهوى والأغراض والعجز والضعف والظلم ـ سبحان ربنا وتعالى عما يشركون ـ ثم زعموا أن لهم بذلك الكفر الشنيع : الحسنى فى الدنيا والآخرة . لا جرم أن لهم النار والشقاء ، لأنهم المفرطون المضيعون لكل أسباب الحسنى والإحسان .

وكيف تكون لهم الحسنى ؟ وقد أساءوا كل الاساءة فى نعم الله وعطائه الحسن الجميل بعماهم وضلالهم عن صراطه المستقيم . فإذا أعطاهم البنات ـ وهُنَّ لا غنى عنهن لصلاح المجتمع وبقائه ، والقيام بما لا يستطيع الرجل ، ولا يمكنه أن يقوم به من شئون المرأة ـ غضبوا وظل وجه أحدهم مسودا ، من شدة الحزن والغم ، وهو كظيم . وعم مجتمعهم هذا السوء والكفر والعمى ، حتى ليتوارى من رزق الأنثى من القوم من سوء ما بشر به . أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون .

ومن عجيب أمر الانسان : أن يقع فى ظلمات هذه العمايات والجهالات ، فى وسط مايحيط به من نور هدى السنن والآيات الكونية فى نفسه وفى الآفاق ، ونور هدى مايرسل

الله به رسله فى كل فترة من الزمان ، وفى كل أمة من الأمم ، حتى كانت الرسالات متصلة ، وهداياتها متلاحقة ، بحيث لو عقل الإنسان عن ربه ، ولو احتفظ بما آتاه من أسباب العلم والقوة والكرامة وهدى الفطرة لانتصر أعز انتصار على عدوه الشيطان وحزبه ، ولكنه استسلم له حتى اتخذه ولياً من دون ربه بغفلته عن آيات ربه ونعمه فيه وعليه ، فضربه بمعول التقليد الأعمى الذى وقع به مغرورا مخدوعاً تحت سلطان عدوه الشيطان ، فكان من الكافرين الخاسرين .

ثم بين ربنا سبحانه الحكمة في إرسال الرسل جميعا - وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم - والحكمة فى إنزال الكتاب . فالرسول عبد بشر مختار ليبين للناس بقوله وعمله وهديه ما أنزل الله عليه له ولهم من العلم والشرائع والعقائد والأحكام والآداب والأخلاق ، مما هو شفاء لكل أمراضهم الروحية والقلبية فى الفرد والأسرة والمجتمع والحكومة . وذلك ينفي بأوضح العبارة ، ويبعد بأقوى البيان : ما يلقيه الشيطان فى قلوب الناس : من أن الرسل ليسوا من جنس الخلق ، وأنهم من نور الله وأشباه ذلك من الزور والبهتان ، والخرافات والأوهام التى صرفت الناس عن رسالة المرسلين ، وشغلتهم بعبادتهم وعبادة ذرياتهم من دون رب العالمين . وهذا مثل قوله تعالى فى سورة النساء (٤:٦٤ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) وغيرها . والحكمة فى إنزال الكتب : انها تقرأ وتتدبر آياتها وتفهم وتطلب معانيها ليهتدى بها القارىء الفاهم إلى الطريق التى هى أقوم فى كل شئون حياته ، يعني أنها السراج المنير الذى ينبغي و يجب على كل سالك سبيل الحياة أن يحرص دائماً وفى كل خطوة على أن يستضىء بنورها ، وأن يتحرى السير على هداها لينال الرحمة والنجاح ، و يكون من المؤمنين المفلحين ، ولكن أكثر الناس نسى ذلك وغفل عنه ، واستسلم فى صغار ومهانة لولاية الشيطان ، فاتخذ آيات الكتاب سخرية وهزوا اتخذها حجباً وتمائم ، واتخذها للموتى والمياتم ، واتخذها طقاطيق ومغانى ، يتبارى فى توقيعها على أنغام الموسيقى الماجنة ، واتخذها حرفة ومأكلة ، يشترى بها ثمناً قليلا . واتخذ علمها وهداها وعقائدها وشرائعها وأحكامها وآدابها وراءه ظهرياً . واتخذ مكانها فى كل ذلك

ما أوحى به شياطين الإنس والجن من زخرف القول غرورا . فكان من المشركين الكافرين الفاسقين ، وكانت معيشته ضنكا ، وكانت عاقبة أمره خسراً . وهو فى هذه أعمى ، وفى الآخرة أعمى وأضل سبيلا .

ونسأل الله العافية . وأن يجعل آيات الذكر الحكيم شفاء لما فى صدورنا ، وذهاب همنا وحزننا ، وهدى لنا فى كل شئوننا ، ونورا نهتدى به فى كل حياتنا إلى التى هى أقوم .

وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد وآله .

وبقية العرض الإجمالى فى العدد الآتى إن شاء الله .

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

سألنا حضرة الأخ عثمان أحمد رحمة بالسودان عن السبب فى تسمية المدعوين من دون الله طواغيت .

فنجيب : أن الطاغوت مأخوذ من الطغيان وهو شدة التمرد .

فالصارف عن الله وعبادته وطاعته سمى طاغوتاً . لأنه تمرد وطغى على الله وسننه ، وطغى به الناس كذلك . فكل ما صرف العبد عن ربه من شخص أو كتاب ، أو غيره كأن يعتقد فيه البركة أو يدعى من دونه فهو طاغوت .

وقد سماهم الله كذلك فى كتابه .

مراكش الدامية

عبرة لقوم يعقلون

إن ما تصبه فرنسا الكافرة الباغية من جام غضبها ومقتها على الآمنين الوادعين من شيوخ ونساء وأطفال مراكش آية بينة لقوم يعقلون على أن فرنسا زعيمة الحروب الصليبية فى القرون الماضية هى فرنسا اليوم ، وأنها لم تغيرها الأيام ، ولم تزدها الحوادث إلا حقدا يتجلى بكل وحشية فى مراكش ، وأن فرنسا التى لا يزال تراب نعال الألمان عالقا برأسها وقفاها وصفعات الهزيمة فى الهند الصينية تسود وجهها : لا تجد ما تشفى به غيظ قلبها المضطرم بنار الحقد على الإنسانية إلا فى مراكش ومسلمى مراكش الذين طالما اغتصبت أرزاقهم ، وامتصت دماءهم ، وعملت جاهدة سنين طويلة على فَرْنَسَتِهِم لغة ودينا فلم تفلح ولن تفلح إن شاء الله .

هذه فرنسا الغادرة الفاجرة ، هذه فرنسا الكافرة الخاسرة . هذه فرنسا : التى لا يزال — مع شديد الأسف — فى رجال الشرق من يزعم إلى هذه الساعة — أنها حاملة مشعل النور والعدالة والحرية والمساواة .

أى نور هذا أيها الضالون ؟ أهى الأضواء الحمراء الخافتة المنتشرة فى كل أحيائها تثير غرائز البهيمية القذرة . وتقتل الفضيلة والعفاف ؟ أم ظلمات قوانينها التى استجديتموها فزدتم بها شقاء على شقاء وشرا على شر ، وزاد بها مجتمعكم انحلالا وفسادا ؟ !

ما هى هذه العدالة يا عبيد فرنسا ؟ أهى تلك الوحشية الباغية التى تبطش بحقوق الانسان — بعد أن جردته من سلاحه . وخدعته بالأمانى الكاذبة ؟ أم هى التحلل من كل قانون ونظام ديني و إنسانى ، حتى عدلوا بالله طواغيتهم ، فتسلطوا على الأعراض

والدماء والأموال ينتهكونها محاربة لله رب العالمين ؟ أم هى التدلى فى الانهيار حتى عدلوا الانسان بالحيوان ، بل بشر الحيوانات السافلة فى غرائزها الوحشية ؟ .

ما هى هذه المساواة ؟ يا من عميتم عن سنن الله وآياته : أهى هذا البغى الصارخ الذى صوت به فرنسا بين الحراف وأهالى مراكش ، حتى لتأخذ ذابح الخروف من الرحمة به ما تجردت عنه فرنسا المتوحشة فى دكها الدور والمساجد على من يأوى إليها من الشيوخ والنساء والأطفال؟ أم هى الانحلال من كل خلق ومحاربة وتحطيم كل ميزة إنسانية ليكونوا جميعا قطعانا من البهائم والأنعام ؟ .

أيها المسلمون :

لقد آن لكم أن تعتبروا بما يسوقه لكم ربكم من العبر ، وآن لكم أن تفيقوا من غفلتكم بما يهزكم الله به هزا عنيفا من الحوادث .

نعم آن لكم أن تكشفوا عن بصائركم غشاوات هذه الجهالات التى زعمتموها من عند أوربا نورا وعلما وتخرجوا من قلوبكم هذه الأمراض الوبيلة من الإلحاد والزندقة والفسوق والعصيان ، التى زعمتموها من عند أوربا حضارة ومدنية ورقيا وحرية :

نعم والله آن لكم ـ بعد ماذقتم من أوروبا الباغية الكافرة ـ أن تثوبوا إلى رشدكم وترجعوا إلى شرقيتكم وعروبتكم وإسلامكم الذى يهديكم إلى التى هى أقوم ويخرجكم من الظلمات إلى النور ، فتعرفوا أن الحياة العزيزة لا تسأل ولا تستجدى من إنسان ، فضلا عن عدو باغ جائع شره ، وأنها لا تسأل ولا تطلب إلا من رب العالمين بالأخذ بالأسباب والسنن والشرائع والأحكام التى أمر بها رب العالمين أمراً كونياً وأمراً دينياً . فى قوله (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)

مرحى . مرحى . أبطال مراكش .

لقد استيقظتم فى الوقت المناسب ، وكل وقت لليقظة مناسب ـ امضوا فى جهادكم لعدوكم الجائع الظالم ، واصبروا وصابروا ورابطوا ، معتمدين على الله القوى العزيز ، ثم على

سواعدكم وقلوبكم التى ينبغى أن تتقد فيها أقوى شعلة من المقت لفرنسا ، والشجاعة المنيفة لتطهير قلوبكم و بلادكم من فرنسا وكل مستعمر أياً كان ، قواكم الله وأيدكم بنصره والله معكم .

وأنتم معشر المسلمين : إنكم لن تستطيعوا اليوم ـ مع الأسف ـ أن تمدوا إخوانكم المراكشيين برجال ولا مال ، حيث يوجب عليكم دينكم ، ويوجب عليكم مكانكم من الحياة التى تخشون فيها أن يحل بكم ماحل بإخوانكم المراكشيين ، فلا أقل من أن تساعدوهم بمقاطعة كل مايمت بأى صلة إلى فرنسا ، بل وكل مايمت بأى صلة إلى أوروبا كلها ، وبالأخص ماملك عليكم قلوبكم من التقاليد والعادات والإباحية والاستهتار بالدين والأخلاق ، طهروا قلوبكم ونفوسكم منه ، فهو والله الحبل الوثيق الذى يربط أعناقكم بأيدى أعدائكم ويجعلكم بقرة حلوباً ومغلا داراً لهم على مايشتهون .

أما أن تصرخوا وتخطبوا وتكتبوا وأنتم عبيد فرنسا فيما زعمتموه مؤتمراً عاما من أجل مراكش ، الذى اقمتموه فى دار إحدى الجمعيات الإسلامية ، فإنكم أعلنتم فيه شدة غرامكم بفرنسا ، إذ خلطتم فيه النساء السافرات المتبرجات بالرجال من الشباب الذى زعم بعض الغافلين الجاهلين منهم : أن وجود أولئك المتبرجات المحاربات لله ولدينه ولرسوله فخر عظيم ، وبرهان واضح على تقدمكم . .

ياسبحان الله !! حتى فى مثل هذه النكبات لا تلجأون إلى الله ولا إلى دينه ، ولا إلى أخلاقكم الشرقية وشيمتكم وغيرتكم العربية ، فمتى تفيقون أيها المسلمون ؟ !

اللهم اهد المسلمين صراطك المستقيم ، وأيقظهم من غفلتهم وارجعهم إلى الحق من هدى كتابك ورسولك ، وانصرهم على كل أعدائهم ، إنك على كل شىء قدير .

محمد حامد الفقى

نقـــــدات

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

ضلال الفلسفة : خالق ومخلوق ، رب ومربوب ، موجِدٌ وموجود ، تلك حقيقة تطامن لها الشعور مخبتا ، وسكن إليها الوجدان مطمئنا ، وسرت على نورها الروح فى متاهات الحياة ، وخرَّت لها بداهة الفكر ساجدة . « الله ربُّ العالمين » سمعها الإنسان الأول « آدم » من الله وآمن بها ، وورَّثها من بعده بنيه . .

ولكن الإنسان حين أخلد إلى الدعة ، وتيسر له ما كان عسيرا من دواعى العيش ، وتجافى ـ فى صلَف ـ عن روح الدين ، بدأ يحاول صدع الحق بأوهام الباطل ، وتدنيس قداسة الإيمان بخَبَث الكفر ، وتلويث روحانية التوحيد بمادية الشرك الوثنى . . .

كان أمس يبحث فى الأرض عن العيش ، ويفكر : كيف يندى ظمأه ، ويكسو عريه ، ويسد جوعه ، ويسخر ما حوله لنفسه ، ويحمى نفسه من الأعاصير والزلازل والبراكين ، مطمئنا إلى رب كريم قادر يحبه ويرعاه؟! . .

فلما هداه ربه السبيل ، واطمأن إلى دنياه ورغابه منها ، وبدأ الشيطان يزلزل فى نفسه طمأنينة الايمان ، ويحيلها إلى قلق عاصف ، وريب يُلَبِّسُ عليه ـ راح يفكر[1] ـ مثل هذا التفكير وسواه : من هو الله ؟ ماذاته؟ ماصفاته ؟ ما صلته بالعالم الذى يعيش فيه؟ أخلَقه أم فاض عنه ؟ وإذا كان قد خلقه ، فهل ظل يرعاه ويربيه ؟! ثم أين الله؟ أهو بائن عن العالم أم هو فيه ؟ وإذا كان غير بائن فأين ؟ وإذا كان بائنا فأين ؟ ! فى هذه الظلمات

---

(١) لسنا بصدد تاريخ نشأة الفلسفة حين نبين أول ما اتجه إليه الفكر من الأبحاث الفلسفية . وإنما هو تحويمة حول الموضوع تؤدى ما نهدف إليه الآن .

التردية سبح الفكر الإنسانى العاجز الضعيف الجاهل بفطرته ـ بعد اطمئنانه إلى مقومات العيش ونأيه عن الدين ـ وأجابه شيطان الغرور والترف المحطم لقواه عما سأل به نفسه بأجوبة . فكان من هذا ومن التفكير فى مناح أخرى : ما يسمونه فلسفة . فالفلسفة كما ترى ترف عقلى . والترف جُله ـ إن لم نقل كله ـ فساد . فالفلسفة إذا استمكنت فساد بالنسبة للعقل وللايمان ، كما أن الترف المادى فساد للجسم ومقوماته وللاخلاق .

لقد عرف الإنسان ربه من ربه ، لقد كلمنا الله عن نفسه ، وكلام الله عن نفسه وصفاته وأفعاله وألوهيته وربوبيته كلام الخلاق الحكيم الخبير ، أفيجىء العقل البشرى ـ ذلك القزم الصغير يحاول أن يكون ماردأ عملاقاً جباراً ـ فيزعم أنه يعرف عن رب العالمين وعن ذاته وصفاته وصلاته بالعالم أكثر مما يعرف ربه الخالق ؟ ! ! (قُتل الإنسان ما أكفره !)

يقول الله : إنه الخالق . . والعقل الفلسفى ينفى صفة الخلق عن الله ، وينسبها لشىء آخر فاض عن الله أو انحدر عنه ، أو وجد من نظر الله إلى نفسه ، سموه أحياناً : العقل الأول ، وأحياناً :الحقيقة المحمدية عند فلسفة التصوف الذى سموه إسلامياً .وأحياناً وأحياناً !

ويقول الله : إنه يعلم كل كبيرة وصغيرة ، يعلم الكليات والجزئيات (ويعلم ما فى البر والبحر . وماتسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين) ولكن العقل الفلسفى ينفى ذلك عن الله ، ويقول إنه يعلم الكليات لا الجزئيات !!

ويقول الله : إنه رب العالمين ، وإنه معنا أينما كنا ، وأنه أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، وأنه يسمع دعاءنا ويجيبه ، ولكن العقل الفلسفى بزعم العالم وجد عن الله ثم تركه فلا صلة له به اليوم ولا بعد اليوم ! !

ويقول الله عن نفسه إنه استوى على عرشه ، وأنه العلى العظيم ، ولكن العقل الفلسفى ينفى ذلك ، ثم يحدثنا عن هذا بما نفهم منه ولا بد : أنه عدم ، أو أنه هو هذا الوجود المحس ! ! .

ويصف الله نفسه بصفات كلها حق وجمال وجلال وخير. ولكن العقل الفلسفي يأبى إلا أن يجرد الإله عنده من صفاته، فيصفه بالسلوب والعدميات، حتى ليجعله ليس شيئاً، أو يصفه بما يجعله صورة ذهنية لاتوجد إلا في الذهن فحسب، أو يصفه بمثل « اللاذّ والملتذ، والعاشق والمعشوق » من تلك الصفات التي وضع فيها الإنسان خبائث شهواته !!

ويأبى العقل الفلسفي في خاتمة المطاف إلا أن ينكر الوجود الإلهي ويتمرد عليه، ولا يعترف بالوجود في قيمه إلا للانسان. ذلك الإنسان المسكين الذي انقسم شطرين على نفسه، فجعل شطراً منه إلهاً، وشطراً منه إنساناً، ما ثم إلا الوجود الانساني[1] !

تلك خاتمة المطاف، وبئست هي من خاتمة للفلسفة.

ونحن لو استعرضنا تاريخ الفلسفة الميتافيزيقية، تاريخ ذلك الترف العقلي الذي أفسد على الإنسان دينه وعقله — لشهدنا عجباً، شهدنا أخلاطاً تجمعها كلمة واحدة « ضلالة ». تلك كلمة عارة، وسنتبعها إن شاء الله بكلمات.

وحدة الأديان: لكبار الزنادقة من الصوفية: كابن عربي، والجيلي، وابن الفارض في تائيته رأى في الوجود الإلهي، يجعل من وجود الأعيان نفسها وجود الحق وعينه، أو بمعنى أصرح: يجعل الخلق عين الخالق، فهما ذات واحدة، سميت مرة خلقاً، وأخرى حقاً، بحسب الباطن والظاهر.

ولهذا الرأي خطره الدائم الداهم على الدين والأخلاق، فهو ينفي المسئولية الأخلاقية، ينفي الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، والثواب والعقاب، يجعل الشر ضريبا للخير، والرذيلة مسمى الفضيلة، ويجعل الشرك والكفر من أجلّ حقائق التوحيد والايمان.

وكان لهذا الرأي نتيجة حتمية، لم يتردد في التصريح بها زنادقة الصوفية، تلك هي أن الأديان على إطلاقها واحدة، لايقصدون بذلك الأديان السماوية المنزلة على الرسل، بل كل ما اتخذه الناس، دينا. سواء كان وضعياً يعتمد على الأسطورة والخرافة، أم كان سماوياً

---

(١) لم ننسب الآراء إلى قائلها الآن، فلسنا بحاجة إلى ذلك. وربما عدنا إلى الموضوع نفصله وننسب كل رأى إلى قائله من الفلاسفة.

يعتمد على الوحى ، فالمجوسية والوثنية فى شتى مظاهرها ، والمسيحية الحقة والتى شابها الزيف واليهودية المبدلة والاسلام ، كل هذه أديان واحدة ، وكلها حق وهدى ، وكل متعبد على دين منها عابد لله حقا ، صرح بهذا ابن عربى ، وعبد الكريم الجيلى ، وابن الفارض .

والذى أدى بهم إلى اعتناق هذه الزندقة : هو زعمهم أن وجود الخالق عين المخلوق ، فإذا عبد الصنم والوثن بأى اسم وفى أى مظهر ، كان المعبود إلههم ، وكان العابد هو عين المعبود ، لهذا بطل عندهم معنى الثواب والعقاب، لأن الإله عندهم عابد ومعبود ، إلههم ضال مهتد ، كافر مؤمن ، موحد مشرك ، وكيف يعذب نفسه ؟ ! ! لا عذاب ، وإنما هو من العذوبة ، كما صرح ابن عربى .

ونحن لا نرسل القول إرسالاً ، بل نستشهد على ماذكرنا بما يقوله ابن عربى «والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبده فيه ، ولذلك سموه كلهم إلهًا مع اسمه الخاص بحجر أو شجر أو حيوان أو إنسان أو كوكب أو ملك [1] » ويقول الجيلى عن وحدة الأديان مفسراً قول الله « لا إله إلا أنا » بقوله على لسان ربه « فأنا الظاهر فى تلك الأوثان والأفلاك والطبائع ، وفى كل مايعبده أهل كل ملة ونحلة ، فما تلك الآلهة كلها إلا أنا » ثم يعلق بقوله « إن الحق سبحانه وتعالى عين الأشياء ، وتسميتها بالإلهية تسمية حقيقية ، لا كما يزعم المقلد من أهل الحجاب : إنها تسمية مجازية ، ولو كان كذلك لكان الكلام: أن تلك الحجارة والكواكب والطبائع والأشياء التى تعبدونها ليست بآلهة ، وأن لا إله إلا أنا فاعبدونى ، لكنه إنما أراد الحق : أن يبين لهم أن تلك الآلهة مظاهر ، وأن حكم الألوهية فيهم حقيقة وأنهم ماعبدوا فى جميع ذلك إلا هو ، فقال « لا إله إلا أنا » أى ماثم مايطلق عليه اسم الإله إلا وهو أنا [2] » .

هذا الضلال أبين من أن يدلل أحد على بطلانه ، وتلك الأسطورة ـ أسطورة وحدة الأديان بالمعنى الصوفى ـ بطلانها أظهر من كل بطلان . ومن عجب أن تجد تلك الزندقة

---

(١) ص ١٩٥ الجزء الأول من فصوص الحكم بشرح وتحقيق الدكتور أبو العلا عفيفى .
(٢) ص ٦٩ جـ ١ من كتاب الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلى ط ١٢٩٣ هـ .

للنحلة من يذود عنها ، و يمجدها من العرب المسلمين ، ذوى الأسماء اللامعة المدوية الصيت!

فى يدى الآن كتاب « القضايا الاجتماعية الكبرى » للدكتور عبد الرحمن شهبندر ط١٩٣٦ ، يتحدث الدكتور فيه عن التعصب الدينى ، وأنه عقبة فى سبيل البحث ، ثم استطرد ممجداً لابن عربى وقصيدته فى وحدة الأديان ، فيقول عن تلك القصيدة « طالما استشهدنا بها على سمو الشعور الدينى عند العرب ، وجعلناها عنواناً لا للتعمق فقط ، بل له وللعقيدة والمبدأ أيضاً ، ذلك أن ابن العربى [١] كان من القائلين بوحدة الأديان ، ويرى جميع المتدينين يعبدون الإله الواحد المتجلى فى صورهم وصور جميع المعبودات ، والقصيدة هى :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى
وقد صار قلبى قابلا كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
و بيت لأوثان ، وكعبة طائف وألواح توراة ، ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه ، فالحب ديني و إيمانى

وابن العربى هذا لاحاجة به إلى من يذكره من المتشددين الثقيلى الوطأة بأن هناك فى بعض الأديان المنحطة من السخافات والأعمال المنكرة مالا يجوز أن يتسع لهاقلبه ، أو يطمئن إليها لبه ، فهذا كله كان معلوما عنده ، إلا أنه كان فى موقفه المستجد أسمى من أن يفوته المعنى العظيم المتجلى الشامل ، بانصرافه إلى الجزئيات الموضعية الخاصة . و إذا كان الكون فى نفسه الحساسة الصافية أشبه بقطعة شعرية نفيسة منسجمة فمصراع ، واحد معوج ، أو بيت واحد فاسد ، لا يحول دون تمتعه بالقصيدة كلها كاملة . و إعجابه بالفنان المبدع الذى أجاد نظمها وأحكم قوافيها ووزنها ، وخذ مثالا آخر على هذه الروح السمحة الرفيعة ما قاله ابن الفارض الحموى المصرى ، المتوفى سنة ٦٣٣ هـ فى تائيته الكبرى :

و إن نار بالقرآن محراب مسجد فما بار بالإنجيل هيكل بيعة
و إن عبد النار المجوس ، وما انطفت كما جاء فى الأخبار فى ألف حجة

---

(١) جرت العادة على تلقيب محي الدين الحاتمى الصوفى بابن عربى من غير ال . تمييزاً له عن أبى بكر بن العربى الفقيه المالكى . ولكن الدكتور أخطأ هنا .

فما قصدوا غيري، و إن كان قصدهم سواى و إن لم يظهروا عقد نية
فلاعبث ، والخلق لم يخلقوا سدى و إن لم تـكن أفعالهم بالسديدة

انتهى نص كلام الدكتور الشهبندر . .

وا أسفاه ، هذا مثل عال يتحطم أمام عيني ! !

لقد كنا نسمع عن الدكتور وموقفه وعربيته و إسلاميته . فنعجب ونصفق حتى ندمى الأكف من التصفيق إعجاباً وثناء ، كان الدكتور شهبندر زعيما عربيا كبيراً . ومن عجب أن يجعل الزعماء تمجيد الإلحاد والزندقة وسيلة للزعامة .

إن هذا الزعيم العربى الكبير فى سبيل تملق الباحثين من الغرب وخرافاتهم حول مايسمونه التسامح الديني ، الذي هو فى حقيقته إلحاد ، يحاول تمجيد رأى ابن عربى ليثبت للغربيين أننا أسبق منهم تسامحًا . أو بمعنى أدق : أسبق منهم إلحاداً ! ! فما ذلك التسامح الدينيالذى يشيد به الدكتور شهبندر ، ويصف من يعترض عليه بالمتشددين الثقيلى الوطأة!! إنه يشيد بالوثنية بالمجوسية بالزندقة ، بعبادة عجل بنى إسرائيل بالتحلل من كل خلق وأدب وفضيلة ، بالإباحية المطلقة ! ! أفذلك تسامح دينى ؟ ! فيوصف الملحد الزنديق بأنه متدين متسامح ؟! إذا كانت دعوة ابن عربى إلى وحدة الأديان : وضعيها وسماويها ، باطلها وحقها : تسمى تسامحا ، فلا كان ذلك التسامح ، إن دعوة ابن عربى هى تـكذيب صريح لنص القرآن (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) وقوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) أفمن يكذب القرآن نشيد بتسامحه الدينى ؟ ! ! .

إننا نلمح من ثنايا كلام الدكتور إعجابا شاعريا ، وهوى ضالعا مع زندقة ابن عربي وزميله ابن الفارض فى تائيته ، نلمح ثورة نفسية مكبوتة على المتدينين الذين يتعصبون للحق بوصفه إياهم ، أنهم « ثقيلون شديدو الوطأة » .

أفمن يدعو إلي عبادة الله وحده نعتبره ثقيلاً شديد الوطأة ؟ ! أفمن يدعو إلى نبذ الشرك وتحطيم الأصنام ، و إخلاص العبادة لله وحده ثقيل شديد الوطأة ؟ !

ألا إني سوف أطلقها صريحة واضحة جلية : إن معنى التسامح الديني ومفهومه عند أربابه : مرادف للخروج عن الدين ، بل هو الانسلاخ من الدين الحق إلى دين الهوى والشيطان ، ورضي الله عن أنس ابن مالك إذ يقول لأصحابه « والله إنكم لتعملون العمل ترونه في أعينكم أدق من الشعرة ، وكنا نراه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات » .

ترى هل نسمع كلمة الكفر فنسكت عليها ؟ وهل نشاهد على الأرض مئات الطواغيت فنسكت راضين ، ليقال عن ذلك إنه تسامح ديني !! أنسكت عمن يكتب عن الله سبحانه الهجو والهراء والبذاء لنعرف معنى التسامح ! ! ؟

ترى هل كان يتسامح الدكتور وشيعته من أبواق الفرنجة وعبيدهم : لو طعنه أحد في وطنيته ، في شرفه . لا أقول : في عقيدته ! !

ترى لو هجا أحد عرضه أكان يسكت عنه تسامحاً ؟ ! لو سابّه سافل دنيء أكان يغفر له تسامحاً ؟ !

ألا إن من عجب الشيطان تسخيره للانسان مثل هذا التسخير ! . يشتمك إنسان عادى مثلك فيثيرك حتى تقتله ، ويشتم الكفور الحقود ربك العظيم ، فيملأ الشيطان خياشيم شهواتك بأسطورة التسامح ، حتى تكفر بربك ! ! هأنتذا ترضى هجو الله ولا ترضى هجو نفسك . هذا هو هدف التسامح الديني ! !

وقد تعرض لنقد أسطورة وحدة الأديان الامام ابن تيمية ، وقد تعرض لهذا النقد الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه « ابن الفارض والحب الالهي » يحاول نقضه ، وموعدنا إن شاء الله العدد القادم حيث نبين صحة نقد الامام ، وزيف دفاع الدكتور والله الموفق المستعان .

كيف نشأت الفرق الاسلامية ـ ٤

وهو بحث ممتع موجز فى نشأة الفرق الكلامية بالاستناد إلى التاريخ من غير تعرض إلا لرءوس المسائل ، إلى أن تكونت أهم الفرق ، كتب مقدمة لكتاب « مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين » إحدى مصنفات أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى

— ٨ —

ومهما يكن من شىء فقد أذن الله تعالى لمذهب الأشعرى أن ينتشر و يذيع فى الناس ، انتشاراً وذيوعا بطيئين ، كما ذاع فى أقصى المشرق مذهب أبى منصور الماتريدى الذى كان بينه و بين مذهب أبى الحسن الأشعري تشابه كثير فى الأصول .

« وتدخّلت الحكومة فى أوائل القرن الخامس الهجرى نوعاً من التدخل الرسمى لفضّ المنازعات المذهبية ، ففي عام ٤٠٨ من الهجرة (= ١٠١٧ من الميلاد) أصدر الخليفة القادر كتاباً ضد المعتزلة يأمرهم فيه بترك الكلام والتدريس والمناظرة فى الاعتزال والمقالات المخالفة للإسلام ، ـ وأنذرهم إن هم خالفوا أمره ـ بحلول النكال والعقوبة ، وامتثل السلطان محمودٌ فى غزْنَة أمر أمير المؤمنين القادر ، واستنّ بسنته فى قتْل المخالفين ونفيهم وحبْسهم وأمر بلعنهم على المنابر وصَدَرَ فى بغداد كتاب سمى « الاعتقاد القادرى » فى سنة ٤٣٣ من الهجرة وقرىء فى الدواوين وكتب الفقهاء خطوطهم فيه ، وذكروا أن هذا اعتقاد المسلمين ، وأن من خالفه فقد فسق وكفر ، فكان هذا إيذاناً بنهاية هذه الثائرة التى ضلت فى غيابتها الأفهام ، وكان عمل القادر بالله خاتمة لعمل المأمون من قبل ، وقد جاء فى هذا المنشور الرسمى « والله هو القادر بقدرة ، والعالم بعلم أزلى غير مستفاد ، وهو السميع بسمع ، المبصر ببصر ، يعرف صفتهما من نفسه ، لا يبلغ كنههما أحد من خلقه ،

متكلم بكلام لا بآلة مخلوقة كآلة المخلوقين لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به نبيه عليه السلام ، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله فهى صفة حقيقية لا مجازية ، وأن كلام الله تعالى غير مخلوق ، تكلم به تكليما ، وأنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل بعد ما سمعه جبريل منه ، فتلاه جبريل على محمد ، وتلاه محمد على أصحابه ، وتلاه أصحابه على الأمة ، ولم يصر بتلاوة المخلوقين مخلوقا ، لأنه ذلك الكلام بعينه الذى تكلم الله به ، فهو غير مخلوق فى كل حال متلوا ومحفوظا ومكتوبا ومسموعا ومن قال إنه مخلوق على حال من الأحوال فهو كافر حلال الدم بعد الاستتابة منه » وهو كما ترى أبعد عن كلام المعتزلة من رحم الفيل من ولد الأتان .

— ٩ —

وقد كان من آثار هذه الاختلافات التي ألمعنا إليها فى كلمتنا هذه إلماعا ــ إذ كان للتفصيل والموازنة ، وردِّ المسائل إلى أصولها و بيان تفرع بعضها عن بعض موضع غير هذه الكلمة الموجزة ــ أن صنَّف الناسُ في المقالات ، ونحن إذا تتبعنا هذه المرحلة وجدنا تآليفهم فيها على ثلاثة أنواع : الأول : ذكر مقالة واحدة مخالفة لما يذهب إليه المؤلف وتفصيلُ أقوالِ أصحابها ونَقْضُها عليهم والاستدلال من العقل أو من النقل أو منهما على هذا النقض ، وقد حفظ لنا التاريخ أسماء كثير من الكتب التي صنفت من هذا النوع ؛ وارجع إلى تراجم المتكلمين الذين ذكرهم ابن النديم في كتاب الفهرست ، تجده قد ذكر مع ترجمة كل واحد منهم أسماء الكتب التى صنفها فى الرد على بعض من يخالفه ؛ الثانى : ذكر جملة المقالات المعروفة لأهل الملة المحمدية ، و بيان أشهر رجالها ؛ وما انفرد به كل واحد منهم بالقول به ، ثم إن كان قد تفرع عن هذه النحلة فروع ذكروها ، وقد حفظ لنا التاريخ جملة من أسماء هذه المؤلفات ، ووصلتنا من هذه الكتب جملة سنذكرها فيما بعد إن شاء الله ؛ والثالث : ذكر جملة المقالات التى ليس أصحابها من أهل الإسلام كالفلاسفة اليونانيين والهنود وعَبَدة الأوثان ونحو ذلك . وربما جمع المؤلف الواحد بين النوعين الثانى والثالث من هذه الأنواع الثلاثة .

وأقدمُ ما وصل إلينا من كتب النوع الثانى كتاب « مقالات الإسلاميين ، واختلاف

المصلين » لأبى الحسن على بن إسماعيل الأشعري شيخ أهل السنة والجماعة المتوفى فى عام ٣٣٠ من الهجرة [١] ثم كتاب للرحالة المؤرخ أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودي المتوفى فى عام ٣٤٦ من الهجرة ، وهو مؤلف كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » وقد ذكر كتابه هذا فى مروج الذهب مرارا ونقل عنه لُمعاً،واقتطف منه مايدل عليه ويشير إليه ثم كتاب « الفرق بين الفرق » لأبى منصور عبد القـادر بن طاهر البغدادى المتوفى فى عام ٤٢٩ من الهجرة .

وقد وصل إلى أسماعنا من كتب النوع الثالث كتاب فى « مقالات غير الإسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى أيضاً ، وقد ذكر المجد ابن تيميـة هذا الـكتاب فى كتابه « موافقة صريح المنقول لصحيح المعقول [٢] » حيث يقول فى معرض اختلاف الفلاسفة وكثرة مذاهبهم وتشعبها وأنهم أعظم اختلافاً من جميع طوائف المسلمين واليهود والنصارى ، مانصه « واعتبر هذا بما ذكره أرباب المقالات عنهم في العلوم الرياضية والطبيعية كما نقله الأشعري فى كتابه « مقالات غير الإسلاميين » وقد وصَلَنا من هذا النوع كتاب « تحقيق ما للهند من مَقُولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة » لأبى الريحان البيرونى المتوفى فى عام ٤٤٠ من الهجرة .

وممن جمع بين النوعين الثانى والثالث أبو الحسن الأشعرى أيضا ، فإن له كتابا سمـاه « جمل المقالات » [٣] ثم المسعودى المتوفي فى عام ٣٤٦ فإن له كتابا آخر يذكره أيضاً فى مروج الذهب كثيرا ، واسمه«المقالات ، فى أصول الديانات» والبغدادى المتوفى فى عام ٤٢٩ فإن له كتابا آخر سماه « الملل والنحل » والحافظ أبو محمد على بن أحمد بن حَزْم الظاهرى

---

(١) ذكر ابن خلـكان فى ترجمة أبي الحسن الأشعرى (الترجمة رقم ٤٠٢ فى ٢ / ٤٤٦ بتحقيقنا) اختلافا في سنة وفاته ، فقيل : سنة ثلاثين وثلثمائة ، وقيل : سنة أربع وعشرين ، وقيل : سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة .

(٢) انظره (١ / ٩١بتحقيقنا) .

(٣) نص عليه فيما نقله عنه الحافظ ابن عساكر فى كتابه تبيين كذب المفترى (١٣١) .

المتوفى فى عام ٤٥٦ من الهجرة صاحب كتاب « الفِصَل،فى الملل والنحل » وأبو الفتح محمد ابن عبد الكريم الشهرستانى المتوفى فى عام ٥٤٨ من الهجرة صاحب الكتاب المشهور باسم « الملل والنحل » وصاحب مصنفات كثيرة فى الكلام أشهرها وأدقها بحثا وأرصنها عبارة « نهاية الإقدام ، فى علم الكلام » .

— ١٠ —

ولا ريب عندنا فى أن كتاب « مقالات الإسلاميين ، واختلاف المصلين » أحدُ تصانيف إمام أهل السنة والجماعة أبى الحسن على بن إسماعيل الأشعرى ، وهو أحد ثلاثة كتب له فى موضوع المقالات ، وثانيها كتاب « مقالات غير الإسلاميين » الذى ذكره ابن تيمية ، وثالثها كتاب « جُمَل المقالات » بين فيه مقالات الملحدين وجُمَل أقاويل الموحِّدين ، وقد أشرنا إليه فيما سبق ، وقد كنا على نية أن ننقل إليك هنا بعض النصوص التى نقلها ابن تيمية عن هذا الكتاب فى كتابيه « منهاج السنة المحمدية » و « موافقة صحيح المعقول لصريح المنقول » وما نقله تلميذه ابن قيم الجوزية فى كتبه العديدة « حادى الأرواح » و « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية » و « الروح » وما نقله غير هذين ، ثم ندلك على موطن هذه النصوص من هذا الكتاب ، ليكون هذا دليلا على صحة نسبة هذا الكتاب إليه ، ولكنا أعرضنا عن ذلك لئلا يطول بنا القولُ فى هذه المسألة ، ورأينا أن نجتزىء عن ذلك كله بأن نذكر لك أن أبا الحسن نفسه قد ذكر أسامى ماصنفه من الكتب إلى سنة عشرين وثلثمائة فى بعض مصنفاته ، وقد نقل الحافظ المؤرخ أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر المتوفى فى عام ٥٧١ من الهجرة هذا النصَّ عن أبى الحسن الأشعرى نفسه ، وقد جاء فى هذا النص « وألفنا كتابا فى مقالات المسلمين يستوعب جميع اختلافهم ومقالاتهم ، وألفنا كتابا فى جُمَل مقالات الملحدين ، وجُمَل أقاويل الموحِّدين ، سميناه كتاب جمل المقالات » فإن هذا دليلٌ يفوق كل دليل .

محمد محيي الدين عبد الحميد

الديانات والفلسفات

إلى أى حدٍّ تلتقى ؟ وفيم تنفصل ؟

صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبد الله دراز عضو جماعة كبار العلماء
ودكتور فى الفلسفة من جامعة السربون

— ٣ —

نستطيع إذاً أن نقول إن الخصائص الخمس الآنفة ، التى حاول علماء الغرب أن يضعوها للتفرقة بين الفلسفة والدين لا تصلح لإقامة حاجز حصين بين هاتين الحقيقتين ، إذ تبين لنا من تحليل كل واحدة من هذه الخصائص أنها يمكن عدّها قدراً مشتركا يسرى على الجانبين .

بقيت التفرقة السادسة والأخيرة وهى قولهم : إن الفلسفة لاتعيش إلا في جوّ الحرية ، وإن الدين لا يقوم إلا على السلطان والنفوذ .

فهذا قول صحيح فى الجملة لا على الإطلاق . وهو بعد يحتاج إلى تفصيل فى معناه .

فإن كان المقصود سلطان الدولة ونفوذها فنحن نعرف ديانات كثيرة عاشت ونمت فى ظل الرفق والتسامح بعيداً عن كل حكم وسيطرة . والبوذية أوضح مثال على ذلك وقد قام الإسلام ، وقامت المسيحية فى أول عهدها ، على احترام حرِّية الضمير وعدم الإكراه فى الدين ، كما نعرف عهوداً تطاولت فيها الفلسفة إلى مقام الحكم وتسلّحت لمطاردة أعدائها وإخضاعهم .

وإن كان المقصود السلطان الأدبى للمجتمع ، بمعنى أن الحياة الاجتماعية تميل بنفسها إلى أن تطبع الأفراد بطابع واحد ، وأن تجعل من أهدافهم وعوائدهم وعقائدهم صورة

متماثلة ، مَن شذ عنها منهم كان أشبه بخلية غريبة فى الجسم لا يلبث أن ينبذ ، فهذا إن صح إلى حد مافى الجماعات البدائية المحصورة فى نطاق ضيق لا يسرى حكمه على سائر المجتمعات ، فنحن نرى الأمم والشعوب فى كل عصر تضم تحت أجنحتها العقائد المختلفة والنظم المتفاوتة ، ولا يحول ذلك دون تعاون الجميع فى مرافق الحياة العامة وتساندهم فى الواجب الوطنى المشترك .

أما إذا كان المقصود سلطان العقيدة ونفوذها البالغ على نفوس معتنقيها ، فلا ريب أن هذه ميزة تستأثر بها الديانات ، وليس للفلسفة أن تطمح إلى نيلها ، وإلا لجاوزت طورها وتناقضت فى نفسها ، فحقيقة الفلسفة هى محبة الحكمة ، أو الرغبة فى المعرفة ، ووظيفتها البحث عن الحقيقة بقدر الطاقة البشرية ، وعرض ماتظفر به من جوانب تلك الحقيقة . والفيلسوف هو أول من يعرف قصور العقل البشرى ، وقصور كل ماهو إنسانى عن درجة الكمال ، ولذلك كان التسامح والتواضع العلمى من أظهر خصائصه ، وهذا سقراط يضرب لنا أروع الأمثال في ذلك ، حيث يقول : « الشىء الذى لاأزال أعلمه جيداً هو أنى لست أعلم شيئاً » أما الفكرة الدينية فإنها فى مختلف مظاهرها ودرجاتها تفترض أن ماتقرره فى شأن من الشؤون مستمدٌّ من سرِّ الوجود ، وأنه يمثل حقيقة الأشياء على ماهى عليه فى نفس الأمر ، فهى بطبيعتها ملزمة تتقاضى صاحبها الخضوع والتسليم ، ولا تقبل منه فى حكمها جدالاً ولا مناقضة ، بل لا تبيح له فى نفسها بحثا ولا ترديدا ، فإن فعل ذلك فى مسألة ما ، كان فى هذه المسألة بعينها متفلسفاً غير متدين ، حتى يستقر فيها على رأى معين يدين به ، فهنالك لا يقبل فيه مساومة ، ولا يستطيع منه تحللا ، إذ يصبح عقيدة يخلص لها إخلاصاً خارقا للعادة ، حتى لا يبالى أن يضحِّى فى سبيلها بحياته ، ولا تكاد تجد هذا السلطان على النفس لفكرة أخرى علمية أو سياسية أو فلسفية أو غيرها .

فإذا أردنا البحث عن السرِّ فى هذه الظاهرة العجيبة ، فإننا نجده لو أنعمنا النظر فى فهم الفرق بين حقيقة المعرفة وحقيقة الإيمان ، وفي الفرق بين القوة النفسية ، التى تقوم بوظيفة المعرفة ، والقوة النفسية التى تقوم بوظيفة الإيمان .

فالواحد من الناس قد يدرك معنى الجوع والعطش ، وهو غير محس بآلامهما ، وقد يفهم معنى الحب والشوق ، وليس من أهلهما ، وقد يرى الأثر الفنى البارع ويقف على دقائق صنعه ثم لا يأخذه الإعجاب به ، وقد يعرف لفلان فضل عقل أو حزم أو أدب أو سياسة أو كل أولئك ولا يشعر نحوه بعاطفة ولاء ، ولا رابطة مودّة ، بل يكاد ينص فؤاده بهذه الفضائل حقداً وحسداً ، ويكاد ينكر قلبه ماتراه عيناه . هذه كلها ضروب من العلم والمعرفة يهدينا إليها الحس أو الفكر أو البديهة أو الحدس ، فيلاحظها النفس عن بعد وكأنها غريبة عنها ، أو تمر بها عابرة فتمسها مسًّا جانبياً لا يبلغ إلى قرارتها ، أو تختزنها وتدخرها ولكنها لا تهضمها ولا تتمثلها .

كل حالة نفسية تقف بالأفكار والمبادىء عند هذه المراحل ليست من الإيمان فى قليل ولا كثير .

الإيمان معرفة تتجاوب أصداؤها فى أعماق الضمير ، وتختلط بشغاف القلوب ، فلا يجد الصدر منها شيئًا من الضيق والحرج ، بل تحس النفس فيها ببرد وثلج ، الإيمان تذوق ووجدان يروى النفس ويقويها حتى تصبح به الفكرة جزءاً من كيان النفس وعنصراً من عناصر حياتها ، فإذا كان موضوع الإيمان الحقيقة الكبرى ، والمثل الأعلى ، فهنالك تتحول الفكرة قوة فعالة ، دافعة خالقة ، ولا يقف فى سبيلها شىء فى الكون إلا استهانت به أو تحقق هدفها ..

ذلك هو فصل مابين الفلسفة والدين :

غاية الفلسفة المعرفة ، وغاية الدين الإيمان

مطلب الفلسفة فكرة جافة ترتسم فى صورة جامدة ، ومطلب الدين روح وثابة ، وقوة محرّكة .

ولا نقول كما يقول كثيرمن الناس : إن الفلسفة تخاطب العقول ، وإن الدين يخاطب القلوب ويستهوى المشاعر ، غير مبال بمبادىء المنطق وقواعد العلم ، أو كما قال القديس أوغسطين «St. Augustin» أومن بهذا لأنه محال «Credo quia absurdum» فهذا

وصف لا ينطبق على كل الأديان . ولكنا نقول : إن الدين فى كل أوضاعه لايقنع بعمل العقل قليله أو كثيره حتى يضم إليه ركون القلب

الفلسفة تعمل إذًا فى جانب من جوانب النفس ، والدين يستحوذ عليها فى جملتها .

الفلسفة ملاحظة وتحليل وتركيب . فهى صناعة تقطع الحقيقة وتزهق روحها ، ثم تؤلف بينها لتعرضها من جديد فى نسق صناعي على مرآة الفطنة، فتنطبع على سطح النفس قشرة يابسة . والدين حداء ونشيد يحمل الحقيقة جملة فيغير بها هذه القشرة السطحية ، لينفذ منها إلى أعماق القلوب وأغوارها فتعطيه النفس كليتها ، وتملكه زمامها .

ومن هنا يستنبط فرق آخر دقيق بين الدين والفلسفة .

ذلك أن غاية الفلسفة نظرية حتى فى قسمها العملى ، وغاية الدين عملية حتى فى قسمه العلمى .

فأقصى مطالب الفلسفه أن تعرّفنا الحق والخير ماهما ؟ وأين هما ؟ ولا يعنيها بعد ذلك موقفنا من الحق الذى تعرّفه والخير الذى تحدّده . أما الدين فيعرّفنا الحق لا لنعرفه فحسب ، بل لنؤمن به ونحبه ونمجّده ، ويعرفنا الواجب لنؤديه ونوفيه ونكمّل نفوسنا بتحقيقه .

وفرق ثالث : هو أن طبيعة العقيدة كريمة فياضة : تنزع دائماً إلى الانتشار وطلب المشاركة ، وتهز صاحبها إلى تحقيق أهدافها بالنشر والدعوة . بينما الفكرة العلمية أو الفلسفية تميل — ككل ثروة إنسانية — إلى الاحتجاز والاحتكار و [illegible] ، أوعلى الأقل لاتعمل على هذا التوسع ، ولا يعنيها أن تصبح فى متناول الجمهور . ولعلنا لا نسىء التعبير إذا قلنا إن الاختلاف بين هاتين الطبيعتين كالاختلاف بين الديموقراطية والاستقراطية . فإذا رأينا فليسوفاً يدعو إلى مذهبه ، ويحمل الناس على اعتناق رأيه ، علمنا أن فكرته قد أصبحت إيمانا ، وأنه قدخلع ثوب الفليسوف ليحمل أعباء الأنبياء والمرسلين. وإذا رأينا متديناً ينطوى على نفسه ولا يبالى بما يجرى حوله من ضلال فى الرأى أو فساد فى العمل ، كان لنا أن نحكم بأن نار إيمانه قد حالت رماداً ، أو أنها على الأقل كمنت تحت أكداس من الرماد .

هذه كلها وجوه من النظر يستبين بها الحدّ بين الفلسفة و بين الأديان بوجه عام .

فإذا انتقلنا إلى المقارنة بين الفلسفة والأديان السماوية بوجه خاص فإننا نظفر بالعنصر الأخير الذى يتم به الفصل بين هاتين الحقيقتين.

ذلك أن الفلسفة فى كل صورها « عمل إنسانى » يتحكم فيه كل ما فى طبيعة الإنسان من قيود وحدود ، وتدرّج بطىء فى الوصول إلى المجهول ، وقابلية للتغير والتطوّر ، والتباس أحيانا بين سراب الهوى ومنهل الهدى ، واقتراب أو ابتعاد عن درجة الكمال . بينما الدين السماوى « صنعة ربّانية » لها ما للإلهيات من ثبات الحق الذى لا تبديل لكلماته ، وصرامة الصدق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ثم هو فوق ذلك « منحة كريمة » تصل إلى أهلها من غير كدح ولا نصب ، وتغمرهم بأنوارها فى فترات خاطفة كلمح البصر أو هى أقرب .

فإذا انفردت الفلسفة فى حكم لم يؤمن عليها العثور ؛ وإذا التقى العقل والوحى على أمر فقد اتصلت مشاعل الليل بضوء النهار . « نور على نور . يهدى الله لنوره من يشاء »

محمد عبد الله دراز

باب الكتب

طبائع الاستبداد

للسيد عبد الرحمن الكواكبي

أبحاث علمية دينية خلقية حكمية فى طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد ، لم يقصد بها كاتبها مستبداً بعينه ، ولا حكومة مخصصة ، ولكن أراد بها تنبيه الغافلين لأصل الداء الدفين : عسى أن يعرف الشرقيون أنهم هم أسباب ما يعانون ، فلا يعتبون على الأغيار ، ولا على الأقدار ، وعسى الذين فيهم بقية رمق من الحياة أن يستدركوا ما فات قبل الممات .

نشر المؤلف هذه الأبحاث فى بعض الصحف المصرية ، أيام كان نزيل هذه الديار مذيلة بهذا التوقيع « ك » ثم جمعها وكملها بما أضافه إليها من زيادات رآها لازمة لها ، ثم أخرجها للناس كتابا ، وكتب على غلافه هذه العبارة : « كلمات حق ، صيحة فى واد ، لئن ذهبت اليوم مع الريح لقد تذهب غداً بالأوتاد » .

وكان مضطراً – كما يقول – إلى الكتمان حسب الزمان ، راجيا اكتفاء المطالعين بالقول عمن قال ، فلم يكتب اسمه على غلاف الكتاب ، بل عزاه إلى الرحالة « ك » .

رتب المؤلف هذا الكتاب على مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة

أما المقدمة : فقد تحدث فيها عن العدالة ، ومن كتب فيها من المؤلفين على اختلاف عصورهم وألسنتهم ، وأشار فيها إلى الباعث الذى بعثه إلى تأليف هذا الكتاب ، وهو تذكير الكتّاب ، ودعوتهم إلى ميدان المسابقة فى خير خدمة ينيرون بها أفكار إخوانهم الشرقيين ، وينبهونهم لما هم عنه غافلون .

وفيها تعريف للعدالة بأنها « إدارة الشئون المشتركة بمقتضى الحكمة »

وفيها تعريف للاستبداد بأنه « التصرف فى الشئون العامة بمقتضى الهوى » أو هو « تصرف فرد أو جماعة فى حقوق قوم بلا خوف تبعة » .

وأورد فيها شذرات من أقوال الحكماء فى وصف الاستبداد ودوائه .

ومن هذه الجمل قوله : المستبد عدو الحق ، عدو الحرية وقاتلهما ، والحق أبو البشر والحرية أمهم ، والعوام صبية أيتام نيام لا يعلمون شيئا ، والعلماء هم إخوتهم الراشدون إن أيقظوهم هبوا ، و إن دعوهم لبوا .

وتحدث في الباب الأول عن الاستبداد والدين ، و بين كيف يعمل المستبد على إفساد الدين ، حتى يتخذه وسيلة تعينه على استبداده ، وأشار إلى أن بعض المستبدين يتخذ بطانة من أهل الدين يعينونه على الاستبداد باسم الله .

وأشار إلى أن أمثل الطرق إلى إصلاح الحكم : إصلاح الدين ، ثم أومأ إلى ما وضعه الإسلام من قواعد الحرية المتوسطة بين الديمقراطية والاستقراطية ، و إلى تأسيس التوحيد ، و إبراز حكومة كحكومة الخلفاء الراشدين التى لم يسمع الزمان بمثال لها بين البشر .

ثم أشار إلى أن الخلفاء الراشدين فهموا معنى القرآن وعملوا به ، واتخذوه إماما، فأنشئوا حكومة قضت بالمساواة حتى بين أنفسهم و بين فقراء الأمة في نعيم الحياة وشظفها .

وذكر أمثلة من آيات القرآن الكريم التى تقضى بإماتة الاستبداد و إحياء العدل والمساواة . ثم ألمع إلى ما اقتبسه المسلمون من غيرهم من الأمور المخالفة لدينهم ، فأفسدت عليهم دينهم ، وكانت أمهات للاستبداد ، وسلاسل للاستعباد .

ثم أومأ إلى أن البدع التى شوهت الأديان ترمى كلها إلى هدف واحد ، وهو الاستبداد وأشار بعد ذلك إلى فعل الاستبداد فى الحجر على العلماء الحكماء ، والحيلولة بينهم و بين تفسير القرآن تفسيراً دقيقاً والغوص على معانيه الصحيحة ، وتكلم فيما كشفه العلم فى هذه القرون الأخيرة من الحقائق وطبائع الأشياء التى تعزى لكاشفيها من علماء أوربا وأمريكا على حين أن القرآن أشار إلى أكثرها تصريحا أو تلميحا منذ أربعة عشر قرنا . وما بقيت

مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتكون عند ظهورها معجزة للقرآن ، شاهدة بأنه كلام رب العالمين الذى لا يعلم الغيب سواه .

وتحدث فى الباب الثانى عن الاستبداد والعلم . وشبه المستبد فى رعيته بالوصى الخائن على أيتام أغنياء ، يتصرف فى أموالهم وأنفسهم كما يهوى ماداموا قاصرين ؛ فالمستبد لا يريد أن تستنير رعيته بالعلم ، كما لا يحب الوصى الخائن أن يبلغ اليتيم رشده . وذكر أن المستبد لا يخشى العلوم الدينية المتعلقة بالمعاد ، فإذا نال فيها بعضهم شهرة بين العوام استخدمهم فى تأييد أمره ، وسد أفواههم بلقيمات من فتات مائدته وبين أن المستبد ترتعد فرائصه من العلوم العقلية ، لأنها تمزق الغيوم ، وتطلع الشموس .

وتحدث فى الباب الثالث عن الإستبداد والمجد ، وعرّف حقيقة المجد ، وميل النفوس إليه وإيثار الأحرار إياه على الحياة ، وبين أنه لاينال إلا بالبذل والتضحية ، ووازن بين المجد والتمجد ، الذى هو التعالى على الناس بغير نفع لهم ، أو هو : أن يصير الرجل مستبداً صغيراً فى ظل مستبد كبير . وأشار إلى أن المستبدين يكثرون من المتمجدين ليتمكنوا بهم من التغرير بالأمة ، وحملها على الإضرار بنفسها تحت اسم منفعتها .

ثم تكلم فى بيوت الأصلاء وقسمها إلى ثلاث أقسام بيوت علم وفضيلة ، وبيوت مال وكرم ، وبيوت ظلم وإمارة . وذكر أن الناس كانوا إخواناً متساوين حتى ميزت المصادفة بعض أفرادهم بكثرة النسل ، فنشأت منهم القوات العصبية التي استبدت بالباقين . ثم ذكر أن المستبد يحارب الأحرار الأمجاد بجيش من المتمجدين الأوغاد ، حتي يدوم له الاستبداد . وختم هذا الباب بقوله : « والنتيجة أن المستبد فرد عاجز ، لاحول له ولا قوة إلا بالمتمجدين ، والأمة لا يحك جلدها غير ظفرها . فإذا اشتدت أزماتها قيض الله لها من أبنائها قادة أحراراً أبراراً يشترون لها السعادة بشقائهم ، والحياة بموتهم ، حيث جعل الله فى ذلك لذتهم ولذلك خلقهم ، فسبحان الذى يختار من يشاء لما يشاء وهو الخلاق العظيم » .

أما الباب الرابع : فقد تكلم فيه فى الاستبداد والمال ، فأوضح أن المستبد همه أن يجمع المال لأنه قوته وعتاده . ولايهمه من أى طريق وصل إليه . وبين أن الزكاة نظام يراد به أن

يلحق فقراء الأمة بأغنيائها ، وأن يمنع تراكم الثروات المفرطة المؤدية إلى الاستبداد، وأشار إلى شروط التحول، وهو كسب المال، وأوضح مثالب الربا، ومنها : أنه ينمى بعض الثروات الفردية ، ويجعل الناس صنفين سادة وعبيداً ، ثم بين أن المال فى الحكومات المستبدة عرضة للاغتصاب بأوهى الأسباب ، ومن أجل ذلك يقل السعى فى سبيل جمعه ، فينتشر الفقر وما يتبعه من الآفات .

وفى الباب الخامس : تكلم فى الاستبداد والأخلاق فبين أن الاستبداد يضعف الأخلاق ، أو يفسدها أو يمحوها ، ويورث كفران النعم والحقد على الناس ، وعقوق الأوطان ، ويقضى على حب الأسرة والصداقة ، ويرغم الأخيار على ألفة الرياء والنفاق ، ويقتل فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويفقد الإنسان ثقته بنفسه ، ويقتل أهل العزائم .

وتكلم فى الباب السادس عن الاستبداد والتربية ، وقال : إن كل ما تبنيه التربية يهدمه الاستبداد، وشبه الحياة البشرية فى الإدارات المستبدة بالأشجار فى الغابات والأحراش تحطمها العواصف ، وتسطو عليها الفئوس ، فتعيش ما شاءت لها رحمة الحطاب أن تعيش ، وذكر أن الاستبداد يضطر الناس إلى الكذب والتحيل والخداع والنفاق والتذلل ، ومراغمة الحس وإماتة النفس ، ثم بين كيف تفسد التربية فى ظل الاستبداد بعبارات تلتهب حماسة ، وتتقد غيرة .

وفى الباب السابع تحدث عن الاستبداد والترقى ، وذكر أن الاستبداد قد يحول ميل الأمة الطبعى من طلب الرقى إلى طلب التسفل ، بحيث لو دفعت إلى الرفعة لأبت وتألمت ، كما يتألم الأجهر من النور . وبين أن أسرى الاستبداد يعيشون منحطين إدراكا وإحساساً وأخلاقا .

وختم الكتاب بصفحات مشرقة ، كلها مناجاة للأمم ، وإهابة بالشعوب أن تسمو بنفسها عن الذل ، وتطلب الحرية ، وتكافح ما هى فيه من جهل وفقر .

وأذكر على سبيل المثال قوله : « قد علمتم يانجباء من طبائع الاستبداد ، ومصارع الاستعباد جملا كافية للتأمل والتدبر ، فاعتبروا بها ، وسلوا الله العافية ، نحن ألفنا الأدب

مع الكبير ولو داس رقابنا ، ألفنا الانقياد ولو إلى المهالك ، ألفنا أن نعتبر التصاغر أدبا ، والتذلل لطفا ، والتملق فصاحة ، وترك الحقوق سماحة ،وقبول الإهانة تواضعاً ، والرضا بالظلم طاعة ، وحب الوطن جنونا » .

والكتاب يعد شعلة مضطرمة ، من قرأه اشتعلت نفسه غيرة ، والتهبت حماسة ، وسمت لطلب الحق والحرية والإنصاف . ومن العسير أن ألخص ستاً وعشرين ومائة صفحة تلخيصا نافعاً فى هذه الصفحات القلائل. فمن الخير للقاريء الكريم أن يقرأ الكتاب نفسه ، وليت المسلمين جميعاً يقرءون هذا الكتاب و يتدبرونه ليوقظ نائمهم ، و ينبه غافلهم ، و يذكر بالعزة ذليلهم ، و يغرى بالكرامة مهينهم ، و يوجههم فى طريق الخير والسعادة .

أبو الوفاء محمد درويش

أحسن ماقرأت :

المرأة ! . . .

... يحسن ألا ننسى أن فرنسا ظلت إلى اليوم لا تمنح المرأة حق التصرف فى مالها ـ كما يمنحها الإسلام ذلك ـ إلا بإذن وليها ، على حين منحتها حق الدعارة . كاملا بصفة علنية أو سرية ! وهذا الحق الأخير هو الحق الوحيد الذى حرمه الإسلام المرأة ! لأنه حرمه الرجل كذلك ، رعاية لكرامة الإنسان وشعوره ، ورفعاً لمستوى العلاقات الجنسية أن تكون علاقة أجساد لا تربطها رابطة من بيت ولا أسرة .

ويجب حين نرى الغرب يقدم المرأة اليوم فى بعض الأعمال على الرجل ، وبخاصة فى المتاجر والسفارات والقنصليات وفى الأعمال الإخبارية كالصحافة ونحوها . . .

يجب ألا نغفل عن المعنى الكريه الخبيث فى هذا التقديم . إنه معنى النخاسة والرقيق فى جو من دخان العنبر والأفيون ! . . إنه استغلال للحاسة الجنسية فى نفوس « الزبائن » فصاحب المتجر ، كالدولة التى تعين النساء فى السفارات والقنصليات ، كصاحب الجريدة الذى يدفع المرأة إلى إلتقاط الأحاديث والأخبار . . . كل منهم يدرك فيم يستخدم المرأة ؟ ويعرف كيف تحصل المرأة على النجاح فى هذه الميادين ؟ ويعلم ماذا تبذل للحصول على هذا النجاح ؟ فإن لم تبذل هى شيئاً ـ وهو فرض بعيد ـ فهو يدرك أن شهوات جائعة ، وعيونا خائنة ، ترف حول جسدها وحول حديثها ؛ وهو يستغل ذلك الجوع للكسب المادى والنجاح الصغير ! لأن المعانى الإنسانية الكريمة منه بعيد بعيد !

(نقلاً عن كتاب العدالة الإجتماعية فى الإسلام)

للكاتب الكبير الأستاذ سيد قطب

حذار، فالأمر جد

من عظات الأخ المجاهد الأستاذ
محمد صادق عرنوس، رحمه الله .

ذنوب نفسي كثيره ... منهن صارت كبيره
واخجلتا من إلهي ... يوم انكشاف السريره
إلام تبقين نفسي ... من الرشاد نفوره
تعصين كل مشير ... يهديك كنز المشوره
يعضك النصح منه ... فتكرهين حضوره
فإن يقابلك يوماً ... قابلته مذعوره
أظهرت كل امتعاض ... منه وضيق حظيره
وإن رأيت غويا ... تبعته مسروره
تبعته بفؤاد ... راض وعين قريره
تلك التي سوف تجرى ... منها الدموع الغزيره
حذار فالأمر جد ... كأس الحساب مريره
كتابه ليس ينسى ... صغيرة أو كبيره
ميزانه ليس يخطى ... شعيرة كشعيره
ستندمين على ما ... في ضبطه من خطوره
غنية أنت لكن ... عند الحساب فقيره

ستعجزين تماما عن دفعه ياقديره
طليقة أنت لكن قد صفدتك الجريره
تحاولين فكاكا من أين فك الأسيره
لا المال تجدى فتيلا ولا الضياع الوفيره
والجاه أقصر شيء فى الكفة المستديره
لا تطمعى فى شفيع من رفقة أو جيره
وكيف يدفع عنك من ليس يدرى مصيره
هنا امتيارك فاسعَىْ ان التقى خير ميره
إما تناءيت عنه فاتيك أغلى ذخيره
دنياك مهما تسامت لديك فهى حقيره
فلتفرضى أن فيها من النعيم نميره
وأنه لم تشبه مدى الحياة كدوره
أليس يكفيك زهدا فيها حياة قصيره

***

يا نفس حسبك لهوا بالأمس كنت عزيزه
واليوم جاءتك تترى رسل المشيب نذيره
هلا ارعويت قليلا قبل ارتياد الحفيره
جرحت دينك جُرحاً له المتاب جبيره
أعوذ بالله ربى أن تلبثى شريره
فتزعمى أن نصحى ومثله أسطوره
مرى الحمام إذا ما قَدِرْت يَعْقِلْ بعيره
ألم ترى كل يوم غدوه وبكوره

٣٧

هيهات هيهات يحلى | من الأنام سريره
إنى رأيتك نفسى | لله لست شكوره
فكيف ترجين منه | أن تذهبي مأجوره
هل صاحب المال يعطى | لغير شيء أجيره ؟
ألم يركبك فضلا | مولاك فى أى صوره
أعضاء جسمك أنت | بهن جد خبيره
فم يذوق وأذن | تصغى وعين بصيره
مهما اختفت واستدقت | أجزاؤهن اليسيره
لا بدّ أن تتولى | وظيفة مقدوره
وقوة ذات سر | خفية منظوره
هى التى فى علاها | لكل هذا مديره
فى الماء فى كل شيء | آياته مسطوره
يا نفس هل بالمعاصى | قضت عليك الضروره
أو أنت يا نفس سكرى | بفعلها مخموره
سفيرتى لم تراعى | معى شروط السفيره
شريكتى فى مصيرى | لم تحسنى تقديره
كوني لعقلك سلماً | لا تطلبى تعكيره
أصبحت بعد التراخى | بالاتعاظ جديره
تداركى الأمر حالا | بتوبة مبروره
تمضي الحياة سراعاً | منك على تى الوتيره
ليل يجيء وصبح | يتلوه وقت ظهيره
حتى تصير هشيما | تلك الحياة النضيره

يانفـــــس بالله أنت مأمـــــورة أو أميره ؟
بأى وجـــــه صفيق وجرأة مغـــــروره ؟
ردِى الهـــــدى واستقيمى المرء معنـــــاه سيره
فالصالحـــــات لعمرى جميعها ميســـــورة
ياليت شعرى عقيم مـــــواعظى أم مطيره
إن كنت أزمعتِ رُجعى فلتجمليها الأخـــــيره

* * *

مرحبا ، مرحبا

القصيدة التي ألقاها الأستاذ عبد اللطيف أبو السمح
في حفلة تكريم سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ
بدار جماعة أنصار السنة المحمدية

مرحبا بالكريم بينَ الكرام ... يابن شيخ التوحيد والإسلام
مرحبًا شيخ أزهرنا الأكبر ، أهلا بالسادة الأعلام
دارنا داركم ، أضاء بها النّو ... ر علينا منكم بهذا المقام
دار حق على الصلاح استقرت ... واستطالت على ديار الطّغام
ههنا ههنا النفوس تغذى ... بِغِذاء الأرواح لا الأجسام
كل علم سوى الكتابِ ضلالُ ... وسوى هديه ، عليه سلامى
نحن قوم إذا عطشنا وردنا ... فارتوينا من صفو قَطر الغمام
وَسَقَينا الظمآن عذبًا فراتًا ... لم يقف فى جنادل أو رِجام
ههنا الدين والعقيدة قد صَحَّحا ، وقد خُلِّصا هنا من قتام
ننشر العلم والهدى فى البرايا ، ... ونَرُدُّ العاصى عن الآثام

***

قل لعبد المجيد مكنك اللـ ... ـهُ ، فمكِّن للدين بين الأنام
نَبِّهِ الناس للحقائق فى الشر ... ع ، وانقذهموا من الأوهام
« يامليح الوجه » « يا أول الخلقِ » إلام الغنا بهذا الكلام ؟ !
مثلٌ واحد ضربت وكم ، من ... تُرَّهات لها المقام السامى

بِدَع أصبحت هى السنن الأو لى ، فضاعت معالم الإسلام

* * *

يا ابن عبد الوهاب جدك نقّى دينَ ربّى من كل عاب وذام
وأباد الشرك البغيض من النّا س مُجرّدا وَحَطّه فى الرّغام
وأعاد التوحيد للعَرَب الأمْـجاد فاستيقظت قلوبُ النّيام
وأجاد التعليم فى البدو حتى أخرجوا مَنْ وراءهم من ظلام
و (الثلاث الاصول) خير دليل ، وكتاب التوحيد مسك إلختام
رضى الله عنه وأرضا هُ بما يرضَى الولىَّ يوم القيام
نحن من بعده امتداد لما قا م به فاعتلى به كل هام
ولآل السعود فضل علينا بعد فضل الرحمن ذى الإكرام
ولعبد العزيز أكبر سهم ، كم له من ذرى العلا من سهام
كُتُبٌ أخرجت ، ودور أقيمت ، يشتفى (من صدى بها) كلٌّ ظامى
مِنَنٌ وُرِّثتْ لهم من قديم عن جدود ورّاثه بانتظام
لكأنّ الأبناء منهم تُنَاغَى بمزايا الآباء قبل الفطام
فإذا اشتد عودهمْ حققوها (مستقيمين) بالفعال الجسام
نحن منهم ، وهم لنا ، وعليهم أن ترى دارنا كبدر التمام
ولكمَ عندنا اجتماع كهذا يجمع الشمل هكذا كل عام

هذا الكتاب...!

(العدالة الاجتماعية فى الإسلام)

هو سفير دولة عظمى جمعت بينى و بينه فى أكثر من مناسبة طبيعة عملى كصحفى يمثل صحيفة كبرى فى الدوائر الأجنبية .

وفى ذات مساء تلقيت دعوة شخصية لحضور حفلة خاصة بدار تلك السفارة .

وفى هذا الحفل الذى لم ألمح فيه صحفيا مصرياً غيرى ، أخذ جناب السفير يتودد إلىّ ويخصنى بكثير من الرعاية والمجاملة .

ولم يفت الرجل أن يخصنى ببعض سره فى هذه الليلة إذ قال لى إننى أرى فيك أكثر من صحفى وأحب أن تعلم عنى أننى مولع بالدراسات الإسلامية ، وأحب أن ترشدنى إلى بعض المراجع التى تتناول أوجه الإصلاح الإجتماعى والاقتصادى فى الإسلام .

و يا حبذا لو قمت بعمل بحث فى هذه الناحية .

واتفقنا مبدئياً على انتقاء بعض المراجع التى تنفعنا فى هذا الموضوع .

وقد استطعت فعلا أن أقدم له بضع مراجع مطولة تتناول سياسة الإسلام الاجتماعية والمالية

وخلت أن الرجل قد يقنع بما قدمت إليه ، ولكنه ألح علىّ لأعمل له بحثا فى هذا الموضوع الذى وضع لى رؤوس المسائل التى يريد أن يتناولها البحث ووعدنى بمكافأة مغرية فرحت أقلبُ فهارس المكاتب وأفتش عن المراجع التى يمكن أن أهتدى منها بسرعة إلى غرضى .

ولست أبالغ إذا قلت إننى لم أهتد إلى كتاب واحد فى المكتبة العربية يمكن للباحث أن يخرج منه بما يشبه البحث فى مثل هذا الموضوع .

وكان أن اتسع الميدان وكاد اليأس يثنيني عن متابعة بحثي .

وفي ظهر أحد الأيام وقعت عيني وأنا سائر بشارع محمد على عند أحد بائعي الكتب على كتاب خفق قلبي فرحاً عند ما قرأت عنوانه : « العدالة الاجتماعية في الإسلام » .

وخيل إلى عند ما ابتعته أني قد ابتعت السعادة كلها واقسم غير حانث أنني لم أنم ليلتئذ حتي قرأته تماماً وحتى أثبت خلاصة موجزة لكل فصل من فصوله . وقد وفقني الله إلى صياغة ما استخلصته باللغة الإنجليزية . ولكم كان سرور السفير بالغا حد الفتنة عند ما استوعب هذا البحث .

وكافأني الرجل على عملي هذا بسخاء .

ولكم كان سروري عند ما أخبرني أنه تولى ترجمة بحثي هذا إلى لغة أخرى وأنه أرسل هذه الترجمة إلى ما وراء السهوب .

وكنت أشد سروراً وزهوا وأعجابا بما أسديت من صنيع عند ما قال لي الرجل وهو يشد على يدي :

إذا كان حقا هذا هو منهج الإسلام في تحقيق العدالة الاجتماعية ، فلماذا ترضون لأنفسكم كمسلمين أن تدعوا هذا الصراط السوي المستقيم إلى ملتويات الطرق ومتشعبات السبل ؟ .

قلت على الفور : عذر المسلمين الآن هو الجهل المضروب عليهم ولكن فما عذركم أنتم وأنتم تعلمون أن هذا المنهج قويم :

ومع ذلك نجدكم تتنكبونه إلى صراط غير مستقيم ؟

قال : إنها عماية السياسة وضلالات السياسيين .

وفي النهاية أريد أن يعلم القارىء أنني ما قصدت بها الحديث أن أملأ فراغاً أو أن أسرى عمن يتخذ من القراءة ملهاة أو قتلا للوقت ، بل أريد أن أقرر أن كتاب « العدالة الاجتماعية في الإسلام » لمؤلفه البحاثة الضليع حضرة الأستاذ الكبير « سيد قطب »

كتاب يقوم مقام سفارة بل سفارات ، كتاب أوضح معالم الطريق لكل من يريد تحقيق العدالة الاجتماعية بأيسر طريق وفى أسرع وقت .

كتاب أضاف إلى الفكر البشرى فى هذا الزمان تراثا لا ينضب معينه ، كتاب لو وضعه كاتب أوروبى أو أمريكى لأمطرته السماء ذهبا وفضة ولأقيم له فى كل معهد تمثال ! . .

هذا هو الكتاب لا ريب .

جزى الله مؤلفه عن الإسلام والمسلمين خير ما يجزى العاملين المخلصين .

أحمد فهمى خطاب

جاءتنا من الأخ الأستاذ الشيخ محمود نصر عابد المدرس بمدرسة غنايم غرب ، قصيدة بعنوان حملات موتور . على المستغيثين بأهل القبور . نقتطف منها ما يأتى :—

الله فاعبد واحذر التلبيسا	وانزع زمامك من يدىْ إبليسا
والجأ لربك لا لواذ بغيره	لا تخلطن بدينه تدنيسا
واحذر مناجاة القباب فإنها	تعطيك حظا في المآل خسيسا
إن كان من فى القبر يقضى حاجة	لمن ارتجاه أو يزيل عبوسا
أو كان يمكنه الدفاع لنفسه	فليدفعن عن العظام السوسا
توحيد ربك أصل كل طهارة	فلما رضيت لنفسك التنجيسا
ما غير ربك يا منادىَ قبة	يعطى المطالب أو يزيل البوسا
فلتدع من خلق السموات العلى	ودع القباب ولا ترم تعكيسا

مقتطفـــــات

من خطابات للأخ الكريم محمد صادق عرنوس رحمه الله

إلى أخيه الأستاذ محمد على حسين . كاتب أول المساحة ببلبيس

القــاهرة :

« ولا يقل تشجيعكم للمجلة وتكثير سواد مشتركيها عن الخير يبذل للمحتاج ، فإن فى نشر المجلة نشر للسنة وذيوع للدعوة الحقة » .

مكة المكرمة فى ١٩ الحجة ١٣٦٨ هـ :

«أسأل الله أن ييسر لك أسباب الحج إلى بيته الكريم وأن يبارك لك فى كل ما بين يديك ويجعله طريقك إلى الجنة والمغفرة بإذنه .

أنا والأستاذ الشيخ حامد وولده سيد أحمد أفندى وسائر أنصار السنة في نعمة من الله وفضل ولله الحمد والمنة »

المدينة المنورة ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٩ الموافق ١٧ / ٤ / ١٩٥٠

« ١ ـ أما الخلاف فهذا أمر طبيعى فى البشر منذ أن وجدوا ، حتى أنه دب بين الصحابة أنفسهم وهم أفضل الخلق بعد رسول الله .

٢ ـ لا تنقطع أبدا عن زيارة الجمعية وإخوانك بها .

٣ ـ لا يمكن أن أحيد أبدا عما أعتقد أنه الحق وأنه فى صالح الجمعية التى أفتديها بكل ما أملك ، لأنها الهيئة الوحيدة التى تقوم بعبء دعوة الحق ، والشيطان الذى يهمه إلقاء الفتنة فى كل مشروع خيرى ، لا ينام عن جماعتنا طبعا بل يحاربها بكل جنوده ، لأنها أعدى أعدائه »

المدينة المنوره ١٤ رجب سنة ١٣٦٩ الموافق ١ مايو سنة ١٩٥٠

« . . . كل ذلك وهبه المنعم المتفضل على غير قدرة منا على شكره على جزء منه إلا قلبا يعلم منا أنه يعبده وحده ولا يدين لأحد غيره بالذلة والافتقار وإنما أعمالنا فدون ما ينبغي بمراحل ، وهو ما نضرع إليه جل اسمه أن يزيد توفيقنا فيه ، ويقدرنا على المقاربة إن فاتنا التسديد » .

« والله ، إني لأذكر نعم ربي المتتالية عليّ - لا من حيث الدنيا - وإن كان قد أغنى منها وأقنى - ولكن من حيث ما للإنسان من حب في قلوب المخلصين لا يستحق شيئا منه فأبكى حياء من ربي وخجلا من تقصيري ، وازدياد نعمته كل يوم عن يوم ، فهل لك أن تدعو لي بالتوفيق والعمل الصالح لأقوم لربي ببعض نعمه عليّ ، فما على أنا وما مقامي بين عباده الصالحين ، وقد أحاطني بنعمه . فلئن كنت حققت بعض الشرط الوارد في قوله : (لئن شكرتم لأزيدنكم) فيا لسعادتي إذن ، وإن تكن الأخرى فأرجو أن يملأ الله قلبي إيمانا بوعده فأسعى سعى العاملين ، وأكدح كدح المجدين »

« وإلى الملتقى في بلد الله الحرام ثم مسجد رسوله عليه الصلاة والسلام » .

المدينة المنورة ١٤ القعدة سنة ١٣٦٩ الموافق ٢٨ / ٨ / ١٩٥٠

« ولا تقطع زيارتك للاخوان في مصر وإذا ما زرت الجمعية فكأنما زرتنا ، فالهدف واحد والغرض متحد ونسأل الله أن يمن علينا بالرضا وحسن الخاتمة » .

أحل الله البيع وحرم الربا

للأستاذ مصطفى عبد الجواد

يقول الله تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ، ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا » .

والربا : بكسر الراء مقصوراً من ربا يربو ، أى زاد يزداد . ومنه قوله تعالى : « ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت » .

ونريد أن نعلم ما الذى دعا المرابين إلى اعتقادهم أن البيع مثل الربا ؟ وما الحكمة فى رد الله عليهم بقوله (وأحل الله البيع وحرم الربا)

لو أننا تتبعنا تطور النقود لعرفنا السبب ووصلنا إلى الحكمة . فنظرا للصعوبات التى نشأت عن نظام المقايضة ـ مبادلة السلع بسلع أخرى ـ فكر الناس فى الوصول إلى سبيل ذلول يصل بهم إلى التغلب على هذه الصعاب ، وأخيراً اهتدت الجماعات الإنسانية إلى هذا السبيل ، وذلك عن طريق إجماع أفرادهـا على اختيار سلعة من بين السلع لتستخدمها فى إجراء المبادلات، وتيسير المعاملات، وبذلك أصبحت هذه السلعة المختارة وسيطا فى المبادلات أو « نقودا » زيادة على كونها سلعة من بين السلع المادية التى تعرفها هذه الجماعة

ولم تتخذ النقود فى بدء حياتهـا هذا الشكل الذى نلحظه اليوم ، بل كانت تختلف فى طبيعتها ، تبعا لاختلاف البيئة واختلاف وجهات النظر فى كل بيئة فيما يتعلق بأرفع السلع قيمة ، أو أكثرها استعمالا وتبادلا . فنجد مثلا أن الإغريق القدماء استخدموا الماشية كنقود

بينما آثر الهنود الحمر استخدام التبغ ، ثم تطورت الأحوال شيئا فشيئا حتى استخدمت المعادن فى صنع مسكوكات مختلفة الأشكال والصور ، فشاع استخدام النقود البرنزية والنحاسية ، ثم تلا ذلك صنع النقود من الفضة ، وأخيرا انتهى الأمر إلى استخدام الذهب فى صنع هذه المسكوكات النقدية .

وإنك تعلم أن التجارة ـ وهى مبادلة السلع ـ إنما ترمى إلى تحقيق ربح مادى ، وهو غرضها المنشود . فالتاجر إما أن يشترى السلع ليبيعها بغرض تحقيق ربح مادى ، أو يشترى المواد الأولية ويخضعها لعدة عمليات صناعية تصبح بعدها سلعة تامة الصنع ، فيبيعها ليحقق هذا الربح .

على هـذا الأساس ـ أى على اعتبار أن النقود سلعة من السلع التى يعرفها الأفراد ، وعلى اعتبار أن الغرض من التجارة هو تحقيق ربح مادى ـ اعتقد هؤلاء المرابون أن البيع مثل الربا . وذلك لأنهم زعموا أن التاجر الذى يشترى السلع ليبيعها ليحقق ربحاماديا يمكنه أن يبيع النقود كسلعة ، أى يقرضها لغيره ويحصل على هـذا الربح بتحديد سعر الفائدة ولتوضيح ذلك نأتى لك بمثال :ـ

إذا اشترى تاجر سلعة بمائة قرش . كالبن أو الشاى مثلا ، وباعها جملة واحدة ، أو على صفقات متفرقة بـ ١١٠ قرش . فإنه يحصل على ربح قدره عشرة قروش ، فلو أن هذا التاجر أقرض أحد الأفراد هذه المائة قرش ، وحدد سعراً للفائدة قدره عشرة فى المائة،فإنه سيحصل فى نهـاية الأمر على مبلغه الذى أقرضه مضافا إليه العشرة القروش وهو مقدار الفائدة ، ويعتبر ربحا كما فى الحالة الأولى .

وهذا الزعم ـ وإن كان يبدو صحيحا فى نظر المرابى ـ فإنه لا يتمشى مع المبـادىء الاقتصادية السليمة ، وذلك للأسباب الآتية :ـ

أولا : إن التاجر الذى يبيع السلع يقوم بمجهود جسمى وفـكرى يحصل فى مقابله على هذا الربح ، فهو يشترى السلع إما من السوق المحلية أو الدولية ، ويقوم بشحنها ونقلها وتخزينها والإعلان عنها ثم بيعها ، أما الشخص الذى يقرض النقود فلا يقوم بشىء من هذا المجهود

فيما يختص بسلعته ـ وهى النقود ـ و بذلك لا يحق له الحصول على هذا الربح وهو الفائدة.
وقد كتب بعض المروجين للربا بأن هذه الفائدة تعتبر كمقابل للجهود التى يبذلها الدائن فى الحصول على الأموال التى يقرضها ، ولكن من المعروف فى الاقتصاد أن الإنسان لا يدخر إلا ما يزيد عن متوسط دخله ، أو ما يكفى لسد نفقاته ، أى إن هذه الأموال المدّخرة تعتبر زائدة عن حاجته ، ولم يبذل الدائن أى مجهود فى الحصول عليها لإقراضها و بالتالى لا يكون له الحق فى الحصول على فائدة .

ثانيا : إن التاجر يخضع للربح والخسارة ، أما المرابى فهو غير خاضع أبداً للخسارة ، حتي فى حالة إفلاس مدينه ، فإنه يستوفى حقه كاملا من أموال المدين العينية،وهنا ينفصل الربا عن دائرة التجارة ، و يبطل الزعم القائل : إن الربا نوع من التجارة .

وقد حرم الله الربا لعدة أسباب ، منها الخلقية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والسياسية و إليك الأسباب : ـ

(١) أما الخلقية : فأهمها الإبقاء على الشفقة والرحمة فى قلوب الناس ، وحفظ عوامل الأخوة وروح التعاون بينهم ، حتى لا يستغل بعض الناس الأزمات العارضة ، والضائقات الطارئة ، التى تنتاب البعض الآخر منهم ، وحتي لاتباع المساعدات بينهم بثمن غال أو رخيص

(٢) وأما الاقتصادية ، فأهمها : تدفق رؤوس الأموال الأجنبية للتمتع بنظام الفائدة السائد فى الدولة ، وامتلاك أصحاب هذه الأموال لنواصى النشاط الاقتصادى . وما يترتب على ذلك من تعرض الصناعات القومية المنافسة الشديدة من جانب المنشآت الأجنبية . والتى تؤدى إلى إفلاس بعض المنشآت القومية . و إلى قتل البعض الآخر فى المهد. ومايترتب على ذلك أيضا من ارتباك الحياة الاقتصادية فى الدولة . واضطرار الحكومة إلى فرض سياسات اقتصادية : مثل سياسة الضريبة المانعة وسياسة إعانات التصدير والتى تكون فى غنى عنها . لو أنها سلكت طريقا قوميا بحتا فى الحياة الاقتصادية والذى يكون أهم عنصر فيه عدم وجود نظام الفائدة الربوية .

(٣) وأما الاجتماعية : فأهمها القضاء على هذه الفئة من المرابين ، التى تعيش بغيرعمل

والتى تعيش على جمع الأموال على حساب الفقراء والمساكين ، واقتناص نتاج الغير وامتصاص دمائهم ، كما تعيش الديدان الطفيلية على غذاء الأجسام الكادحة . وإن هذه الفئة لعضو فاسد في كيان المجتمع ، يجب بتره والقضاء عليه ، حتى لا يعدي الأعضاء الأخرى ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا إذا سُدَّ أمامهم هذا الطريق الخبيث ، وفتحت أمامهم أبواب العمل والكسب الحلال .

(٤) وأما السياسية والحربية : فأهمها أن الدولة التى تتسرب منها رؤوس الأموال ، تخاف على نفسها من تسرب الثروة إلى الخارج ، فتضعف القدرة على إنشاء المشروعات ، وتموت الصناعة فيها ، أما بالنسبة للدولة التى تتدفق إليها هذه الأموال ، والتى تتخذ فيها شكل المنشآت الكبرى ، فإن تسرب ثروة أفرادها إلى أيدى أصحاب هذه المنشآت الذين لا يهمهم إلا تضخيم رؤوس أموالهم، بغض النظر عن مصلحة الدولة ، يكون من نتيجته ضعف القدرة على قيام الصناعات الحربية . وبالأخص لو كانت هذه الدولة تتمتع بثروات طبيعية عظيمة كالحديد والمنغنيز ، ومساقط المياه ، التى عليها المعوّل الأول لقيام الصناعات الثقيلة ، فإن عدم القدرة على استغلال هذه الثروات يعمل على ضعف قوتها الحربية والدفاعية ، مما يعرضها للغزو بين حين وآخر ونشوء الخلافات السياسية . . وفضلا عن ذلك فإن التاريخ يحدثنا أن كل احتلال عسكرى غالباً ما يسبقه احتلال اقتصادي ، وما هذا الأخير إلا نتيجة غاية نظام الربا فى الدولة المحتلة كما سبق أن أوضحنا

وقد اختلفت آراء الاقتصاديين فى الربا ، فمنهم من قسمه إلى ربا استهلاك ، وربا إنتاج ، محاولين بذلك : التفرقة بين الربا فى العصور الماضية ، ونظام الفائدة الحالى ، ومنهم من اعتقد أن الفائدة تعتبر كمقابل للخطر الذى قد يتحمله الدائنون من ضياع أموالهم ، ومنهم من قال :إنها تعتبر كمقابل للأرباح التى يجنيها المقترض من استثمار أموال الغير ، وفيما يلى نعرض هذه الآراء

الرأى الأول : قسم بعض الاقتصاديين الربا إلى قسمين : القسم الأول : ربا استهلاك وهى تلك الأموال التى يقترضها الشخص ليستهلكها فى النواحى المعاشية البحتة ، كالغذاء

والكساء ، والدواء ، وما شاكل ذلك ، وهم يحرمون أخذ فائدة على هذه الأموال لأسباب خلقية . والقسم الثانى : ربا إنتاج : وهى تلك الأموال التى يقترضها الشخص ليزاول بها أى نوع من أنواع النشاط الاقتصادى ، من تجارة أو زراعة ، أو صناعة ، وهم يرون أنه لا مانع من أخذ فائدة على هذه الأموال ، بشرط أن تكون فى حدود نسبة معينة .

وهذا التقسيم ليس له نصيب من الصحة ، لأن هناك من العوامل ما يجعل ربا الإنتاج مثل ربا الاستهلاك ، لأن ربا الإنتاج يحتوى على عوامل إنسانية أيضاً ، ذلك بأن التاجر الذى يقترض الأموال لمزاولة أى نوع من النشاط الاقتصادى ، إنما ينفق كسبه فى الغذاء والكساء والدواء ، وما إلى ذلك من النواحى الإنسانية البحتة . وقد جاء فى كتاب علم الاقتصاد للمصريين للدكتور محمد لهيطه ما يأتى : « وقد تطورت نظم الربا حتى تحولت إلى أعمال ربوية ، وأخيراً اختلط المستهلكون بالمنتجين ، حتى أصبحت الحياة الاقتصادية فى عواملها الإنتاجية والاستهلاكية ، لا تفرق بين الأموال المتداولة والأموال الثابتة من حيث استثمارها فى مفردات الانتاج ، وسلع الاستهلاك »

الرأي الثانى : هذا الرأى اعتبر الفائدة ، كمقابل للخطر الذى قد يتعرض له الدائنون من ضياع أموالهم ، ومما يجب ملاحظته : أن هذه الفائدة تؤخذ عن خطر يحتمل ولا يتحتم وقوعه، فإذا لم يقع هذا الخطر فلا وجه إذاً لاستحقاقها ، وهذا مايحدث فى أغلب الأحوال ، لأن الدائن قبل أن يقدم على إقراض مدينه يقوم بدراسة مركزه المالى ، والنواحى التى يريد أن ينفق المدين فيها هذه الأموال، والأزمات التى ينتظر أن يتعرض لها . و بعد استكمال هذه الدراسة يقوم بعملية الإقراض ، و إذا تبين له من هذه الدراسة عدم سلامة الموقف ، فإنه فى هذه الحالة يحجم عن تقديم أمواله للمدين ، و إذا وقع الخطر ، فإن أموال المدين الثابتة ، فى شكل آلات أو منزل أو أثاث أو أى نوع من أنواع الثروة العينية: تعتبر ضامنة لدفع الدين أى أن الدائن له أن يستوفى دينه كاملا من هذه الأموال ، فلا ضرورة إذاً للمدين أن يقدم فائدة تعتبر ضماناً فوق هذه الضمانات

الرأى الثالث : وهو القائل بأن الفائدة تعتبر كمقابل للأرباح التى يجنيهـا المدين من استثمار أموال الغير ، ويعترض عليه بأن هناك نواحي أخرى ، غير هـذا الطريق ، يمكن لصاحب المال أن يشترك فى الربح مع من هو في حاجة إلى هذا المال لاستثماره ، كأن يشترك معه فى شركة تضامن أو توصيـة بسيطة ، وقد جاء فى كتاب تنظيم وإدارة المشروعات الصناعية للدكتور محمد عبد العزيز عبد الكريم مايأتى : « ومن أهم مزايا شركات التوصية البسيطـة : أن الموصى ـ أى صاحب المال ـ يتقاضى أرباحاً ، لأنه شريك ، أما المقرض فيتقـاضى فوائد ، وعلى ذلك يمكن للمتمسكين بدينهم ، والذين هم قاصرون عن القيـام بالتجارة ، أو الذين تمنعهم أعمالهم من القيام بها ، أن يلجؤا إلى الإشتراك كموصين. وبذلك لايتعرضون للانتقاد الدينى أو لتعطيل أموالهم »

ذخائر العرب

مجموعة جديدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب
لبعث الكنوز العربية الخالدة، تقدم إلى جمهور
القراء فى أنصع حلة من التحقيق وجمال الإخراج

ظهر منها :

١ — مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب (قسمان)
تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٢ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم .
تحقيق المستشرق الأستاذ ا . ل . بروفنسال .

٣ — إصلاح المنطق لابن السكيت
تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٤ — رسالة الغفران (عن أقدم نسخة خطية) لأبى العلاء المعرى .
تحقيق السيدة بنت الشاطىء

٥ — حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسى، تحقيق الأستاذ محمد عبدالغنى حسن

تحت الطبع :

٦ — ديوان أبى تمام (شرح التبريزى) تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام .

تصدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف حضرات

محمد حلمى عيسى باشا والدكتور طه حسين باشا والدكتور أحمد أمين بك
والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ إبرهيم مصطفى

العدد ٧ المجلد ١٥

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رجب سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

المشرف على التحرير
أحمد محمد شاكر

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبي ــ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدى النبوى

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

٢٠ ص فى مصر والسودان

٣٠ فى الخارج

الإدارة : ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

تفسير القرآن الحكيم

بقية العرض الإجمالي

لسورة النحل

لما ذكر الله سبحانه الحكمة فى إرسال الرسول : وهى أن يبين للناس ماخفي عليهم من نعم الله وسننه وآياته ، بسبب غفلتهم وإعراضهم عنها وانحرافهم فى المقاصد والأفهام والمشارب ، فجرهم ذلك إلى الكفر والفسوق والعصيان ، ثم إلى الخلاف والخصومات ، فالتباعد والمعاداة والقطيعة والحروب ، وسفك الدماء وانتهاك الحرمات ، فكان عيشهم بذلك نكداً ، وحياتهم شقاء وحزناً ، فبعث الله الرسول وأنزل الكتاب والميزان ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم . فيعرفوا ماجعل الله فى الأنفس وكل شيء من الحق والحكمة ، وما لله على جميع عباده من الفضل والرحمة ، وما فى هذه المخلوقات من الآيات الناطقة بأنه رب الجميع ومربيهم بنعمه وإحسانه وأنه يتعرف إلى الجميع بآلائه ، ويتودد إليهم ليعرفوه بأسمائه وصفاته وما تقتضيه ويلزمها من العدل والعزة والقوة والرقابة والشهود ، وأنه حقيق بهم أن يعبدوه وحده بكل قلوبهم وأعمالهم ، ويقدموا طاعته وطاعة رسوله على الأنفس والآباء والشيوخ ليسعدوا ويعزوا ويعيشوا في أمن وعافية ، ويرتفعوا إلى منازل الكرامة والرضوان فى جنات عالية ، قطوفها دانية ، وأنّ تلك الرسالات إنما أنزلها الله لهدايتهم فى جميع شؤونهم إلى التى هى أقوم ، وأنها هى مقتضى ربوبيته وحكمته ورحمته وأسمائه وصفاته ، فلذلك ذكرهم سبحانه بمقتضى الربوبية والأسماء والصفات فى إنزال الماء من السماء وإحيائه الأرض بعد موتها فينبت لهم منها الزروع والثمار ليغذى أجسامهم ، ويكون لهم منها الصحة والعافية والعيش الحيوانى فى هذه

الحياة إلى أجل مسمى ، وأن الرب الذى تقتضى ربوبيته وأسماؤه وصفاته ذلك للأجسام الحيوانية من الإنسان والأنعام المسخرة له بأجسامها وألبانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها ولحومها ـ هذا الرب الذى تقتضى أسماؤه وصفاته ذلك للنوع البهيمى الدنىء لا بد أن تقتضى ربوبيته وأسماؤه وصفاته العناية أشد بالنوع الإنسانى الذى كرمه وفضله وجعل مدار الحياة الأولى والأخرى عليه ، ألا وهو الإنسانية المعنوية ، فمحال أن يتركها سدى، ومحال أن يدعها بدون غذاء وشفاء يحفظها من الهلاك ، ويمدها بأسباب الحياة والقوة والعافية ، وكل منهما غذاؤه من جنسه ، فالجسم الحيوانى من الأرض ، فغذاؤه وبقاؤه فى الدنيا مما تنبته هذه الأرض ، وما يخرج منها من زروع وثمار مختلفة العناصر السكرية وغير السكرية مما هو رزقها الحسن، ومن عناصر ومعادن جعل فيها داءه ودواءه . أما الروح الإنسانية المعنوية فقد نفخها الله فيه من روحه ، فغذاؤها وشفاؤها ، وعناصر حياتها الطيبة : من العلم والهدى الذى ينزله الرب سبحانه من عنده على من يصطفى من رسله ، وكل منهما إن حرم الغذاء ، أو غذى على غير مارسم الرب بالفطرة السليمة ، والرسالة الكريمة : فلا بد من شقائه وهلاكه ، ولا مناص من ذلك ، والرب سبحانه بث فى الأرض جميع عناصر الحياة الحيوانية ، وأنزل من السماء الماء لحياتها وخروجها وبروزها لتكون ميسرة قريبة المنال فلا يحرم منها إلا من أعرض عنها ونأى بجانبه وكذلك فطر الرب سبحانه القلوب والألباب على الاستعداد للحياة الطيبة الخيرة ، ثم أنزل غيث الوحى بالعلم والهدى لإحياء عناصر الحياة الطيبة فى القلوب والألباب وجعل الكل ميسراً سهل التناول للجميع ، وجرت سنة الرب الحكيم سبحانه بأن غذا الأجسام ودواءها لا يكون بجد ويقظة وعمل ، فالأرض تخرج ثمراتها بالحرث والتنقيب ، والضروع تخرج ألبانها من بين الفرث والدم بالاحتلاب والجذب . والجوارح تعمل لتهيئة ذلك وإعداده طعاماً وشراباً ودواء ، واليد تلقم الفم ، والفم يتذوق ، والعين تفحص وتنتقى والأنف كذلك ، والأسنان تطحن والغدد تفرز ، والعصارات ومواد الهضم وإمرار الطعام فى مجاريه وأعضاء وأوعية تخليصه وتصفيته ، وعلى الإجمال فعملية تغذية الجسم ومداواته عملية طويلة تستوعب حركات ومجهودات

و يقظات من كل جارحة فى الجسم ، بل من كل ذرة . فالواجب أن يَعْبُر الإنسان العاقل المفكر اللبيب على قنطرة هذا التفكر والتأمل إلى الروح وتغذيتها وشفائها وعافيتها ليعلم ، يقيناً أنه لابد من الكدح والجد والعمل الدائب النشيط فى الاعتصار والاحتلاب والاستنباط بعناصر الغذاء والدواء من حوافل الآيات المنزلة واجتناء ثمار الأشجار المباركة الطيبة من الكتاب والسنة المطهرة ، ولا تتم الحياة الطيبة للانسانية المعنوية إلا بذلك ، والهالك من غفل وكسل وقعد عن ذلك السعي الكريم ، مخدوعاً ومخدراً بما يوحى إليه شياطين الإنس والجن زخرف القول غروراً ، وآية ذلك الواضحة المدحضة لكل مايبهرج به أولئك الشياطين : ذلك المثل الكريم الذى ضربه ربنا سبحانه بالنحل ، وهى حشرة صغيرة أوحى إليها ربنا ماأوحى فكانت أنفع شىء وأطوعه للانسان ، يخرج الله للانسان من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه ، فيه شفاء للناس ، شفاء لأجسامهم بأخذه وشربه دواء ، وشفاء للعقول والقلوب والأرواح من أمراض الخمول والكسل والكفر بنعم الله فيهم وعليهم ، والهداية إلى سنن الحياة النشيطة الجادة الواثقة بربها المعتمدة عليه فى كل شأنها ـ بالدراسة لحياة النحل وطريقة معاشه وصبره وكدحه ، واستعمال حواسه فى اختيار الأزهار والأشجار والأوقات ، وصنعه العسل وأوعيته وأوانيه من المادة الشمعية العجيبة .

فإن الإنسان إذا عرف هذا النحل وفكر فيه وتأمله بعقل سليم آمن الإيمان الصادق بربه العليم الحكيم ، الرحمن الرحيم ، وعرف الرحمة والحكمة فى أن أغذية القلوب وأشفيتها من الرسالة لابد فى اجتنائها من اليقظة والصبر على لسعات الهوى والشهوات ، ولدغات الجاهلين والكافرين من الأباعد والأقرباء ، ومن همزات شياطين الإنس والجن البغضاء كما أنه لابد لاجتناء الشهد من إبر النحل (إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) ولكن ما أكثر الذين قتلوا عقولهم ومواهبهم بمعاول التقليد الأعمى ، فعموا عن تلك الآيات المحسوسة الملموسة ، ثم ذهبوا عمياً و بكماً وصما فى ذلة وصغار يعبدون أمثالهم من بنى الانسان ، بل يعبدون ماهو مسخر لهم من الجماد والحيوان ، والربُّ العليم القدير هو الذي يخلقهم جميعاً على خلق واحد ، و يتوفاهم جميعاً وفاة واحدة وموتاً واحداً ، وتجرى سننه سبحانه فى حياتهم

وموتهم على سواء ، فنهم من يأتيه الموت فى فتوته وشبابه ، ومنهم من يرد إلى أرذل العمر حتى يعود كالطفل لايعلم شيئاً . وهم فى كل هذه الأطوار لايملكون عن أنفسهم ولا لها شيئاً إلا مايعلم الله ، ولا يقدر الجميع لنفسه على شيء إلا مايقدره الله له وعليه ، ثم هو الذى يرزق الجميع بحكمته ورحمته على مقتضى سننه ، فيزيد لهذا في المال والولد ، والجاه والمركز والصحة والقوة ، فيقتنى الدور والعقار ، والزروع والثمار ، والخيل والأنعام ، والمراكب الفارهة من السيارات والطائرات ، والعبيد والخدم ، فهل يهون على واحد من هؤلاء أن يخرج من ماله ويرده على خدمه وعبيده ، حتى يكون وإياه في الجاه والمنزلة والرياسة سواء ؟ كلا . وذلك معلوم بالفطرة . ومن زعم غير ذلك فهو غوى كفور ، يبغى الفساد فى الأرض ، وهو مجرم خبيث يكفر بالله وآياته وسننه ، وإن زعم — فى غباء وعماية — أن ذلك هو مقتضى العدالة الاجتماعية ، فما أبعده عن العدالة ، وما أعمق ماهوى إليه من سحيق البغى والظلم لنفسه ولمن يخدع بغوايته من أشباه الأنعام الذين تضطرم فى نفوسهم جحيم الأهواء والشهوات الخبيثة القذرة .

ياعجباً ! هذا أنت أيها الانسان لاتقبل أن ترد مارزقك الله ووسع به عليك وزادك به على بنى جنسك — لاتقبل أن ترده على إخوانك فى الإنسانية ليكونوا مثلك على سواء . فما تقبل أن تتخلى عن ملكيتك لرئيس وزرائك ، ولا عن وزارتك لحاجبك وخادمك ، ولا عن دورك وعقارك لعبدك ومملوك يدك ، بل لاتقبل ولا ترضى أن ترد شيئاً من ذلك لأخيك شقيقك ، وتدفع بحجة أنه يعجز عن إدارة شئون الملك والوزارة . وأنه إن دخل فى تصرف شيء منها بالمشاركة كان معتدياً وباغياً تمقته وتحار به ، وإن استطعت تقتله ، فكيف تسوى وتشرك العبد المخلوق ، العاجز الجاهل الضعيف ، بالرب الخالق القوى العزيز العليم الحكيم؟ وكيف تسوى الميت الذى دفنته بيدك تحت أطباق الثرى وأهلت عليه التراب ، وأحكمت غلق قبره لئلا تؤذيك ريحه ، بالحى القيوم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم ، الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ؟ فتدعو الميت وتخافه وترجوه وتقسم به ، وتذبح الذبائح وتحج ابتغاء مرضاته ، كما تصنع ذلك بل أقل منه لربك الذى ربيك ويربى جميع العالمين بنعمته وفضله وإحسانه؟ حقاً إنك لجاحد أشد الجحود بنعم الله الغنى الحميد . فما أعظم خسرانك .

وما أطول شقاءك إن لم ترجع إلى ربك ، مؤمناً به عابداً له وحده ، مخلصاً له دينك . فما كان مقدّسوك ومعبودوك من الأولياء والموتى إلا مثلك ، جعلهم الله كما جعلك بسنته من أزواج هن من أنفسكم ، يأتيهن أزواجهن فيحملن ويضعن البنين والبنات ، يكونون ويكن حفدة للأجداد ، والله وحده هو الذى يرزق الجميع فى كل أطوار حياتهم بطيبات الأرزاق فتتغذى أجسامهم ويعيشون ماشاء الله ، وأنت تشهد كل ذلك فى نفسك وبنيك وآبائك وأجدادك ، وترى فيها الحقائق الثابتة التى لاتتبدل ولا تتغير فيك، وفى مقدسيك ومعبوديك وهى نعم عامة من نعم الله على الجميع . ثم بعد هذا يخدعك شياطين الانس والجن ، ويزخرفون لك الباطل والأوهام ، فتؤمن بها من كل قلبك ، وتدين لها بنفسك وكل ما رزقك ربك ، وتكفر بنعمة الله عليك ؟ إن هذا منك لعجيب ، جد عجيب .

اللهم ربنا ورب العالمين ، أنت العليم القدير ، وأنت السميع البصير ، وأنت أرحم الراحمين ، وأنت الحى القيوم ، وأنت الرزاق ذو القوة المتين . عرفتك يارب من سننك ونعمك وآياتك فى نفسى وفي الآفاق من حولى ، حتى هديتنى إلى الفطرة ، وأنقذتنى من الجمود والغفلة ، وعرفتك بأسمائك وصفاتك وحقوقك وما ينبغى لك من كتابك الحكيم ، وآياته البينات ، وغذائه النافع ، وشفائه العاجل المبدِّد لكل ماينفثه الشيطان من أمراض الشهوات والشبهات . فآمنت بك يارب وحدك ، وأخلصت قلبى وروحى وعبادتى وكل عملى لك وحدك . لاإله إلا أنت ، وكفرت بكل ما اتخذ الغافلون ، عمى القلوب والبصائر من دونك . وعرفت رسولك بما خصصته وميزته به من الوحى والرسالة والعلم والهدى والايمان ، والصدق والصبر والجهاد ، والبر والشفقة والرحمة بالمؤمنين فأحببته أشد من نفسى ووالدى وولدى وآمنت به ، وحرصت على أن أقتفى أثره وأتبع سنته واتخذته لى إماماً ، وجعلت رسالته وهديه وسنته لى سراجا منيراً اللهم فزدنى وإخوانى إيماناً بك وبرسولك ، وحباً لك ولرسولك ، وطاعة لك ولرسولك ، وثبتنا على ذلك حتى نلقاك . وصلى اللهم وبارك على هذا النبى الكريم ، وعلى آله الذين اتبعوه بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

إصدع بما تؤمر

كلمة الحق

ألا لا يمنعن أحدكم رهبة الناس أن يقول بحق
إذا رآه أو شهده ، فإنه لا يقرب من أجل ،
ولا يباعد من رزق ، أن يقول بحق ، أو يذكر بعظيم
(حديث صحيح)

• نأذن لمن شاء من الصحف والمجلات وغيرها أن ينقل من هذه الكلمات ما يشاء ، أو يقتبس ، أو يترجم . على أن ينسبها صراحة لكاتبها ، وعلى أن لا يجمعها أحد غيرنا فى كتاب . فهذا نحتفظ بحقنا فيه خاصة

وثانياً : نرحب بكل نقد لما نقول أو رد عليه ، ننشره مرحبين به ، راجعين إلى الصواب إذا ما أخطأنا ، أو معقبين عليه بما يجلو وجهة نظرنا ، أو يرفع شبهة إن كانت . على أن يكون النقد فى حدود البحث العلمى الصحيح ، أما الأهواء ، وأما الجدال والمراء فلا ، بل نعرض عنهما كراماً إن شاء الله .

وثالثاً : من شاء أن ينقدنا أو يرد علينا فى جريدة أخرى أو مجلة ، فمن الإنصاف لنفسه ولنا ، أن يرسل إلينا الصحيفة التى كتب فيها ، خشية أن يخفى علينا موضعها فلا نراها ، فيظن أننا قصرنا ، وما إلى هذا أراد ولا أردنا .

١٠ — إذا تكلم المرء فى غير فَنِّه أَتى بهذه العجائب

هي كلة حكيمة ، وحكمة نادرة ، قالها الحافظ ابن حجر العسقلانى ، فى (فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ٣ ص ٤٦٦) .

والحافظ ابن حجر هو إمام أهل العلم بالحديث ، وخاتمة الحفاظ ، بل هو المحدث الحقيقى الأوحد منذ القرن الثامن الهجرى إلى الآن . وقد قال هذه الحكمة الصادقة فى شأن رجل عالم كبير ، من طبقة شيوخه ، وهو (محمد بن يوسف الكرمانى) شارح البخارى ، إذ تعرض فى شرحه لمسألة من دقائق فن الحديث لم يكن من أهلها ، على علمه وفضله ، فتعرض لما لم يتيقن معرفته . والكرمانى هو الكرمانى ، وابن حجر هو ابن حجر .

لقد وردت هذه الحكمة البليغة على خاطرى حين قرأت حكماً نشرته مجلة (السوادي) فى عدد يوم الإثنين ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٠ (٢٦ مارس سنة ١٩٥١) . ووجدتها تنطبق على هذا الحكم تمام الانطباق، وكأنها وضعت له، أو قيلت بادىء ذى بدء فى شأنه .

وقبل أن أتحدث عن هذا الحكم ، وما فيه من مآخذ ، أثبت هنا نص ملخصه الذى جاء فى مجلة السوادى ، وهو :

المحكمة تقول :

لا عقاب على زوجة صغيرة تضبط فى أحضان عشيقها . والنيابة حيري والزوج يستأنف

جاء الحكم فى هذه القضية مفاجأة لم ينج من تأثيرها كل من طرفى الخصومة . فعرا الزوج ذهول أفاق منه حزيناً مغيظاً ، وعرا الزوجة وشريكها فى الخيانة نفس الذهول ، وإن أفاقا منه ليقفزا طرباً بالنجاة .

والحق أن وقائع القضية كانت واضحة ، والأدلة على الإدانة كانت دامغة ، وكان قد استحال على الجناة أن يفكروا فى البراءة . ذلك لأن الزوجة ضبطت وهى فى فراش الزوجية

بين أحضان شاب يقيم فى الطابق الأرضى للمنزل . ولم يكن الزوج موجوداً وقت ضبط الحادث ، ولكن السكان تكفلوا بضبط الفاجرين ، وقاموا بجرهما فى عنف إلى قسم الدرب الأحمر ، حتى حضر الزوج ، وطالب باتخاذ إجراءات دعوى الخيانة الزوجية .

ولما أحيلت الزوجة مع شريكها إلى الطبيب الشرعى قرر أنهما لا يزالان مدنسين بآثار الجريمة .

وهكذا وقف الاثنان فى قفص الاتهام ، يواجهان أدلة لا تقبل دفعاً وتكبلهما حالة تلبس .

ولكن يبدو أن الدفاع عنهما كان يدرك تماماً ثقل الأدلة فلم يتعرض لها بنفى ، أو حتى بمجرد تشكيك . وإنما خمن ثم خمن وأعد مفاجآته الكبرى ، وطلع على المحكمة بسؤال تناهى فى البساطة : « ما هو عمر الزوجة ؟ ! » .

ولم ينتظر الإجابة ، بل تولاها هو بنفسه ، فأخرج من حافظته شهادة ميلاد رسمية تسجل أن عمرها خمسة عشر عاما وبضعة أيام ، وأنها تزوجت تاجر الخردوات المدعى بالحق المدنى وهى لا تتجاوز سن الرابعة عشرة ! ولا محل لذكر الطرق التي يتبعها الناس عندما يريدون تزويج صغيرة وينكرون أن لها شهادة ميلاد .

وخرج المحامى من ذلك بمفاجأة كبرى ، هى أن المتهمة ليست زوجة المدعى ! لأنها لم تبلغ السن القانونية للزواج ، فدعوى الزوجية لا تسمع قانوناً ، وعلى هذا فهى حرة أصلاً ، ولاعقاب عليها إن أحبت فلاناً أو وجدت فى أحضان فلان، مادامت الزوجية قد انعدمت، لأن ادعاءها لا يسمع .

وقد أخذت المحكمة بهذا الدفع القانونى ، وقضت بالبراءة ! .

وبدأت النيابة الحيرى تبحث من جديد فى قضية جديدة عن المسئول عن زواج ابنة فى الرابعة عشرة . بينما استأنف الزوج الحكم .

* * *

وإذا ما تحدثت هنا عن هذا الحكم ، بنقد قضائى علمى ، فإنما أتحدث على افتراض صحة الوقائع التي نقلتها مجلة السوادى ، وعلى افتراض الأمانة والدقة فى النقل فيها .

فإن يكن خطأ فى صحة الوقائع ، أو فى تصويرها ، يكن من تلك المجلة ، لا منّى .

وأول ما نأخذ من غلط خطير وقع فى هذا الموضوع ، بل من تخليط وجهل وجرأة ، هو قول محامى المتهمة : « إن المتهمة ليست زوجة المدعى ، لأنها لم تبلغ السن القانونية للزواج ، فدعوى الزوجية لا تسمع قانوناً . وعلى هذا فهى حرة أصـلاً » إلى آخر هذا التخليط العجيب ! .

وحقًّا قال ابن حجر : « إذا تـكلم المرء فى غير فنه أتى بهذه العجائب » ! .

إن الأستاذ المحامى عن المتهمة يستند فى دفاعه الجرىء ، ومغالطته المتهالـكة ، إلى الفقرة الخامسة من المادة ٩٩ من لائحة المحاكم الشرعية (مرسوم بقانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١) ، التي نصها : « ولا تسمع دعوى الزوجية إذا كانت سن الزوجة تقل عن ست عشرة سنة ، أو سن الزوج تقل عن ثمانى عشرة سنة ، إلا بأمر منا » .

وهذا قانون صدر للمحاكم الشرعية ، وهى تطبقه على تكره ، وتعرف ما وراء تطبيقه من أخطار على الأعراض ، تجتهد فى حصرها فى أضيق الحدود . ولـكن لا القانون ، ولا واضع القانون ، ولا المحاكم الشرعية ، ولا غيرها ـ : يزعم ما زعم هذا المحامى « أن المتهمة ليست زوجة المدعى ، لأنها لم تبلغ السن القانونية للزواج » ! .

وليت الأستاذ محامى المتهمة تأنى وتثبت قبل أن يخوض فيما لا علم له به ، أو سأل أحداً من أهل هذا الشأن ! إذن لعلم يقيناً أن « منع السماع » ليس حكماً موضوعيًّا بإبطال الزوجية ، أو بنفيها ، أو بنفى آثارها .

بل ليته قرأ المذكرة التفسيرية للفقرة التي صال بها وجال ، إذن لوجد بها فى (ص ٧١ من القانون طبعة المطبعة الأميرية سنة ١٩٣١) تحت عنوان (تحديد سن الزواج) ما نصه بالحرف الواحد : « كانت دعوى الزوجية لا تسمع إذا كانت سن الزوجين أقل من ست عشرة سنة للزوجة ، وثمانى عشرة سنة للزوج ، سواء أكانت سنهما كذلك وقت الدعوى ، أم جاوزت هذا الحد . فرئى تيسيراً على الناس ، وصيانة للحقوق واحتراماً لآثار الزوجية ـ : أن يقصر المنع من السماع على حالة واحدة ، وهى ما إذا كانت سنهما أو سن أحدهما وقت الدعوى أقل من السن المحددة » .

١٢

أرأيت أيها الأستاذ هذا الكلام الصريح ! أرجو أن تقف قليلاً عند قول المذكرة: « واحتراماً لآثار الزوجية » ! ألا ترى أن واضع القانون معترف صراحة ـ لا ضمناً ـ بصحة الزوجية ، و بترتب آثارها عليها ، و إنما أراد أن يمنع « سماع دعوى الزوجية » فى وقت محدد ، حتى إذا ما ذهب ذلك الوقت وتجاوز الزوجان السن المحددة سمعت الدعوى إطلاقاً ، بغير قيد ولا شرط .

بل لو تفضل الأستاذ فبحث أكثر من ذلك قليلا لعلم علم اليقين أن هذا المنع من « سماع دعوى الزوجية » لا أثر له فيما يترتب على ذلك من نسب الأولاد إن وُجدوا من هذا الزواج قبل تجاوز الزوجين معاً السن المحددة . بل لرأى أكثر من ذلك أن الفقرة الرابعة من المادة نفسها (المادة ٩٩) منعت « سماع دعوى الزوجية » دون وثيقة زواج رسمية فى الحوادث الواقعة من أول أغسطس سنة ١٩٣١ منعًا مطلقًا ، ثم أوضحت المذكرة التفسيرية شأن هذه الفقرة ، و « أن هذا المنع لا تأثير له شرعًا فى دعاوى النسب » .

ليتهم بحثوا كل هذا ، فتفادَوْا أن يأتوا « بهذه العجائب » ! .

ثم ما هذا « المنع من سماع دعاوى الزوجية » الذى دفعوا به دعوى الزنا ؟! . أمحكمة الجنح الأهلية مختصة بسماع دعوى الزوجية حتى يُدفع أمامها بهذا الدفع ، ثم يُصَوَّر هذا التصوير الباطل « أن المتهمة ليست زوجة المدعى » ؟ ! إذن فأين الاختصاص للمحاكم الجزئية الشرعية المنصوص عليه فى المادة (٦ من القانون رقم ٧٨ لسنة ١٩٣١) أنها مختصة بالحكم الابتدائى فى « الزواج والموادّ المتعلقة بالزوجية غير ما سبق » ، أى أن المحاكم الجزئية الشرعية هى المختصة دون سواها فى هذا النوع من الدعاوى ! أفيكون منطقيًا مع هذا أن يُدفع أمام محكمة الجنح الأهلية بأن هذه الزوجية ـ فى دعوى الزنا ـ غير مسموعة ؟ !

أفهذا مذهب جديد فى الاختصاص تُنقض به كل القوانين ؟!

ولست الآن بصدد التحدث عن مفاسد هذه القوانين الأوربية التى ابتُليت بها الأمة الإسلامية المصرية المسكينة وضُربت عليها ، وما كان لها من آثار سيئة فى خُلق الأمة

ودينها ومقومات حياتها ، فذلك موضوع طويل الذيول ، كتبنا فيه كثيرًا ، وسنكتب فيه كثيرًا إن طال بنا العمر ووفقنا الله ، إن شاء الله .

ولكنى أناقش هذا الحكم على قواعد قوانينهم ، على ما فيها مما فيها :

فهذه القضية جريمة زنا نسبت لشخصين معينين ، ليست أمامى وقائعها وأدلتها قضائيًا ، حتى أحكم فيها ـ إذا ثبتت بالأدلة الشرعية ـ برجم الزوجة المتهمة ، إذ كانت بالغة شرعًا ، بتجاوزها الخامسة عشرة من عمرها على الأقل ، وعاقلة ، وبرجم شريكها فى الجناية إن كان محصنًا شرعًا ، أو بجلده مائة جلدة إن كان غير محصن ، إذا ما صَحَّت الوقائع التى ذكرتها مجلة السوادى .

وهذه القوانين الباطلة جعلتْ لجريمة الزنا عقوبة وشروطًا غير ما أنزل الله فى كتابه ، وغير ما نصَّت عليه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغير ماعُرِف من بديهيات الإسلام التى لايعذر مسلم بجهلها .

فمّا وضعتْ من الشروط الباطلة : أن لايعاقب الزانيان إلا إذا كانت الزانيـة زوجة وطلب زوجُها عقابهما ، أما إذا كان الزوج ممن « يقِرُّ فى أهله الخُبْث » كماعبّر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى بهذا الذى كان من منكر فى أهله ، فإن القانون الإفرنجى هذا أضفى على الزانيين حمايته الجليلة ! ! وأخرجهما من سلطان الشريعة ، ومنعهما أن يقام عليهما حدّ الله !.

ولكن لايزال أمامنا فى هذه القضية ـ إذا صحت الوقائع على الصورة التى نشرت فى مجلة السوادي ـ أن هذه المتهمة ، التى أضفى عليها محاميهـا حماية مغالطته البارعة ، أو جهله العجيب ، حتى أقنع المحكمة أنها ليست فى هذه الحال بزوجة ، ليصل إلى هدم الشرط الأساسى عندهم لقبول دعوى الزنا ـ : لم تبلغ الثامنـة عشرة من عمرها ، وأن شريكها فى الجريمة لايعذر برضاها فى قوانينهم .

فهذه إذن جريمة ثابتة الوقائع ، كاملة الأدلة ، على النحو الذى صورتْه مجلة السوادى ، خرجت بمغالطة الدفاع أو بجهله ، من جريمة الزنا القانونية ، ولكنها لا تزال بوقائعها الثابتة

وأدلتها الـكاملة ، جريمة أخرى تدخل فى نطاق الفقرة الأولى من المادة (٢٦٩) من قانون العقوبات (الصادر بالقانون رقم ٥٨ لسنـة ١٩٣٧) ، ونصها : « كل من هتك عرض صبي أو صبية لم يبلغ سنّ كل منهما ثماني عشرة سنة كاملة ، بغير قوة أو تهديد ، يعاقب بالحبس » . ومن البديهى الواضح المعروف فى القانون ، أن رضـا القاصر ـ الذى لم تبلغ سنُّه ثمانى عشرة سنـة كاملة ـ لا يعتبر ، ولا أثر له فى ذلك ، بصراحة الفقرة التى نقلنا من القانون .

فأين إذن تطبيق القانون على جريمة قائمة ، وقائعها ثابتة ، وأدلتها كاملة ، فى نظرهم على الأقل ، إذا صحت الصورة التى صوّرتْها مجلة السوادى للوقائع والأدلة ؟!

حقًّا ـ أيها الناس ـ « إذا تكلم المرء فى غير فنّه أتى بهذه العجائب » !! كما قال الحافظ ابن حجر ، ونِعْمَ ما قال .

أحمد محمد شاكر

كل مولود يولد على الفطرة
فأبواه يهودانه أو ينصرانه

رواه البخارى ومسلم وأبو داود

بقلم حرم الدكتور محمد بك رضا

اخترت إحدى المدارس الفرنسية لتعليم بناتي ، لما رأيت بها حينذاك من حكمة فى التربية ومن رقة وحسن معاملة ومن أدب واحتشام فإن هذه المدرسة تفرض على البنات أن يلبسن ملابس بسيطة بعيدة عن الأناقة ، وترغم البنت إذا ما بلغت سن العاشرة على أن ترتدى رداء طويلا يحجب نصف الساق وأن تلبس الجوارب الطويلة السميكة . والويل لمن يبدو عليها شيء من التجمل والتزين ، فإن الراهبات يغيرن هذا المنكر بأيديهن . فإذا لحن شيئا من الأصباغ على الوجه غسلنه ، و إذا رأين تصفيفاً وتجعيداً فى الشعر وضعن هذه الرأس المتجملة تحت الصنبور . و إذا وجدن حلية على الصدر أخذنها ثم رددنها إلى منزل الفتاة . ومن عظيم حكمة هؤلاء الراهبات أن يراقبن البنات حتى فى الاستراحة وهن يلعبن فى الحديقة . وأن لا يسمحن لبنت أن تنفرد بأخرى خوفاً من أن تسر إليها من الكلام مالا يليق . فإذا ابتعدت بنتان أو ثلاثة عن بقية البنات أسرعت إليهن جاسوسة تتسمع ما يقلن وتراقب ما يفعلن وأمرتهن ألا يلعبن إلا (جماعات) أو (زمرا) ! ! .

وهكذا أرسلت بناتى إلى هذه المدرسة التى لا تعلم الدين الإسلامى ولا اللغة العربية إلا قليلا . وأنا مطمئنة القلب لأنى أعلم أن الأبوين لا المدرسة هما اللذين ينشئان الولد على الفضائل ، ويهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . وأن البيت هو الذى يصلح أو يفسد الأولاد لا المدرسة .

وعندما طلبت من الرئيسة أن تسمح لبناتى بصلاة الظهر تعجبت أشد العجب من هذا الطلب وقالت : إنى فى هذه المدرسة منذ خمسين عاما ولم تطلب منى خلال كل هذه المدة بنت من المسلمات أن يسمح لها بالصلاة . فياللفضيحة . كأن المسلم لا يعرف الصلاة ولم يؤمر بها ولم يتشرف بالمثول بين يدى الله .

لم تر الراهبة تلميذة مسلمة تصلى فى بحر خمسين سنة وذلك لأن جل البنات أو كلهن من أسر الطبقة الراقية المترفة المتفرنجة التى لا تكترث بالدين ، فكيف تطلب الصلاة من لم تعرف ولم تر الصلاة فى بيتها، بل وكيف تستطيع الصلاة وهى لا تعرف اللغة العربية لأنها لا تسمعها فى المدرسة كما أنها لا تسمعها فى البيت إذ تلازمها فيه مربية إفرنجية لقد رأيت فتاة من هذه الأسر المتفرنجة . تاقت إلى الصلاة وودت أن تحفظ فاتحة الكتاب فلم تستطع قراءتها إلا بالأحرف اللاتينية ، لأنها لم تتعلم النطق بالأحرف العربية وهذا لاستهتار أهلها بالإسلام واللغة العربية . فهم يعنون أشد العناية بتعلم اللغات الأجنبية ، ويهملون بل ويزدرون اللغة العربية ويتخذون لأولادهم المربيات الإفرنجيات بأجور باهظة يعشن معهم فى بذخ وترف ولا يفكرون ولا يخطر ببالهم أن لهم قرآنا يجب أن يقرأوه ويفهموه ، وأن لهم ديناً يجب أن يتعلموه ويتبعوه ، والذنب فى ذلك ذنب الأبوين لا ذنب المدرسة . وما يثبت ذلك هو أنى بناتى نشأن على الإسلام الصحيح وهن فى هذه المدرسة، وأقمن الصلاة ، وصمن رمضان منذ سن العاشرة . وتمنين حج بيت الله وتوسلن إلينا ضارعات باكيات، فلما وعدتهن بالحج فى السنة المقبلة واقترحت عليهن الاختمار بعده . قالت إحداهن وكانت فى الثالثة عشر من سنيها : بل نختمر من اليوم لأن الخمار من فروض الإسلام لا من فروض الحج . فلماذا إذن نرجئه إلى ما بعد عودتنا من الحج ؟ هذه ابنتى التى دخلت المدرسة الفرنسية فى سن الخامسة تقول ذلك ، وتلك ابنة تدرس فى مدارسنا العربية سمعتها تقول لأمها وهى فى سن السابعة عشر : لن أذهب معك إلى الحج يا والدتى لأنى أخشى بعد عودتى أن تحرموني التأنق والتجمل بالأصباغ وأن تأمرونى بالاختمار . فتعجبت عندما رأيت الأم تضحك من هذا الكلام إذ لو كنت مكانها لانهمرت دموعى حسرة وحزنا وندما على مافرطت فى جنب الله

وفى تربية ابنتى . وهناك فتاة أخرى تجاوزت العشرين وتخرجت من المدارس المصرية رفضت الوضوء بالماء وتيممت بالمسحوق الأبيض (البودرة) لئلا تزيل وتفسد أصباغ وجهها وزينتها . فهل هذا هو مقدار ما يتعلمه الأولاد من الدين الإسلامى فى المدارس الإسلامية ومن الأبوين المسلمين الحاجين لبيت الله ، وهل يجوز التيمم من أجل المحافظة على أصباغ الوجه (وبمسحوق البدرة) ؟؟

وهل امتازت هذه الفتاة عن تلك التى حفظت فاتحة الكتاب بالأحرف اللاتينية ولم تماثلها جهلا وبعدا عن الإسلام ؟ فالحمد لله على فضله أن هدانا إلى الصراط المستقيم ونجانا من شر الغفلة عن ديننا وواجبنا نحو أنفسنا وغيرنا . وإن أنس فلن أنسى ما قامت به ابنتى الكبرى من أمر عظيم وهى فى الخامسة عشر من سنيها . كانت البنات يقرأن الدرس الأخير في الصفحات الأخيرة من كتاب التاريخ الدينى ، فسمعت مالا يليق بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، فما إن جاء دورها فى المطالعة حتى صرخت قائلة : لا أستطيع قراءة مثل هذا الكلام البذىء . فأجابتها الراهبة : كما تريدين . اجلسى ولا تقرأى . فقالت ابنتى : ولا أطيق أن أسمعه . فاحمر وجه الراهبة وقالت : وما ذنبى فى ذلك يا بنيتي . فإني لم أؤلف هذا الكتاب فأجابتها ابنتي : كان يجب عليكم أن تحترموا دين البلد التى أوتكم، وألا تهينوا من احترمكم ولجأ إلى مدارسكم ثم انتزعت من آخر الكتاب هذه الصفحات المدنسة ومزقتها إربا وألقت بها على الأرض . فحذت حذوها كل التلميذات المسلمات وكن ثلاث أرباع الفصل . وفعلن مثلما فعلت وكم فرحت وابتهجت لما أتت ابنتى من عمل عظيم جرىء خصوصاً عندما علمت منها بعد عدة سنوات أن هذا الكتاب منذ ذلك اليوم لم يوزع على التلميذات إلا بعد نزع هذه الصفحات اللعينة من آخره، وتصورت كم قرأت هذه الصفحات قبل ذلك أفواه تلميذات مسلمات . أفواه زينب ، وفاطمه وعائشة ، وكم سمعتها آذان خديجة ونفيسة ولم يحركن ساكنا ، إذ لم يشعرن بما يجرح قلوبهن المجردة من حب الإسلام وحب الرسول عليه الصلاة والسلام ، وذلك لأن البيت خلا من هذا الحب فخلت منه قلوبهن ، فالبيت هو الذى يفسد أو يصلح الأولاد . ومن المحال أن يستنكر الولد المعاصى وهو يعاشر من يقارفها وأن يحب دينه ويطيع أوامر ربه وهو لا يعرفها . وأن يعرفها وهو يعاشر من يجهلها ويخالفها .

الثلاثة الذين خلفوا

ثلاثة نفر أخلصوا لله وجاهدوا فى سبيله وشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً من المشاهد والغزوات وكان لهم فى تاريخ الإسلام بلاء مشكور وجهاد مبرور أولئك هم كعب بن مالك وهلال بن أمية الواقفى ومروان بن ربيعة العامرى رضى الله عنهم أجمعين .

ولكن الله الذى يمتحن عباده بالمحن والبلاء قد ابتلى هؤلاء الثلاثة ، بمحنة لولا لطف الله لعصفت بإيمانهم وطوحت بهم فى مهاوى الهلاك والشقاء ، وكثيرا ما يبتلى الله عباده ليميز الخبيث من الطيب ويظهر الزائف من الصحيح والدخيل من الأصيل وقد قال تعالى « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ » ثم يكون الجزاء فى النهاية على قدر البلاء وبحسب الصبر والرضا بالقضاء . ولا غرو فقد قال تعالى « وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ » وقال « إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ »

نعم لقد كان هذا الحادث حينما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك فى السنة التاسعة من الهجرة وكان الحر شديدا والسفر بعيدا والعدو قاسيا عنيدا وناهيكم بجيش جرار من الروم يتربص الدوائر بالمسلمين ويستعد لا للدفاع بل للهجوم ، وقد استجاب لدعوة الحق رجال من المسلمين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فنفروا للجهاد سراعا يضربون فى البيداء المترامية ويعبرون الصحراء القاسية بين الحر المرمض والسموم اللافح لا يكترثون بوعثاء السفر ووعورة الطريق ولا يثنيهم عن غايتهم ما يحيط بهم إذ ذاك من المتاعب والمخاوف والاراجيف التى يذيعها المنافقون ، بل يجدون فى طاعة الله ورسوله أمنا وسلاما وظلا ظليلا دائما يغنيهم عن ظلال الدنيا الزائلة ومتاعها الفانى القليل . !! ولعل مما يصور لنا عظمة الروح وقوة العقيدة فى نفوس أولئك المؤمنين ما وقع لأبى خيثمة الأنصارى أحد

أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فلقد تخلف عن السير مع إخوانه المجاهدين أياما ثم رجع إلى أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح والحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء فى ماله مقيم ؟ ما هذا بالنصف ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيئا لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحة فارتحل ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك .

وقعد عن الجهاد قوم من المنافقين كانوا قد أظهروا الإسلام ولما يدخل الإيمان فى قلوبهم وكانوا بضعا وثمانين رجلا غلبت عليهم شقوتهم وأصاخوا لدعوة الشيطان فتركوا دون عذر ميدان الجهاد لأنهم يحبون العاجلة وهم أحرص الناس على حياة يظنون أن أمرهم سيخفى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى إذا رجع المسلمون من ميدان الجهاد قاسموهم فى السراء دون الضراء وشاركوهم فى المغانم دون أن يشاركوهم فى المغارم .

ولم يتخلف عن الجهاد من المؤمنين المخلصين سوى كعب بن مالك ومرارة بن ربيعة وهلال بن أمية وهم الثلاثة الذين ذكرنا أسماءهم فى صدر هذا الحديث وهم الذين سماهم الله فى كتابه العزيز بـ « الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفهم أى أرجأ أمرهم إلى أن يقضى الله فيهم بأمره ولقد أخطأ هؤلاء الثلاثة ثم لم يلبثوا أن تابوا ورجعوا إلى الله وأنابوا فقبل الله توبتهم وغفر لهم خطيئتهم والله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

ولقد روى لنا كعب بن مالك قصته وقصة صاحبيه منذ تخلفوا عن ركاب إخوانهم المؤمنين المجاهدين إلى أن انجلى ليل رحلتهم وآذن الله رسوله بقبول توبتهم وها نحن أولاء نلخص لكم بمعناها لكى نقف معكم على سرها ومغزاها .

يقول كعب : إنه كان يتنقل فى المدينة منذ خرج إخوانه للجهاد فيحزنه ألا يرى فى

طرقاتها إلا طفلا صغيرا أو رجلا ضريرا أو شيخا مهيض الجناح ليس عليه فى تخلفه جُناح ولا يرى أحدا قد تخلف من الشباب والرجال الأقوياء سوى أهل النفاق والرياء .

ويقول كعب إن الرسول حينما رجع من تبوك دعانى حتى جئت بين يديه فسألنى عن أمر تخلفى وهو يَبْتَسِمُ تبسم المغضب فاعترفت بذنبى ولم أفتر الكذب .وأختلق الأعذار كما فعل غيرى من المتخلفين المنافقين . ثم دعا صاحبىَّ إليه فاعترفا بذنبهما وإذ ذاك أمهلنا الرسول حتى يقضى الله فينا بأمره ونهي الناس عن كلامنا حتى تنكرت لنا الدنيا وتغيرت وضاقت علينا الأرض بما رحبت . ويقول كعب : إن ملك غسان النصرانىَّ حينما بلغه محنتى كتب إلى يستميلنى إليه قائلا : أما بعد قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك ـ وكانما أراد الله أن يزيد فى ابتلائى بمثل هذا الكتاب هل أفتتن بالدنيا وزخرفها فأستجيب لدعوة ذلك الملك النصرانى حيث أقضى أيام الحياة بين العيش الناعم والفراش الوثير وليكن بعد ذلك فى الآخرة ما يكون ؟ أم أصبر على ما يحيط بى من المتاعب والآلام مهما تتابعت وتلاحقت طمعا فى رحمة الله وانتظارا لمغفرته ورضوانه وإيثارا للآخرة حيث السعادة والنعيم والملك الكبير ؟ ولكننى اخترت الباقية دون الفانية وآثرت الآجلة على العاجلة فقمت إلى كتاب الملك الغسانى فأحرقته فى التنور وفوضت أمرى إلى الله الذى إليه تصير الأمور .

ويقول كعب إن محنتنا استمرت خمسين يوما متتابعة ما كان أطولها وأقساها ولكننا لم نجد ملجأ من الله إلا إليه فصبرنا صبرا جميلا وجاهدنا أنفسنا جهادا طويلا حتى بدل الله العسر يسرا وجعل لنا من الضيق فرجا ومن الهم مخرجا فآذن رسوله بغفران خطيئتنا وقبول توبتنا وجاء البشير بذلك فأتينا إلى الرسول مسرعين فوجدنا وجهه يبرق من السرور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأن وجهه قطعة قمر . وإذا به يتلو علينا قول الله عز وجل « لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ

بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لاَ مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

أما أولئك المنافقون البضع والثمانون فإنهم حينما رجع الرسول من الجهاد قابلوه يحلفون بالله إنهم معذورون والله يشهد إنهم لكاذبون فلم يلبثوا حتى كشف الله أمرهم و بين للرسول عاقبتهم وذلك قوله تعالى (سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) .

(وبعد) فهذه قصة كعب وصاحبيه ومن ثناياها يتجلى لكم مثل رائع من الإخلاص الصادق والإيمان العميق والعقيدة الراسخة التي لا تعصف بها الحوادث ولا تنال منها الكوارث، ولا تزيدها تطاول الأيام إلا رسوخا وقوة وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب تهون في سبيله الصعاب ويستعذب من أجله العذاب ويستمرأ بإزائه المر والصاب .

فمن الحق عليكم أيها المسلمون أن تسيروا في حياتكم على نهج من الايمان الصادق الذي لايخادع ولا ينافق وحينئذ تحيون حياة طيبة ويؤتكم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة

محمد الطيب النجار
عضو البعثة الأزهرية بالمملكة السعودية

باب الكتب

أم القـــــــرى

للسيد عبد الرحمن الكواكبي

خير ما كتب روّاد الإصلاح الديني في هذا الجيل .

هو صيحات مجلجلة تقرع أسماع الغافلين فتثير انتباههم ؛ وصرخات مدوّية توقظ الراقدين من عميق سباتهم ، وتردهم إلى يقظة واعية تملؤهم حماسةً وغيرةً وعزماً ؛ وثورةٌ على الأوضاع الفاسدة ، والأحكام الجائرة ؛ والقوانين الظالمة ، والعقائد الباطلة ؛ لو بلغ هتافها آذان من بيدهم الأمور لامتلأوا منها فزعاً ورعباً ، ولآثروا الإصلاح إن لم يكن حباً للإصلاح فخوفاً من عواقب الفساد ، كتبه مؤلفه تغمده الله برحمته فى عصر كم فيه الاستبداد الطاغى أفواه الأحرار ، وكتم أنفاسهم ، وأحرق قراطيسهم ، وحطم أقلامهم كتبه في عصر عصفت فيه ريح الاستبداد بالدول الإسلامية جميعاً ، فأطفأت فيها أنوار العلم ؛ وركمت ظلمات الجهل ، واجتاحت الثروة ، وأشاعت الفقر ، وأودت بالصحة وسلطت المرض ، والشعوب ساكتة لا تشكو بقلم ولا لسان ، خاضعة لا تقاوم العسف ولا تكافح الطغيان ، مستسلمة لا تحاول تغيير المنكر ، بيد ولا جنان . والأمم الغربية قد نهضت من كبوتها ، وهبت من رقدتها ، وقامت تراب صدوعها ، وتصلح أمورها وتنفض عن نفسها غبار الأجيال ، وتحطم القيود ، وتصدع الأغلال ، وتتطلع إلى الأمم الإسلامية بعيون شرهة طامعة ، ولا تعرف التعفف ولا تألف القناعة ، تريد أن تبتلعها ابتلاعا ، وتلتهمها التهاما .

كتبه لينبه الأمم الإسلامية إلى مكامن دائها ، و يدلها على وسائل شفائها ، ولولا الجهل السائد ، والأمية الغالبة الطاغية لـكان لهذا الـكتاب صدى بعيد المدى عميق الأثر ، ولثل عروشاً ، ورض صوالجه ، ونزع تيجاناً . وأزال حكومات . و بدل أوضاعا .

وهو ـ مع ذلك ـ لم يكن صيحة فى واد ، ولم تذهب صرخاته مع الريح ، بل زلزلت أرسخ عرش فى الشرق ، وطارت بأعلى وأثمن تاج .

* * *

تصور المؤلف أنه قضى نحو عشرة أشهر سائحاً فى الأقطار الإسلامية يدعو البارزين من علمائها وقادة الرأى فيها إلى مؤتمر إسلامى عام يعقد بمكة المكرمة فى موسم الحج للبحث عن أسباب الفتور الشامل الذى أصاب الأمم الإسلامية ، وعن العلاج الناجع الذى يشفيها من هذا الفتور ، و يرد إليها القوة والنشاط .

وتخيل أن المدعوين لبوا الدعوة واجتمعوا « بأم القرى » مهد الدعوة الإسلامية وعقدوا اثنى عشر اجتماعا

ولم يذكر الأعضاء بأسمائهم الحقيقية ، بل بألقاب وضعها لهم واشتق لها نعوتاً من أسماء البلاد التى ينتمون إليها . أما أعلامهم الحقيقية فقد طواها تحت رموز وأرقام حتى لا يكون إعلانها سبباً فى أن الحكومات التى يخضعون لها تمسهم بأذى أو تصيبهم بمكروه ، كما كانت الحال فى تلك الأيام . إذ كان جزاء الأحرار القتل والتنكيل ، والسجن والتقييد أو النفى والتشريد .

وهذ كله من باب إحكام الصناعة ، و إبراز الخيال فى ثوب الحقيقة

* * *

وقد اختير الأستاذ المكى رئيساً لهذا المؤتمر ، والسيد الفراتي (وهو المؤلف) كاتماً لأسراره .

ففى الاجتماع الأول أورد الأستاذ المكى تاريخ الفتور وأشار إلى الانتباه الأخير ، وتكلم فى وجوب الرجوع إلى مذهب السلف ، وكشف عن قوة الأمل فى النهضة الدينية ، وأثبت وجود الأكفاء الذين لا يعوزهم إلا عون الجماعات .

وفى الاجتماع الثانى تابع الأستاذ المكى كلامه . فأفاض فى شرح شمول الفتور للمسلمين كافة ، وأعقبه الصاحب الهندى فبين أن فى الأرض أمماً أحط من المسلمين ، وليس فيها من لا يدين بدين صحيح أو فاسد . و بين ن الدين الصحيح كفيل بالسعادة والنجاح . وتكلم الفاضل الشامى فى عقيدة الجبر وما يترتب عليها من الحث على الزهد و إماتة المطالب النفيسة ، وقتل النزعات السامية كحب المجد ، والإقدام على عظائم الأمور . وأثر ذلك كله فى تأخر المسلمين .

ثم نهض البليغ القدسى فشرح حقيقة الزهد ، و بين أن سبب الفتور تحول نوع السياسة الإسلامية إذ كانت نيابية اشتراكية فصارت بعد الراشدين ملكية مقيدة بقواعد الشرع الإسلامية ثم صارت أشبه بالمطلقه ، وظهر الخلاف في أمر ضبطها ، وتحكمت فيها آراء الدخلاء ، فرجحوا الأخذ بما يوائم بقايا نزعاتهم الوثنية .

ثم قام الحكيم التونسى فتكلم فى جهل الأمراء وحرصهم على الاستبداد ، وخلفه على المنبر المولى الرومى فشرح معنى الحرية وقيمتها . و بين سبب الإخلاد إلى الخمول والملهيات

وتكلم المجتهد التبريزى فى عدم شعور المصرى والهندى بآلام غيرهما من الأمم الإسلامية ، وفى ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى سهولة إزالة المنكر ، وفى فقد الاحتساب باستيلاء الدخلاء ، ثم بين معنى طاعة أولى الأمر . ووازن بين السلطان الكافر العادل والمسلم الظالم .

وتكلم المحقق المدنى فى انحلال رابطة الرؤساء ، وفى العلماء المدلسين و إفسادهم للدين ، وفى مآخذ البدع الدينية من النصرانية وغيرها ، وفى الميل العام للبدع والتصوف ، وفى تمكن الأوهام فى الأمراء ، وفى بيان حقيقة السحر

وعاد المولى الرومى يتكلم فى ذهاب العلماء ، وضياع الدين ، وفى العلماء الرسميين ومكانهم من العلوم الدينية .

* * *

وفى الاجتماع الثالث أكمل المولى الرومى بحثه ، وتكلم فى إسناد منصب القضاء إلى

الجهال ، وفى مجاهرة بعض العلماء بمخالفة الدين . وتولية الجهال المناصب الدينية فى بعض البلاد الإسلامية وهدم قواعد الدين بأيدى أمثال هؤلاء العلماء .

ثم تكلم الرياضى الكردى فى تقصير الوعاظ والخطباء والمرشدين وعدم نهوضهم بوظائفهم الحقيقية ، ونهض بعده الفقيه الأفغانى وتناول الكلام فى أحكام الجهل بسبب الفقر .

ونهض السعيد الانجليزى بعده فتكلم فى المعيشة الاشتراكية الإسلامية ، وفي قيمة الاجتماعات والمفاوضات وتأثيرها فى نهضة الأمم .

أما الحكيم الصيني فقد قام بعد فراغ السعيد الانجليزى من بحثه وتناول الكلام فى حكام الأمة ووظائفهم ، وفى الشورى فى الإسلام .

ولم يكد يفرغ الحكيم الصينى من كلامه حتى نهض العالم النجدى فحدث المجتمعين عن تطرق الشرك وشؤمه ، و بين أن الدين الحق غير مما يدين به المسلمون فى هذه العصور .

* * *

وكان الكلام فى الاجتماع الرابع من حظ العالم النجدى وحده فتابع كلامه فى بيان حقيقة الدين ، وحقيقة الإسلام والتوحيد وشرح موارد الشرك ، وعرض للكلام فى متصوفه . الزمان وفى التشدد فى الدين .

* * *

أما الاجتماع الخامس فقد تكلم فيه السعيد الانجليزى فى معنى الكتاب والسنة وأعقبه العالم النجدى فأفاض فى بيان أسباب الاختلافات الاجتهادية وأسباب نسخ بعض الأحكام ثم سأل : هل من وسيلة لرفع التفرق والخلاف ؟ ولم يكد يغادر المنبر حتى وقف العلامة المصرى فتكلم فى تسهيل تعليم الأحكام الدينية ، وأعقبه المحدث اليمنى فتكلم فى وصف الدين فى بلاد اليمن ، وفى العلم الكافى للاجتهاد وفي طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة

* * *

وفى الاجتماع السادس تكلم الشيخ السندى عن دواعى الميل إلى الطرق ، وفى

تشديدات الفقهاء ، وفى التصوف الباطل والعرفان . ورأى الأستاذ المكى الفرصة سانحة فتكلم فى تاريخ التصوف ، وتكلم من بعده الخطيب القارانى فى بيان مزايا السماحة فى الدين وفى سمو حكمة القرآن ، وتكلم المجتهد التبريزى فى الجدل فى العقائد والفقه والتفرق فى الدين ، وفى الاجتهاد عند علماء فارس ، وفى الحيل الشرعية ومثالبها . وفى توفيق الأحكام على مقتضيات الزمان

* * *

وفى الاجتماع السابع تكلم السيد القراتى (وهو السيد عبد الرحمن الكواكبى مؤلف الكتاب) فى تلخيص أسباب الفتور وقسمها إلى دينية وسياسية وخلقية ·

وفى الاجتماع الثامن تابع كلامه فتكلم فى جهل النساء وتأثيره فى الفتور العام .

وكان الكلام فى باقى الاجتماعات من حظه وحده فعرض لقانون الجماعة و بين ما تضمنه من الأبواب

* * *

هـذا وإنك لتقرأ هـذه الأبحاث فيتخيل إليك أنها مناقشات حقيقية ، ومجادلات واقعية فى اجتماع حق ، ولا يتطرق إلى ظنك أبداً أنها خيال كاتب بارع .

وكل موضوع من هـذه الموضوعات التى تناول الكلام فيها ، وأنطق بها ألسنة من عزاها إليهم ــ يشرحه بإسهاب ووضوح عبارة تكاد تشتعل حرارة . وتلتهب حماسة .

ولقد ذيل الكتاب ببيان مزايا عرب الجزيرة ومزايا العرب عامة وألحقه ببيان للخلافة والملك

* * *

وهذا العرض الموجز جداً لأهم أبواب الكتاب لا يغنى عن قراءته بقلم مؤلفه الذى يحرك الهمم ، ويلهب العزائم ، ويستثير النفوس وليت المسلمين جميعاً يقرءون هذا الكتاب ويتدبرونه وينفذون ما جاء به من وسائل الإصلاح التى دعا إليها هذا المؤلف الحكيم فرحم الله المؤلف ، ووفق المسلمين للانتفاع بكتابه القيم العظيم ؟

أبو الوفا محمد درويش

باب التراجم

محمد بن عبد الوهاب

— ٤ —

دعوته : لم يدع ـ رحمة الله عليه ـ إلى شىء جديد غـير ما جاء به كتاب الله جل ثناؤه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فينحصر ما نادى به إجمالا فى وجوب الرجوع إلى الإسلام الحق الصحيح الذى كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الـكرام اعتقاداً وعملا ، وترك البدع ومحدثات الأمور ، والخرافات الباطلة التى لا تمت إلى الإسلام الحق بصلة وتفصيل ذلك :

١ ـ أن يحقق المسلمون معنى كلمة التوحيد، فإذا قالوا بألسنتهم : لا إله إلا الله . فعليهم أن يحققوا ذلك باعتقادهم وأعمالهم ، فلا يدعوا ، ولا يسألوا ، ولا يستعينوا ، ولا يستغيثوا إلا الله . وذلك هو التوحيد الذى جاء به القرآن . ودعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأن الله تعـالى يقول : (فلا تدعوا مع الله أحـداً) ويقول : (إياك نعبد ، وإياك نستعين) والرسول صلوات الله عليه يقول (إذا سألت فاسـأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله)

فما يفعله المسلمون من دعاء غير الله تعالى إذا مسهم الضر كقولهم: ياجيلانى ، يا بدوى، يا دسوقى ، يا رفاعى . . . أدركنى . أغثنى . . . ينافى دعوة الإسلام ، بل هو إلى الشرك أقرب منه للتوحيـد . بل هو الشرك البغيض وما يأتونه من التمسح بالثياب والأخشاب المقامة على قبور الموتى وتقبيلها والطواف حولها وشد الرحال إليها ، والخشوع عندها مجاف

لدعوة الإسلام ، إذ لا يستلم فى الإسلام إلا الركن ، ولا يقبل غير الحجر الأسود ، ولا يطاف بغير الكعبة ، ولا تشد الرحال إلا إلى المساجد الثلاثة ، ولا يخشع إلا فى الصلاة .

٢ ـ ألا يخضعوا في العقيدة والعبادة لشريعة غير ما شرعه الله ورسوله ، إذ ليس لأحد أيًّا ما يكن أن يشرع في دين الله ، أو يكلف الناس عبادة لم يأذن بها الله ، وقد نعى الله على قوم اتبعوا ما شرعه لهم سادتهم وكبراؤهم فقال عز من قائل (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله « إنهم كانوا يحلون لهم الحرام ، ويحرمون الحلال فيتبعونهم » وقال تعالى : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله . ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم)

٣ ـ ألا يجعلوا القبور مشرفة ، وألا يرفعوا فوقها القباب ، لأن الرسول عليه الصلوات بعث عليا رضى الله عنه ليسوي كل قبر مشرف ويطمس كل تمثال قائم .

٤ ـ ألا يقسموا بغير الله تعالى . لقوله صلى الله عليه وسلم « لا تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله تعالى أو ليسكت » وقوله عليه الصلاة والسلام « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

٥ ـ ألا يتوسلوا إلى الله تعالى بذوات المخلوقين وأشخاصهم ، ولا بأعمال غيرهم . لقوله تعالى : (وإذا سألك عبادي عني ، فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون .) فجعل سبحانه الوسيلة إليه الاستجابة له والإيمان به . ولقوله تعالى : (وقال ربكم : ادعوني أستجب لكم) فعلق الاستجابة على محض الدعاء ، ولم يعلقها على التوسل بأشخاص المخلوقين .

ولقوله تعالى فى الحديث القدسي « ما تقرب إلىّ عبدى بشيء أحب إلىّ من اداء ما افترضته عليه . وما زال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ... » فبين أن الوسيلة إليه تكون بأداء الفرائض والتقرب بالنوافل ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم حدث عن الثلاثة الذين أصابهم المكروه فدعوا الله تعالى بصالح أعمالهم ، فسأله أحدهم ببره والديه ، وسأله

الثانى بعفته ونزاهته عن الفاحشة خوفا من الله وسأله الثالث بأمانته ورد الحق إلى أهله من خشية الله

٦ ـ أن يحذروا البدع ومحدثات الأمور ، وألا يقوموا بعبادة يتقربون بها إلى الله غير ما شرعه الله ورسوله لقوله صلى الله عليه وسلم : (إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة) وقوله صلى الله عليه وسلم : (كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد) فالزيادة على الأذان الشرعى ـ مثلا ـ بدعة يجب اجتنابها إذ لم يكن عليها أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ولا أمر صحابته الأخيار .

٧ ـ أن يعتصموا بحبل الله جميعا ولا يتفرقوا ولا يختلفوا فى دين الله لقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) . وقوله تعالى : (إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء . إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون) . وقوله تعالى : (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) فما عليه المسلمون الآن من التفرق والاختلاف ليس من الإسلام فى شىء .

٨ ـ أن ينهض المسلمون بالتكاليف الشرعية التى افترضها الله عليهم ويجتنبوا ما حرم عليهم ، لأن الأسلام هو امتثال الأوامر واجتناب النواهي .

٩ ـ أن يستمسكوا بالفضائل ومكارم الأخلاق ، وأن يجتنبوا الرذائل التى فشت بين كثير من المسلمين .

١٠ ـ أن يحيوا واجب الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الخير إذ لا يعود للمسلمين سابق مجدهم إلا بذلك ، لقوله تعالى : (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

وهكذا جعل دعوته تدور حول محور الرجوع إلى الإسلام كما شرعه الله تعالى وكما بلغه رسوله بغير زيادة ولا نقصان . ولم يأت بشىء جديد ، ولم يناد بمبدأ أو عقيدة أو خلق يخالف ما دعا إليه الإسلام وكل ما كان يريده أن يعود الاسلام غضا كما تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم قويا كما تلقاه الخلفاء الراشدون ، صحيحا كما كان فى عهد الصحابة عليهم الرضوان .

يتبع — أبو الوفاء محمد درويش

المسلمون فى التوركستان الشرقية

جغرافيتها : التوركستان الشرقية تتصل شرقاً الى الصين والمغولستان الخارجية وشمالاً وغربا الى التوركستان الغربية (الروسية) وجنوبا الى أفغانستان وكشمير وتبت .

مساحتها : مليون وسبعمائة كيلو متر مربع . سكانها : زهاء ثمانية ملايين ، فيهم ٣٣٠٠٠٠ من جالية الصين و ٧٠ آلاف من المغول ، والباقون كلهم أتراك مسلمون .

التوركستان الشرقية بلاد زراعية يشتغل أكثر أهاليها بالزراعة ، وفيها قبائل رحالة من قبائل القزاق والقرغز وعددهم زهاء مليون واحد يشتغلون برعي المواشى ، وفيهم عدد غير قليل يشتغلون بالتجارة والصناعة يصدرون الى الهند والباكستان والصين ، والى الروسية من الحبوب ، والثمار المجففة ، والقطن والصوف ، والجلود والابريسم (القز) والسجادات والحيوانات وغيرها ، ويوردون المنسوجات والأدوية ، والشاى والسكر ، والماكينات وغيرها. أما الصناعات فأكثرها يدوية ، وفيها بضعة مصانع عصرية لدبغ الجلود وحلج القطن فقط

وتلك البلاد تابعة لسيطرة حكومة الصين منذ قرن ونصف ، يقاسى أهلها أشد الضغط من الصينيين فى شئون دينهم ودنياهم ، ويثورون عليهم آناً بعد آن ، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين

دخول الإسلام فيها دخل الإسلام فى التوركستان الشرقية فى بداية القرن الثانى للهجرة بطريق سلمية تبليغية من طرف تجار التوركستان الغربية ، ولكن ما اعترف به رسمياً إلا بعد أن اعتنق الخاقان « ستق بوغرا » الدين الحنيف ، بدعوة من أبى النصر السامانى من علماء التوركستان الغربية سنة ٣٣٢ هـ ، فغزا هذا الخاقان الكبير البلاد المجاورة لبث الاسلام فى الكفار من أتراك الشرق ، وأبناء موسى بوغرا خان ، وهارون

و بوغراخان ، وحفيـده يوسف قدرخان ، إلى أواخر القرن الرابع ، حتى دخلت القبـائل التوركية ، الذين يسكنون فى داخل الصين و بلاد المغول فى دين الاسلام ، ولما ضم يوسف قدرخان ماوراء النهر الى مملـكته قبلوا الثقافة الاسلامية منذ ثلاثة قرون ، فانتشرت الثقافة الاسلامية فى التوركستان ، وأصبحت الحروف العربية حروفا رسمية فى المدارس الدينية ، والمحاكم الشرعية بدل حروفهم التوركية القديمة ، وتركوا أزياءهم القومية القديمة ، وتزيوا بزى أهل الاسلام ، وامتلأت المملـكة بالمؤسسات الاسلامية ، من الجوامع الضخمـة ، والمدارس والمـكاتب ؛ وصار أهلها من أشد المسلمين فى التمسك بدينهم وثقافتهم الإسلامية وكان هذا القسم التوركستانى ، يعد من أثرى الأهالى الاسلامية حتى جاء المغول كالسيل الجارف الى تلك البـلاد سنة ٦١٦ هـ ، فتوقف السـير نحو الرقى برهة من الزمن ، وعين جنكيزخان محمود بك يالواج والياً على التوركستان ، فأخذ الرقى فى السير الحثيث فى دوره وفى دور ابنه مسعود بك يالواج ، ولم يصب التوركستان الشرقية ما أصـاب سائر البلاد الاسلامية من القتل والتدمير على أيدى المغول ، ولما أسلم خاقان التوركستان توغلوق تيمور المغولى اكتسب الاسلام نشاطاً جديدا وقوة هائلة دامت الى أن انقرضت دولة الجغتائيـة سنة ١١١٥ هـ بخيانة من شيخ الطريقة الصوفية النقشبندية آبات خوجه ، فأخذت البدع تنتشر فى زمنه وزمن أولاده إلى سنة ١١٧٨ هـ ، فبقى العلماء ورجال الدين معرضين للذل وخربت المدارس ، وعمرت بدلها الخانات التى تسمى (التكايا)وشاع الجهل بين العوام من الناس وانتشرت البدع والخرافات الشركية .

ولما كانت سنة ١١٧٩ انتهز الصينيون فرصة ضعف المسلمين وتفرقهم بالبدع والخرافات الصوفية فاستولوا عليها بسهولة ، وقتلوا زهاء مليون نسمة من أهلها المسلمين فى غضون ثلاث سنوات أثنـاء ثوراتهم المتمادية ، فتمكنوا بهذا من إضعاف المقـاومة ، واستحكم حكم الصينيين وسيطرتهم على البلاد ، وصـادروا الجوامع والمدارس والأوقاف . فضعف المسلمون جداً ، وبعد ستين سنة من هذا الاستيلاء ثار المسلمون ضـد الصينيين ثورة كبيرة دامت ثلاثين سنة متواليات ، وأخيرا نالوا استقلالهم سنة ١٢٨٠ هـ وأسست حكومة

إسلامية مستقلة تحت قيادة الأمير يعقوب بك ، ولما توفى سنة ١٢٩٤ هـ اختلف أولاده على الحكم ؛ فكان ذلك سبباً لطمع الصينيين فى التوركستان . فاستولوا على البلاد مرة ثانية ، وانقرضت قوة المسلمين ، ولكن المسلمين قد كانوا تركوا آثاراً كثيرة ، وكانوا قد أحيوا شعائر الاسلام بتعمير الجوامع والمدارس ، و بإرجاع الأوقاف إلى أصلها و بتأسيس المحاكم الشرعية ، الأمور التى تسببت في أن يكتسب الاسلام بعض رونقه القديم ، فمن أجل هذا رأى الصينيون بعد الاستيلاء الثانى أن لايتداخلوا فى أمور دينهم ، لأن أعز ماعند الأتراك الدين فلم يتعرضوا للآثار الإسلامية ، ولم يصادروا المساجد والجوامع والمدارس والأوقاف كما فعلوا أولا ، فبقيت هذه الحالة الى أن استولى الشيوعيون على تلك البلاد سنة ١٣٥٣ هـ فألغوا شعائر الدين ، وصادروا الأوقاف وقفلوا المدارس الدينية وسجنوا رجال الدين وقتلوهم ، فقاسى المسلمون أشد العذاب ثلاثة عشر عاماً ، فلما تخلصت البلاد من براثن الشيوعيين ، وأتت حكومة وطنيـة للمسلمين تحت وصاية الصين ،أخذت البلاد تتحسن ، فقلت البدع وراجت شعائر الدين بهمة الحكام المسلمين الوطنيين ، والعلماء الصالحين ، ولكن من سوء الحظ عاد الشيوعيون فاستولوا مرة أخرى على البلاد فى السنة الماضية سنة ١٣٦٩ ، فالمسلمون فيها يذوقون الآن سوء العذاب ، والله المستعان ، على تخليص البلاد الإسلامية وغيرها من براثن الدب الشيوعى .

محمد أمين بوغرا
حاكم التوركستان سابقاً والمهاجر إلى كشمير

همسة مهاجر فى أذن أخيه

عجبت لرجل قد علم من أسباب تأخر المسلمين وضعفهم ما لم يتوفر لكثير من الناس أن يعرفوها عجبت لهذا الذى يقول — وقوله صدق — إن من تلك الأسباب شراء الأسلحة والعدد من العدو لأن ذلك العدو إذا عرف ما عندك من السلاح والعدة لم يرهبك أو يعمل لك حساباً وضاعت الحكمة فى قوله تعالى (ترهبون به عدو الله وعدوكم). عجبت لمن سما إلى هذه الدرجة من الفهم كيف يفوته البحث عن أساس الدين الذى أرسل بسببه الرسل وأنزل له الكتب: وهى العقيدة ـ عقيدة التوحيد عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وأرضاهم . وهل كان أحد منهم يعتقد فى غير الله الرزق والمنع والرفع والخفض ؟ أو كان يقدم لغير الله شىء من الخوف أو الرجاء أو التوكل ؟ هل كان أحد منهم يتخذ الشفعاء والوسطاء يتوسل بهم إليه ؟ هل كان أحد منهم يعتقد أن مخلوقاً كائناً من كان يستطيع أن يغير فى سنن الله أو يحولها أو يبطلها ؟ وهل كان يعتقد أحد منهم أن لأرواح الصالحين القدرة على التكلم والإرشاد ؟ اللهم لا . وبرأ الله هؤلاء السلف من الضلال والفسوق والعصيان .

ففى كتب النقشبندية ومسلسلاتهم أن الخرقانى أخذ العلم من الطيفور فى قبره بعد موته بمآت السنين . وقد أعلن الخرقانى ذلك فى العالم الإسلامى . فلماذا يسكت علماء المسلمين عن الرد لمثل هذه الضلالات ؟ ثم لا يكتفون بالسكوت بل يظهرون بغضهم لمن يكشف الغطاء عن أعين المسلمين لمثل هذا الزيغ الباطل ، وتلك الخرافات المضحكة .

وبهذه القلوب وهذه العقائد يجأرون بالدعاء إلى الله تعالى يطلبون منه النصر والتأييد واستخلاص الأوطان من الأعداء وذلك جهل منهم وعمى ، فإنه سبحانه وتعالى أغنى الشركاء

عن الشرك ويترك من أشرك به أحداً فى قلبه ورجائه وخوفه لذلك الشريك الذى اتخذوه من دونه ، حتى ينزل بهم الضر ، فإذا ما نزل (دعوا الله مخلصين له الدين ، لئن أنجيتنا من هذا لنكونن من الشاكرين) عندئذ يثوب الخائب إلى رشده ويرجع الضال عن غيه فيغير ما فى قلبه بلسانه فيغير الله ما نزل به برحمته وإحسانه .

وحتى فى العبادات لا يتحرى كثير من علماء المسلمين أن يكون عمله على ما كان عليه عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الغالب من هؤلاء العلماء ليفر من العمل بل ومن القدوة الحسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم فرار الشاء من الذئاب ، وليته لجأ إلى مأوى يقيه ، أو احتمى فى حصن متين ، إنه ليفر بغبائه وبعمي بصيرته ، وبتقليده الأعمى ، وبأنه ليس من أهل العلم الذين يعلمون من كتاب الله وسنة رسوله فيعلمون الناس ما علموه فيهما ، إنه ليفر بذلك الغباء وهذا العمى إلى ما هو أعظم فى الخيبة ، وأدعى إلى الفتك بهم فى عقر حصنهم . إلى ذلك التقليد ، إلى أقوال وعادات الشيوخ والآباء ، ونسى أن بيان الدين والشريعة قد حصر كل الحصر فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون) يعلمون ذلك ويقرأوه ولكنهم عن العمل معرضون ، ولم يهتموا لقول ربهم (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) فلقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه وعند القيام من التشهد وهذا معروف مشهور مستفيض فى كتب السنة ولكن شيطان التقليد يأتى لهؤلاء العلماء فيزين لهم أن هناك تابعاً لتابع لأحد الأئمة قال بعدم الرفع . وعند ذلك تطأطىء الرأس منهم سمعاً وطاعة بل وحرصاً على هذا القول الخارج من تابع لتابع لتابع ، ولا يهتمون لما وراء ذلك من أن تبطل السنة أو تهدر الأحاديث وإنك دائماً تراهم يتشبثون بقول هذا الدعى المقلد . هذه همسة منى فى أذن أخى على سبيل التمثيل وإلا فالطامة كبيرة .

أعاذنا الله وإياهم من الزيغ وهدانا وإياهم من الضلالة إنه سميع مجيب .

محمد مخدوم

المهاجر من بخارى الى الحجاز
والإمام والمدرس بالطائف

كذبة إبريل

للأستاذ سيد هريدى

يحرص المسلمون على تقليد أوربا فى كل شىء حتى فى التوافه من الأمور ويحتفظون بسخافات الافرنج وقاذوراتهم كما يحتفظ صندوق الزبالة بكل ما يلقى فيه من القمامات .

ومن بين تقاليد الغربيين القذرة مايسمونه كذبة إبريل ، حيث يتخذون أول إبريل موسما للتندر والتفكه بإذاعة الأخبار الكاذبة ، والموطن الأصلي الذى نبتت فيه هذه السخافة القذرة هو فرنسا ، فالفرنسيون يسمون كذبة إبريل « پواسون دفريل » أى « سمكة إبريل » ويسميها الانجليز « آبرلزفول » يعنى « مغفل إبريل» .

وقد تضاربت الأقوال حول منشأ هذه العادة ، فروى بعض المؤرخين أن سبب هذه الكذبة هو أن الصيادين حين كانوا يذهبون للصيد فى أول إبريل يكون السمك مطمئنا فى مكامنه فيسهل صيده ، وحينئذ يعود الصيادون فرحين مرحين يتفكهون بإرسال الهدايا الكاذبة وهى عبارة عن طرود أو صناديق فارغة أو بإذاعة الأخبار الكاذبة ولذا أطلق الانجليز كلمة « مغفل إبريل » على كل شخص تنطلى عليه الحيلة أو الخدعة فيصدقها .

وقد قيل : ان لكذبة إبريل أسبابا أخرى تاريخية وهى أن العام الجديد منذ القرن الخامس عشر كان يبدأ بأول إبريل وكان هذا اليوم هو رأس السنة عند الشعوب القديمة ولذا كان حافلا بالشعائر القومية من عادات واحتفالات وتقاليد وفيه يتبادلون التهانى والهدايا وظلت هذه العادة جارية حتى جاء الملك شارل التاسع فى عام ١٥٦٤ ميلادية ، فألغى رأس السنة الذى كان مقرراً في أول إبريل وجعل رأس السنة فى أول يناير بدلا منه ، ولكن فريقا من الناس الذين رسخت فى عقولهم حب هذه العادة ، وسيطرت كذبة إبريل

على ذهنياتهم العتيقة ما انفكوا عا كفين على تخليد ذكرى أول إبريل واتخاذ هـذا اليوم موسما يطيرون فيـه « بالونات » الأكاذيب والشائعات والمسيلمات (نسبه إلى مسيلمة الـكذاب) .

أما كذبة إبريل من حيث أنها كذبة فهى فى نظر الشرع الإسلامى لا تجوز ، وليس ثمة مبرر يبيح استعمالها ، فلقد أنـكرت الشرائع والاديان طراً الـكذب حتى فى أبسط صوره ، فأنت إذا حاولت إسكات طفلك من البكاء بحيلة من الحيل أو خدعته بالوعود الـكاذبة كقولك له سأحضر لك شوكولاته أو سأشترى لك لعبة أو سأعطيك كذا وكذا ثم لم تفعل فإنك تسجل على نفسـك الـكذب الذى يكتب عليك عند الله ، ومن أدل الدلائل واقطعها على ذلك ما رواه عبد الله بن عامر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتنا وأنا صبى صغير ، فذهبت لألعب ، فقالت أمى : يا عبد الله ، تعال حتى أعطيك ، فقال صلى الله عليه وسلم : وماذا تعطيه ؟ قالت : تمرا ، قال : « أما إنك لم تفعلى لـكتبت عليك كذبة » . وحكى عن الإمام أبي عبد الله البخارى أنه سافر إلى بعض الأقطار ليستوثق من صحة بعض الأحاديث عند رجل كان يحفظها ، فلما أن بلغ دار الرجل وجده ينادى على جمل له قدجفل منه . وقد جمع أطراف ثوبه ليستدرج الجمل إليه موهما إياه بأنه يحمل له العلف وما كان به شيء . فقال الإمام : إن رجلا يخدع الحيوان ويكذب عليه لا يؤتمن على صدق الحديث ، ثم عاد الإمام أدراجه ولم يسأله عن شيء وهكذا حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى من الـكذب فى المزاح وأنذر المتفكهين بالـكذب بالويل والثبور فقال : « ويل للذى يحدث فيكذب فيضحك القوم ويل له . ويل له » . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « إن الإنسان ليتكلم بالـكلمة ليضحك بها القوم فيهوى فى جهنم سبعين خريفاً » . فاللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وأعمالنا من الرياء ، وألسنتنا من الـكذب ، وأعيننا من الخيانة إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور

أحسن ما قرأت

المساواة الانسانية

الإسلام : كفل للمرأة مساواة تامة مع الرجل من حيث الجنس ، ولم يقرر التفاضل إلا فى بعض الملابسات المتعلقة بالإستعداد أو الدربة أو التبعة ، مما لا يؤثر على حقيقة الوضع الإنسانى للجنسين ، فحيثما تساوى الإستعداد والدربة والتبعة تساويا ، وحيثما اختلف شيء من ذلك كان التفاوت بحسبه .

ففى الناحية الدينية والروحية يتساويان (ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا) . (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فَلَنُحْيِيَنَّهُ حيـــاة طيبة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) . (فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيعُ عملِ عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى ، بعضكم من بعض).

وفى ناحية الأهلية للملك والتصرف الاقتصادى يتساويان : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) (للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن) .

فأما إيثار الرجل بضعف المرأة فى الميراث ، فمرده إلى التبعة التى يضطلع بها الرجل فى الحياة ، فهو يتزوج امرأة يكلف إعالتها ، وإعالة أبنائهما ، وبناء الأسرة كله هو مكلف به . فمن حقه أن يكون له مثل حظ الأنثيين لهذا السبب وحده ، بينما هي مكفولة الرزق إن تزوجت ، بما يعولها الرجل ، ومكفولة الرزق إن عنست أو ترملت ، مما ورثت من مال . فالمسألة هنا مسألة تفاوت فى التبعة اقتضى تفاوتاً فى الإرث .

وأما أن الرجل قوام عليها (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض. وبما أنفقوا من أموالهم) فوجه التفضيل هو الاستعداد والدربة والمرانة فيما يختص بالقوامة . فالرجل بحكم تخلصه من تكاليف الأمومة يواجه أمور المجتمع فترة أطول ، ويتهيأ لها بقواه الفكرية جميعاً ، بينما تحتجز هذه التكاليف المرأة معظم أيامها .

فوق أن تكاليف الأمومة تنمى فى المرأة جانب العواطف والانفعالات بقدر ما ينمو فى الرجل جانب التأمل والتفكير . فإذا جعلت له القوامة على المرأة فبحكم الاستعداد والدربة لهذه الوظيفة ، فوق أنه المكلف بالإنفاق ، وللناحية المالية صلة قوية بالقوامة ، فهو حق مقابل تكليف ، ينتهي حقيقته بالمساواة بين الحقوق والتكاليف فى محيط الجنسين ومحيط الحياة . (ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة) : هى درجة القوامة التى بينا أسبابها . ولقد يبدو أن هناك تفضيلا آخر فى مسألة الشهادة (واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ، أن تضلّ إحداهما فَتُذَكِّرَ إحداهما الأخرى) . وفى الآية نفسها بيان العلة فالمرأة بطبيعة وظائف الأمومة ينمو فى نفسها جانب العواطف والانفعالات بقدر ماينمو فى الرجل جانب التأمل والتفكر كما أسلفنا فإذا نسيت أو جرفها انفعال كانت الثانية مذكرة لها ، فالمسألة هنا مسألة ملابسة عملية فى الحياة ، لا مسألة إيثار جنس لذاته على جنس وعدم مساواة .

وحسب الإسلام ما كفل للمرأة من مساواة دينية ومن مساواة فى التملك والكسب ، وما حقق لها من ضمانات فى الزواج بإذنها ورضاها ، دون إكراه ولا إهمال ، وفى مهرها . (فآتوهن أجورهن فريضة) وفى سائر حقوقها الزوجية ، زوجة أو مطلقة (فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) (وعاشروهن بالمعروف) .

ويجب أن نذكر أن الإسلام ضمن للمرأة هذه الحقوق ووفر لها كل هذه الضمانات ، بروح إنسانية خالصة ، ليست مشوبة بضغط الاقتصاديات والماديات .

فلقد حارب فكرة أن المرأة عالة يحسن التخلص منها وهى وليدة ، فحارب عادة الوأد التى كانت معروفة فى حياة بعض القبائل العربية حربا لا هوادة فيها ، وعالج هذه العادة

بنفس الروح الإنسانية الخالصة التى ينظر بها إلى البشر ، فهى نهى تحريم عن القتل عامة لم يستثن (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) ونهى بالتخصيص عن قتل الأولاد ـ وما كان يقتل من الأولاد سوى الإناث ـ (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق . نحن نرزقهم و إياكم) وقدم رزق الأولاد فى هذه الآية لأنهم سبب الخشية من الإملاق ليملأ صدور الآباء ثقة برزق الله وكفالته للأولاد قبل الآباء ! . . .

ثم استجاش وجدان العدل والرحمة وهو يقول عن يوم القيامة : (و إذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت ؟) فجعل هذا موضع سؤال بارز ظاهر فى ذلك اليوم الرهيب . فالإسلام إذن حين منح المرأة حقوقها الروحية والمادية كان ينظر إلى صفتها الإنسانية و يسير مع نظريته فى وحدة الانسان (خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها » . وكان يريد رفعها إلى حيث يجب أن يكون شطر « النفس » الواحدة . ولهذا منحها بجوار حق الإيمان الروحى ، والتملك المادى ، حق الثقافة العقلية ، بل جعلها واجبا . « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كما منحها حق التزكى بالمال بل فرضه فرضا . فالزكاة مفروضه عليها كالرجل . والصدقة كذلك نصيبها منها نصيبه (إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم) و يجب إذ نذكر هذا للإسلام ، أن نذكر بجانبه أن الحرية التى منحها الغرب المادى للمرأة لم تفض من هذا النبع الإنسانى الكريم ، ولم تكن دوافعها هى دوافع الإسلام البريئة .

و يحسن ألا ننسى التاريخ ، وألا نفتتن بالقشور الخادعة التى تعاصرنا اليوم . يحسن أن نذكر أن الغرب أخرج المرأة من البيت تعمل ، لأن الرجل هناك نكل عن كفالتها وإعالتها ، إلا أن يقتضيها الثمن من عفتها وكرامتها !. عندئذ فقط اضطرت المرأة أن تعمل !

و يحسن أن نذكر أنها حين خرجت للعمل انتهز الغرب المادى حاجتها واستغل فرصة زيادة العرض ليرخص من أجرها ، وليستغنى أصحاب الأعمال بالمرأة الرخيصة الأجر عن العامل الذى بدأ يرفع رأسه و يطالب بأجر كريم !

وحين طالبت المرأة هناك بالمساواة ، كانت تعنى أولا بالذات المساواة فى الأجور لتأ كل

وتعيش ! فلما لم تستطع هذه المساواة طالبت بحق الانتخاب ليكون لها صوت يحسب حسابه ثم طالبت بدخول البرلمانات ليكون لها صوت إيجابى فى تقرير تلك المساواة ! .

ويحسن ألا ننسي أن فرنسا ظلت إلى اليوم لا تمنح المرأة حق التصرف في مالها ـ كما يمنحها الإسلام ذلك ـ إلا بإذن وليها ، على حين منحتها حق الدعارة كاملا بصفة علنية أو سرية ! . وهذا الحق الأخير هو الحق الوحيد الذى حرمه الاسلام المرأة ! لأنه حرمه الرجل كذلك ، رعاية لكرامة الانسان وشعوره ، ورفعا لمستوى العلاقات الجنسية أن تكون علاقة أجساد لا تربطها رابطة من بيت ولا أسرة .

ويجب حين نرى الغرب المادى يقدم المرأة اليوم فى بعض الأعمال على الرجل وبخاصة فى المتاجر والسفارات والقنصليات وفى الأعمال الأخبارية كالصحافة ونحوها . .

يجب ألا نغفل عن المعنى الكريه الخبيث فى هذا التقديم . إنه معنى النخاسة والرقيق فى جو من دخان العنبر والأفيون ! إنه استغلال للحاسة الجنسية فى نفوس « الزبائن » فصاحب المتجر ، كالدولة التى تعين النساء فى السفارات والقنصليات ، كصاحب الجريدة الذى يدفع بالمرأة إلى التقاط الأحاديث والأخبار . . كل منهم يدرك فيم يستخدم المرأة ، ويعرف كيف تحصل المرأة على النجاح فى هذه الميادين ، ويعلم ماذا تبذل للحصول على هذا النجاح ! فإن لم تبذل هى شيئا ـ وهو فرض بعيد ـ فهو يدرك أن شهوات جائعة ، وعيونا خائنة ، ترف حول جسدها وحول حديثها ، وهو يستغل ذلك الجوع للكسب المادى والنجاح الصغير ! لأن المعانى الإنسانية الكريمة منه بعيد بعيد ! .

فأما الشيوعية فذات دعوى عريضة فى مساواة المرأة بالرجل . والمساواة هى المساواة فى العمل والأجر . ومتى استوى العمل والأجر ، فقد تحررت المرأة وأصبح لها حق الإباحية كما هو حق للرجل ! لأن المسألة فى عرف الشيوعية لا تعدو المال . فكل الدوافع البشرية وكل المعانى الإنسانية ، كامنة فى هذا العنصر وحده من عناصر الحياة ! .

والحقيقة فى صميمها هى نكول الرجل عن إعالة المرأة ، واضطرارها أن تعمل مثله وفى دائرته لتعيش ، فالشيوعية ـ بهذا ـ هى التكملة الطبيعية لروح الغرب المادية ، الفاقدة

للأريحية ، وللمعانى الروحية فى حياة البشرية يجب أن نذكر هذا كله قبل أن يخدع أبصارنا الوهج الزائف . فالاسلام قد منح المرأة من الحقوق منذ أربعة عشر قرنا مالم تمنحه إياها فرنسا إلى اليوم . وهو قد منحها حق العمل وحق الكسب الذى منحته لها الشيوعية اليوم ولكنه أبقى لها حق الرعاية فى الأسرة ، لأن الحياة عنده أكبر من المال والجسد ، وأهدافها أعلى من مجرد الطعام والشراب . ولأنه ينظر إلى الحياة من جوانبها المتعددة ويرى لأفرادها وظائف مختلفة ، ولكنها متكافلة متناسقة . وبهذه النظرة يرى وظيفة الرجل ووظيفة المرأة ، فيوجب على كل منهما أن يؤدى وظيفته أولا : لتنمية الحياة ودفعها إلى الأمام ، ويفرض لكل منهما الحقوق الضامنة لتحقيق الهدف الانسانى العام .

(نقلا عن كتاب العدالة الاجتماعية فى الاسلام . للأستاذ الكبير سيد قطب .)

محمد رشدى خليل

الأساس... الأساس...

أساس استعادة مجد العروبة والإسلام جامعة إسلامية قوية حية متماسكة متحدة، لا تعرف الحدود الجغرافية، ولا التقسيمات السياسية، ولا فروق الأجناس التى ابتدعها الشعو بيون. فالمسلم أخو المسلم.. يشعر بآلامه، ويشاركه مصيره، ولا قيمة للمسافات، ولا وزن للحدود، ولا عبرة بالفواصل، فطريق المجد جامعة تزول بها الحدود المصنوعة وتتمزق الفواصل الواهية، وتمحى الألوان الباهتة التى صبغت بها الخرائط بأيدى الأورو بيين الملوثة، فتجمع الناس عامة والمسلمين خاصة حول مجتمع يحتضن دعوة الإسلام، ويحمل فى طياته الخلود، ويتقلب فى أعطافه الحق، ويشع من أجوائه العلم والنور، وينبعث من نواحيه الدين والعمران فيبصر الناس بواجبهم وبحقيقة موقفهم فى خضم السياسة الدولية، ويمكن الشعوب من تولى زمامها بأنفسها، ويرسم لكل أمة السياسة الإصلاحية الواجبة فى الداخل، والسياسة الاستقلالية المطلوبة فى الخارج، وينظم الأحوال المادية للحياة الاجتماعية، ويحاسب الناس بما كسبت أيديهم من غير حق، والله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم، فعلى المسلمين أن يخرجوا من الصمت، ويفكروا كرجال استخلفهم الله فى الأرض، ويعملوا أعمالاً ذات قيم فى موازين الحياة المادية تدخلهم فى رحاب القوة، وتعطيهم صولجانها وتحميهم فى أكناف الأرض من عدوان كل ذى عدوان، فقد طال بالعليل الأمد (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فلابد من جامعة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، ومجتمع ينتفى منه الظلم، ويسوده تآمر بالمعروف، وتناه عن المنكر لا يعرف هوادة، وتكافل فى الحياة يكاد يكون

وحدة ، وتعاطف بين الآحاد يوم بالقرابة ، واندفاع لتحقيق الأغراض البعيدة لا يدخر فيه وسع ، واندماج بين الطبقات تزول معه الفوارق ، وتضحية بالمصالح الذاتية فى سبيل الخير العام ، وجهاد للوصول إلى المثل العليا لا يلحظ فيه تسويف ، وتلمس للعلم من مظانه جميعها وتصيد للحكمة أنى وجدت ، ومعاملة الأغيار بما نعامل به أنفسنا من الرحمة والمساواة والعدالة ، فقد تداعت أمم الكفر والإباحية والإلحاد على الإسلام ، كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، كل أمة منها تريد أن تبتلع قطعة من الوطن العظيم لتستذل أبناءه وتستعبدهم ، أو تردهم عن دينهم ، ولا خلاص لنا مما نحن فيه من نكبات لاتفتأ تتهدد الحياة الإنسانية ، وتملأ مستقبلها بالغيوم بالرجوع إلى الدين حتى تكون لنا جامعة تعيد للإسلام العزة والمجد ، وتضع فى يد المسلمين القيادة والحكم ، وتمنح كافة الأمم نصيبها المفروض لها من الحرية والتطلع والاعتزاز ، وتتعرف الأمور من وقائع الدنيا ، وتعلم أن المسلمين على موعود من الله ، وأن الله منجز وعده . وناصر جنده ، وتكون قاعدة تعاون تام . وتضامن عام فى بناء مجتمع على أساس إسلامى يحارب الأنانية فى صدور الأمم ، ويقاتل الحقد فى قلوب العالم ويكافح الركود والجمود فى بلاد الإسلام ، ويحفظ قول الله تعالت آياته (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) ويجعل أغنيته قول الحميد المجيد (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وقوله عز مجده (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . . .) .

* * *

ياحماة الإسلام : إن سبيل النهضة يجب أن تبرز فيه أولا قيم الفضائل الإنسانية فيدرك الفرد أن لابد له من الصدق والوفاء والعزيمة ليكون رجلا . وتدرك الجماعات أن لابد لها من التعاون والتكافل والتناصر ليكون دعائم الأمة الموحدة ، والكتيبة التى تحرس البحر الأبيض فى بور سعيد وجبل طارق وتحمى البحر الأحمر فى السويس وعدن ، وتذود عن البحر الأسود فى الدردنيل والبسفور . وتكافح الطغيان على المحيط الهندى فى سنغافورة وإن نهضة المسلمين وعزتهم وقوتهم كلها مرتبطة بأخوتهم ، فو الله مادخل العدو علينا

وأحاط الضعف بنا إلا حين نسينا وحدتنا وأهملنا أمر ديننا . فتمكنت فينا نوازع الفرقة . وأصبحنا شيعاً وأحزاباً . واختلفنا فى كل شىء . فتمرد علينا الشقاء المر ، وطالعتنا الحقيقة التى لامناص منها ، وغدونا فلول بأقطار العالم ذليلة تتخطفنا فى كل أرض ثعالبه ، وتتطاول علينا فى كل مكان كلاب . . ! !

هل ضرب الله على أصمخة القوم ، فناموا وأغرقوا فى النوم ؟ لماذا وفر الزمان نصيبنا من النكبات . وأوفى لنا الكيل من المنايا الكالحات والمصائب الداميات ونحن نؤمن بأن وقائع الدنيا وأنباء التاريخ تشهد على أن حقوق الشعوب لا تصان إلا إذا سلت لحمايتها السيوف . وأن حريات الأمم لا تحترم مالم تثر للذود عنها عزمات المستبسلين ، وأن شرف العقائد والمبادىء لا يسلم حتى تراق على جوانبه الدم . ! .

ابحثوا معى عن السر فى تقدم أمة من الأمم ، أو سيادة شعب من الشعوب ، فستجد أن المقادير لم تمنحها مقاليد الأمور عفواً ، أو سيادة الشعوب عبثاً . بل عن خبرة بمطالب المجد ، ووحدة تقوم على عزة النفس وعلو الهمة ، وطهارة العقيدة

هل لنا أن نفهم أن كل أمة من الأمم تطمح إلى السيطرة على الدنيا بأسرها وأن كل دولة قامت تفكر وتقدر . وتأخذ من الماضى للحاضر ، ومن الحاضر للمستقبل ، وتستخرج من الخطأ صواباً . ومن الضعف قوة . ومن الموت حياة . ومن الحياة مجد الخلود

هل لنا أن نفهم هذا فنتحرك . ونعمل عقولنا فى المباحث . ونرسل البصر وراء البصيرة فنكشف من المسطور حجاب المكنون . . أم نردد الشكوى أسفاً ونقلب الكفين حزناً . ثم نرضى حانقين . أو نسكت غاضبين . أو ننطلق صاخبين ؟ ! .

فى الحق لقد نضج القول فى دعواتنا حتى احترق . وما بقى إلا أن نعمل من غير أن نهاب فشلا . أو نرهب تضحية ، ونبذل الوقت والمال راضين مغتبطين . ونضحى بالدم والحياة لنكتب صفحة المجد من جديد .

* * *

أيها المسلمون فى آفاق الأرض . . أيها العرب فى كل بلد . وتحت كل كوكب

إن هذا القلق لابد أن يعقبه استقرار . ولن يكون استقرار مابقى الظلم . ولن يكون ظلم ما تحفز المسلمون للعمل واستعدوا له . ولن يكون عمل واستعـداد ما لم نرجع إلى رسالة السماء . ونتلقى دروس الإصلاح على يديه الكريمتين ولقد جاء الإسلام لحقق للناس العدالة بعد الظلم . والعلم بعد الجهل . ومنحهم الحرية والمساواة بعد التسلط والاستعباد وفرض على المسلم أن يكون صديق الحياة والحضارة والمدنية والنور . وأن يدرك معنى الوجود فيسير فى الحياة على ضوء ضميره وثقافته إلى المثل العليا التى يقررها الإسلام فى دعة المطمئن المبتسم لكل مايريده الله تعالى . وأوجب عليه أن يعيش سهلا صريحاً لا غموض فيه ولا التواء ويشعر شعوراً قوياً بأنه إنسان يجب أن يحيي مع الإنسانية كلها دون أن يخفى عليه من أمرها شىء ووضع الأساس الصحيح للمدنية الحقة فلم يخول لطائفة من الأمة حق السيطرة على الأفراد فى الاعتقادات والمعاملات وقرر أن كل امرىء بما كسب رهين . ثم إنه وسع للناس باب المعاملات وأوصى بحسن معاملة الأجانب . وبرهم والقسط إليهم وأباح التزوج من نسائهم . وحرم أن يتدابر أهل الأديان ويتنابذوا ويتلاعنوا حتى قال يوزورث إيمت : « إن محمداً بلا نزاع أعظم المصلحين على الإطلاق » . وقال أدموند بورك الانجليزى : « إن القانون المحمدي قانون ضابط للجميع من الملك إلى أقل رعاياه وهو قانون نسج بأحكم نظام قضائى ، وأعظم تشريع علمى ، وأجمل قضاء منير ، ماوجد مثله فى هذا العالم » .

* * *

أيها المكبلون فى القيود والأغلال إن لكم رسالة تضفر على جبين الإنسانية إكليل الغار الذي لا يذبل ، وتقلد جيد المسلمين بقلادة المجد الذى لا يزول . فهيا ! ! . اختاروا لأنفسكم أنقى صحف المجد والخلود ، والله معكم ، ولن يتركم أعمالكم ، وإن تنصروا الله ينصركم ، وإن ينصركم الله فلا غالب لكم ؟ .

محمود محمد السلاوى

الزقازيق : نبايوس مدرس

خير دينكم أيسره

فى محراب الإسلام تدفقت جداول اليسر لا تشاب بزيف الشدة ولا تترجرج فيها مبادىء اليأس والخول . لعاشق الحق فيها ارتواء وللحائر على شطآنها اهتداء وللخائف من موجاتها أمان وكل من اغترف منها لا يمسه نصب الشك ولا ظمأ الإلحاد ولا دوار التردد ولا غول التنطع ، فى محراب الإسلام موقظات الأمم وباعثات الهمم ، فى محراب الإسلام وعلى مائدته ما تشتهى من ألوان اليسر وما تتوق إليه من طرائف فيها للعقول متاع وللتقوى غذاء وللأرواح شفاء ، وإن دينا ينادى نبيه بقوله « يسروا ولا تعسروا ، بشروا ولا تنفروا » ليأخذ أفواه الطريق على خصومه من المتنطعين فلا يترك لهم فجوة يتخلصون منها . إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ، لأن أحب العمل إلى الله ماداوم عليه صاحبه وإن قل ، ومصداق ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم « خذوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا » وقوله تعالى (إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون)

ولقد استقرأ الفقهاء موارد التخفيف في الشريعة فوجدوه يأتى على سبعة أنواع . أحدها : إسقاط العبادة فى حال العذر القاضى بذلك . ثانيها : التنقيص من المفروض كالفطر فى السفر . ثالثها : الإبدال كإبدال الوضوء بالتيمم . رابعها : التقديم كالجمع بعرفات خامسها : التأخير كالجمع بمزدلفة . سادسها التغيير كتغيير نظم الصلاة لوقت الخوف . . سابعها : الترخيص كأكل الميتة عند المخمصة .

وإن الأدلة على رفع الحرج فى هذه الأمة قد بلغت مبلغ القطع كقوله تعالى (وما جعل عليكم فى الدين من حرج) وسائر ما يدل على هذا المعنى كقوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) (ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم) على أن الأخذ بالرخصة هو الأولى ؛ لأنها تضمنت حق الله وحق العبد معا فإن العبادة المأمور بها واقعة على مقتضى الرخصة لا أنها ساقطة رأسا بخلاف العزيمة لأنها تضمنت حق الله مجردا والله تعالى غنى عن العالمين وإنما العبادة راجعة إلى حظ العبد فى الدنيا والآخرة فالرخصة أحرى لاجتماع الأمرين فيها ويقول ابن

عباس«الرخصة صدقة من الله فهل يرضى أحدكم أن يرد صدقة الله ؟ »ولأمر ما قال النبى صلى الله عليه وسلم « أنا رحمة مهداة » على أن مقصود الشارع من مشروعية الرخصة الرفق بالمكلف وعدم تحمل المشاق فالأخذ بها مطلقا موافقة لقصده بخلاف الطرف الآخر فإنه مظنة التشديد والتكلف والتعمق المنهى عنه فى الآيات والأحاديث كقوله تعالى (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) وفى الحديث « هلك المتنطعون ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» ونهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التبتل وقال « من رغب عن سنتى فليس منى » بسبب من عزم على صيام النهار وقيام الليل واعتزال النساء ، وأيضا فإن ترك الترخص قد يؤدى إلى الانقطاع عن الاستباق إلى الخير والسآمة والملل والتنفير عن الدخول فى العبادة وكراهية العمل وترك الدوام وذلك مدلول عليه من الشريعة بأدلة كثيرة فإن الإنسان إذا توهم التشديد أو طلب منه أو قيل له فيه كره ذلك ومله . و إذا علمنا بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما كان لزاما علينا التأسى بهديه . ولقد نهى عن الوصال فلما لم ينتهوا واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال صلى الله عليه وسلم«لو تأخر الشهر لزدتكم» كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا. وقال« لو مد لنا فى الشهر لواصلت وصالا يدع المتعمقون تعمقهم » وقد قال عبد الله بن عمرو ابن العاص حين كبر«ياليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم»وفى الحديث«هذه الحولاء بنت تويت زعموا أنها لا تنام الليل فقال صلى الله عليه وسلم : لا تنام الليل ؟ خذوا من العمل ما تطيقون » وحديث إمامة معاذ بن جبل حين قال له النبى صلى الله عليه وسلم « أفتان أنت يامعاذ » وقال رجل إنى لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا قال فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موعظة أشد غضباً منه يومئذ ثم قال « إن منكم منفرين منفرين »وحديث الحبل المربوط بين ساريتين سأل عنه عليه الصلاة والسلام؟ قالوا : حبل لزينب تصلى فإذا كسلت أو فترت أمسكت به،فقال صلى الله عليه وسلم «حلوه ليصلى أحدكم نشاطه فإذا كسل أو فتر قعد » وقال « إن منكم منفرين فأيكم ماصلى بالناس فليتجوز فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة »

فسيروا على سيرى فإنى ضعيفكم وراحلتى بين الرواحل ظالع

وأشباه هذا كثير . فترك الرخصة من هذا القبيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم« ليس

من البر الصيام فى السفر » وان شئت فاستمع أيها القارىء الكريم إلى قول الشاطبى فى كتابه « الموافقات فى أصول الأحكام »

(فصل) فاعلم أن رفع الحرج عن المكلف لوجهين .

أحدهما : الخوف من الانقطاع من الطريق و بغض العبادة وكراهية التكليف و ينتظم تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه فى جسمه أو عقله أو ماله أو حاله .

والثاني : خوف التقصير عند مزاحمة الوظائف المتعلقة بالعبد المختلفة الأنواع مثل قيامه على أهله وولده إلى تكاليف أخر تأتى فى الطريق فربما كان التوغل فى بعض الأعمال شاغلا عنها وقاطعا بالمكلف دونها

وغنى عن البيان أن الاسلام قد فتح باب اليسر على مصراعيه . اليسر الذى تداعيه روح من الحياة الباسمة والآفاق الضاحكة . اليسر الذى رقصت على حواشيه أطياف من الأمل وروح الإسلام ــ يعلم الله ــ لبراء من معايير تقوم على التنطع والسبح قرب شواطىء تحتضن الضحل من الأفكار والكدر من الأغراض المزيلة والأهداف السطحية . فيروى عن السيدة عائشة رضى الله عنها « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال رحمة لهم قالوا إنك تواصل فقال صلى الله عليه وسلم ؟ إنى لست كهيئتكم ، إنى أبيت يطعمنى ربى و يسقينى » ألم يقل صلى الله عليه وسلم إن لنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا ؟ ألم يقل الله عز وجل. (إن الله كان بكم رحيما) ؟ فهو بذلك يشير إلى رفع الحرج عنهم لأنه أرفق بهم .

ولعل فى هذا مايستهوى الأفئدة و يجتذبها إلى حيث يكون اليسر الذى يبعث الابتسام للحياة من قلب المؤمن ، ودين هذا شأنه سيجد إلى القلوب منفذا و إلى العقول مخلصا بدون حاجة إلى دعاة من المتنطعين الذين يشيعون من النفوس روح التكاسل والملل و يثبطون العزائم لأن فى أعماق الجنس البشرى ترسب الحاجة إلى اليسر والسهولة .

محمد احمد عطيفى الشامي

بمعهد التربية العالى للمعلمين

العريضة التي قدمتها جماعة أنصار السنة المحمديه

إلى حضرة صاحب الجلالة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

بعد تقديم آيات الإخلاص والولاء لسدتكم العلية .

يتشرف برفع هذا إلى مقام جلالتكم السامي ـ رئيس وأعضاء جماعة أنصار السنة المحمدية

يا صاحب الجلالة : إن هذه الجماعة التي تعمل منذ نشأتها على مساعدة الدولة فى تعليم الناس الدين الصحيح و بث الروح الإسلامية من السماحة وحب الخير وطاعة أولى الأمر . مع البعد دائما عن العنف والفوضى وتحريم الفتك والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

هذه الجماعة الوادعة التي لم تبتغ ولا تبتغى من وراء عملها إلا وجه الله والدار الآخرة . هـذه الجماعة التي أخذت نفسها على السير فى جميع شئونها على ما أمر الله وعلى ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى ما كان عليه الرسول وأصحابه وخلفاؤه . هذه الجماعة قد فتحت عينيها وتلفتت حواليهما . فرأت و يا لهول ما رأت . رأت مؤامرة محبوكة الأطراف منظمة الحركات من أعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمستشرقين ثم من البلاشفة الملاحدة يعملون على القضاء على ما بقي من الصور الإسلامية فى هذا البلد .

إن هؤلاء ـ يا صاحب الجلالة ـ اتخذوا من النساء نساء المسلمين مطايا لتنفيذ أغراضهم فأخرجوها من مملكتها فى البيت والزوجية والأمومة والأطفال فذهبت بتلقين هؤلاء الخبثاء ـ تشترك فيما زعموه لها أعمال خير ـ وهى شر وفساد كله ـ من المعارض والأسواق والمستشفيات والمبرات ـ ثم تدرجوا بها فأنشأوا لها الجمعيات والأحزاب ثم دفعوها تطالب بالمساواة بالرجال وتطالب بتقييد الطلاق وتعدد الزوجات و إلغاء بيت الطاعة وتطالب بمشاركة الرجل والمساواة معه فى جميع وظائف الدولة بل وفى عضوية البرلمان .

إن جماعة أنصار السنة المحمدية لتستغيث بكم لدفع هذا البلاء ووضع حد لهذا العبث الماجن

إن جماعة أنصار السنة المحمدية تستنكر أن يحدث هـذا فى مصر مثابة المسلمين وعلى رأسها المالك الصالح الذى لا يمضى يوم إلا وتؤثر عنه لفتة إسلامية كريمة .

يا صاحب الجلالة لقد نام رجال الدين عن الذود عن الدين الذى يتأكلون به وشغلهم الرغيف وألهتهم الدرجات . فمن للدين غير الفاروق . فإلى ساحته نفزع وإلى رحابه نتقدم . فبكلمة منه توضع الأمور فى نصابها : وسيذكر التاريخ أن الفاروق أنقذ الإسلام فى عصره . وسيدخر الله له الثواب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

إن الله العليم الحكيم الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى قد خلق الرجل لهذا الشأن من العمل الشاق الخشن وخلق المرأة للزوجية والحمل والولادة ورعاية الطفل وتكوين الأسرة وإنه لشأن وعمل أعظم من شأن الرجل وعمله فهى التى تقدم للامة الرجال الصالحين ذوى الخلق المتين والضمائر الحية العامرة بحب الوطن .

فالمرأة إنسان لها ما للرجل وعليها ما على الرجل وهما أمام الله وأمام الدين سواء . وقد جعل هذا على وظيفة وعمل وشأن يناسب خلقه وتكوينه وأعضاءه . وجعل هذه على وظيفة وعمل وشأن يناسب خلقها وتكوينها وأعضائها ولا يمكن أن يكون أحد النوعين أفضل من النوع الآخر وإن كان الله سبحانه الذى يعلم أنه لا يمكن أن يتم نظام ولا أن توفق جماعة إلا برآسة قد جعل هـذه الرآسة للرجل لأنه يعلم أنه أقدر على القيام باعبائها بحكم تكوينه وخلقه .

فإذا خرجت المرأة على سنة العليم الحكيم القاهر فوق عباده فلن تحطم إلا نفسها ولن تحطم معها الا هذه الأمة المسكينة فهى لن تصلح بعد ذلك للبيت كما أنها لن تصلح لخارج البيت .

يا صاحب الجلالة . إن الغرب له نظامه وتقاليده . وإن الشرق له دينه وله نظامه وتقاليده المبنى على ذلك الدين .

فأدرك الشرق وأدرك الإسلام أيها الفاروق أعز الله بك الإسلام ونصر بك الدين .

وتفضلوا يا صاحب الجلالة بقبول عظيم اجلالنا واحترامنا .

تحريراً فى ٢٤ جماد أول سنة ١٣٧٠ الموافق ٢ مارس سنة ١٩٥١



تأليف

حرم

الدكتور محمد رضا

عضو

جماعة أنصار السنة المحمدية

تظهر قريبا إن شاء الله تعالى

طبعته الثانية

منقحة ومزيد عليها زيادات مهمة

تجده مع باعة الصحف يوم ١٤ / ٤ / ١٩٥١ م

هو خير رسالة توجه المرأة المسلمة إلى طريق الحياة الإسلامية الصالحة فتخدم أسرتها وأمتها أجل خدمة

وهو من رسائل نصيرات السنة المحمدية

احرصوا على اقتنائه، فهو خير ما يحفظ لبيوتكم سعادتها، صلاح مملكة البيت وفلاح الأسرة فى تخريج جيل ينفع الأمة ويبوؤها المكانة العزيزة فى الحياة

العدد ٨ المجلد ١٥

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

شعبان سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير

محمد حامد الفقي

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبى ــ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدي النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوي

٢٠ ص في مصر والسودان

٣٠ في الخارج

الإدارة : ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

بقية العرض الإجمالي

لسورة النحل

بعد أن ذكّر الله الإنسانَ الظالم لنفسه بمخاصمته لربه - بما منّ وأنعم عليه في خلقه، وفيما سخر له، وأنه ومعبوديه من دون الله في الخلق والفقر والحاجة سواء، لو عقل :-
كشف على سبيل التعجيب والاستنكار حال ما عليه الظالمون لأنفسهم - بغفلتهم وتكذيبهم لآيات الله - من عبادة مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيئا، أي شيء، مهما حقر وصغر، بل ولا يستطيعون شيئاً، لأنهم مربوبون مرزوقون، والله هو الرب وحده والرزاق وحده، ثم عقب بالنهي والتحذير لهم عما جرّهم إلى ذلك الشرك، واتخاذ الأولياء والأنداد من دون الله، بزعم أنهم وسائط بينهم و بين الله سبحانه، ذلك أنهم ضربوا لله الأمثل بملوكهم ورؤسائهم، إذ أنهم، لايستطيعون الدخول عليهم وقضاء حاجاتهم منهم إلا بوسائط من ذوى الدلة والنفوذ والسلطان عليهم ممن يمت إليهم بصلة القرابة والنسب، أو من المعاونين لهم في ملكهم ورياستهم من أرباب الوظائف والأعمال، وأشباه ذلك من كل من يكون للملك أو الرئيس فيه رغبة، لما يرجو من معاونته ونفعه، أو منه رهبة، لما يخشى من أذاه وضره، وهذا هو المشاهد الذي لايقدر أحد على جحده، مهما بلغ من المكابرة. والله يتعالى عن كل ذلك. لأنه القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير، ولأنه يعلم كل ذرة فيهم وفيما خلق من السموات والأرض وهو العليم بذات الصدور، وهم لايحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، والله منزه عن الهوى والغرض والتأثر بالشفاعات، وهم لايصدرون في أمورهم إلا عن هوى الأنفس وشهواتها، وهم بذلك يميلون في الحكم و يصرفون الحقوق

عن أصحابها ، إما جهلا إن كانوا عادلين ، و إما بغياً إن كانوا عالمين . وسبحان ربنا وتعالى عن كل ذلك . فهو رب العالمين ، له المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم .

ثم ضرب لهم ـ مع طواغيتهم المقدسين المعبودين ، وطواغيتهم المعظمين المشرعين لهم مالم ينزل الله به عليهم سلطانا ـ مثلين . الأول : عبد مملوك ، هو بحكم رِقٍّ رقبته : فقير عاجز عن التصرف فى نفس أو مال ، فهو لا يقدر على التصرف فى نفسه بمعاونة لغيره . لأنه لا يملك نفسه ، ولا يقدر على المساعدة بمال لأنه لا مال له ، بل هو نفسه مال مملوك لغيره .

وآخر حُرٌّ قوى ، غنى سخى ، يعين بنفسه ، و ينفق سراً وجهراً مما رزقه الله رزقا حسنا هل يستووون فى نظر العقلاء ؟ كلا . فإن المشاهد المحسوس أن المشركين لا يسوون بينهم فكيف يسوون بين الله مستحق الحمد والثناء بجميع أنواعه ، لأن له كل الأسماء الحسنى والصفات العلا . فهو القوى الغنى الذى يفعل ما يشاء و يختار ، و يبسط الرزق لمن يشاء و يقدره على من يشاء ، مالك الملك ، يؤتى الملك من يشاء ، و ينزع الملك ممن يشاء ، و يعز من يشاء و يذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ـ كيف يسوى المشركون بين هذا الرب سبحانه و بين هؤلاء الموتى الذين لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ؟ الأمر واضح بديهى ، ولكن أكثرهم عموا عن آيات الله ونعمه و باعوا عقولهم فى سوق التقاليد الأعمى ، فهم لا يعقلون ولا يعلمون .

والمثل الثانى : مثل شيوخهم وأحبارهم ورهبانهم ، الذين يسمونهم رجال الدين الذين لبسوا اسم الدين حرفة وصناعة . فلا صلة لهم به ، إلا ليحتلبوه وظائف و يركبوه مطايا لهوى الأنفس وشهواتها ، وساعدهم على تلك الفتنة العمياء الدهماء المقلدون العمى البكم الصم ، الذين هم أضل من الأنعام سبيلا . فأولئك المحترفون الدين : لا يكلفون أنفسهم عناء التفكر فى آيات الله ، ولا التدبر لكتاب الله ، ولا مشقة العلم بهدى رسول الله ، لأن فى كل ذلك ـ بزعمهم ـ إجهاداً لأنفسهم المترفة ، وهو مع هذا ليس هو المعروف عند العامة والجماهير فلو عرفوه واصطنعوه انتقدهم الجماهير ، وغضب عليهم الحكام ، وذوو الجاه والمال ، ونزعوا من أيديهم تلك الوظائف والرواتب . وما لهم ولكل هذا ؟ أليس قد تواضع الناس على أن الدين ما عليه الجمهور والسواد الأعظم وما توارثوه عن الآباء والشيوخ ؟ فليكن مظهرهم الدينى

على ما يعجب العامة والخاصة ، ويوفر المال والجاه . ويريح النفس من البحث والتنقيب والتفكير ، فهم لا يفقهون شيئا عن الله ولا عن أسمائه وصفاته ، ولا عن سننه وآياته ، ولا عن حقه الخالص فى العبادة شيئاً ، وهم مع ذلك يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله فانهم عاطلون عن كل عمل نافع ، عالة على الدهماء وقطعان الأغنام الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله . والذين يطيعونهم طاعة عمياء ، وينقادون لهم انقياد الأنعام لراعيها ، وهم مع ذلك يعظمونهم ويركعون لهم ويقبلون أيديهم ، ويتمسحون بهم التماس البركة ، ويبذلون لهم من ثمرات كدهم ونصبهم فى الحياة ما يعيشون به فى رفاهية ونعيم ، فيأكلون أطيب مما يأكل أولئك الكادحون ، ويلبسون أجمل مما يلبسون ه ويسكنون أرفع مما يسكنون . مما يبتزون من أولئك الكادحين باسم الدين ، لأنهم احتكروا الدين ، وقصروا معرفته وعلمه على أنفسهم ، وسدوا أبوابه وحرموا الدخول منها على غيرهم ، فهم رجاله وحفظته ، وسدنة الهياكل والمعابد ، ولأنهم حبل الوصول إلى الله ، وبيدهم مفاتيح الجنة . وهم مع ذلك لا يأمرونهم فى الدين والدنيا إلا بكل خبال وضلال وظلم وبغى ، لتبقى مكانتهم محفوظة ، ومنزلتهم مرموقة ، ووظائفهم دارة : فى الدين يصدونهم عن سبيل الله ، إذ يلزمونهم بأن يلغوا عقولهم ، ويحرمون عليهم أن يفهموا نصاً من كتاب أو سنة ، ويرمون من يحاول ذلك بالكفر والمروق ، والزندقة ، لتبقى الأغنام والأبقار مثلا دائما ومورداً خالصاً للأحبار والرهبان . ولتبقى العقول مرتعاً خصباً لترويج الشرك والوثنية والخرافات والأوهام ، وتنفق سوق صناديق الأولياء والأوثان ، وتكثر المواسم والموالد والأعياد الجاهلية ، لينتشر الفسوق ويعم الفسق والفساد . ويتضخم إيراد الصناديق بذلك فتنتفخ الجيوب وتتسع الثروات ويزداد ثراء الأحبار والرهبان من دماء الكادحين من الطعام والأنعام ، ويعظم جاههم وتزداد أوهام بركاتهم ، وتزداد الأمة وهناً على وهن وغضبا من الرب ولعنة .

وفى الدنيا أينما توجهوا ووجهوا غيرهم ، لا يأتون بخير ، لأنهم يسعون بهم إلى كل شر وفسوق وعصيان : مما هو نتيجة حتمية لهذا الصد عن سبيل الله بالكفر بالله وآياته وكتابه ورسوله وشرائعه وعباداته . فما أروج إضاعة الصلاة واتباع الشهوات ، والحسد والبغى

وأكل الأموال بالباطل والعدوان على حدود الله وانتهاك محارمه ، وضراوة النفس البهيمية الأمارة بكل سوء ، من كل ما يشغلهم بنفسهم ويمكن لأعدائهم ، ويصرفهم عن التفكير فى أى خير للأمة أو مصلحة للشعب والجماعة !. وما ظنك بمن أطاعوا هذه الطاعة العمياء لمن أغفل الله قلبهم عن ذكره ، وصرفهم عن آياته ، لأنهم تكبروا فى الأرض بغير الحق ، واتبعوا الأهواء ؟ لابد أن يكون متخذاً سبيل الغى سبيلا ، ولا بد أن يكون كل أمره فرطا .

هذا مثل شيوخهم وأحبارهم ورهبانهم الذين فرضوهم رجال الدين .

أما الرجل الآخر : فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن اتبع سبيله على بصيرة ، واهتدى بهديه على نور وبينة من ربه ، من سننه وكتابه وآياته وشرائعه : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربي وينهى عن الفحشاء والمنكر . يأمر كل إنسان أن يعود إلى إنسانيته الكريمة التى أنعم عليه بها ربه ، رب العالمين العليم الحكيم ، الذى خلق الإنسان كله فى أحسن تقويم ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل للجميع السمع والأبصار والأفئدة علي سواء ، لعلهم يشكرون فيزيدهم فهماً وعقلا وهدى . كان صلى الله عليه وسلم يأمر كل إنسان أن لا يقدس إلا ربه وحده ، ولا يذل إلا لربه وحده ، ولا يعبد إلا ربه وحده . كان يقول ما أمره ربه (إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد) كان يقول « أنا بشر أنسى كما تنسون ، فإذا نسيت فذكرونى » كان يقول « أنا عبد ، أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد » كان يقول «لاتطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم . فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» كان يقول « والله ما أدرى ـ وأنا رسول الله ـ ما يفعل بى ولا بكم » كان يقول دائما ما أمره ربه أن يقول (رب زدنى علما) كان يسوى بين بلال وأبى بكر ، فيرفع الله أبا بكر بتقواه وإيمانه .

ما كان صلى الله عليه وسلم يفرض نفسه على الناس . ولكن يفرضه عليهم الوحى لهداهم وسعادتهم . ما كان يترفع على الناس بلباس ولا طعام ولا مجلس ، بل كان يلبس ما يلبسون ، ويجلس حيث ينتهي به المجلس ، حتى كان يأتى الغريب فيسألهم أيكم ابن

عبد المطلب ؟ ولكن كانت قلوبهم ترفعه فى أعلى درجات الحب والإكبار ، بما يملكها من بره وكريم خلقه وعالى أدبه ، وعظيم شفقته و إيثارهم على نفسه . ما كان يؤثر نفسه عليهم إلا بحمل الأعباء الثقيلة شفقة على أصحابه ورحمة بهم . ما كان يوما من الأيام كلاً ولا عالة على أحد إلا على ربه ، فكان راعى غنم ، ثم تاجراً ، ثم جعل الله رزقه تحت ظل رمحه ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره . كان يقول : « والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » كان يأخذ الحق من القريب والبعيد على سواء ، ويعطى الحق البعيد والقريب على سواء ، كان ينتصف من نفسه . كان يبلغ الناس رسالة ربه ، ويبين للناس ما نزل إليهم ، فى رأفة ورحمة وشفق ، لا فى تعاظم واستكبار و إدلال على الناس وعجب بما خصه الله وميزه . لأنه كان يؤمن أنها أمانة فى عنقه يؤديها ، والله صاحب الأمانة من فوقه رقيب حسيب ، لا أنها عطية يقتضى الناس أجرها ثناء ولا مالا ولا جاها له أو لأحد من أسرته . كان يعطى الكثير الذى لا يقدر عليه غيره — من ذات نفسه وذات يده ، ويرى نفسه ـ بعد ذلك ـ مقصراً فيقول « رب إنى ظلمت نفسى ظلما كثيراً ، ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك ، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » .

وعلى الجملة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل شأنه فى نفسه وغيره يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ، لا عوج فيه ولا ميل ولا التواء ، لأنه الحكيم الرشيد . ما ضل وما غوى وما ينطق عن الهوى .

هل يستوى هذا الرسول الكريم ، الرءوف بالمؤمنين الرحيم ، وأولئك الذين لبسوا ثوب الدين صناعة وحرفة ، وقلوبهم أشد قسوة من الحجارة . وهم أحرص الناس على الحياة ومتعها ولهوها وزورها وباطلها ، الذين ينفرون الناس عنهم بأخلاقهم وأعمالهم ، ثم يفرضون أنفسهم ويفرضهم الدهماء أشباه الأنعام رجال الدين ؟ كلا والله . ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

عاد ربنا سبحانه يذكر بالآيات والنعم التى كفر بها أكثر الناس ، فذكر أنه سبحانه لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السموات ، فكيف يحتاج إلى الشفعاء والوسائط فى قضاء حاج المفتونين المشركين وسماع دعائهم ؟ إنه سبحانه يعلم ما تنطوى عليه

صدورهم ، وما تتحدث وتوسوس به أنفسهم ، وما يجرى على خواطرهم ، وما تسأله بالفطرة الكونية أجسامهم وجلودهم وأمعاؤهم وعروقهم وذرات أجسامهم ، فيستجيب لها ويرعاها ويعطيها وينزل لها من السماء الأرزاق والأقوات والهواء والماء ، وإن كفرت القلوب وأشركت به ما لم ينزل به سلطاناً ، فكيف لا يسمعهم إذا دعوه لكشف الضر ؟ ولا يستجيب لهم إذا فزعوا إليه ؟ سبحانه .

وإنه — بصفة علام الغيوب — يعلم متى تحل ساعة كل واحد من بنى الإنسان كله ، ومتى تأتى ساعة الدنيا كلها . وأنه هو وحده القاهر القادر على قبض أرواح الجميع وإماتتهم وإفناء هذه الدنيا ، وزلزلة الأرض ودكدكة الجبل ونسفها ، وتكوير الشمس وإطفائها ، فإذا جاء الأجل فما هى إلا كلمح البصر أو هو أقرب ؛ ويومئذ لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، وما من طاغ ولا باغ ولا مستكبر إلا ويذل أخنع الذل ، ويتحسر أشد الحسرات ، إذا ماحلت به تلك الساعة ، وهيهات هيهات ، ولات حين مناص .

ثم أخذ ربنا سبحانه وله الحمد يذكر الغافلين ، ويوقظ المخدَّرين المنسلخين — بالتقليد الأعمى — من آيات ربهم ، فنبههم بأن عدل ربهم مطلق شامل ، إذ أعطى كل واحد منهم خلقه ، ثم هداه النجدين على سواء : فهذه الأعضاء الظاهرة الحيوانية واحدة والإنسانية المفكرة المميزة العاقلة واحدة ، ومبدأ الفطرة وطريق الحياة — ضلالاً وهدى — للجميع من نقطة واحدة ، كما أن نهاية الجميع عند نقطة واحدة ، وفى موقف واحد ، وأمام رب حسيب واحد . لا يظلم مثقال ذرة ، فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً) ولكنكم مستعدون بما أوتيتم — من الآلات والأسباب فى أنفسكم وفى الآفاق — للعلم وهدى الفطرة والإيمان بالله ، وإخلاص العبادة له ، وصدق الطاعة والإسلام لشرائعه وكتبه ورسله. والآلات والأسباب هى : (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون) إذا عرفتم حكمة ربكم ونعمته فيها ، فتقدرونها قدرها وتحسنون الانتفاع بها ، وتضعونها فى مواضعها فتزدادون بها علواً وسموا وحكمة ورشدا وفلاحا فى الحياة الدنيا ، وفوزا برضوان الله فى الآخرة . فإذا حقرتم تلك النعم واستصغرتموها فإنكم تغفلون عنها وتنسونها ، فتجحدوها

وتكفروها ولا تشكروها . وإذا لم تشكروا أسأتم استعمال هذه الآلات والأسباب والنعم ، فانقلبت فيكم أسباب جاهلية وضلال وفسوق وعصيان ، وكنتم بذلك نا كصين أبداً إلى الوراء ، نازلين على دركات السفل حتى تكونون فى أسفل سافلين . وما الذى يمنعكم من اليقظة والتعقل والتمييز ، وتقدير نعم الله فيكم وعليكم ؟ ! إن هو إلا العمى وشدة ما تراكم على القلوب والبصائر من ظلمات الغفلة والتخدير بالتقليد الأعمى والغرور بالأمانى الكاذبة ، مع أن ربكم سبحانه وتعالى لا يزال يوقظكم بالآيات والنذر لعلكم ترجعون ؟ .

ألا ترون إلى الطير المسخرات فى جو السماء ـ وهى لا تكاد تغيب عن بصر أى إنسان فى أى بقعة من بقاع الأرض ـ وما جعل الله فى حجمها وريشها من الآيات على قدرته وعظمته وحكمته ورحمته . نعم إنكم لترون ذلك ، ولكنكم ترونه بحواسكم وبعقولكم البهيمية فتتعلمون منها كيف تصنعون الطائرات من الحديد تسبح بكم في جو السماء ، وتبلغ بكم فى معايشكم إلى ما تقصدون من البلاد النائية فى أسرع الأوقات ، لكن قليل منكم جداً هم الذين يتأملون ويفكرون فيها بعقولهم الإنسانية ، فيخرون لربهم سجدا وبكياً أولئك هم المؤمنون بسنن ربهم الكونية ، وآياته وأسمائه وصفاته ، الذين يؤمنون بالغيب ومما رزقهم الله ينفقون ، لا المقلدون الذين يدينون دين الجاهلية والجمهور ، دين الآباء والشيوخ والوراثة .

ثم ألا ترون إلى آيات رحمة ربكم وعظمته وحكمته في اختلاف شئون الحياة ، وحاجة العيش فى المنزل وخارج المنزل ، فجعل الذكر والأنثى لتتم لكم سعادة الحياة بالسكن والرحمة ، وتقر أعينكم بالنسل والذرية ، ثم فى اختلاف الليل والنهار صيفاً وشتاء وربيعاً وخريفاً ، لما يعلم من حاجة عيشكم إلى هذا الاختلاف حراً وبرداً واعتدالاً لصلاح الزروع والثمار ، واختلاف شؤونكم فى العداء والإخاء ، ومايترتب على ذلك من السلم والحرب ، فعلمكم كيف تتخذون مما خلق وبث لكم فى الأرض : سرابيل تقيكم الحر والبرد وسرابيل تقيكم بأسكم ، وما يستتبع ذلك فى تقلبتكم فى شئون الحياة فى النوم واليقظة من معامل ومصانع ومصنوعات ؟ .

ثم ألا ترون كيف هيأ لكم ربكم بحكمته ورحمته أسباب التطور والانتقال من حال

إلى حال ، فمن يوم كنتم تتخذون مما خلق ظلالاً ، ومن الجبال أكناناً ، إلى أن تفننتم في الدور والقصور والعمارات الشاهقة ، وما تحتوى من أنواع الأثاث والرياش الفاخر ، ومرجع ذلك وأساسه إلى أصله الأول ، فالجبال هى الجبال وإن تغيرت طريقة اتخاذها بيوتا ، والأشجار هى الأشجار ونبات الأرض هو نبات الأرض ، وجلود وصوف الأنعام وأوبارها وأشعارها هو هو ، وإن اختلفت طريقة انتفاعكم بذلك ، أليس فى كل ذلك آيات لقوم يتذكرون فيعقلون عن الرب ، ويؤمنون بسننه وآياته وحكمته ، وعدله المطلق ورحمته ، فيدينون له وحده بأنه الإله المعبود لا شريك له ، وأنه لايعبد إلا بما أحب وشرع ؟ .

ولكن ياحسرتا على الإنسان الجهول الظالم لنفسه : إنه يعرف كل هذه الآيات بحيوانيته ، ويستفيد منها لبهيميته ، ولكنه ينكرها بإنسانيته ، لأنه خسر وفقد هذه الإنسانية العاقلة المميزة عن ربها ، بسبب ما دسّ نفسه فيه من أكوام التقليد الأعمى ، فعمى عن آيات ربه فى نفسه ، ثم في الآفاق ، ثم فى كل شىء ، فكان لذلك أكثر الناس هم الكافرون المكذبون بهذه الآيات الكونية والقرآنية ، المتخذون من دون ربهم الأنداد والآلهة والشفعاء .

والحمد لله الذى عافانا ، وهدانا إلى هداية الفطرة ، ثم هدانا بها إلى هداية العلم والدين الحق ، وأنقذنا من الشرك والوثنية إلى الإسلام الصحيح دين الهدى والرحمة ، نكفر ونبرأ ونعادى كل ماعبد الجاهلون من دون الله ، ونخلص عبادتنا بجميع أنواعها ولوازمها لله لربنا رب العالمين ، ونكفر ونبرأ ونعادى كل بدعة شرعها الطواغيت ليعبد الله بها بزعمهم ، والله لم يأذن بها ، ولن نعبد ربنا إلا بما أحب وشرع لنا على لسان وقلب عبده ورسوله المصطفى المختار ، (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب) اللهم ثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، واجعلنا شاكرين لنعمتك قابليها مثنين بها وأتمها علينا ، وصل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله ، واجعلنا من آل هذا الرسول وحزبه المفلحين ؟

وكتبه فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقى

نقدات

٢ – وحدة الأديان عند الصوفية

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

المعرفة عند الصوفية: نمهد لحديثنا اليوم بهذا التمهيد اللماح عن المعرفة عند الصوفية ...

يستمد الصوفية معارفهم — فى زعمهم — عن طريق « الذوق » أو الكشف الشهودى. ولذا تتباين المعارف عندهم تبعا لتباين الأذواق، وقد لجأوا إلى هذه الأسطورة حين أيقنوا أن معرفتهم تصادم العقل والنقل وتناقضهما. و يؤمن الصوفية إيماناً وثيقاً بأن العقل ليس وسيلة إلى إدراك الحقيقة، و بأن النقل حجاب يستتر وراءه الحقيقة الكبرى، ولذا يقول التلمسانى « القرآن كله شرك، و إنما التوحيد فى كلامنا[1] » وكان من قولهم « من ذاق عرف » أى من استمد معرفته عن طريق الذوق كان هو العارف المكمل، أما من يستمد معرفته من الدين فهو من أهل الظاهر المحجوبين عن إدراك كنه الحقيقة الإلهية الكبرى، أو بمعنى أوضح: عن إدراك حقيقة الألوهية التى يقوّم وجودَها عندهم وجودات العالم الظاهر، وقد شطح بهم الذوق الأسطورى إلى اعتناق خرافة « وحدة الوجود » و بالتالى إلى اعتناق خرافة « وحدة الأديان » بالمعنى الصوفى. فمن إيمانهم بوحدة الوجود: نتج إيمانهم بوحدة الأديان.

علاقة وحدة الوجود بوحدة الأديان: آمن الصوفية أن وجود الخالق عين وجود الحق، فالمظاهر عين الظاهر، والعبد عين الرب، والمخلوق هو بذاته الخالق، و يعبر ابن عربى عن ذلك بقوله « سبحان من خلق الأشياء، وهو عينها[2] » والإيمان بهذه الأسطورة – فوق أنه زندقة و إلحاد و إنكار صريح للألوهية – يهدر القيم الأخلاقية والدينية، و ينفى

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢٣

(٢) الفتوحات المكية القاهرة ١٣٢٩ ج ٢ ص ٦٠٤

المسئولية ، فإله الصوفية هو عين الصنم فى الجاهلية ، والعجل فى السامرية ، وهو بذاته عابد الصنم وعابد العجل، فكيف إذن يوجد إيمان وكفر ؟ إذا كان الإله معبوداً من وجه وعابداً من وجه آخر ؟!! لهذا صرح الصوفية ـ وقد آمنوا بوحدة الوجود ـ بوحدة الأديان حتى ذهبوا مع الزندقة إلى آخر مداها ، وانحطوا مع الوثنية إلى قرارها السحيق . فالإيمان بوحدة الأديان نتيجة حتمية ـ كما ترى ـ للإيمان بوحدة الوجود .

نتائج الإيمان بوحدة الأديان : ويعنى الصوفية بالأديان : كل ما جعله أى إنسان دينا سواء كان سماوياً أم وضعياً ، صحيحاً أم زائفاً ، قائماً على التوحيد الحق ،أم على الوثنية المشركة والإيمان بوحدة الأديان ـ بهذا المعنى ـ يمزج الضدين ، ويجمع بين النقيضين ، يخلط الإيمان بالكفر والحق بالباطل ، والخير بالشر. والوجود بالعدم . الإيمان بوحدة الأديان عندالصوفية ينتج عنه الإيمان بأن ليس ثمت آخرة ، ولا بعث ولا جزاء ولا حساب ، ولا دينونة ، فالصوفية فى غايتها تتلاقى مع المادية الصرفة فى نهايتها ، ولا يخدعنك شقشقة الصوفية ولهجهم أحيانا بالخوف والرجاء ، فما هى إلا حبائل يوقعون بها السذج الغافلين فى شراكهم . وإلا فبربك قل لى : إذا كان الإله هو نفسه هذه الموجودات المتعينة فى موادها ، فهل لهذا الإله دنيا وآخرة ؟! إذا كان الإله كافراً مؤمناً ، شريراً خيراً ، باطلا حقاً ، عاصياً طائعاً ، ضالا مهتديا فعن أى حاليه يجزى نفسه ؟؟ أو يرضى الإله الخزى لنفسه فيقيم لنفسه حساباً عسيراً ، أو يدين نفسه بالجريمة الفضحة المفضوحة يوم الدينونة ؟! أو يموت الإله ثم يحيا ؟؟! أقولها صريحة جلية دون مخافة من تثريب . إن كبار الصوفية يكفرون بالبعث وبالجزاء لأنهم يكفرون بالألوهية والربوبية . وإن حاولوا الصريخ والعويل . . فإيمانهم بالوحدتين الوجودية والدينية يدمغهم ـ رضوا أم سخطوا ـ بما قلناه . ولذا تأول زعماؤهم كل ما ورد عن الجزاء الأخروى وعن الآخرة بمعناها الدينى الصحيح . فجعلوا العذاب من العذوبة ، والقيامة عودة الإله إلى حيث كان قبل التعين الأول فى الحقيقة المحمدية ...

بعد هذا نعود إلى ما وعدنا به قراءنا الأفاضل من قبل من مناقشة الدكتور محمد مصطفى حلمى فى نقده للإمام ابن تيمية فيما دمغ به الصوفية من كفرهم حين دانوا بوحدة الأديان.

رأى الدكتور حلمى (١) : الدكتور الفاضل معجب أيما إعجاب بأسطورة ابن الفارض فيما يسميه « الحب الإلهى » وقد جلى الدكتور فى بحثه هذه الأسطورة جلاء واضحاً . غير أنا نلاحظ : أن بحث الدكتور لم يكن خالصا للحقيقة والفكر الصحيح ، وتلك ليست من سمات الباحثين فى حقائق الفكر العليا ، بل نلاحظ العاطفة جامحة مشبوبة الهوى ، نلاحظ دفاعا عاطفياً حاراً عن ابن الفارض ، وتمجيداً له فى زندقاته . ونحن لا نملك أن نمنع الدكتور من محبته ابن الفارض أو تقديسه ، ولكنا نملك بعون الله الذياد عن الحق فكريا ودينيا، ذلك الحق الذى حاولت عاطفة الدكتور الفاضل أن تجليه باطلا ، لا سيما وقد حاول الدكتور وهو فى فورة العاطفة الصوفية : أن يجد لابن الفارض سنداً من القرآن يؤيد زعمه فى أسطورة وحدة الأديان ، ويبلغ الإعجاب بالدكتور حداً يجعله يلح فى الطلب أن نتمثل صوفية ابن الفارض فى ناحيتيها الروحية والعملية ، حتى ليقول « وهل هناك حياة أنعم حالاً وأوفر كمالا من هذه الحياة التى يبسط عليها الحب والإخاء والمساواة أجنحتها على هذا الوجه الذي يصوره لنا مذهب ابن الفارض فى الوحدة ، وحدة المحب والمحبوب ، وحدة الخالق والحق ، وحدة الأديان والشرائع ؟ إذ تزول كل مظاهر التفرقة بين أفراد النوع الانسانى فينظر المعتنقون للأديان المختلفة ، على أنهم إخوة متحابون متساوون ، لا على أنهم أعداء متباغضون متنافرون (٢) » إذن فالدكتور الفاضل يقر — مع الأسف — بإيمان ما ذهب إليه الصوفية من وحدة الأديان سماويها ووضعيها ، صحيحها وزائفها . . ولست أدرى كيف تشمل الوحدة جماعة أربابها متفرقون ؟؟ كيف يشمل الإخاء قلبا يعبد الله وآخر يعبد الصنم ؟ كيف يشمل الحب مؤمنا مخبتا لله الذى يأمره بمجانبة الشرك والوثنية ، وآخر يعبد هواه المصور في صنم أو عجل أو بهاء ؟ كيف يتوحد العالم وليست هنالك وحدة تشمل آلهته المعبودة فى قلوب العابدين إن المؤمن بإله يعمل بما شرعه له ذلك الإله أو بما يشرعه الزاعمون أنهم وسطاء له ، ولا ريب فى أن هناك تبايناً بعيداً وتناقصاً بيناً فى تلك الشرائع ، وتبعا لهذا تتباين الأعمال

(١) وضح الدكتور رأيه فى كتابه « ابن الفارض والحب الالهى » ط ١٩٤٥.
(٢) ص ٣١٦ من كتاب ابن الفارض والحب الإلهى .

والأخلاق والعقائد ، أتكفى الإنسانية وحدها لتكون رباطا يربط هذه القلوب؟ من ذا الذى سيزيل كل مظاهر التفرقة بين أفراد النوع الإنساني . والأديان السماوية ـ فى سموها وجلالها ودأبها وسعيها الملح ـ لم تزل تلك التفرقة فى الواقع ، رغم أنها حاولت ذلك فى كل زمن ، وتسلحت بالحق والصبر والعزيمة والهدى والنور؟ فالدارس للتاريخ يجد أن العالم كله لم يجتمع يوما على كلمة واحدة . هذا هو الشأن مع الأديان السماوية ، فكيف مع الوضعية؟ أيريد الدكتور إرغام العقول على أن تفهم أن رباط الانسانية أقوى من رباط الدين؟ لا يا دكتور ، فالدين أيا كان له قوة هائلة تدفع إلى التضحية الهائلة معتنقيه ، ومع ذلك كله ، فلم يجمع العالم حتى اليوم دين واحد ولا حب واحد ، الناس شأنهم دائما مع الدين « فريق فى الجنة وفريق فى السعير » أما هذه الشاعرية ، أما تلك الخيالات المجنحة بالتهاويل ، أما تلك الأساطير المقنعة بالأوهام والشهوات : فلن تستطيع مصادمة الحق والواقع ، وإذا شئت العمل فى سبيل وحدة تشمل الناس فلتكن تحت راية دين واحد ، هو الحق والصدق والخير والجمال وهو الاسلام ، وهو إخلاص العبادة لله وحده ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع . لا تحت طاغوت صوفية ابن الفارض وشيوخ ابن الفارض الوثنيين ، أعداء الله ورسله ، بل أعداء الإنسانية من أول الدهر . فالتاريخ يحدثنا حديث صدق : أن الجماعة الاسلامية الأولى : كانت هى الجماعة الانسانية المثالية فى سمو الروح ، وقوة العزيمة وسماحة الأخلاق ، ونبل الايثار ، وجلال التضحية فى سبيل المثل العليا ، وشمول الرحمة ، والتوحيد الشامل التام فى المبادىء والغايات . ويشهد التاريخ أيضاً أن الفرد فى هذه الجماعة كان لا يهدف إلا إلى خير جماعته ورقيها ، ودوام وحدتها نقية صافية ، ولقد عاش فى ظل هذه الجماعة الاسلامية المسيحى واليهودى وسواهم ، عاش هؤلاء جميعا يرف عليهم العدل والأمن ويغمر دنياهم الرضى ، ويرعى أيامهم السلام ، أتعرف لماذا يا دكتور؟ لأن هذه الجماعة كانت معتصمة بدينها الحق ، هداها القرآن ، ومشكاتها السنة ، أما عهود الوثنية والمجوسية والمسيحية الزيفاء واليهودية الضالة : فكانت عهود استبداد وبغى ، وعبودية ذليلة للسلطان الغشوم كان الجور لحمتها والطغيان سداها ، كانت تنتزى جريمة وفسقا

وكانت تهوى انحطاطا فى الخلق والفكر والعقيدة ، كانت عهود جريمة فردية وجماعية . لأنها كانت تتولى الشيطان وتكفر بالرحمن .

فهل يريد دكتورنا الفاضل أن نكون خليطا وأوشابا وأمشاجاً من هؤلاء ، ومع ذلك نكون وحدة يرعاها السلام والوئام ؟! ؟ أعقيدة مشرقة الوحى من السماء ، وشريعة يقطر سلسها من الوحى الرشيد ، هذان لا يصلحان لتكوين وحدة إنسانية تتمثل الحب خلقا ، والتفانى فى الإيثار غاية ، ومع ذلك تصلح صوفية ابن الفارض لهذا يادكتور ؟ ! .

اللهم إن هذا قول يحيله العقل السليم ، ويصمه الدين بالخرافة الملحدة .

ليت الدكتور يدرس الحب فى الإسلام — من كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم — كما درس الحب عند ابن الفارض ، حتى يعلم أن مايزعمه ابن الفارض حبا : إن هو إلا غَىٌّ وهوى ، وزندقة وتمجس سحرِىُّ القناع ، مبدؤه ومنتهاه : عبادة الشهوات .

لقد زعمت الفلسفة أنها تتجرد فى بحوثها للحق ، فهل تجرد دكتورنا الفاضل فى بحثه هذا لمازعمته الفلسفة ، أم تراه جنح جنوحاً ومال ميلاً حاول به أن يتسامى بصوفية ابن الفارض إلى الذروة العليا من الروحية ، دون أن يبالى الدكتور فى سبيل هذا بالدين أو بالحق الواضح الصريح ؟! إن من يقارن بين فكرتين يادكتور يجب أن يكون خبيراً بهما ، حتى يستطيع أن يحكم بالحق ، ولكنك — فيما ظهر لى — لا تعلم عن حقيقة الدين الإسلامى شيئا ، وإلا لما رفعت وحدة ابن الفارض ووثنيته وإباحيته فوق توحيد القرآن وهداه .

وليعذرنى الدكتور الفاضل — رغم أنى كنت تلميذه يوما — إذا قلت له : كن حلساً لزندقة ابن الفارض ، ماشئت ولكن حذار أن يكون ذلك على حساب القرآن يا دكتورنا العزيز .

(يتبع)

المركز العام للجماعة يدعو أنصار السنة المحمدية لحضور الجمعية العمومية التى ستنعقد فى مساء السبت ٦ شعبان سنة ١٣٧٠ هـ الموافق ١٢ مايو سنة ١٩٥١ م فى الساعة الثامنة مساء لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة للسنة المقبلة والرجا عدم التخلف

هو من عند الله ! ! !

لفضيلة الأستاذ أبي الوفاء محمد درويش

قالت امرأة عمران ، بعد أن أثقلت واستبان حملها :

(٣ : ٣٥ ، ٣٦ رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً ، فتقبل مني ، إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت ـ في ألم وحسرة : ـ رب إني وضعتها أنثى ، وإني سميتها مريم ، وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) .

ثم عنيت بها أكثر مما تعنى الأمهات ببناتهن ، وأشبلت عليها كل الإشبال ، ومنحتها ثدييها ترتضع أفاويقهما كلما طاب لها أن تغتذي ، وحلا لها أن تسكن ألم الجوع .

حتى إذا شبت هذه النذيرة ، واستغنت عن عناية النساء ، واستطاعت أن تنهض بعبادة الله وخدمة المسجد سارت بها إلى المحراب ، ووضعتها هنالك وفاء بنذرها ، وهي ترجو أن يهيء الله لها من يرعاها ويعنى بشأنها . فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتاً حسناً، واختصم فيها الأحبار ، وألقوا أقلامهم : أيهم يكفلها ، وكتبت الأقدار لزكريا أن يكون لها كفيلا ، فأبدى لها كل حنو وحدب ، وصار بها براً ، وعليها عطوفا ورعاها الله في نشأتها ، وبارك عليها ، ولزمت محرابها تعبد الله ، وتؤدي أمانتها وفاء بنذر أمها . وأحبها الناس ، وهوت إليها أفئدتهم ، وتتابعت عليها ألطافهم وهداياهم ، وتوالت عندها تحفهم وهباتهم . وكان زكريا لايغب زيارتها ، ولا يغفل رعايتها . وكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً ، فيأخذه لذلك عجب أي عجب ، ولا يتمالك أن يسألها : (يا مريم ، أنى لك هذا) ويسمع منها دائما ذلك الجواب الحصيف : (هو من عند الله ! !)

قول سديد ، وجواب رشيد !

أجل ، هو من عنـد الله . فإنها نظرت ـ على الرغم من صـغر سنها ـ إلى مسبب الأسباب ، ولم تنظر إلى الأسباب . نظرت إلى الرازق ذى القوة المتين ، ولم تنظر إلى المرزوقين الضعفاء المخلوقين ، لعلمها أن كل رزق يناله الإنسان فالله تعالى مرسله ، وكل خير يصل إليه فالرزّاق سبحانه ميسره .

هذه هى الحقائق التى يشهد بصحتها العقل ، ويؤيدها الواقع ، ولا تنكرها طبائع الأشياء ، ولا تخرج عن سنة الله . ولـكن القصّاص الذين يحرصون على أن يستثيروا عجب العامة وإعجابهم يأبون إلا أن يقولوا : إن هذا الرزق كان ينزل عليها من السماء ، وإنها لم تلتقم ثدي أنثى قط . وإنها كانت فى حصن حصين أو معقل أشب ، وإن زكريا كان إذا خرج من عندها أغلق عليها سبعة أبواب ، بحيث لا يتسنى لأحد أن يدخل عليها ، وإن فاكهة الصيف كانت تأتيها فى الشتاء ، وفاكهة الشتاء توافيها فى الصيف ، يجارون فى ذلك بعض المفسرين الذين لا يتحرون الحق ، ولا يستمسكون بالصواب .

وهذه الأقوال كلها من وسوسة الخيال لا يعضدها قرآن ، ولا تؤيدها سنة صحيحة ولا سقيمة ، ولا يقرها عقل ولا طبع ، ولا تساير سنن الله فى نظام الأسباب والمسببات ، وإنما هى من نسج المخيلات ، واتباع الظنون والأوهام .

تأبى طبائع الأشياء إلا أن ترضع امرأة عمران ابنتها كما ترضع الوالدات أولادهن حولين كاملين ، وأن تعنى بها حق العناية ، وتتعاهدها بالنظافة كما تتعاهد كل أم طفلها الحبيب الذى هو قرة عينها وريحانة صدرها . وإذا ذكرنا أنها نذرتها لله ، أيقنا أن كل عناية توجهها إليها : إنما هى عبادة لله وازدلاف إليه . حتى إذا ترعرعت ، واستغنت عن عناية أمها : قدمتها إلى المسجد ، وفاء لنذرها . وتلك التى تقبلها ربها بقبول حسن لا بد أن يهيىء لها أسباب الصحة والعافية فيجعل ثديى أمها تدران عليها كل حين بإذن ربها ، ولم يتركها للتغذية الصناعية التى تعرضها الأمراض والأوصاب .

ولم تحمل بها أمها من سـفاح ، فتتخلص منها وتلقى بها على عتبة مسجد ليلتقطها المحسنون يغذونها بالملعقة أو القطارة أو الأثداء الصناعية إن أعوزتهم المراضع .

والقول بأن زكريا كان إذا خرج من عندها أوْصَدَ دونها سبعة أبواب : أمعن فى الكذب ، وأعرق فى الاختلاق ، وأبعد عن الحق ، وأدنى إلى الخرافة . فهل كان زكريا يخشى عليها الهرب ؟ أو يتوقع منها الفرار حتى يقفل من دونها الأبواب ، ويوصد الأقفال ؟ أم هل كانت مجرمة قضى عليها بالسجن العميق المؤبد الذى لم يكتف له بباب واحد وغلاق واحد ، بل أقيمت عليه سبعة أبواب ، وضعت عليها سبعة أغلاق ، إمعانا فى التنكيل بها ، وغلوا فى تعذيبها ؟ أم هل كانت فاجرة يخشى عليها الخنا ، فوضعت من وراء الأبواب الموصدة ، والعمد الممدَّدَة ، حتى لا يصل إليها الفسقة والداعرون ؟

وهل من الاكرام لفتاة نذرتها أمها لله تقرباً إليه وتوصلا إلى رضاه : أن يزج بها فى أعماق السجون حتى تحرم ضوء الشمس ، ونسمات الهواء ؟

إن كنتم يا معشر القصاص قد ألغيتم عقولكم فاتقوا الله فى عقول الناس . إن كل هدية تقدم إلى تلك التى نذرتها أمها محررة لله : إنما هى قربان لله تعالى ، ولا جرم أن هؤلاء الأحبار الذين كانوا ينافسون زكريا فى كفالتها لم يقطعوا حبل مودتها بعد أن صارت كفالتها لزكريا ، بل صاروا يتقربون إلى الله تعالى بصلتها والإهداء إليها . وغير الأحبار من الربانيين ـ الذين يحبون الله ويحبون هذه النذيرة التى نُذرت لله ـ يتقربون كذلك إلى الله بصلتها والإهداء إليها ، ويتعاهدونها بشتى الهبات من الطعام والفاكهة والثياب والحلى وغير ذلك مما يلطفون به تلك التى نذرتها أمها لله . فكان محرابها حافلا بالخيرات ، مغموراً بالهبات ، زاخراً بالأرزاق .

وتواجه القصاصَ بهذه الحقائق فينكرونها ، ويقولون : ما كان لسليلة عمران فى فضلها وشرفها أن تأكل الصدقات . أين الصدقات من الهدايا والهبات ؟

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهو أفضل من أظلت السماء وأقلت الأرض ـ يقبل الهدية فمن ذا الذى يسوغ له أن يترفع عما قبله سيد المصطفين الأخيار ؟

حسبوا أن الرزق لا يكون من عند الله إلا إذا هبط من السماء ، ونسوا أن كل رزق يصل إلى الإنسان والحيوان والطير إنما هو من عند الله . وأن ما يتقاضاه الموظف من خزانة

الدولة إنما هو من عند الله . وما تجود به الأرض على الزارع من الحب والفاكهة والخضر إنما هو من عند الله . وما يكسبه الصانع بصناعته : إنما هو من عند الله .

لو أن الرزق كان ينزل عليها من السماء – كما يزعمون – لما أمرها الله أن تهز إليها بجذع النخلة ولوجدت الرطب الجنى بين يديها بغير سعى ولا كسب . ولكن لله تعالى سنناً لا تتبدل .

ألا لو أن القرآن أخبرنا بذلك الذى أخبرونا به لصدقنا وآمنا وأيقنا ولو أن الأحاديث النبوية أنبأتنا به لصدقنا وآمنا وأيقنا ولو أنه موافق لسنة الله تعالى ونظام الأسباب والمسببات لصدقنا وآمنا وأيقنا . ولو أن العقول السليمة تقبله وتسيغه لصدقنا وآمنا وأيقنا . ولو أدى إليه البحث والتفكير الصحيح وصدق النظر لصدقنا وآمنا وأيقنا .

ولكنها أباطيل وأوهام ، لا تمت إلى الحق بسبب قريب ولا بعيد

وصدق الله إذ يقول (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) .

أبو الوفا محمد درويش

سفينة النجاة ، والاستعانة بالله

بقلم عبد ربه على كريم

رسالتان (تحت الطبع) تشرحان لك المسائل التى تهمك في عقيدتك . ارسل اسمك وعنوانك وقيمة الاشتراك باسم : عبد ربه على كريم ٨ شارع قوله عابدين قبل ١٥ مايو تصلك الأعداد المطلوبة سريعاً بالبريد المسجل.

قيمة الاشتراك فى مائة نسخة ٢١٠ قرشا . وفى خمسين نسخة ١٣٠ قرشا . وفي ٢٥ نسخة ٧٠ قرشا . وثمن النسخة الواحدة : خمسة قروش .

كنت فى « الرياض » العامرة

حرسها الله

لطالما اشتاق قلبي وحنت نفسي إلى زيارة « الرياض » وساكني « الرياض » وذلك الشوق والحنين يرجع عهده إلى سنين متطاولة . من حين مَنَّ الله عليَّ وهدى قلبي إلى الايمان الصادق بأنه سبحانه هو الرب الواحد ، الذى ربيني وربى جميع العالمين بنعمته ، وأنه الآله الواحد ، الذى ينبغى أن تألهه وحده قلوب جميع العباد ، وأن تخلص له جميع أنواع العبادة ، بل الذى ينبغى أن تكون كل حركاتهم واضطرابهم فى جميع شئون الحياة اسلاما له وعبادة وطاعة وتقوى ، له وأن لا يعبد إلا بما أحب وشرع .

من ذلك اليوم بدأت بصيرتى تمتد وراء هذا النور تبحث عن مبعثه ، و بدأ قلبي يتحسس سر هذه الحياة التى نفخت فيه ، علَّه يقف على نبعها ، فإذا بى أقف على مبعث النور ونبع الحياة ، و إذا هو الصيحة المدوية التى صاحها شيخ الاسلام «محمد بن عبد الوهاب» رحمه الله وجلجلت بها سيوف آل سعود فى قلب الجزيرة العربية ، مستجيبة لصيحة شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ومجددة لصيحة خاتم الأنبياء وصفوة الخلق عبد الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى شعاب مكة ، ومن بين لابتى المدينة ، تلك الصيحة التى نفخ الله عناصر روحها وقوتها فى قلب كل نبى مرسل من قبل خاتمهم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ثم فى قلب كل عبد حفظ الله عليه هداية الفطرة ، فنفعه بها ، وزاده نوراً على نور وهدى على هدى ، فعرف العبودية وحقوقها ، وعرف الربوبية وحقوقها ، وأعطى كل ذى حق حقه غير منقوص ، وغيرظالم ولا حائف على حق الآخر ، فكان من الهداة المهتدين ، ومن الداعين إلى ربه على صراط مستقيم

حين وقفت بصيرتى عند مبعث نورها ، وقام قلبي عند سر مبعث الحياة فيه : رفرفت الروح فى ذلك الأفق العطر بشذى التوحيد ، وسبحت فى تلك الربوع وحومت على قمم تلك الجبال ورءوس تلك الروابى تستروح نسيم تلك الرياض ، وتنشق عبير أزهار تلك الغياض ،

وإذا هى تجد هناك إخوة ، بل هم أعز عليها من نفسها،فهم ذرية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخلفاؤه فى حمل دعوته ، وهم ذرية محمد بن سعود وخلفاؤه فى نصر الحق ، وإعلاء كلمة الله، وصبيان التوحيد وإخوان من أطاع الله .

من ذلك الوقت : اشتاق القلب إلى زيارة أولئك الإخوة فى « الرياض » ومن ذلك الوقت حنت النفس إلى استنشاق عبير الرياض ، واجتماع أشباح الإخوة فى ديار « الرياض » ومجالس « الرياض » . ولكن لكل أمر أجل ، ولكل أجل كتاب . وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين . ولو عقل العبد لعلم أن اختيار الله له خير ألف مرة من اختياره لنفسه . والله عليم حكيم ، رءوف رحيم .

شاء الله — سبحانه وبحمده — أن يفد إلى مصر شيخ الرياض وعلمها ، وحبرها وأفضل فضلائها ، سماحة الشيخ الجليل : الشيخ محمد بن ابراهيم بن الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن شيخ الاسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وقد كنت أعرف الشيخ من ألسنة المثنين والمعجبين أكثر مما أعرفه بنفسى ومجالستى له ، لكنى لم أكد أجلس إليه مجلس أخوة ، أصغى إلى حديثه ويصغى إلى حديثي ، وتأخذ آفاق الحديث تمتد ، فيتناول مختلف الشؤون الدينية والمدنية والاجتماعية والسياسية ، حتى أجد الشيخ فوق ما كنت أتصور أدباً ، وطهارة قلب ، وسماحة نفس ، وتبحراً فى العلم وحصافة رأى ، ويقظة ذهن ، وحضور خاطر ، ورغبة ملحة فى الاستزادة من العلم ، وشغفا شديداً بمعرفة كل شيء ، ليتخذ منه مادة نافعة لدينه ودنياه وآخرته .

وما كدنا نفرغ من أول مجلس حتى وجدت فى الشيخ مغناطيسية قوية تجذبنى إليه ، وتربطني به ربطاً قوياً ملك على كل نفسى ، وجعلنى لا أفارقه إلا لما تضطرنى إليه شئون حياتى وعملى ، فكنت أحرص على مجلس فى الصباح ومجلس فى المساء ، ولولا ما فى عنق من أعمال تلزمته الليل والنهار ، لما أجد فى حديثه ومجلسه من أنس النفس وانشراح الصدر ، ولقد كانت تلم بى أمور يضيق لها صدري أشد الضيق ، فأفر إلى مجلس الشيخ فلا تلبث أن تتبخر بحلو حديثه وأنس مجلسه ، وسماحة نفسه . وتألفت روحانا ، وارتبط

قلبانا بأوثق رباط من أخوة الايمان وكان من جميل الصدف اتفاقنا فى السن ، بل وتشابهنا فى نشأة الصبا .

وانقضت الأربعة الأشهر التى قضاها الشيخ بمصر ، كأنها يوم أو بعض يوم ، وإذا بالشيخ يفاجئنى بأنه قد أزمع الرحيل والأوبة إلى الأهل والولد بالرياض . وشاء ربك أن يقع لكاتبه صالح بن حيدر حادث يلزمه فراش المرض بالمستشفى مدة تمنعه من مرافقة الشيخ فى أوبته . وشاء ربك كذلك أن يأذن الشيخ لولده عبد العزيز بالبقاء بالقاهرة ليلتحق بكلية اللغة العربية بالأزهر . وكان حقا علىّ لهذه الروابط الروحية كلها : أن أكون « خوى » الشيخ ورفيقه فى أوبته ، وأن أودعه إلى داره وأهله ، لأشبع رغبتى ، وأرضى ضميرى . وذهبت للتشرف بزيارة صاحب السمو الملكى الأمير « فيصل » حفظه الله — فى نزل سميراميس ، فاستأذنته فى مرافقة الشيخ ، فأذن مسروراً ، وأصدر أمره الكريم إلى سعادة الشيخ عبد الله الفضل الوزير المفوض باتخاذ الاجراءات لذلك وتسهيل السفر .

وفى يوم الخميس ... ركبنا الطائرة التى خصصت للشيخ ورفقائه من ميناء فاروق الجوى فبلغنا ميناء جدة بعد أربع ساعات ونصف الساعة ، ووجدنا المطار زاخراً بعلية القوم يستقبلون الشيخ ، وعلى رأسهم الأمير منصور — رحمه الله وغفر له — والأمير عبدالله الفيصل — بارك الله فيه — وكان الجمع الحاشد يكاد يطير من الفرح بأوبة الشيخ ولقياه . وكان قد حضر من الرياض إلى جدة لملاقاة الشيخ : إخوته المشايخ عبد الله وعبد اللطيف وعبد الملك وابنه ابراهيم وآخرون من آل الشيخ ، فأبرق سماحة الشيخ إلى جلالة الملك المعظم يستأذن لى فى التشرف بالسلام على جلالته في « الرياض » ، فجاء الجواب سريعاً بالإذن . ومكثنا بجدة الى صباح السبت ... ثم ركبنا الطائرة صباح السبت من مطار جدة ، فبلغت مطار الرياض بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة ، فى الضحوة الكبرى ، فإذا نجد المطار — على رحابته — مزدحماً أشد الزحام . وإذا بالرياض كلها خرجت — وعلى رأسها : صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى العهد المعظم ، متع الله المسلمين بحياته النافعة — يستقبلون الشيخ ، ويرحبون بمقدمه . وإذا بى أرى ما لم يكن يخطر لى على بال . ما هذا الجمع الحاشد ؟ ليس في المطار — على رحابته — موضع قدم . الرياض كلها خرجت تلقى الشيخ الجليل ، وترحب

بمقدمه السعيد . لماذا ؟ ألماله وغناه ؟ إنه ليس من رجال المال ولا ذوى الثراء ، أم لأنه من الوزراء أو الأمراء ؟ إنه ليس وزيراً ولا أميراً ، ولن يكون ذلك الاحتفال لوزير ولا أمير ، ولا غنى ولا ثرى ، إنما يكون ذلك للملوك فهل الشيخ ملك ؟ إن الملك : هو الإمام عبد العزيز ـ أطال الله حياته ، وأسبغ عليه سوابغ العافية ـ إذن فلماذا هذا الحفل الحاشد من عظماء الدولة ، وعلى رأسهم صاحب السمو الملكى ولى العهد المعظم ، متع الله المسلمين بحياته ؟ ذلك لأن الشيخ محمد بن ابراهيم : هو العالم ، الذى تجتمع فيه صفات وأخلاق علماء السلف الصالح ، وهو لذلك يحظى بهذه المكانة الرفيعة ، وهو فى الحق جدير بهذه المكانة الرفيعة ، فى هذه الدولة السلفية التى تقدر العلماء ، وتكرم الدين فى أشخاص العلماء ، وتعز الإسلام بإعزاز العلماء الصالحين .

ركب الشيخ مع سمو ولى العهد وركبنا السيارات وذهبنا رتلا طويلا إلى قصر المربع العامر ، حيث جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ـ مدَّ الله فى حياته ـ ينتظر الشيخ ، فما كاد جلالته يراه ، حتى انتصب قائما فى نشاط ، وفتح ذراعيه ، وأخذ يكرر « الله حيو » « الله يحييك » « ياهلاً ، ياهلاً » حتى ضم الشيخ إلى صدره وعانقه عناقا طويلا ـ وقرَّت عينى وكاد قلبى يطير فرحا بعافية جلالة الملك وصحته ـ وخيِّل إلىَّ أنه يشبع ظمأً قلبه الذى طال لغيبة الشيخ . ثم أجلسه عن يمينه ، ثم تقدمت فتشرفت بالسلام على جلالة الملك وتفضل فحيانى باسماً ، ثم أجلسنى عن يساره ، ولبثنا فى حضرة جلالته فترة وجيزة ، وجلالته يكرر تحية الشيخ والترحيب بمقدمه .

لقد كنت أتأمل وجه جلالته فأجده يشرق بالبهجة والفرح ، وأتأمل مقاطع كلامه فأسمعها تعبر عما أفعم قلبه الكريم من الغبطة والسرور البالغ بعودة الشيخ واقياه على مايحب من العافية ، وأرى من عين جلالته بريقاً يشع بصادق الحب والتقدير للشيخ ، لا بل للعلم والدين والصلاح والتقوى المتمثل كله فى الشيخ ، فارتسمت فى نفسي صورة قوية لهذا الملك العظيم الذى يُكبر الدين ويجله هذا الإكبار والإجلال ، ويحبه هذا الحب ، ويحله من نفسه هذا المكان الرفيع ، وآمنت أن الأمة ـ بحمد الله ـ بخير ، ما بقى فيها ملوك تنطوى قلوبهم على هذا الإيمان ، وترتفع عندهم مقادير العلم والدين إلى هذه المكانة الرفيعة . حفظ الله جلالة الملك عبد العزيز وأطال عمره لخير الإسلام والمسلمين .

يتبع

قران مبارك

فى يوم الأحد ٣٠ رجب سنة ١٣٧٠ الموافق ٦ مايو سنة ١٩٥١ تم عقد قران حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول حفظه الله ، ووفقه لما يحبه و يرضاه ـ على سليلة المجد الآنسة : ناريمان صادق ، ومن هذا التاريخ أصبحت « جلالة ملكة مصر » حسب التقاليد الدستورية المصرية .

وجماعة أنصار السنة المحمدية ، تعلن ابتهاجها بهذا القران الميمون ، راجية من الله أن يكون بشرى سعد ومقدم خير للشعب المصرى ، وأن يوفق الله الملكين و يرزقهما الذرية الصالحة التى تقر عيونهما وعيون المسلمين ، وأن يؤيدهما بروح منه ، وأن يسدد فى طريق الحق والهدى و الدين القويم من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد أرسلت الجماعة إلى جلالة الملك برقية تهنئة بهذه المناسبة نصها كالآتى :

حضرة صاحب المعالى كبير الأمناء

جماعة أنصار السنة المحمدية ، ترجو أن ترفعوا إلى السدة الملكية أخلص التهانى بالزواج الملكى السعيد ، سائلة الله أن يجعل منه لجلالة الملك المعظم ، ذرية صالحة تقر بها عينه وعيون المسلمين ، أيد الله الملك بروح منه .

محمد حامد الفقى

رئيس الجماعة

باب التراجم

محمد بن عبد الوهاب

- ٥ -

ابن عبد الوهاب وابن تيميه : أتيح لمحمد بن عبد الوهاب أن يطلع على كتب الإمام أحمد بن تيمية ، بعد أن تكونت عقيدته ، ونضج تفكيره ، واتجه هذا الاتجاه السليم ، فوجده موافقاً له فى آرائه ومعتقداته ونزعته الإصلاحية ، فأحبه من كل قلبه ، وأعجب بصراحته وشجاعته ، وأقبل على كتبه ومؤلفاته ينهل من مواردها ، ويرتوى من معينها ، وعكف على دراستها عكوف المنهوم الذى لا يشبع ، والظامىء الذى لا يبل له أوام .

إعلان الدعوة : زايل عزلته ، وأعلن دعوته ، ودعا الناس فى صراحة وشجاعة وإصرار إلى اتباع الحق الذى دعا إليه كتاب الله ، وسنة رسوله والتطهر من رجس العقائد الفاسدة ، واجتناب البدع ومحدثات الأمور .

متاعبه : فلما أعلن دعوته وجهر بها تعرض لما تعرض له كل مصلح ينهض فى بيئة جاهلة جامدة لا تفكر ولا توازن ، ولا ترضى أن تترك ما ألفت عليه الآباء ، لأن عقائدها وعاداتها : تكونت من رواسب الوراثات والتقاليد مع الزمن ، وتحجرت عليها أدمغتها ، وقست عليها قلوبها ، حتى لا ينفذ إليها شعاع من ضوء الحق ، ولا يتسرب إليها بصيص من نور اليقين .

ولم يكد — عليه الرضوان — يعلن دعوته حتى ثار الجامدون فى وجهه زوابع حنقهم ، ورموه بأشنع التهم ، ووصموه بأقبح الوصمات ، وعزوا إليه مايعزوا الجاهلون إلى المصلحين فى كل زمان ومكان من مفتريات وأكاذيب ، ليس لها من الحق نصيب .

قالوا : إنه يكره النبى صلى الله عليه وسلم ويحرم الصلاة عليه ، وإنه يقول : عصاى خير من النبى ، وإنه يكفر المسلمين ، وإنه ينكر الأئمة الأربعة ومذاهبهم ، وإنه ينكر كرامات الأولياء . . وإنه . . وإنه . . إلى غير ذلك من ألوان الأكاذيب والفرى ، التى يوحيها شياطين الجن إلى شياطين الإنس ليصرفوا بها وجوه الناس عن الدعاة المصلحين .

علماء بلده : أما علماء بلده « العيينة » فقد خذلوه جميعا ، وكان من بينهم أذكياء عرفوا الحق وآمنوا به فى قرارة أنفسهم ، ولكن كبُر عليهم أن يتبعوا هذا الشاب الناشىء فتهون كرامتهم ، وتسقط منزلتهم ، فكتموا الحق ، وانحازوا إلى زمرة الأغبياء الجاهلين ، ورضوا بلعنة الله ولعنة اللاعنين .

هجرته : لقى فى بلدة « العيينة » من الإعراض والاضطهاد ، والإساءة والإعنات ، والافتراء والتقول ما حبب إليه الهجرة منه ، على فرط حبه إياه ، قرية « غُصَيبة » بلدة السيدة الجليلة « مُوضِى » زوجة الأمير محمد بن سعود أمير « الدرعية » وجلس فى مسجدها يصلى بالناس ، ويدعوهم إلى إخلاص العبادة لله فبلغ خبره إلى السيدة « موضى » فنصحت زوجها أن يأتى الشيخ ويسمع منه ، ثم نصحته أن يؤويه وينصره ، وكان الأمير ذكيا ألمعيا متزناً مترويا ، فأخضع هذه الدعوة للبحث والتمحيص ، وفكر فيها حرًّا شجاعاً مقداماً لا يحجم عن الإقرار بالحق إذا وضح له . فلما لاحت له أنوار الحق ، وتبين له مافى الدعوة من صدق ويقين وإخلاص ، تقبلها بقبول حسن ، وصمم على مناصرتها ومؤازرتها وتأييدها ، واعتبر الجهاد فى سبيلها جهاداً فى سبيل الله ، وواثَقَ الشيخَ على حمايتها والدفاع عنها ، وأجمع العزم على محاربة البدع ومحدثات الأمور ، ومكافحة الرذائل والخرافات ، وعقدالنية على نشر دعوة الحق فى جزيرة العرب كلها بالرفق واللين ، والحكمةوالموعظة الحسنة لدى من يرحبون بها ويقبلونها ، وبالسيف عند من يقومون فى وجهها ويعترضون سبيلها .

ثم وجه الشيخ دعوته إلى الأمراء فى الأقطار الحجازية ، وإلى العلماء فى الأقطار الأخرى يستنهض هممهم لمحاربة البدع والخرافات والعقائد الفاسدة ، ويدعوهم إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح ، فاستجاب له الأذكياء المنصفون ، الذين فكروا في دعوته بعقول حرة مجردة عن الهوى بريئة من التعصب ، نزاعة إلى الحق ، وأعرض عنه الأغبياء الجامدون وتجار الأديان الذين لا يهمهم إلا أن تشبع بطونهم ، وتكسى أبدانهم ، ويتدفق المال فى خزائنهم ، ولو دُكَّ صرح الإسلام دكا

انتشار الدعوة : وانتشرت دعوته فى كثير من الأقطار الإسلامية ، ووجدت فى الحجاز واليمن والعراق والهند ومصر والجزائر أنصارًا لها يعتنقونها ، ويدعون إليها ، ويدافعون عنها

أمل ورجاء : وإنا لنرجو أن يستجيب المسلمون جميعاً لدعوة الحق التى جاء بها القرآن

الكريم و بينتها سنة إمام المرسلين ، فيجردوا توحيد الله ، و يقلعوا عن البدع والخرافات ، والرذائل والمنكرات ، ولو فعلوا لزالت غربة الإسلام بين أهله ، ولعاد إليهم ما كان لهم من القوة والمنعة والعزة والكرامة والسلطان والدولة .

وفاته : قضى حياته كلها مجاهداً في سبيل الحق حتى وافته منيته في أحد شهور سنة ست ومائتين وألف من الهجرة . ودفن بالدرعية فترك الدعوة في أيدى أبنائه وأنصاره وأتباعه ، يسقون ماغرس ، و يتممون مابنى ، ولن يزال أنصار الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله . أدخله الله فى واسع رحمته ، و بوأه فسيح جنته . و بارك فى آله وخلفائه ينهضوا نهضته ، و يقوموا بتبليغ دعوته.

أبو الوفاء محمد درويش

﴿ اعتذار ﴾

حضرة صاحب الفضيلة أخى فى الله الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته .

عهد إلىّ مجلس إدارة الجماعة ، بحسن ظنه ، أن أقوم بالإشراف على تحرير مجلة (الهدى النبوى) ابتداء من أول العام الهجرى الحاضر (المحرم سنة ١٣٧٠) وقد قمت بما عهد إلىّ فيما استطعت والحمد لله . ثم جاء ظرف جديد : أن صدر حكم من مجلس الدولة يوم الخميس الماضى ٢٠ رجب سنة ١٣٧٠ (٢٦ ابريل سنة ١٩٥١) بإلغاء القرار الصادر من وزارة العدل بإحالتى إلى المعاش . و بذلك صرت مستمراً فى منصبى القضائى . وتعرفون و يعرف المجلس الموقر ماللمناصب القضائية من الحساسية التى قد تنافى مباشرة القاضي لعمل صحافى متصل . لذلك أجدنى مضطراً إلى الاعتذار عن الإشراف على تحرير المجلة ، شاكراً لكم وللمجلس الإدارة ما لقيت من تعاون وعطف ، راجيا أن ترفعوا اسمى من عنوان المجلة ، ابتداء من العدد القادم (عدد شعبان سنة ١٣٧٠)

على أن هذا لن يكون مانعاً لى ـ إن شاء الله ـ من كتابة (كلمة الحق) فى مناسباتها بحول الله وتوفيقه ، كما كنت من قبل ، لا أخشى أحداً إلا الله ، إن شاء الله .

الثلاثاء { ٢٥ رجب سنة ١٣٧٠ / أول مايو سنة ١٩٥١ }

احمد محمد شاكر

مات الشيخ أبو السمح

رحمه الله وغفر لنا وله

فى تمام الساعة الثالثة من صباح يوم الاثنين العاشر من شهر رجب فاضت روح الأخ الكريم الشيخ أبو السمح ، نور الدين ، محمد عبد الظاهر إمام وخطيب الحرم المكى ومدير ومنشىء دار الحديث بمكة المكرمة ، وقد جاوز نصف العقد السابع ، بمستشفى الجمعية الخيرية الإسلامية بالقاهرة ، إثر تسمم كان نتيجة التهاب فى الكليتين عطلهما عن وظيفة إفراز « البولينا » من البول . وكان يشكو من قديم مرض السكر ، فنتج عنه أيضا ضعف فى القلب وهبوط فى قواه . فلم يستطع المقاومة .

ولد رحمه الله فى بلدة التلين مركز منيا القمح مديرية الشرقية ، وحفظ على والده الشيخ محمد الفقى القرآن ، ثم طلب العلم في الأزهر ، ثم فى مدرسة المعلمين الأولية ، وحصل منها على شهادة كفاءة المعلمين . ثم اشتغل بالتدريس ، ثم التحق بدار الدعوة والإرشاد ـ حين أنشأها السيد رشيد رضا ، رحمه الله ـ فكان يتعلم فيها ويعلم تجويد القرآن والخط ، وبعد إغلاقها ـ لظروف حرب سنة ١٩١٤ ـ انتقل إلى الاسكندرية معلماً خاصاً لأولاد محمود الديب باشا ، وتزوج أخت الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة . وكان قد تزوج قبلها أم ابنه الأكبر عبد اللطيف ، ثم طلقها وتزوج أخرى وطلقها . ووافقته أخت الشيخ محمد بن عبد الرزاق لانها نشأت فى حضن التوحيد ، فكان له منها السكون والمودة والرحمة . وله منها اليوم : أربعة أبناء وثلاث بنات . وفى الاسكندرية أعلن بدعوة التوحيد ، واستجاب له كثير ممن أكرمهم الله بالهداية والانتفاع بدعوته ، حتى كان له جماعة قوية تناصره ، وتؤيد دعوة الحق مما حرك الصوفية أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء أنفسهم ، فألبوا عليه ، وأغروا به أتباع كل ناعق ، فآذوه أشد الأذى ، حتى كانت معارك وقضايا فى المحاكم ، خرج منها الشيخ ـ بفضل الله ـ مؤيداً منصوراً ، بما أوتى من الصدق والصبر

وبما حباه الله من حسن الخلق وطهارة القلب ، وقوة اليقين ، ووثيق صلته بربه واعتماده عليه وحده . ثم طلب إليه جلالة الملك عبد العزيز آل سعود - حفظه الله وأطال عمره - أن يكون إماماً وخطيباً للحرم المكى ، لما أعجبه من رخامة صوته وعذوبته تلاوة القرآن - وكم أشجى الشيخ رحمه الله وأبكى المصلين خلفه من الوافدين إلى بيت الله من كل فج عميق خصوصاً فى صلاة الفجر (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) - وأقام بمكة واتخذها دار مقام له ، وكان موضع عطف جلالة الملك المعظم ، وأصحاب السمو أنجاله الكرام ، وخصوصاً ولى العهد المعظم . وكان لدرسه في الحرم الشريف أطيب الأثر فى تزكية النفوس وتطهير القلوب من أدران البدع والخرافات ، ثم أسس دارا للحديث بمكة ، على غرار « دار الدعوة والإرشاد » ورحب جلالة الملك عبد العزيز - حفظه الله - بها ، وقرر لها إعانة سنوية ، وأصدر سمو ولى العهد المعظم أمره الكريم بجعل دار الارقم - ذات التاريخ المجيد - مقراً لها . ومنذ ثلاث عشرة سنة تزوج الشيخ رحمه الله زوجة ثانية أعقب منها ثلاثة أبناء وثلاث بنات . فمجموع أبنائه وبناته : أربعة عشر . ثم بدأ يظهر عليه الشيخوخة المبكرة والضعف والوهن ، حتى بلغ به الأمر : أنه لا يستطيع القيام بوظيفته إلا بمشقة وتكلف ، فعين صهره الشيخ محمد بن عبد الرزاق معاونا له ، حتى عجز فى السنتين الأخيرتين عن التدريس فى الحرم والخطابة إلا نادراً جداً ، وقد اضطره ذلك الضعف إلى كثرة الحضور إلى مصر للاستشفاء ، وأخيراً حضر إلى مصر - كعادته - فاشتد عليه المرض . وأدركته المنية ، وجاءه الأجل المحتوم . رحمه الله وغفر لنا وله . ودفن بقرافة سفح المقطم بالقاهرة مع عمه الشيخ مصطفى الفقيه وبجوار والدته .

وله من المؤلفات : كتاب « حياة القلوب في معاملة علام الغيوب » نفع الله به كثيراً جداً ، واهتدى به كثير من الناس ، فخرجوا من ظلمات الخرافات وعبادة الموتى إلى نور الهدى والحق واخلاص العبادة لله . وقد طبع مرتين . وله كتاب « كرامات الأولياء » .

نسأل الله أن يعوض المسلمين - وخصوصاً أنصار السنة - فيه خيراً ، وأن يبارك فى أبنائه ويجعلهم خير خلف له

الشيخ أبو السمح

إمام الحرم المكي وخطيبه

في سحر ليلة الاثنين قبيل فجر اليوم العاشر من شهر الله الحرام، رجب الفرد أحد شهور سنة ١٣٧٠ من الهجرة النبوية . فقد الإسلام داعية من دعاته وفقدت السنة المحمدية بطلا من أنصارها ، وفقد المسجد الحرام إماماً كان أهلاً لإمامته . وفقد القرآن المجيد وعاء كريما من أوعيته ، ومزماراً من مزامير آل داود . مرتلا لآياته بصوته الرخيم أمام وجه الكعبة ربع قرن من السنين . وفقدت العبادة الخالصة لوجه الله تقياً من تقاة المؤمنين . وفقدت دار الحديث المكية إدارة رشيدة ، وسنداً ساندا ، وتوجيهاً حكيما ، كل ذلك فُقِدَ بوفاة الشيخ عبد الظاهر أبي السمح بن محمد نور الدين الفقيه رحمه الله تعالى رحمة الصالحين . وأسكنه دار الكرامة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا .

لقد خنقتني العبرة عند سماع خبر وفاة هذا الإمام ، فقلت ما أمرنا الله أن نقوله : (إنا لله وإنا إليه راجعون) وقلت ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم عند موت فلذة كبده ابراهيم « القلب يحزن ، والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا » وإنا بوفاة أبي السمح لمحزونون ، وعلى فراقه باكون ، وعلى مصيبتنا به صابرون محتسبون .

ماذا أبكى في الفقيد رحمه الله ؟ أعشرة ثلاثين عاماً في مذاكرة العلم من تفسير القرآن وتفهمه ، وإحياء السنة متناً وسنداً وفقهاً ، أيام دار الدعوة والارشاد ، أستاذا فيها وأنا تلميذه العشير له فيها ؟ أم أيام الصيف سنين كثيرة وأنا ضيفه ـ وقتا غير قصير ـ برمل

الاسكندرية حينما أودع عنده وجيه من وجهاء الاسكندرية تهذيب بناته ، وائتمنه على ودائعه ، فقام بأداء الأمانة وحفظ الوديعة قيام الورع والعفة والتقوى؟ أم أبكى صحبته وسفرنا معاً عند أداء فريضة الإسلام في حج سنة ١٣٤٥ حينما دعاه عاهل الجزيرة العربيـة الملك عبد العزيز ـ أطال الله حياته ـ عضواً في مؤتمر مكة المكرمة ذلك العام ؟ أم صحبتنا معاً متحملين بالأهل والعيال ، مقفين الحياة المصرية إلى حياة مكة لأداء مهمة التدريس والإمامة والصلاة في الحرمين الشريفين من ربع قرن مضى ؟ أم تبكيه دار الحديث المكية مديراً لهـا ثمانية عشر عاما ، موجهاً طلبتها وجهة الكتاب والسنة علماً وعملا ؟ أم أبكيه أنا مساعداً له فيها ومدرساً بها ، مسترشداً بعقله ودينه وخلقه الكريم ؟ أم أبكيه صهراً كريما ، وأبا رحيما لأولاد أختى ، ومربياً حازما حكيما لأسرته الطيبة الكريمة ؟ أم أبكيه أنيساً مؤنساً ملاطفا مداعباً ، لطيف العشرة ، خفيف الروح ، كريم الخلق ، ظريف المحاورة نزيه العبارة ، عف اللسان . أم تبكيه كرام وجوه زوار بيت الله الحرام في داره حينما يدعوهم للزيارة والأنس والتعارف وربط مودة الإسلام ، فينصرفون من داره تبهرهم محاسن أخلاقه ولطف محضره وأنس حديثه ، وبشاشة وجهه ، وعذب ألفاظه وكرم ضيافته ؟ أم تبكيه عبقرية الشعر الذي خدم به دينه والصالحين من عباده ، غير متأكل به ؟

ألا إن رأس الأمر وذروة سنامه : أنه فارس القرآن حفظا وتجويداً ورخامة صوت ، ونداوة تلاوة ، وعذوبة قراءة ، وإمام المسلمين من شرق الأرض وغربها ، في أفضل بقاع الدنيا وفي أعظم مواسم الإسلام بمكة المكرمة .

هـذه قطرة صافية مما أعرف عن هذا الفقيد العظيم ، فقيد الإسلام والقرآن والسنة ، وإن أسعدني التوفيق والبيان بتحبير أوراق في حياة هذا النجم الذي أفل ، والبدر الذي غرب ، كنت قد أديت بعض حقه علي ، وشكرت قليلا من كثير أياديه علىّ وعلى الناس .

وأختم الكلمة بالثناء على ماتفضل به جلالة عاهل الجزيرة العربية ، وسمو ولي عهده المعظم وعظماء رجال الدولة العربية من إعلان تكدرهم لخبر وفاة هذا الإمام الحبر . وعلى

ما تفضل به جلالة الملك المعظم من رعاية أسرة الفقيد بما كان يرعى به الشيخ كاملا موفوراً غير منقوص .

فجزاه الله على ذلك أحسن ما يجزى المحسنين ، ومتع الله المسلمين بحياته العامرة بالخير والبر والإحسان آمين .

(القاهرة : دار جماعة أنصار السنة المحمدية) محمد بن عبد الرزاق
(فى الثانى والعشرين من رجب سنة ١٣٧٠) حمزه

أخبار الجماعة

مجلس ادارة فرع الجماعة بالمعصرة

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع جماعة أنصار السنة المحمديه بالمعصرة فى مساء يوم الجمعة ٢٩ جمادى الثانى سنة ١٣٧٠ الموافق ٦ ابريل سنة ١٩٥١ الساعة الثامنة بدار الجماعة بالمعصرة المحطة برئاسة الشيخ محمد على عبيد وسكرتارية فتحى افندي متولى أحمد ، وأسفرت النتيجة كالآتى :

(١) الشيخ محمد على عبيد رئيساً (٢) الشيخ أمير ابراهيم رفاعى وكيلا (٣) فتحى افندى متولى احمد سكرتيراً (٤) محمد على عطيه افندى أميناً للصندوق (٥) الشيخ محمد مرسى عبد الرحيم مراقباً إداريا (٦) الشيخ عنتر على السيد احمد (٧) الشيخ عبد الحميد عثمان (٨) الشيخ هاشم جسنين (٩) محمد افندى حبيب (١٠) محمد خالد فرج (١١) عبد الله عبد الرحمن . أعضاء

ثانيا : كما انتخبت حضرة الشيخ عبد الفضيل ابراهيم مراجعا للحسابات .

والمركز العام يسأل الله أن يوفقهم ويسدد خطاهم فى خدمة السنة النبوية المطهرة .

مات الشاب الصالح

الأمير منصور بن الإمام عبد العزيز آل سعود

رحمه الله وغفر لنا وله

وإنها لشديدة على نفسي والمهمة موجعة : أن أسجل « مات الأمير منصور » ولكن رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، وكل نفس ذائقة الموت ولكل أجل كتاب ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

فلقد كان ـ رحمه الله ـ معقد الأمل ، ومحل الرجاء ، وقرة العيون ، مات وهو في عنفوان الشباب وطراوة الصبا ، فانهارت الأمل ، وذهب الرجاء ، وسخنت العيون ، وارتفعت الأكف ضارعة إلى الله أن يمطر سحائب رحمته ومغفرته على عبده « الأمير منصور » وأن ينزل على قلب والده فيضا رحيما من الصبر الجميل ، يتعزى به عن فقد ولده العزيز عليه « الأمير منصور » إذ كان يحل من قلب والده ، بل من كل قلب من عرفه ـ السويداء ، ذلك : أنه كان شهما بكل معاني الشهامة ، فخما بكل معاني الفخامة ، سمح الأخلاق ، كريم اليد والنفس ، مسارعا إلى فعل الخيرات وإسداء الجميل ، وبذل المعروف كان يربي الكثير من أبناء الفقراء ويعلمهم على حسابه الخاص ، وكان برا بالمساكين ، عطوفا على البؤساء والمحتاجين ، كان حريصا على صلاة الفجر بالمسجد الحرام ، ثم يعكوف ويجلس بين طلبة العلم ـ كواحد منهم ـ في تواضع وأدب كريم إلى طلوع الشمس ، ثم يطوف ويصلي ركعتي الطواف ثم ينصرف إلى بيته ، وفي جلسته هذه يرد عليه الكثير من الفقراء ، فيبذل لهم ما يعيشهم يومهم ، ثم يتبعه ذوو الحاجات ، فلا يخيب رجاء واحد منهم . كان مغرما بحب العلم ومجالس العلماء ، عطوفا على طلبة العلم ، يبذل لهم من ذات نفسه ومن ذات يده ما يطلق ألسنتهم بالدعاء ، كان يكسو طلبة العلم كل سنة في رمضان ، ويجمع في موسم الحج العلماء إلى وليمة يجلس معهم بعدها مجلس أخوة ومودة يتباحث وإياهم في أي الكتب أنفع للناس ، فيشيرون عليه ، فيأمر بطبعها وتوزيعها ابتغاء وجه الله .

فمن مآثره فى ذلك : كتاب الشريعة للإمام أبى بكر الآجرى ، وكتاب الاختيارات وكتاب اقتضاء الصراط المستقيم ، وكتاب نظرية العقد ، كلها لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ولا يزال تحت الطبع بأمره - رحمه الله وغفر له - كتاب « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » وكتاب « الروض المربع شرح الزاد مع حاشية قيمة جداً للشيخ العلامة عبد العزيز العنقرى » وكانت له آمال كبار فى نشر أكبر مجموعة من الكتب العلمية النافعة رحمه الله .

تولى وزارة الدفاع ، ففى برهة وجيزة من توليه إياها : كان للمملكة السعودية جيش منظم ، وسلاح قوى برى وجوى ، كان له أطيب الأثر فى حرب فلسطين . حرص رحمه الله - على أن يكون الضباط والطيارون والميكانيكيون من السعوديين ، فكانت البعثات إلى أمريكا ومصر وغيرها من البلاد ، يعود منها الطلبة السعوديون على ما يقر العيون ويفرح القلوب .

وقد توفى - رحمه الله وغفر له - بالمستشفى الأمريكانى بباريس فى ٢٦ رجب إذ كان فى طريقه إلى أمريكا للاستشفاء من مرض الكلى ، وقد نقل باحتفال مهيب على طائرة إلى جدة ، ثم حمل إلى مكة ، وصلى عليه جمع ملأ المسجد الحرام ، وأمهم الشيخ عبد الله بن حسن عقب صلاة الجمعة بالحرم ، ثم دفن بمكة المكرمة بمقبرة العدل بجوار جبل النور ، وقد حضر من الرياض للصلاة عليه وتشييعه أخوه حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى العهد المعظم ، أطال الله حياته المباركة النافعة ، وحضر كثير جداً من العلماء ورجال الدولة .

وكانت جنازته حافلة ، ذرفت عليه الدموع ، وبكته القلوب ، لما فقدت من شبابه وسجاياه الحميدة ، وقد صلى عليه صلاة الغائب جماعة أنصار السنة ، وبكوا فيه مروءته وشهامته ، وكثير بره وإحسانه فى نشر كتب السلف النافعة .

أسأل الله أن يلهم جلالة والده وإخوته الصبر الجميل ، وأن يعوضهم والمسلمين فيه خيرا ، وأن يبارك لوالده فى أصحاب السمو أنجاله الكرام ، ويجعلهم قرة لعينه وعيون المسلمين ، وعلى رأسهم سمو ولى العهد المعظم ، ويجعل فيهم خير عوض عن الأمير منصور رحمه الله وغفر له وأسكنه فسيح جنته .

محمد حامد الفقى

احذر ، ثم احذر ، ثم احذر

وحذِّر كل من تعرف وتحب

أن تشرب « الكوكا كولا » أو « البيبسى كولا » أو « الزمبا كولا » أو أى شراب فيه من مادة « الكولا » شىء ، فإنه مضر بالجسم ، محطم للأعصاب ، مضعف للقوى . ذلك : لأن « الكولا » هى أصل مادة الكوكايين ، وهى من أشد المواد تخديراً ، وإضعافاً للأعصاب ، وتحطيماً للقوى .

فإن شراب « الكوكا كولا » لم يعرف إلا بعد الحرب الثانية ، وذلك لأنه كان مخصصاً للجيوش المحاربة فى الميدان لتخديرهم ، وقتل شهوة الذكورة والرغبة إلى النساء . ومن المحزن المؤلم جداً : أن تروج فى البلاد الإسلامية هذه المشروبات هذا الرواج ، لأننا ننخدع لجهلنا وغفلتنا سريعا ، ونقدم كل ضار ومفسد بدون تفكير ولا تعقل تحت تأثير تحت تأثير المغريات الكاذبة

هذا تحذير عاجل أكيد ، لما علمت ما فيها من الأضرار ، وفى العدد القادم إن شاء الله سننشر بحثاً مستفيضاً فى ذلك .

محمد حامد الفقى



ذخائر العرب

مجموعة جديدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب
لبعث الكنوز العربية الخالدة ، تقدم إلى جمهور
القراء فى أنصع حلة من التحقيق وجمال الإخراج

ظهر منها :

١ — مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب (قسمان)
تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٢ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم .
تحقيق المستشرق الأستاذ ا . ل . بروفنسال .

٣ — إصلاح المنطق لابن السكيت
تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٤ — رسالة الغفران (عن أقدم نسخة خطية) لأبى العلاء المعرى .
تحقيق السيدة بنت الشاطىء

٥ — حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسى، تحقيق الأستاذ محمد عبدالغنى حسن

تحت الطبع :

٦ — ديوان أبى تمام (شرح التبريزى) تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام .

تصدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف حضرات

محمد حلمى عيسى باشا والدكتور طه حسين باشا والدكتور أحمد أمين بك
والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ إبرهيم مصطفى

العدد ٩ المجلد ١٥

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

رمضان سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

مطبعة السنة المحمدية
• شارع غيط النوبي — القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهـرس

الهدى النبوى

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

٢٠ ق فى مصر والسودان

٣٠ ق فى الخارج

الإدارة : ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

اعتـــذار

نعتذر لضيق صفحات المجلة عن نشر ما لدينا من المقالات المهمة مثـــل (الكوكا كولا ـ خفض البنات وأنه من سنن الفطره وسنن الإسلام ، وأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كنت فى الرياض ـ كلمة السكرتير) وموعدنا للعدد القادم إن شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير القرآن الحكيم

بقية العرض الإجمالى

لسورة النحل

بعد أن ذكر الله الإنسان بما مَنَّ وأنعم عليه فى هذه الحياة الأولى من النعم ، وأقام له من الآيات البينات فى نفسه وفى الآفاق الناطقة بأن جميع أفراد هذا الإنسان كلهم فى العبودية للرب سواء ، لأنهم فى الخلق والحاجة والفقر إلى الرب سواء ، وفى المعاش والمعاد سواء ، وفى أسباب العلم والهدى والعمل سواء ، وفى الحياة والموت سواء ، وفى الصلة بالرب سواء - هم جميعاً عباده ، وهو الرب الواحد ، الذي يربي الجميع بنعمه وفضله بمقتضى أسمائه وصفاته ، وقد علم ربنا سبحانه : أن أكثر الناس ينسلخ عن آيات ربه ونعمه عليه فى إنسانيته العاقلة المفكرة ، فيغفل بالتقليد الأعمى عن هذه النعم والآيات ، ويكذب بها ، وينأى بجانبه عن التفكر والتأمل فيها ، فيعرفها ببهيميته ويكفر بها بانسانيته ، ويتخذ - فى ظلمات هذه الغفلة والتقليد الأعمى - الأنداد والشركاء للرب ، يسويهم به فى العبادة ، ويتخذ الأحبار والرهبان منهم أربابا من دون الله ، يشرعون له من الباطل والضلال والوثنية والبدع ما يمقته الله ويسخط عليهم به ويلعنهم - زاد الله الرحمن الرحيم فى تذكير الإنسان وتحذيره ، بأن عرض عليه الموقف بعد البعث ، ونقل له مشهدا من مشاهد الآخرة - ما أشد هوله ، وما أعظم خطره ووقعه على النفوس الحية العاقلة - إنه يعطيك حق اليقين سوء عاقبة الظالمين لأنفسهم بالتقليد الأعمى والتكذيب بآيات الله الكونية والعلمية ، والاعراض عن التفكر فيها وتأملها وتدبرها وفهمها حق الفهم والانتفاع بها .

انظر ، يوم يبعث الله وحده - فإنه مالك يوم الدين ، والأمر فى هذا اليوم له وحده -

من كل أمة وجماعة من البشر ـ كانت تجمعهم فى حياتهم الأولى جامعة الزمن ، أو الدين أو البلد ، أو نحو ذلك من الجوامع ـ شهيداً من الانبياء وغيرهم من صادقى أتباعهم المهتدين بهديهم ، ومن كل قائم لله بالحجة على عباده ، يذكرهم بآياته ونعمه ، ويحرص أن يوقظهم من الغفلة ويرجعهم إلى الإنسانية العاقلة الكريمة . قال الله تعالى (١١: ١٨ أولئك يعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم) وقال (٤٠ : ٥١ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) وقال (٥٧ : ١٨ والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم) وقال (٣٩ : ٦٩ ووضع الكتاب ، وجىء بالنبيين والشهداء ، وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون) فإن الشهيد : بمعنى المشاهد والشاهد ، الذى يشهد الحق على ما هو عليه ، ويعرفه لصاحبه فلا يجحده ولا يحرفه عن موضعه . فيكون حجة لله على عباده الظالمين لأنفسهم ، طالما ذكرهم فسخروا منه وازدادوا إصراراً على الغفلة ، وطالما دعاهم إلى الله و إخلاص العبادة له فضحكوا منه ، وأبوا إلا الوثنية والشرك بعبادة الموتى والطواغيت من دونه وقالوا : ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة . إنه عدو الصالحين والأولياء ، وطالما بصرهم بهدى الفطرة ، وهدى آيات الله الكونية والعلمية ، فلجوا فى طغيانهم يعمهون ، وقالوا : انا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ، يبعث الله هذا الشهيد ويقيمه مقام الكرامة والاعزاز ـ وربنا الحكم العدل ، الذى لايظلم مثقال ذرة ـ فيشهد بأنه نصحهم فكذبوه ، وذكرهم فعموا وصموا عن نصحه ، وحذرهم من الكفر والفسوق والعصيان فرموه بالشنائع ، وأبوا إلا طاعة الطواغيت ، واتباع الهوى والشيطان ، وكم نبههم إلى سنن الله فى الذين خلوا من قبل فازدادوا عتوا و بغيا ، زاعمين أنها لا تنطبق عليهم . فانها فى الأولين الغابرين، حتى إذا ما أدلى بشهادته ، وأقام حجة الله على الظالمين: خرست ألسنتهم وختم على أفواههم ، فلا يستطيعون قولا «فلا يؤذن لهم ولا هم يستعتبون» قاموا فى ابلاس الحسرة والندامة إذ رأوا مؤلهيهم ومقبوريهم من الأنبياء والأولياء المتقين المؤمنين ، فصاحوا : « ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك » فى الكروب والشدائد ، ونفزع إليهم فى الملمات ، نعبدهم باتخاذ الأعياد والموالد ، ونشد اليهـا الرحال

وننسك فيها باسمهم ، وتقيم لهم القباب والانصاب نطوف ونتمسح بها حبا وتقديسا وتعظيما لهم ، ونقف الوقوف ونحبس الدور والعقار ، ونذبح الذبائح وننذر النذور ، ونقسم الايمان المغلظة بأسمائهم ، ونسمى الأولاد تبركا بهم . وكان ذلك ديننا الذى نحرص عليه أشد الحرص ، ونحارب من أجله أشد المحاربة كل من يحاول ردنا وإرجاعنا عنه وما كنا نفعل كل ذلك إلا من أجل اعتقادنا أنهم أحبابك وأصفياؤك فهلا ينفعنا اليوم ذلك ، ويخفف عنا شيئا من العذاب ؟ فيجيبهم الأنبياء والأولياء المتقون ، ويلقون إليهم القول : إنكم لكاذبون علينا أوقح الكذب وأفجره هل دعوناكم إلى عبادتنا واتخاذنا آلهة من دون الله هل وجدتم من قولنا كلمة تبيح لكم أن تقيموا كل هذه الوثنية باسمنا ؟ هل كان ذلك من هدينا وسيرتنا يوم كنا فى الحياة بين ظهرانيكم ؟ كذبتم كذبتم لقد كان من هدينا محاربة ذلك بكل ما أوتينا من قوة ، ولقد سجلنا لكم ذلك فيما حفظ ربنا من كتاب ، لكنكم أعرضتم عن هدينا ، وفتنتكم الشياطين بأحداثنا ، وهجرتم كتاب ربكم ، وعميتم عن معانيه ، وشغلتم عن تدبره وفهمه باتخاذه سخرية ولعبا ، من حجب وتمائم ومغانى وقراءة للموتى وللتبرك الجاهل الغافل ، وللسحر واستخدام الشياطين ، وغير ذلك مما كان أبعد عن مقاصده الرشيدة الحكيمة الهادية إلى سواء السبيل ، ومما هو أدخل فى الكفر به والوثنية والفسوق والعصيان ، فاستولت عليكم الجاهلية وصدق عليكم إبليس ظنه فاتبعتموه وأوحى إليكم أن تتخذوا كل هذه الوثنية دينا باسمنا ، ونحن براء منكم ومن شرككم وكفركم ، ويوم كنا بين ظهرانيكم كنا نحاربكم عليها ، فالواقع أنكم إنما عبدتم الشيطان باسمنا . أما تلوتم وسمعتم إلى قول الله فى محكم كتابه ـ الذى طالما سخرتم منه وهزأتم به وتلاعبتم ـ (٣٦ : ٦٠ و ٢٦ ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ؟ إنه لكم عدو مبين . وأن اعبدونى . هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً ، أفلم تكونوا تعقلون ؟ وإلى قوله على لسان خليله إبراهيم لأبيه (١٩ : ٤٤ يا أبت ، لا تعبد الشيطان . إن الشيطان كان للرحمن عصياً) وإلى قوله سبحانه (٤ : ١١٧ — ١١٩ وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً لعنه الله . وقال : لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ، ولآمرنهم فليغيرن خلق الله . ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسراناً مبينا) وإلى قوله سبحانه يخاطب خليله ابراهيم الصديق النبى الكريم (٢٢ : ٣٦ وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت : أن لا تشرك بى شيئاً) إلى قوله

سبحانه يحذر حبيبه ورسوله محمدا إمام الموحدين ، وأهدى العابدين ، وأتقى المتقين (٣٩:٦٥ ، ٦٦ ولقد أوحي إليك و إلى الذين من قبلك : لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين، بل الله فاعبد ، وكن من الشاكرين) أليس فى ذلك أشد تحذير لكم من الغفلة والإعراض عن فهم آيات الله التي هُدِي بها ذلك الرسول الكريم و إخوانه المرسلون عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ، فكانوا خير المؤمنين الموحدين ، وكان أعداؤهم الغافلون المعرضون هم المشركون الخاسرون . وكذلك سنة الله التى لا تتبدل ولا تتحول . أفيحذر الله رسله جميعا من الشرك وتأمنونه أنتم على أنفسكم ؟ إن هذا لهو العمى أشد العمى ، الذى جركم الشيطان فى ظلماته إلى كل ما أقحمتموه من الشرك والوثنية باسمنا أما كانت آيات الله تتلى عليكم ؟ .

بلى ، كانت تتلى عليكم وكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامرا تهجرون . بلى ، قرأتم هذا وغيره من آيات الذكر الحكيم وسمعتموه ، ولكنكم قرأتموه محترفين ، معجبين بأصواتكم ونغماتكم وموسيقاكم ، واشتريتم به ثمنا قليلا ، وسمعتموه كذلك لاهين ساخرين ، سمعتموه غناء وموسيقى لا قرآنا . فغفلتم عن كل ما فيه من الهدى والعلم والعقائد والشرائع والأحكام وكانت على قلوبكم أقفال من التقاليد والأوهام والغرور والخدع التى خدعتم بها أنفسكم وخدعكم بها شياطين الجن والانس ، فقرأتم القرآن لفظا ، وكفرتم به علما وعقيدة وعملا . هذه حجتنا عليكم فأنتم كاذبون علينا أفجر الكذب . فألجم الظالمون لأنفسهم « وألقوا إلى الله يومئذ السَّلَمَ . وضل عنهم ما كانوا يفترون » .

فإذا تأملت هذه الصورة الرهيبة لموقف الظالمين لأنفسهم بين يدى أسرع الحاسبين سبحانه ، واستوعبتها من جميع جوانبها : هالكَ ما حَلَّ بهم من الخذى والذلة ، وأرعبك أشد الرعب ما وقع على رءوسهم من صواعق الخيبة والخسران ، وأسرعت الفرار بنفسك والنجاة بها من هذا الظلم وعواقبه ، و بينما أنت تسرع فراراً إذا بك تسمع من إنذار القاهر فوق عباده ما هو أشد وقعاً ، وأبلغ فى تحطيم الطواغيت أثراً (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون) هؤلاء هم الذين اتخذهم الغافلون المقلدون العمى القلوب والبصائر أرباباً من دون الله ، يقدسونهم بما لا يليق إلا بالرب العليم الحكيم ، أو برسله من العصمة وأنهم لا ينطقون عن هوى . فكل قولهم شرع يتبع وحكم

ينفذ فيشرعون لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، ويذهبون وراءهم كقطمان الأنعام ، لكل ما يقولون وما يعملون ، ويجرون وراءهم بالظنون والأمانى الكاذبة فى كل تيه وضلال ، صم بكم عمى فهم لا يعقلون . حتى زينوا لهم من سوء العقيدة والعمل والحال والخلق ما أضل سعيهم فى كل شئون الحياة الدنيا ، واستوجب لهم لعنة الله ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ومهما دعاهم كتاب الله وصحيح سنة رسوله الناصح الصادق الأمين قالوا لهما : إليكما عنا ، فإنا عن فهم كلامكما العربى المبين محجوبون ، بما حرم علينا سادتنا وكبراؤنا ، فهم كما قال الحكيم الخبير (٤١ : ٤٤قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر ، وهو عليهم عمى . أولئك ينادون من مكان بعيد) .

ثم عاد ربنا سبحانه فأحضرك مشهد الموقف الرهيب مرة ثانية ، لتجعله أبدا نصب عينك ، فلا يكون لك عذر فى نسيانه والغفلة عنه ، ولتحذر أن يخدعك عن نفسك الأحبار والرهبان ، فتخوض فى آيات الله كما خاضوا ، وتعتدى حدوده كما اعتدوا ، وتنتهك حرماته كما انتهكوا ، فتعمل أو تقول على الله وأسمائه وصفاته ، ودينه وعبادته وشرائعه وأحكامه ما ليس لك به علم وما لم ينزل به سلطانا ، فتكون من الخاسرين . ولقد وعظك ربك وأوصاك — وهو الرحمن الرحيم — بما ينجيك من هول هذا المشهد وخزيه وما قبله وما بعده . وأقام لك معالم طريق النجاة وآياته بينات ، فيما أوحى به إلى خير الشهداء وأكرمهم على ربهم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما أنزل عليه من « الكتاب تبيانا لكل شيء » ولكل شأن من شئونك فى نفسك وأسرتك وحكومتك ومجتمعك « وهدى » يهديك به إلى سبيل الفلاح والنجاح فى كل هذه الشئون « ورحمة وبشرى للمسلمين » الذين أسلموا قلوبهم وأعمالهم لله رب العالمين .

جعلنى الله وإياك من المسلمين الذين أسلموا وجوههم وقلبهم وعملهم لله . فكانوا من المحسنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . وصلى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله محمد وعلى آله أجمعين .

فقير عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقي

نظرة الاسلام في تحريم الربا

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت

للإسلام فى تحريم الربا نظرة ترجع إلى الجانب الخلقى ، ونظرة ترجع إلى الجانب الاقتصادى العملى :

فأما نظرته إلى الجانب الخلقى : فإنه يريد أن يكون مجتمعاً متراحماً متعاوناً ، لا تكون قاعدة التعامل فيه : أن يستلب القوى ما فى يد الضعيف ، وأن تستغل حاجات المحتاجين استغلالا دنيئاً لإرباء ثروة الأغنياء ، وتحويل الأموال إلى خزائنهم ، وذلك أن الربا يكون بين دائن قوى فى يده من المال ما هو فوق حاجته ، ومدين ضعيف محتاج إلى هذا المال ، فيستغل القوى ضعف الضعيف وحاجته الملحة ، ويجعل ما يقدمه له من المال شبكة يصطاد بها ماليديه ، وليس للأول فضل إلا أنه غنى مالك ، وليس للثانى ذنب إلا أنه فقير محتاج ، ولا شك أن المجتمع الذي يقوم على تمكين القوى القادر من أسباب الحياة السعيدة وتيسير وسائلها له ، وحرمان الضعيف المحتاج من المعاونة والرحمة ومن حقه الإنسانى فى أن يُنقَذ ويُنتَشَل من وهدة الفقر والحاجة ؛ لا شك أن المجتمع الذى يقوم على هذا مجتمع فاسد شبيه بمجتمعات الوحوش فى الغاب .

وقد وازن القرآن الكريم بين هذه المعاملة القاسية و بين الصدقة والإحسان والتعاون ليبرز لنا صورتين متضادتين : صورة الغنى الذى يأخذ بيد الفقير ، رحمة به و إشفاقا عليه ، فيعطيه بعض ماله ابتغاء وجه الله ، وصورة الغنى الذى امتلأ قلبه بالقسوة ، فلم يعد له هَمٌّ إلا أن يمتص دماء المحتاجين ، و يجمع دراهمه ودنانيره من أفواه الجائعين المحرومين .

وضع القرآن الكريم هاتين الصورتين وجهاً إلى وجه ، فجاء فى الآية (٣: ١٣٠ يا أيها الذين آمنو لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون) بعد تحريم الربا قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) .

ولا شك أن الإنفاق فى السراء والضراء إنما يصدر عن ذوى النفوس السمحة التى لم

يفسدها الشح ، ولم يصدها الطمع والجشع عن إنقاذ البائسين ، والإشفاق على الفقراء والمحتاجين ، فإن الذى ينفق فى حالة السراء يدل بذلك على أن النعمة لم تطغه ولم تفسد عليه إنسانيته ولم تمنعه من الإحساس ببؤس غيره ، ومعاونته على التخلص من هذا البؤس والذى ينفق فى حالة الضراء يدل بذلك على أنه امرؤ فى طبعه الإيثار ، وفى قلبه من الرحمة ما يدفعه إلى أن ينسى نفسه ليذكر غيره ، وإلى أن يحتمل المشاق ليرفه عن غيره ولو ببعض الترفية ، والله سبحانه وتعالى يصف المؤمنين بقوله (ويؤثرون على أنفسهم ولوكان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

وهكذا يربي الإسلام النفوس على البذل والإيثار والبر ، ويعلم الغنى أنه لم يخرج بغناه عن دائرة بنى جنسه ، ولم يصر بالمال نوعاً آخر حتى ينكر الناس ويتنكر لحاجاتهم ، وإنما هو منهم وهم منه ، وهو بهم وهم به ، وعليه أن يعاونهم وأن يبادلهم العطف والرحمة والبذل ، كما يُعلِّم الفقير أنه لم يخسر نفسه إذ خسر المال ولم يفقد كرامته وقيمته الإنسانية ، فعليه أن يبذل من ماله ولو كان قليلا ، ولو كان فى حاجة إليه ، ليشعر من يعيش معهم بأنه إنسان ذو قلب .

فهو يريد أن يحفظ على الفقير كرامته كالغنى ، فإنه إذا ساهم -ولو بالقليل- فى تفريج كربة غيره ذاق لذة الإحسان ، وشعر بكرامته كإنسان ، وإذا رآه من هم أكثر منه مالا ، كانت لهم فيه أسوة حسنة ، وأحبوه واحترموه ، ولهذا أباح الله للفقير أن يأخذ صدقة الفطر ، وطالبه فى نفس الوقت أن يخرج عن نفسه وعمن تلزمه نفقته ، ومن عرف وسائل التربية الصحيحة تبين له أن هذا الأسلوب من أعظم الأساليب فى انتشال نفوس الفقراء من مواطن الذلة والشعور بالخسة ، وتعويدهم البر والإحسان ، وإصلاح نفوسهم وتكريمها بإشعارها أنها ليست نفوساً آخذة منتفعة دائماً ، وإنما هى أيضاً نفوس معطية باذلة نافعة .

وكما جاءت الموازنة فى هذه الآيات بين الربا الذى هو استغلال حاجة المحتاج لزيادة المال والثراء ، والإنفاق فى حالتى الرخاء والضيق الذى هو دليل صلاح النفوس ، وتمكن التقوى والإيمان منها ، جاءت الموازنة بين الربا والصدقات فى سورة البقرة فى عدة آيات ، إذ يقول الله تعالى فى بيان فضل الصدقة ، وحث الناس عليها : (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء

والله واسع عليم) (ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين ، فإن لم يصبها وابل فطل ، والله بما تعملون بصير) (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) (إن تبدوا الصدقات فنعما هى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم ، والله بما تعملون بصير ـ وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) (الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون)

وإذ يقول فى وخامة عاقبة الربا وتنفير الناس منه : (الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس) (يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فائذنوا بحرب من الله ورسوله . وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ، وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) .

وهكذا يبين الله للناس أن من أراد التضعيف والتنمية لماله حقاً فعليه بالصدقة ، فإن الله يضاعفها ويبارك لصاحبها فى الدنيا والآخرة ، أما الربا فإنه وإن كان تضعيفاً المال وتنمية له فى الظاهر فإنه محق وإزالة فى الحقيقة ، والمحق كما يكون بإزالة المال وإضاعته بآفة تصيبه أو خسران يحل بصاحبه فى تجارة أو كارثة أو نحو ذلك ، يكون أيضاً بضياع بركته ، وذهاب فائدته ، وحرمان صاحبه من لذائذه والتمتع به .

وفى هذا المعنى يقول الله عز وجل فى موضع آخر : (٣٠ : ٢٩ وما آتيتم من ربا ليربُوَ فى أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله تعالى يقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فَلُوَّه حتى تكون أمثال الجبال » .

بهذا كله يتبين أن الإسلام نظر أولا إلى مسألة الربا والصدقات نظرة إنسانية ، وشرع الأمر فيهما على أساس تربية المجتمع تربية خلقية ، أساسها التراحم والمودة والتعاون وتعليم

الإنسان أنه ليس كالحيوان المعتمد على القوة والغلبة ، الذى لا تعرف الرحمة سبيلا إلى قلبه وإنما هو خَلْق كريم ذو قلب وعاطفة وخلق ، لا يستقيم أمره فى الحياة إلا بها ، ولا يصلح شأنه إلا عليها .

وقد دلت التجارب على أن المجتمع الذى يتركز فيه التعاون والتراحم بين الناس بعضهم و بعض ، ويكون شعاره إحساس كل فرد بآلام الآخرين ، وتموت من بين أفراده نزغة عبادة المال وتقديمه على كل معنى شريف من المعانى الإنسانية الكريمة ، دلت التجارب على أن المجتمع الذى يكون شأنه ذلك : يكون مجتمعاً سعيدا هانئا ، ينظر أغنياؤه إلى فقرائه وفقراؤه إلى أغنيائه نظرة الحب المتبادل والتعاون المشترك . أما المجتمع الذى تتسلط فيه النزغة المادية على الخلق ، فإنه يكون أشبه بمجتمعات الذئاب ، كلٌّ يريد أن يستلب لنفسه ما يستطيع ولو مات غيره ، وكل يتربص بغيره دائرة السَّوْء ، وما هذه الرَّجَّات التى تصيب الدول من قيام الفقراء على الأغنياء ، وتهديدهم المستمر لأصحاب الثروات ورءوس الأموال إلا أثر من اختلال الأمر بعد اختلال هذا الجانب الخلقى ، وهذا هو السر فى أن الله سبحانه وتعالى ربط النهى عن الربا بالإيمان فى ابتداء الآية حيث قال : (يا أيها الذين آمنوا) و بالتقوى والفلاح فى آخرها حيث قال : (واتقوا الله لعلكم تفلحون) ثم بالرحمة حيث قال : (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وما الفلاح والرحمة إلا استقامة أمور الناس على الصراط المستقيم ، وما يسودهم من روح الإخاء والسعادة المشتركة التى تجمع بين قويهم وضعيفهم ، وغنيهم وفقيرهم ، وتربطهم جميعا برباط من التآلف والمحبة .

أما نظرة الإسلام فى تحريم الربا إلى الجانب الاقتصادى العملى ، بعد هذا الجانب الخلقى : فرجعها إلى أن المجتمع الصالح المبنى على أسس قوية هو المجتمع الذى يكون كل فرد من أفراده عضواً عاملا فيه ، أما إذا كان بعض أفراده عاملين ، و بعضهم كسالى يعيشون عالة على غيرهم ، و يعتمدون فى بقائهم ومتاعهم على ما يقدمه الآخرون لهم ، فإن هذا المجتمع يختل توازنه ، ويدركه الضعف والشقاء والتخاذل بقدر ذلك ، وفى هذا يقول الرازى : « إنما حرم الربا من حيث إنه يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب ، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقداً كان أو نسيئة خف عليه

اكتساب وجه المعيشة ، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة ، وذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق . ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات »

وللغزالى بحث ممتع فى كتاب الشكر من الإحياء تعرض فيه لما يعد أساساً فى هذا الجانب الاقتصادى ، وخلاصته : أن المال ليس مقصودا لذاته ، وأن الدراهم والدنانير فى نفسيهما ليسا إلا حجرين كسائر الأحجار ، وإنما خلقهما الله ليكونا وسيلة للتعامل بين الناس وقضاء المصالح ، ويتخذ ميزانا لتقدير قيم الأشياء التى يحتاج إليها الناس فى معاشهم ، فقد يكون عندك ثياب أو إبل أو نحو ذلك ، وأنت محتاج إلى دقيق ، وليس صاحب الدقيق محتاجا إلى شىء من ثيابك أو إبلك حتى تبيعه بعضها ببعض ما لديه من الدقيق ، وإنما هو محتاج إلى حديد أو آجر مثلا ، فاحتيج إلى النقد ليتوسط بين الناس ، فيكون أداة التبادل ، والحكم العدل فيه ، فمن خرج به عن هذا الوضع الذى وضعه الله له فقد كفر بنعمة الله فيه ، فإذا كنزت المال فكأنك حبست الحاكم ومنعته من أن يتصرف ويقوم بما عليه ، وإذا استعملت الذهب والفضة فى آنيتك فكأنك سخرت الحاكم فيما تفعله العامة والدهماء من الخدمة ، لأن النقد لم يجعل لذلك ، وإنما جعل لذلك الحديد والنحاس وأمثالها من المعادن المعدة للخدمة لا للحكم وتعديل التعامل ، وعلى هذا يكون النظر إلى النقدين على أنهما ليسا ميزانا للتقدير ، والخروج بهما إلى أن يكونا مقصودين بالتعامل ، واستغلال المال بالمال ، مما لا يقره الشرع ولا يرضاه الله لعباده ، لأنه يؤدى إلى انحياز المال للأغنياء ، وتكدسه فى خزائنهم وصناديقهم ، ووقوف حركة الأعمال والتثمير بين الناس وانهيار قيمتها ، وشيوع البطالة والكساد فى الأمة .

هذه نظرة الإسلام إلى الربا من الجانب الخلقى الإنسانى ، ومن الجانب الاقتصادى العملى ، ولذلك حرمه الله تحريما قاطعاً ، وتوعد آكليه بأشد العقوبة ، فقال فى سورة آل عمران بعد النهى عنه (واتقوا النار التى أعدت للكافرين) إيذاناً بسوء عاقبة آكليه يوم القيامة ، وقال فى سورة البقرة (ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون — والله لا يحب كل كفار أثيم — إلى قوله — فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله — إلى قوله — واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) . (يتبع)

١٣

جنة آدم !!...

للأستاذ أبي الوفاء محمد درويش

عاد إلى منزله بعد الهزيع الأول من الليل ، فوجد صاحبته ساهرة تتململ ، قد نفد صبرها ، وانقبض صدرها ، وضاقت بوحدتها ذرعاً ، ورآها متحفزة لسؤاله عما حبسه عنها إلى هذه الساعة . فابتدرها قائلا : لم أر كالليلة محاضراً ذلق اللسان، واضح البيان، شديد العارضة حاضر البديهة ، قوى الحجة ، لاتعجزه عبارة ، ولا تخونه إشارة ، ولقد أحسن الذين جاءوا به ليردوا علي ذلك المحاضر الذى حدثتك عنه آنفاً ، والذى أساء إلى الجنس البشرى كله حين قال : إن آدم لم يسكن جنة الخلد التى وعد المتقون ، وإنما سكن جنة من جنات الأرض التى كتب عليها الفناء ! وكانت صاحبته ذكية الفؤاد ، واسعة الفكر ، حرة الرأى قد تثقفت ثقافة عالية ، فلم تكن تقيد نفسها بآرائه ، ولم تكن تسلم قياد عقلها إليه ، بل كانت ترد عليه فى أدب ولطف ، وتناقشه فى حكمة وظرف ، وتبادله الرأى فى كياسة ولباقة وتؤدة واتزان ، فقالت : يخيَّل إلىّ أن الذين أساءوا إلى أنفسهم و إلى الناس و إلى صاحبهم هم الذين سولوا له أن يرد على محاضر لم ينطق إلا بالحق ، ولم يجاوز الصواب . إن الذى تنكر للحق ، وأنكر الواقع : هو صاحبكم الذى قرر أن آدم طرد من جنة الخلد التى من طرد منها فلن يدخلها أبداً . قال: كيف ينكر الحق من أقام الدليل الناصع ، وأتى بالبرهان الساطع ، وأعجب به الحاضرون ، وصفق له السامعون ؟ . قالت : ولا ريب أنك أعجبت مع المعجبين، وصفقت مع المصفقين ، ولعلك هتفت مع الهاتفين ، فما الدليل الذى استأثر بإعجابك ودفع كفيك إلى التصفيق ، وحنجرتك إلى الهتاف ؟ . قال : أعجبنى قوله : إن الجنة التى سكنها آدم ذكرت فى القرآن معرفة بالألف واللام ، ولم تذكر الجنة فى القرآن معرَّفة بالألف واللام إلا إذا أريد بها جنة الخلد . قالت : بخ بخ ، ياله من دليل ! لو أنكم تتدبرون القرآن ماجازت عليكم هذه المغالطة ، ولعلمتم أن الجنة المعرفة بالألف واللام ذكرت فى القرآن ، ولم يرد بها جنة الخلد ، ألم تقرأ فى سورة الكهف قوله تعالى : (كلتا الجنتين

آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً ؟) ألم تقرأ فى سورة نٓ قوله تعالى : (إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ، إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ، ولا يستثنون ، فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فأصبحت كالصريم) ؟ ولا جرم أن هذه الجنة ليست هى جنة الخلد، ولاشك فى أن الجنتين السابقتين ليستا من جنات الخلد ، وقد جاءتا معرفتين بالألف واللام ، كما جاءت جنة المبلوين معرفة بالألف واللام ، وليست جنة الخلد! فقد انهار دليله ياصاح، وذهب أدراج الرياح . وإن شئت الحق فالجنة التى سكنها آدم ليست جنة الخلد ، وإنما هى جنة من جنات الأرض ، ما فى ذلك شك ولا ريب ، فاستمع لبرهانى ، ولك حكمك بعد ذلك . قال : هاتى مابدا لك ، وما أرى إلا أنك ثرثارة كسائر النساء ، وما أشك فى أنى سأسمع منك جعجعة ولا أرى طِحنا . قالت : رويدك ياصاح ، فإنى على يقين من أن أدلتى ستقنعك وترضيك وتمحو من ذهنك أثر المغالطات والترهات والسفسطات ، فألق بالك إلىّ .

١ ـ قد أخبر رب العزة جل شأنه على ألسنة رسله جميعاً : أن جنة الخلد إنما يدخلها المؤمنون يوم القيامة ، فكيف دخلها آدم فى فجر الحياة الدنيا ، وكيف دخلها وهو على قيد حياته الأولى ، والناس يدخلونها فى حياتهم الأخرى ؟

٢ ـ وقد وصف رب العزة جنة الخلد بأنها دار المقامة فى قوله تعالى (الذى أحلنا دار المقامة من فضله) ومعنى كونها دار المقامة : أن الذي يدخلها يقيم فيها أبداً ، ولا يخرج منها أبداً ، ولا ريب فى أن الجنة التى دخلها آدم خرج منها وشيكا ، ولم يقيم فيها أبداً ، فليست إذاً دار المقامة ولا جنة الخلد .

٣ ـ وصف الله الجنة التى وعد المتقون بأنها دار الخلد ، أى : التى يخلد فيها من دخلها ومن المعلوم يقيناً أن آدم لم يخلد فى جنته ، فليست إذاً دار الخلد التى وعد المتقون ، وإنما هى جنة من جنات الدنيا التى لا يدوم أكلها ، ولا يسكن ظلها .

٤ ـ وقد أنبأنا جل شأنه فى كتابه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه : أن جنة الخلد لا يخرج منها من دخلها قال تعالى : (وماهم منها بمخرجين) وقد خرج آدم وحواء من جنتها فلم تكن جنتهما جنة الخلد ، وإنما هى جنة فانية من الجنات الفانيات .

٥ ـ ومما لا يشك فيه مسلم : أن جنة الخلد دار جزاء ، وليست دار تكليف ولا بلاء ،

ولـكن الجنة التي أسكن الله فيها آدم وزوجه كلفهما فيها ألا يقربا الشجرة ، وابتلاهما بذلك أيما ابتلاء ، وإن داراً يكلف فيها المؤمن ، ويؤمر وينهى ، ويبتلى ويذوق طعم الحرمان لا يمكن أن تكون جنة الخلد التي لساكنيها ما اشتهت أنفسهم ؛ ولهم فيها ما يدّعون .

جنة الخلد دار جزاء على الاستجابة لشرائع الله ، والثواب على فعل المأمورات وترك المنهيات ، فكيف يقال ـ مع هذا ـ أن جنة آدم هى دار الجزاء التى أعدها الله للمتقين ؟.

٦ ـ وصف الله تعالى دار الجزاء بأنها دار السلام فى قوله تعالى (لهم دار السلام عند ربهم) والسلام هو السلامة المطلقة من جميع الآفات ، فكيف تكون الجنة التى سكنها آدم دار السلام ، وهو لم يسلم فيها من البلاء . وقد امتحن فيها أشد امتحان ، وابتلى أعظم ابتلاء ، وأصيب شر مصاب بالطرد والحرمان ؟

٧ ـ وقد ثبت مما أوضحته آنفاً : أن جنة الخلد ليست دار تكليف ، وإذا فلا تقع فيها معصية ، وقد ثبت ثبوتاً لا يقبل أدنى ظل من الشك : أن الجنة التى سكنها آدم وقعت فيها معصية وغواية بشهادة رب العزة ، إذ يقول (وعصى آدم ربه فغوى) فكيف تكون الدار التي وقعت فيها المعصية والغواية جنة الخلد ودار القدس والطهارة ؟ .

٨ ـ جنة الخلد مقام أمين . لا يبلغ الخوف قلوب ساكنيه ، ولا يصل الذعر إلى أفئدتهم . قال تعالى : (إن المتقين فى مقام أمين) وقال تعالى : (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) ولـكن الجنة التى سكنها آدم سعى فيها الخوف إلى قلبه حين وسوس إليه الشيطان فقال (يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟) فخاف أن لا يخلد ، وأن لا يبقى ملكه ، ودفعه هذا الخوف إلى المعصية والغواية والأكل من الشجرة . فكيف يقال مع هذا : إن الجنة التي أسكنها آدم هى جنة الخلد ذات المقام الأمين ، التى يكون أهلها قريرى العين آمنين .

٩ ـ جنة الخلد مبرأة من الحزن ، كما هي مبرأة من الخوف ، فأهلها لا يذوقون الحزن أبداً ، قال تعالى : (وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) ولـكن الجنة التي أسكنها آدم ذاق فيها ألم الحزن وأوجمه حين وقف فيها على خطيئته ، وأدرك أنه كان فريسة لـكيد

الشيطان ضحية لوسوسته . فلا يعقل ـ مع هذا ـ أن تكون هى جنة الخلد التى أذهب الله عن أهلها الحزن ، وأمتعهم بقرة العيون .

١٠ ـ سمى الله دار الجزاء دار القرار ، أى : الدار التى يستقر فيها من دخلها ، ولا يزعج عنها أبدًا . ولكن آدم وحواء لم يستقرا فى الدار التى سكناها ، بل أزعجا عنها ، فكيف يقال مع هذا : إنها دار القرار ؟ كلا بل هى دار ظعن وارتحال .

١١ ـ أخبر ذو الجلال والإكرام سبحانه عن أهل جنة الخلد أنهم (لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) وقد مس آدم وحواء فى جنتهما أعظم النصب، وكابدا فيها أشد ألوان التعب حين أكلا من الشجرة (فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما : ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، وأقل لكما : إن الشيطان لكما عدو مبين؟) وإن داراً يمس صاحبها النصب ، ويخصف من ورقها ليستر سوءته : لا يمكن أن تكون جنة الخلد التى لا يمس ساكنيها نصب (وما هم منها بمخرجين)

١٢ ـ أخبر الله عن أهل جنة الخلد أنهم (لا يسمعون فيها لغواً ولا كذّابا) (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما ، إلا قيلا : سلاما سلاما) وقد سمع آدم وحواء فى جنتهما اللغو والتأثيم حين وسوس لهما الشيطان وقال : (مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما إنى لكما من الناصحين) وأىّ لغو شر من هذا اللغو ، وأى كذب أسمج من هذا الكذب ؟ الذى حملهما على الإثم واقتراف الخطيئة ، فكيف تكون الجنة التى وصل فيها إليهما اللغو والكذب والتأثيم هى جنة الخلد ؟ .

١٣ ـ إن جنة الخلد هى مقعد صدق ، كما سماها ذو الجلال والإكرام ، فى كتابه العزيز بقوله : (إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) ولكن كذب الشيطان وصل إلى آدم فى الجنة التى سكنها ، فلم تكن إذاً مقعد صدق ، وإذاً فلا تكون جنة الخلد مقر الصادقين .

١٤ ـ إذا ذكرنا أن الله تعالى أخبر الملائكة قبل أن يخلق آدم : أنه جاعل فى الأرض خليفة ـ أيقنا أن آدم خلق من الأرض وأسكن جنة فى الأرض .

١٥ ـ أخبرنا رب العزة جل شأنه أن الملائكة قالوا له : (أتجعل فيها من يفسد فيها

ويسفك الدماء) وجنة الخلد ليست مكانا للإفساد وسفك الدماء ، فثبت يقينا أن جنة آدم ليست جنة الخلد، وإنما هى جنة من جنات الأرض التى يكثر فيها الفساد وسفك الدماء

١٦ ـ أخبر الله تعالى عن إبليس أنه قال لآدم : (هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟) فلو كان آدم فى جنة الخلد ما قال الشيطان هذه المقالة ، ولو قالها له ما انخدع آدم بها ،ولقال له : ها أنذا فى جنة الخلد كلها وفى الملك الذى لا يبلى ، فماذا أبغى وراء ذلك ؟ فثبت يقينا : أنه لم يكن فى جنة الخلد ، إذ لو كان بها ما طمع فى الخلد ، ولا تاقت نفسه إلى الملك الذى لا يبلى . فدفعه الطمع إلى المعصية والغواية .

١٧ ـ ليس فى القرآن الكريم ، ولا فى السنة المطهرة موضع واحد يشير إلى أن الله تعالى عرج بآدم إلى السموات العلا ليسكنه جنة الخلد ، ولو وقع هذا لذكر فى القرآن الكريم ، لأنه من أبهر الآيات وأعظم الكرامات .

وما وصلت من حديثها إلى هذا الحد حتى أخذه شيء يشبه الذهول ، وقال لها : لو اشتغلت بالمحاماة ما خسرت قضية واحدة ، لقد زعمتُ صاحبي قوى الحجة لأنه أتى ببرهان خُدعت به وظننته حقا ، ولقد أتيت بسبعة عشر دليلا كلها مشبع مقنع ، لا أجد فيه مغمزاً ، ولا إلى الطعن فيه سبيلا وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : « ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحليم منكن » وقد ذهبت بلبى ، وقضيت على عقيدة أحتضنها منذ الطفولة ودافعت عنها ، وشاركت المحاضر فى إثمه من أجلها وقد أمسيت الآن على رأيك ورأى المحاضر الذى دافعت عنه فأحسنت الدفاع. ولو علم بدفاعك عن رأيه لشكر لك أجزل الشكر . ولكن بقيت فى نفسى شبهة واحدة وهى أن هذا الرأى لم يقل به أحد غيرك وغير ذلك المحاضر ؟ قالت : كيف ذهب عنك أن القائلين به كثير . وحسبك أن تعلم أن على رأس القائلين به أبا حنيفة النعمان فقيه العراق . والقائلون به غيره كثير . أذكر منهم أبا مسلم الأصفهاني فى تفسيره ، وعبد الحق بن عطية فى تفسيره ، وابن حزم فى الملل والنحل ، وأبا عيسى الرمانى في تفسيره ، وأبا عبد الله الخطيب الرازى فى تفسيره وغيرهم كثير . . . وقبل أن تفرغ من كلامها احتواها بين ذراعيه وعاشا في قبلة طويلة ، وأرخى الليل عليهما الأستار .

نقدات

٣ – وحدة الأديان عند الصوفية

بقلم صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الرحمن الوكيل

نقد الدكتور لابن تيمية : نهض الإمام ابن تيمية ـ رضى الله عنه ـ ليدفع عن الدين غائلة الصوفيـة وسواها ، وكان مما وجه إليه سهام نقده القاتل أسطورة وحدة الأديان ، فهاجمها هجوم المؤمن القوى والمفـكر الرشيد اللماع الفكر ، هاجمهـا متسلحا بالنقل والعقل حتى صرعها وصرع القائلين بها ، وتلك خصيصة من خصائص الإمام ابن تيمية أنه ينقض الفكرة بالفكرة ويذود عن قضايا العقل السليمة بالعقل ، والنقل ، ويحامى عن الدين بالدين والفـكر ، فهو لايبطل أسطورة من الفلسفة أو التصوف إلا إذا برهن على بطلانها من ناحية النقل والعقل ، وهو يكاد يكون نسيج وحده فى هذه الناحية العظيمـة ولسنا الآن بصدد عرض نقد ابن تيميـة ، فهو مبسوط بوضوح فى كثير من كتبه ، والدكتور الفاضل يلخص نقد ابن تيمية ، فيقول[١] « أورد ابن تيمية بيتا ينسب عبارته إلى ابن عربى الذى يقرر فيه وحدة العقائد والتسوية بينها فيقول :

عقد الخلائق فى الإله عقائدا ... وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

ونظر ابن تيمية فى هذا البيت ، وحاول أن يجرحه من الناحية المنطقية ، فرأي أن فيه تناقضا ، لأن الجمع بين النقيضين فى الاعتقاد فى غاية الفساد ، ولأن القضيتين المتناقضتين فى السلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق إحداهما كذب الأخرى لايمكن الجمع بينهما[٢] والصوفيـة يزعمون أنه يثبت عندهم فى الـكشف مايناقض صريح العقل ، ويقولون بالجمع بين النقيضين وبين الضدين ومن سلك طريقهم يخالف المعقول والمنقول ، ولا ريب عند ابن تيمية فى أن هذا من أفسد ماذهب إليه أهل السفسطة ، وقد زاد ابن تيمية الأمر تفصيلا وإيضاحا فعرض لمذهب ابن عربى فى الاعتقاد بكل ماوردت به الأديان المختلفة فإذا هو يقرر

(١) ص ٣٠٠ من كتاب ابن الفارض والحب الإلهى .

(٢) أنظر دقة ابن تيمية في ايراد الحجج المنطقية الصادقة وليتأمل علماؤنا الذين يحقدون على ابن تيمية .

١٩

أن القائلين بهذا القول مشركون لأنهم عدلوا بالله كل مخلوق ، وجوزوا أن يعبد كل شيء ومع أنهم يعبدون كل شيء فإنهم يقولون « ماعبدنا إلا الله » وهذا فى نظر ابن تيمية مخالف لدين المرسلين ، ولدين أهل الكتاب ، وللملل جميعا ، بل ولدين المشركين أيضا . ويستدل ابن تيمية على ذلك كله بأن الرسل كانوا يعتبرون ما عبده المشركون شيئا غير الله وينظرون إلى عابده على أنه عابد لغير الله ، مشرك به ، عادل به ، جاعل له ندا ، كما يستدل بأن الرسل دعوا الخلق إلى عبادة الله وحده لاشريك له ، وهذا هو الإسلام العام الذى لايقبل الله من الأولين والآخرين غيره [١] » هذا تلخيص الدكتور لنقد ابن تيمية لوحدة الأديان عند الصوفية وهو نقد محكم من ناحية العقل والنقل ، ولكن الدكتور يعلق على هذا بقوله [٢] « ولكن نقد ابن تيمية على مافيه من منطق سليم وحجة معقولة فى حدود وجهة نظره التى نظر منها إلى المسألة وهى أنه نظر إلى الشرائع باعتبارها مختلفة فى الواقع لا إلى أصلها باعتباره واحدا يمكن دحضه وإظهار مافيه من أوجه الخطأ إذا لاحظنا أن فى القرآن كثيرا من الآيات الكريمة التى حفلت بالمعانى الدالة على أن الدين فى أصله واحد وفى فروعه متعدد »!! واها لدكتورنا الفاضل ، إنه صوب إلى غير مرمى ، وحارب فى غير حرب . وجادل وهماً فهو يحاول أن يدحض رأى الإمام ابن تيمية عن طريقين . أولا : ملاحظته أن ابن تيمية نظر إلى الشرائع باعتبارها مختلفة فى الواقع لا إلى أصلها باعتبارها واحدا . وثانيا : يسوق آيات من القرآن خيل إليه أنها تؤيد وجهة نظر ابن الفارض فى وحدة الأديان ، وسنناقش الوجهة الأولى من نقد الدكتور لابن تيمية : فأقول : إن كنت تعنى يا دكتور بالأديان لفظا عاما مطلقا يتناول كل دين سواء أكان دينا من السماء أم دينا وضعته أهواء البشر وشهواتهم ، فأقول : نعم هاجم ابن تيمية الأسطورة من هذه الناحية وجلى جلاء واضحا تناقض الأديان على إطلاقها وعمومها تناقضا بينا فى الأصول والفروع [٣] فما يسوى عاقل بين دين

(١) إذن ذكر ابن تيمية أن دين الرسل جميعاً هو الإسلام العام فهو إذا قد نظر إلى الدين أنه واحد فى أصله وهذا الذى ذكره الدكتور يرد على الدكتور زعمه فيما بعد .
(٢) ص ٣٠١ من كتاب ابن الفارض والحب الالهى
(٣) أعنى يوجد تناقض بين الأديان السماوية وبين الأديان الوضعية ، ويوجد تناقض بين بعض الأديان الوضعية وبين بعضها الآخر

سماوى وضعـه العليم الحـكيم الخبير ، و بين دين وضعى وضعته زندقات البشر ووثنياتهم ، ما يسوى عاقل بين دين يقوم على أساسين : عبادة لله وحده لا شريك له ، وعبادة الله بما شرع . و بين دين يقوم على تأليه الحجر أو العجل وعلى عبادة ذلك الإله بما يشرعه عباد ذلك الحجر أو العجل ، ولن تستطيع يادكتور مطلقا ، المعارضة فى وضوح التناقض البين والتخالف الذريع بين هذين فى الأصول والفروع . و إن كنت تعنى يادكتور بالأديان لفظا مخصصا لايقصد به إلا كل دين سماوى صحيح جاء به الوحى من الله رب العالمين فأقول إن ابن تيمية طالما صرح فى كتبه يا دكتور بغير ما أسندته إليه ، وهو أنه نظر إلى الشرائع باعتبارها مختلفة فى الواقع لا إلى أصلها باعتبارها واحدا . إذ ابن تيمية يفهم جيداً أن الدين واحـد وأنه كله لله ، وأن لا تخالف مطلقا إلا فى الفروع أما الأصول فواحدة فى كل دين سماوى وهى الإيمان بالله الواحد المعبود وحده وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وعدم التفرق فى الدين والإخلاص فى النية ، والعمل عن بينة بما شرعه الله وحده على لسان رسله و بما يبينه فى كتبه و إليك نصا واحدا يبين لك فهم ابن تيمية فهما جيدا لهذه المسألة[1] « كان الأنبياء جميعهم مبعوثين بدين الإسلام فهو الدين الذى لايقبل الله غيره لا من الأولين ولا من الآخرين قال نوح (١٠ : ٧٢ فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين) وقال فى حق إبراهيم (٢ : ١٣٠- ١٣٢ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، و إنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ـ إلى قوله ـ فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) وقال عن يوسف (١٢: ١٠١ توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) وقال عن موسى (١٠ : ٨٤ يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ، فقالوا على الله توكلنا) وقال تعالى (٥: ٤٤ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا) وقال عن بلقيس (٢٧ : ٤٤ رب إنى ظلمت نفسى ، وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) وقال (٥ : ١١١ و إذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى و برسولى ، قالوا : آمنا ، واشهد بأننا مسلمون) وقال (٣ : ١٩ إن الدين عند الله الإسلام) وقال (٣ : ٨٥ ومن يبتغ غير الإسلام

(١) ص ٧٧ — ٧٨ من كتاب العبودية لابن تيمية ط مطبعة السنة المحمدية ١٩٤٧

دينا فلن يقبل منه) وقال تعالى (٣ : ٨٣ أفغير دين الله يبغون ؟ وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها) انتهى كلام ابن تيمية بنصه أفرأيت يادكتور أن ابن تيمية يفهم جيدا أن الدين كله لله منذ بدء الخليقة واحد ، وأن الأنبياء جميعهم مبعوثون بدين الإسلام أما وقد وضح هذا جلياً فيسقط الوجه الأول من نقد الدكتور ، والوحدة التى ينقدها ابن تيمية يا دكتور هي وحدة الصوفية القائمة على أساس أن الأديان كلها على إطلاقها واحد . سواء منها الدين السماوى القائم على التوحيد ، أم الدين الوضعى القائم على الشرك والوثنية هذه هى الوحدة التى ينقدها الإمام ، أما الوحدة بالمعنى الصحيح كما بينها القرآن فها أنت ترى فى النص الذى سقناه أن ابن تيمية يقرها و يجليها ، وشتان شتان بين هذه الوحدة و بين الوحدة عند الصوفية ، فابن الفارض يعترف بالمجوسية دينا صحيحا ، و يقر عبادة العجل والصم وغيرهما من المخلوقات و يعتبرها عبادة لله رب العالمين ، و إلى هذا يتوجه نقد ابن تيمية أفتستطيع أن تبطل إذن نقد ابن تيمية الذى بينا لك إلى أين يتجه ؟ ! . أما أن تنقل نقده إلى معنى لا يقصد نقده بل يقره هو، وهو أن دين الله الذى بعث به كل رسله واحد فهذا ليس من سمة الباحث الذي ينشد الحق والحقيقة يادكتور . أما الآيات التى حاول الدكتور الاستشهاد بها ليبرهن على صحة نظر ابن الفارض فنقول الآن إنها بالذات تدمغ ابن الفارض بالوثنيه الجاحدة وموعدنا بمشيئة الله مناقشته فيما فهمه منها فى العدد المقبل .

إلى قرائنا الأفاضل : يعتب علينا بعض الإخوة الأعزة من القراء الأفاضل أننا هادنَّا الصوفية أياماً ، ونحن نتقبل هذا العتاب الحبيب الكريم ونشكر حضراتهم عليه وبخاصة أخينا الأديب الكريم الأستاذ محمد نسيب الرفاعى كاتم سر جمعية الأخلاق والبر الإسلامية بحلب سوريا ونعِدُه بقوة الله وعونه أننا سنوالى الكتابة بعون الله فيما يريد ، ولم تكن هدنة و إنما هو النضال فى كل ميدان .

كذلك رغب بعض إخواننا من جيرتنا الأكرمين فى البلاد الشرقية الإسلامية ترجمة ما كتبناه فى مجلتنا الهدى عن الصوفية وسواها إلى لغات تلك البلاد و بخاصة الأخ زكريا صابر الأندونيسى فهو راغب فى ترجمة مقالاتنا إلى اللغة الأندونيسية ، و إنى أصرح مسرورا سعيدا بهذه الترجمات وآذن إذنا عاما لمن يريدها بلا قيد ولا شرط ولا أى التزام ، وهذا إذن عام لكل راغب فى الترجمة وفقنا الله جميعا إلى الجهاد فى سبيله والعمل بكتابه وسنة رسوله .

ثقافة الهند الاســلامية

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق مفتش المعارف بالسودان

يقصد بثقافة الهند الإسلامية ما أنتجه مسلمو الهنـد من ثمار القريحة والفـكر ، وما أبدعوه من مأثور الشعر والنثر ، وما نمقوه من آيات الفن . غـير أن حديثنا سوف لا يتناول كل هذه النواحى الهامة من ثقافة المسلمين فى الهند التى تقتضى وقتاً وتفرغاً ، سنقصر بحثنا على ناحية التفـكير وحدها ، بل سنلتمس نوعاً من هذا التفكير دون غيره ، هو التفكير الديني ، وسنلم بالأدب الإسلامى الهندى أحيـاناً بالقدر الذى يتصل بالدين ، ونـكتفى بفترة قصيرة نسبياً تبدأ من أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، أو ما يقارب أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ، وتمتد إلى عصرنا الحاضر .

ونرى لزاماً علينا لتوضيح قيمة هذه الثقافة وجليل قدرها ، أن نقدم لها بمقدمة تاريخية وجغرافية يسيرة :

بدأ أول اتصال العرب المسلمين بالهند فى النصف الثانى من القرن الأول الهجرى ، فقد امتدت غزواتهم إليها عن طريق ساحل مَكْرَان ، ومن بلاد كِرْمان وسجستان . روى الطبرى فى حوادث سنة تسع وثمانين للهجرة : أن الحجاج سيّر جيشاً أمّر عليه محمد بن القاسم الثقفى ، لغزو السند ، ففتح من المدن القريبة من الســاحل الجنوبى لإيران : أرمابيل ، ثم سار إلى الدَّيْبُل ، وكانت فيما مضى ميناء على دال نهر السند ، وأطلالها اليوم بعيدة عن البحر ، بسبب تقدم رواسب النهر وامتدادها فى البحر ــ وتقع هذه الأطلال على بعد خمس وأربعين ميلاً إلى الجنوبى الشرقى لمدينة كراتشى الحالية ميناء دولة الباكستان فى المحيط الهندى ــ ووقعت هنالك معركة كبيرة بين محمد بن القاسم وعامل ذاهر ملك السند ، انتصر فيها محمد ، إذ أخذ الديبُل عَنوة ، فأنزلها عدة آلاف من المسلمين و بنى مسجدها ، واتجه شمالاً متتبعاً نهر السند الذى كان يسميه العرب وقتئذ نهر مِهْران ، ثم عبره على جسر عقده ولاقى

ذاهراً فنشب القتال واستبسل الفريقان ، غير أن الهنود هُزموا فى المساء وقُتل ملكهم ، وقال قائله مفتخراً ــ وهو من بنى كلاب ــ فى إحدي الروايات :

الخيلُ تشهدُ يومَ ذاهر والقنا ومحمد بن القاسم بن محمد
أنى فرجت القوم غير مُعَرِّد حتى علوتُ عظيمهم بمهند
فتركته تحت العجاج مجندلاً متعفرَ الخدين غيرَ مُوَسَّد

وفتح محمد بن القاسم مُلتان ، غير أن بعض المدن فى السند صالحته على ألا يقتل أهلها ولا يعرض لبُدّها ، والبد : هو التسمية العربية القديمة لآلهة البوذية الكثيرة التى كانت فى بلاد الهند ، وقد تحير ابن القاسم فى أمر البوذيين : هل يعدهم أهل كتاب ، حتى يدخلوا فى ذمة المسلمين ، أم يعدهم مشركين فلا يؤمنهم ؟ ولكنه عاملهم معاملة الكتابيين ، إذ روى عنه البلاذرى أنه قال « ما البدّ إلا ككنائس النصارى واليهود وبيوت نيران المجوس » ثم وضع عليهم الخراج .

ولما مات الوليد بن عبد الملك وولى سليمان ، ولى الخليفة الجديد يزيد بن أبى كبشة السكسكى السند الذى أخذ ابن القاسم وقيده وحمله إلى العراق ، فقال ابن القاسم متمثلاً :

أضاعونى وأىَّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

فبكى عليه أهل السند ، ولما وصل إلى العراق حُبس بها ، فقال :

فلئن ثويت بواسطٍ وبأرضها رهن الحديد مكبلاً مغلولا
فلرب فَيْنةِ فارسٍ قد رُعْتُها ولرب قِرنٍ قد تركتُ قتيلا

فعُذِّب هنالك حتى قُتل ، وقيل فى رثائه :

إن المروءة والسماحة والندى لمحمد بن القاسم بن محمد
ساس الجيوش لسبع عشرحِجةٍ يا قرب ذلك سودداً من مولد

ومن العجيب : أن محمد بن القاسم أحرز هذه الانتصارات فى بلاد الهند وهو فى سن السابعة عشرة من عمره ، وهى سن صغيرة بالنسبة لطلاب الشهادة الثانوية عندنا .

ولما ولى عمر بن العزيز الخلافة كتب إلى ملوك الهند يدعوهم إلى الإسلام والطاعة ،

على أن يملكهم ، ولهم ماللمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكانت قد بلغتهم سيرته ومذهبه ، فأسلم بعضهم وتسموا بأسماء العرب .

ومن ولاة السند فى عهد هشام بن عبد الملك : تميم بن زيد العتبى ـ وكان من أسخياء العرب ـ وحدث أن شخص معه فى الجند فتى من بنى يربوع ، يقال له : خُنَيْس وأمه من طيىء إلى الهند ، فأتت الفرزدق ، فسألته أن يكتب إلى تميم فى إقفاله ، وعاذت بقبر غالب أبيه ، فكتب الفرزدق إلى تميم :

أتتنى ، فعاذت يا تميمَ بغالبٍ ... وبالحفرة السافى عليها ترابها

فهَبْ لى خنيساً واتخذ فيه منةً ... لحوبة أم ما يسوغ شرابها

تميم بن زيد لا تكونن حاجتى ... بظهر ، ولا يَخْفى عليك جوابها

فلا تُكثر الترداد فيها فإننى ... مَلولٌ لحاجات بطىّ طِلابها

فلم يدر تميم ما اسم الفتى ، أهو حُبيس : أم خنيس ؟ فأمر أن يَقْفِلَ كل من كان اسمه على هذه الحروف .

وفى عهد العباسيين اتسعت فتوح المسلمين فى شمال الهند بفضل حملات محمود ابن سُبكتكين سلطان غزنة ، وقد أسلم على يده صاحب كشمير ، كما أسلم كثير من ملوك الهند وتخطى فى فتوحه نهر الكنج ، وكان محمود الغزنوى أميراً تركياً يميل إلى أهل السنة متعصباً ، طرد المعتزلة من الرىّ ، وأحرق كتب الفلسفة والفلك . وسبب غزوته الأولى للهند : أنه بعد أن فرغ من قتال أحد الخارجين عليه ، ويدعى خلف بن أحمد ، أحب أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين ، وقد تتابعت غزواته للهند من العقد الأخير من القرن الرابع الهجرى إلى العقد الثانى من القرن الخامس .

ومن الدول الإسلامية الكبرى فى بلاد الهند : دولة المغول ، ومن أباطرتها (اكبر) الذى يعد عصره من أزهى عصور الحضارة الهندية الإسلامية ، وكان معاصراً للسلطان سليمان القانونى فى الدولة العثمانية ، وآخر أباطرتها (أورنجزيب) الذى قضى الإنجليز على البقية الباقية من سلطته فى القرن الثامن عشر .

وتضاهى الهند فى المساحة قارة أوربا ، ما عدا روسيا ، فهى قارة صغيرة ، إذ تبلغ مليون

ونصف مليون ميل مربع ، وسكانها وفق إحصاء سنة ١٩٤١ م هو ٣٨٩ مليون نسمة ، ومع ضخامة هذا العدد ، لا تعد الهند مزدحمة بالسكان ، لأن ثلثي أهلها يشغلون ربع مساحتها فحسب ، ويقطنون فى الغالب المناطق الريفية ، ولا يسكن المدن إلا اثني عشر فى المائة من مجموع السكان . وفى الهند ما يزيد على خمس وعشرين ومائتى لغة ولهجة ، واللغات الأساسية هى : الهندستانى ، والأوردو ، والبنغالى ، والتيلوجو ، والمراثى ، والتامول ، والبنجابى ، والراجاستانى ، والأوريا ، والكوجراتى ، والملايام . وقد يضيق المرء بتعداد أسمائها ، فكيف بمعاجمها وقواعد نحوها وصرفها ؟ والهند تتقسمها اللغات المتعددة والديانات المختلفة ، بل ونظام الطوائف الذى لا شبيه له فى العالم ، والذى تحتمه الديانة الهندوكية التى يدين بها غالبية الهنود ، وهى ديانة وثنية صوفية مرنة ، عسيرة الفهم ، تشتمل على عناصر الشرك والخرافة باسم التوحيد ، يعاقب المخالف لنظمها وتقاليدها عقاباً صارماً ، وتتشدد فى أمرين : أولاهما : تقديس البقرة ، وثانيهما : إقرار نظام الطوائف بين طبقات معتنقيها التى لا يحل لها المصاهرة والمؤاكلة ، وأحسنها حلاً : من خُلق - في زعمها - من رأس « برهمة » كالكهنة والنبلاء ، ومن خُلق من ذراعيه من التجار ومتوسطى الحال ، أما أشقاها : فهم هؤلاء الذين خلقوا من قدمى « برهمة » ، وهم العمال والفلاحون وأصحاب الحرف الصغيرة ، ويعدون أنجاساً قذرين ، ويكفى أن يقع ظل الواحد منهم على المخلوقين من ذراع براهمة أو رأسه فيفقدُهُ امتيازه الاجتماعى ويجعله نجساً مثله . وسنذكر فيما يلى ما يتعرض له الأنجاس من تحقير ومذلة ، جعلت الأنعام خيراً منهم . وهذا النظام الطائفى قسم المجتمع الهندوكى إلى عدد لا يحصى من الطبقات ، تفصلها فوارق دينية تحول دون اختلاطها أو الاتصال فيما بينها عن طريق الاجتماع أو المؤاكلة أو المصاهرة مما حمل « ستودارد » على القول بأن هذا المجتمع شبيه بمجموعة الحيوان فى حديقة الحيوان . وقد بذل زعيمهم الكبير غاندى جهوداً كبيرة فى القضاء على نظام الطوائف ، وترقية حال المنبوذين ، توحيداً لأشتات الهنود ، كما سعى فى اختيار لغة مشتركة يتكلمون بها . لأن الطائفية وتعدد اللغات يقضيان على الوحدة القومية للهند .

(يتبع)

تعريفة الحجاج

لعام ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م

١ ـ البلاد التى تتعامل بالجنيه الورق البنكنوت ـ مصرياً أو عراقياً أو استرلينيا ـ

مليم	جنيه	
٠٠٠	٢٨	الرسوم وعوائد المطوفين والوكلاء والزمازمة والمؤسسات الخيرية وغيرها
٧٥٠	١٨	جدة ـ المدينة ـ ذهاباً وإياباً درجة أولى تاكسى
٥٠٠	٩	» » » » » ثانية أوتوبيس
٢٥٠	٦	» » » » » ثالثة لورى بكراسى
٥٠٠	٦	مكة ـ عرفة ـ منى » درجة أولى تاكسى
٢٥٠	٣	» » » » » » ثانية أوتوبيس
٥٠٠	٢	» » » » » » ثالثة لورى بكراسى
٥٠٠	٤	جدة ـ مكة ذهاباً وإياباً ـ أولى تاكسى
٢٥٠	٢	» » » » ثانية أوتوبيس
٥٠٠	١	» » » » ثالثة لورى بكراسى

٢ ـ البلاد التى تتعامل بالروبية الباكستانى

آنه	روبية	
١	٢٦٠	رسوم وعوائد المطوفين والوكلاء والزمازمة والمؤسسات الخيرية وغيرها
٣	١٦٧	جدة ـ مدينة ذهاباً وإياباً بالدرجة الأولى تاكسى
١٠	٨٣	» » » » ثانية أتوبيس
١٢	٥٥	» » » » ثالثة لورى بكراسى
١١	٦٢	مكة ـ عرفة ـ منى ـ » » أولى تاكسى
٩	٣٢	مكة ـ عرفة ـ منى ـ ذهاباً وإياباً بالدرجة الثانية أوتوبيس
١٥	٢٠	» » » » » » ثالثة لورى بكراسى

آنه	روبية	
١٣	٤١	جدة ـ مكة ذهابا و إيابا بالدرجة أولى تاكسى
١٥	٢٠	» » » » ثانية أوتوبيس
١٥	١٣	» » » » ثالثة لورى بكراسي

٣ ـ البلاد التى تتعامل بالروبية الهندية

آنه	روبية	
٦	٣٧٣	رسوم وعوائد المطوفين والوكلاء والزمازمة والمؤسسات الخيرية وغيرها
	٢٤٠	جدة ـ مدينة ذهاباً و إياباً بالدرجة الأولى تاكسى
	١٢٠	» » » » ثانية أوتوبيس
٠٠	٨٠	» » » » ثالثة لورى بكراسى
	٩٠	مكة ـ عرفة ـ منى » » أولى تاكسى
٠٠	٤٥	» » » » » » ثانية أوتوبيس
٠٠	٣٠	» » » » » » ثالثة لورى بكراسى
	٦٠	جدة ـ مكة » » أولى تاكسى
	٣٠	» » » » ثانية أوتوبيس
٠٠	٢٠	» » » » ثالثة لورى بكراسى

٤ ـ تحصل هذه الرسوم فى المملكة العربية السعودية من الذين لم يدفعوها فى بلادهم بالجنيه الاسترليني الحر ، أو ما يعادله من ريالات عربية سعودية بالسعر المحلى.

٥ ـ رسوم الكرنتينة خمسة جنيهات استرلينى ، وأجرة النقل من الميناء إلى المنزل ستة شلن استرلينى تحصلها شركات البواخر والطائرات ووسائط النقل الأخرى ضمن النولون ، وتقوم بدفعها للحكومة السعودية .

---

٦ ـ الحجاج القادمون بطريق البر يدفعون الرسوم والعوائد المقررة والكرنتينة للجهات التى تتقاضى منهم الرسوم الحكومية على حدود المملكة العربية السعودية إن لم يبرزوا مستندات تثبت أنهم دفعوها فى بلادهم .

٧ ـ الرسوم المذكورة تحصل عن كل شخص تجاوزت سنه العاشرة . أما من كان دونها إلى الخامسة فيحصل عليه نصف الرسوم ونصف الأجور . ويعفى من كان دون الخامسة .

٨ ـ على حجاج أندونسيا والملايو والفيلبين ومن يتبعهم : أن يدفعوا ـ زيادة على الرسوم والأجور المذكورة ـ عشرين جنيها استرلينيا عن كل شخص . وذلك مقابل أجرة البيت ولوازمه بمكة وضيافة القدوم ، وضيافة عرفة ومنى وأجرة الخيمة والحوش واكرام المطوف « الشيخ » لأن العادة أن يقوم مطوفهم « الشيخ » بذلك كله .

٩ ـ أجرة السكن فى مكة والخيمة فى عرفة ، والسكن فى منى لغير حجاج أندونسيا والملايو والفلبين ، وأجرة الحمالين وأجرة السكن بالمدينة وأتعاب الدليل بها ، كل ذلك غير مقرر بالتعريفة ، وموكول إلى التراضى ، والحاج حر فى اختيار الطريق التي يراها صالحة .

١٠ ـ أمتعة الحاج الخاصة وزيادة خمسين كيلو من الأطعمة معفية من الرسوم الجمركية

١١ ـ إذا استصحب حاج شيئاً من البضائع التجارية يجب أن يقيده بالمنافستو وعليه دفع رسومها ، وإلا اعتبرت مهربة ، واستوفى عليها الرسم مضاعفا ، فضلا عما يترتب على ذلك من تعطيل الحاج .

١٢ ـ بمجرد وصول الحاج إلى داخل البلاد الحجازية تصبح الرسوم المدفوعة وغير المدفوعة لأى سبب : حقاً للحكومة السعودية فلا تعاد ولا شيء منها لورثة من يتوفى من الحجاج داخل البلاد . ويسقط حق ورثته فى المطالبة بشيء من ذلك . وغير المدفوع يبقى حقاً ثابتا للحكومة السعودية على تركة المتوفى ، لها كل الحق فى المطالبة به .

١٣ ـ للحاج حق الإقامة فى جدة ليلتين بدون أن يدفع للوكيل أجرة سكن لأنهما داخلة ضمن الرسوم أما إذا زاد عن ليلتين فعليه أن يدفع للوكيل عن كل ليلة ريالين بحيث لايزيد مجموع مايدفعه عن ثمانية ريالات مهما كانت المدة .

١٤ ـ يجب على الحجاج مراعاة النظم المحلية الصحية وغيرها ، وفيما يختص بعدد سكان كل غرفة حرصا على صحتهم وسلامتهم .

١٥ ـ يشترط فى العملة الاسترلينية أن تكون حرة لاستعمالها لصالح المملكة العربية

السعودية . بمعنى أنه لابد أن تكون شيكا محولا على لندن . ولا يقبل الورق المتداول عيناً

١٦ ـ الشركة العربية للسيارات هى صاحبة الحق المطلق فى نقل الحجاج ، فلا يسوغ للحاج أن يستأجر سيارة خصوصية ، أما الذين يصلون بطريق البر على سيارات خاصة فليس لهم حق استعمالها بين مكة والمدينة وعرفة إلا بعد أن يدفع كل حاج للشركة مقابل امتيازها ٢٥ ريالا عربيا عن كل حاج يزور المدينة ، و٧ ريالات عن طلوع عرفة .

١٧ ـ إذا رغب الحاج السفر من جدة إلى مكة أولاً ، ثم السفر إلى المدينة ، فعليه أن يدفع أجرة الانتقال من مكة إلى جدة مضافة على أجرة الانتقال المقررة من جدة إلى المدينة ذهابا و إياباً .

١٨ ـ يسمح لكل راكب سيارة بثلاثين كيلو من الأمتعة فقط ، وما زاد عن ذلك فيدفع أجرة عن كل كيلو من جدة إلى مكة قرش صاغ ، وما بين مكة والمدينة ٣ قروش صاغ .

١٩ ـ لا ينقل بالسيارات من جدة إلى مكة إلا الأمتعة الضرورية ، أما غيرها فينقل بنفس الأجرة على الجمال .

٢٠ ـ لزائر المدينة الحق فى الإقامة بها عشرة أيام ، وما زاد عن هذه المدة يدفع الزائر عنه لشركة السيارات العربية ريالا واحداً عن كل يوم يقيمه ابتداء من شهر شوال .

٢١ ـ الحجاج الواردون بالطائرات أو بطريق البر للمدينة يدفعون ٥٠ ٪ زيادة على الأجرة المقررة مقابل قيام السيارات من مكة إلى المدينة خالية لنقلهم .

٢٢ ـ للحاج الذى لم يستعمل السيارة الحق فى استرجاع الأجرة التي دفعها من الشركة بعد إخطاره لها وتقديم ما يثبت عدم استعمالها ، أما إذا استعملها ثم تركها بمحض اختياره فليس له حق الرجوع فى بقية الأجرة ، إلا إذا كان تركه لها ناشئا عن عدم إحضار الشركة للسيارة ، وثبوت مراجعته للشركة بواسطة مطوفه ، وتخلفها عن إحضار السيارة .

٢٣ ـ تدفع الشركة فرق الدرجة إذا ركب دافع الدرجة الأولى درجة ثانية أو ثالثة ، وتحصل الشركة كذلك الفرق ممن يريد أن يركب درجة أعلى مما دفع أجرتها

٢٤ ـ الشركة غير ملزمة بتقديم سيارة مّا ، إلا إذا استكملت أو قاربت حمولتها من الركاب

أخبار الجماعة

في المركز العام

عقدت الجمعية العمومية لجماعة أنصار السنة المحمدية اجتماعها السنوى فى مساء السبت ٦ شعبان سنة ١٣٧٠ ﻫ الموافق ١٢ مايو سنة ١٩٥١ فما وافت الساعة التاسعة حتى حفلت الدار بحضرات الإخوان ليؤدوا هذا الواجب العظيم واجب اختيار نفر منهم يكون مجلس الإدارة عن العام الجديد كما يقتضيه قانون الجماعة ، وقد افتتح حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى الرئيس العام لأنصار السنة المحمدية هذا الحفل المبارك كعادته فى كل عام بكلمة جامعة عن تطور الدعوة وتغلغلها فى كثير من الهيئات التى كانت تجهلها كل الجهل ، ومدى التقدم والانتشار فى مصر والعالم الاسلامى ، ثم أعقبه حضرة الأستاذ عبد اللطيف أفندى حسين عضو مجلس إدارة الجماعة بكلمة قيمة ناشد فيها أعضاء الجماعة التضافر على نشر الدعوة والمثابرة على الجهاد فى سبيل الله ، ثم تلاه الأستاذ رشاد أفندى الشافعي سكرتير عام الجماعة بكلمة شرح فيها أعمال المجلس فى العام الماضى (ستنشر فى عدد آت لضيق المقام) ثم أعقبه حضرة الأستاذ محمد أفندى رشدى خليل أمين صندوق الجماعة عرض فيها ميزانية الجماعة عن السنة الماضية ثم تكلم الأستاذ عبد الرحمن الوكيل وكيل أول الجماعة كلمة بليغة بين فيها أهداف الدعوة .

ثم أجريت عملية الانتخاب فأسفرت عن الآتى :

(١) الأستاذ عبد الرحمن الوكيل ـ وكيل أول (٢) الدكتور أحمد فاضل راتب ـ وكيل ثان (٣) رشاد أفندى الشافعى ـ سكرتير أول (٤) محمد أفندى سليمان فضل ـ سكرتير ثان (٥) سليمان أفندى حسونه ـ أمين الصندوق (٦) محمد أفندى عبد الوهاب البنا ـ مراقب إدارى (٧) الحاج شريف عكاشه (٨) حسن أفندى كرار ـ مساعدين للمراقب (٩) الأستاذ عبد اللطيف أفندى حسين (١٠) سليمان أفندى رشاد (١١) محمد أفندى رشدى (١٢) الحاج صابر أحمد إبراهيم (١٣) الحاج سيد رضوان (١٤) الحاج إبراهيم قنديل أعضاء .

فنسأل الله تعالى : أن يوفقهم إلى النهوض بالجماعة وأن يعينهم على نشر الدعوة ، والله ولى التوفيق .

مسجد الزقازيق

فى يوم الجمعة ١٩ شعبان ١٣٧٠ هـ الموافق ٢٥ / ٥ / ١٩٥١م افتتحت جماعة أنصار السنة المحمدية المسجد الذى بناه وأنفق عليه من خالص ماله الرجل الكريم الثرى الراجى رحمة ربه الحاج محمد مصطفى بك درهوس المهندس . وقد أقامه على مساحة تتسع لحوالى الألف مصلى . وحرص على أن يكون بعيداً عن الزخرف والزينة التى تشغل المصلى عن ربه . ذلك لأنه قصد به وجه الله ، لا رياء ولا سمعة . قبل الله عمله ، وأثابه عليه خير المثوبة .

وكانت خطبة الافتتاح تشخيصاً لأمراض المجتمع ، ووصفاً لعلاجها من كتاب الله وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفى الخطبة الثانية نوه فضيلة الرئيس بفضل بناء المساجد وأثرها فى إصلاح المجتمع إذا عرف الناس منزلتها من الإسلام وولوها من يقدر ذلك . ويعرف أنها المدرسة الإسلامية التى تخرج للأمة القادة الصالحين ، والدعاة المصلحين ، والغزاة المجاهدين فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وبذلك عزت الأمة الإسلامية فى أولها حين عرفت حكمة المساجد ، واهتدت فيها لهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وتأخرت ووهنت حين كانت المساجد فى نظرها مظاهر مزوقة ، وباطنها خرب من ذكر الله وإقام الصلاة . وفق الله جميع المسلمين لما يحب ويرضى .

إنشاء مسجد ببندر سوهاج

قرر مجلس الوزراء بجلسته المنعقدة فى يوم الأحد ١٤ شعبان سنة ١٣٧٠ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٥١ – الموافقة على ما قرره مجلس سوهاج البلدى من تأجير أرض منتزه البلدية بشارع البحر ببندر سوهاج إلى جماعة أنصار السنة المحمدية بأجرة اسمية قدرها جنيه واحد سنويا ولمدة ٩٩ سنة – وذلك لإقامة مسجد عليها . والمركز العام لجماعات أنصار السنة المحمدية يهنىء أعضاء مجلس بلدى سوهاج بهذا القرار المبارك ، ويسأل الله سبحانه أن يرزقهم التوفيق والسداد إنه سميع مجيب .

ميزانية الجماعة

للأستاذ محمد رشدي خليل — أمين الصندوق

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على أشرف المرسلين وخاتم النبيين ، محمد عبده ورسوله الصادق الأمين ، وعلى آله أجمعين .

حضرات الإخوان المحترمين : أحييكم أطيب تحية ، و بعد :

إنه ليسر مجلس الإدارة أن يقدم إليكم ميزانية الجماعة المالية وحساب الإيرادات والمصروفات فى خلال السنة المنتهية فى ٣٠ إبريل سنة ١٩٥١ ـ فقد بلغ إجمالى الإيرادات ٨٠١م ر ١٧٩٦ ج ـ و بلغ إجمالى المصروفات التى صرفت فى مختلف وجوه الخير والإصلاح ونشر الدعوة مبلغ ٤٠٦ م ر ١٩١٤ ج — وقد بلغت زيادة المصروفات على الإيرادات مبلغ ٦٠٥ م ر١١٧ ج — وترجع هذه الزيادة للأسباب الآتية : —

١ — بلغت الإعانات ٣٥٠ م ر ٥٧٠ ج ـ بينما كانت فى العام الماضى ٨٥٠ م ر٣١٦ ج ـ أى بزيادة قدرها ٥٠٠ م ر ٢٥٣ ج .

٢ — بلغت عوائد دار الجماعة بالحلمية ٤٠٠ م ر٤٧ ج بينما كانت فى العام الماضى ٦٠٠م ر١٥ج ـ أى بزيادة ٨٠٠ م٣١ ج .

٣ — كان لسياسة التوسع التي انتهجتها الجماعة فى هذا العام لنشر الدعوة أن بلغت المصروفات التى أنفقت فى هذا السبيل ٥١٠ م ر٢٤٧ ج بينما كانت فى العام الماضى ١٩٣ م ر٥٦ ج أى بزيادة قدرها ٣١٧ م ر ١٩١ ج

و بالرغم من ضخامة هذه المصروفات فقد أصبح الرصيد الحالى للجماعة ببنك مصر والصندوق مبلغ ٢١٥ م ر ٥٠٦ ج . وأشكر الله أن هدانا ووفقنا إلى هذه النتيجة ، والتى نأمل أن تحوز رضاكم

ونسأله تعالى المزيد من الهداية والتوفيق للنهوض بهذه الجماعة المباركة التى تعمل مخلصة لله وفى سبيل كلمة الله لا ترجو من أحد من الناس جزاء ولا شكورا .

وفيما يلى بيان الميزانية بالتفصيل .

جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام

٨ شارع قوله عابدين القاهرة

ت ٧٦٥٧٦

حساب الإيرادات والمصروفات فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٥١

مصروفات مليم	مصروفات جنيه	البيان	إيرادات مليم	إيرادات جنيه	البيان
—	٦٠٠	ايجار المركز العام	٨٧٢	٤٠٠	إيراد الدار ملك الجماعة
—	٢٧٣	إعانات دائمة	٧٠٠	٢٩٤	اشتراكات الاعضاء
٣٥٠	١٥٣	« طوارىء	٧١٠	٧٤٣	تبرعات «
—	١٤٤	زكاة الفطر	٣٠٠	١٢٠	اشتراكات القسم الليلى الابتدائى
٩٣٠	١٤٧	تنقلات ورحلات للفروع	—	٧٢	استحقاق الجماعة فى أوقاف شريف بك
٩١٠	١٠٩	القسم الليلى الابتدائى	٩٠٥	٢٩	اعانة وزارة الأوقاف
٣٨٥	٧٨	مطبوعات ونشرات للدعاية	٩٣٥	٢٤	« « الشئون
٠٦٢	٧١	نور ومياه	٥٠٠	٣٤	ايجار من الباطن
١٤٠	٦٥	ضيافة وحفلات	٤٢٥	٥٣	أرباح المجلة
٥٠٠	٥٤	مرتبات	٤٥٤	٢٢	« المكتبة
٤٠٠	٤٧	عوائد دار الحلمية	٦٠٥	١١٧	زيادة المصروفات على الايرادات
٧٢٠	٣٢	تليفون			
٠١١	٢٣	تلغراف وطوابع بريد ودمغة			
١٩٥	٢١	كتب هدايا لنشر الدعوة			
٣٠٠	١٨	مكبرات الصوت للمسجد			
٤٠٠	٣	أدوات نظافة			
٤٢٠	١	أدوات كتابية			
٢٧٠	٣٥	متنوعات			
٨٥٣	٢٩	استهلاك الأثاث			
٥٦٠	٤	« الآلة الكاتبة			
٤٠٦	١٩١٤		٤٠٦	١٩١٤	

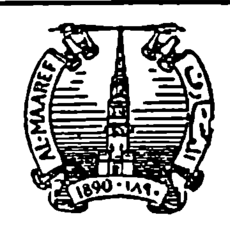
الميزانية العمومية فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٥١

أصول

	مليم	جنيه	مليم	جنيه
البنك	٨٢٥	٤٧٦		
الصندوق	٣٩٠	٢٩		
			٢١٥	٥٠٦
تأمينات				
تأمين ايجار المركز العام	—	٥٠		
« شركة النور والمياه	٨٥٠	٧		
« تليفون	—	٩		
« بريد لتصدير المجلة	—	٤		
			٨٥٠	٧٠
ذممات				
ذممات مجلة الهدى	٢٢٨	١١٦		
« المكتبة	٢٠٩	٥٥		
« المفكرة	٩٩٠	٥		
سلفيات	—	٣٥		
			٤٢٧	٢١٢
دار الجماعة بالحلمية			٧٩٠	٥٧٩٣
أثاث	١٤٠	٥٤٩		
استهلاك بمعدل ٦٪	٨٥٣	٢٩		
			٢٨٧	٥١٩
آلة كاتبة	٦٠٠	٤٥		
استهلاك بمعدل ١٥٪	٥٦٠	٤		
			٠٤٠	٤١
ورق المجلة متبق			١٦٥	١٣٩
كتب بالمكتبة			٠٣١	٤٨
			٨٠٥	٧٣٣٠

خصوم

	مليم	جنيه	مليم	جنيه
المركز المالى للجماعة فى ٣٠ ابريل ١٩٥٠	٤١٠	٧٤٤٨		
زيادة المصروفات على الايرادات	٦٠٥	١١٧		
			٨٠٥	٧٣٣٠
			٨٠٥	٧٣٣٠



المســـند

للامام أحمد بن حنبل

أوسع كتب السنة ، وأكثرها شمولاً وإحاطة . لايستغنى عنه العالم المحقق ، ولا الطالب المجتهد . وهو حجةٌ للمحدث ، والفقيه ، والمؤرخ ، وصاحب اللغة . ألفه إمام المحدثين وزعيم أهل السنة وقدوتهم ، وجعله مرجعَ العلماء وحجتَهم . حتى لقد قال لابنه راويه وهو يوصيه : « احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماماً » .

وهذا (الديوان الأعظم) بحر لا يدرك مداه ، أعجز أكثر العلماء أن يصلوا إلى غوره ، حتى وفق الله له الشيخ أحمد محمد شاكر المحدّث المصرى ، فصنع له الفهارس الدقيقة المتقنة ، من علميـة ولفظية ، وشرحه شرحاً فنيًّا على أوثق القواعد العلميـة التى ميز بهـا الحفاظ صحيح الحديث من ضعيفه ، ليكون مرجعاً حقًّا لـكل طالب وعالم .

ثم كان من توفيق الله وحسن صـنعه لهذا (الـكتاب الحجة) أن حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم ، أسد الجزيرة وإمام أهل السنة فى هذا العصر ، الملك الإمام (عبد العزيز آل سعود) أطال الله بقاءه ، شمله برعايته السامية الـكريمة ، حبا فى نشره وإحيائه ، وتقرباً إلى الله بعموم النفع به . فأصدر أمره العالى بطبعه علىٰ خير ما يُستطاع من الإخراج والإتقان .

فنفّذ الشارح الأمر الملـكى المطاع ، بطبعه فى أجزاء متتالية ، طبعة ممتازة خاصة ، وطبعة شعبية عامة ، ليعم النفع به كل الطبقات .

ظهر منه ثمانية أجزاء

ص	
٨٠	ثمن الجزء الواحد من الطبعة الممتازة
٣٠	« « « « « الشعبية

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

سيظهر الجزء ٩ قريباً إن شاء الله

العدد ١٠ المجلد ١٥

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوى

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

شـوال سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقى

مطبعة السنة المحمدية
• شارع غيط النوبى ـ القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدى النبوي

ثمن النسخة ٣٠ مليماً

الاشتراك السنوى

قرش

٢٠ فى مصر والسودان

٣٠ فى الخارج

الإدارة ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

اعلان

ترسل جميع الحوالات والشيكات الخاصة باشتراكات المجلة أو المكتبة باسم سليمان محمد حسونة أمين صندوق الجماعة على بوستة باب اللوق .

بقية العرض الاجمالى

لسورة النحل

بعد أن ذكّر الله الإنسان بسوابغ نعمه عليه فى نفسه وفى الآفاق ، وأن الله سبحانه إنما أسبغ عليه النعم ليسعد بها ويحيا الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ، وأن أكثر الناس إنما شقوا بهذه النعم لأنهم بدلوها كفرا ، إذ عرفوها ببهيميتهم وأنكروها بانسانيتهم ، فكانوا مسيئين استعمالها ، بأن وضعوها فى غير موضعها ، إذ لم يعرفوا ـ حين انسلخوا من آيات ربهم فى الإنسانية العاقلة المميزة ـ ما فيها من الحق والحكمة التى أرادها وقصد إليها ربهم العليم الحكيم ، فكانوا بذلك من الظالمين لأنفسهم أشد الظلم فى كل أطوار الحياة ، والله سبحانه يعلم أن من طبيعة أولئك الظالمين لأنفسهم : غلبة الغفلة ، وتحكم سلطان الهوى وشهوات الأنفس والشيطان الذى يمنيهم الغرور ، ويخدعهم عن الحقائق فى سنن الله الكونية ، وفى نعمه وفيما يوحى لهم من العلم والهدى إلى رسله ، فيغترون بالصور الظاهرة والاسماء المعسولة ، ما يزخرفه لهم شياطين الجن والإنس غرورا ، ثم يتمادون فى غرورهم وجاهليتهم وكفرهم بالله وآياته ونعمه وكتبه ورسله ، ويوغلون فى الاعراض عن رسالة المرسلين وعن هدى الله وشرائعه ، مستعيضين عنها بما خدعوا به من ميراث تقاليد وجاهلية الآباء والشيوخ ، وبما لا يزال يوحى به أعداء الأنبياء من شياطين الجن والانس : من وثنية وكفر وفسوق وعصيان ، وظن آثم : أن الله ـ فى حسابه وجزائه ـ عند أمانيهم الكاذبة ، وأنه سبحانه يحكم لهم بأهوائهم وأهواء شفعائهم وشركائهم ، مما هو بعينه وحقيقته : الذى استوجب لعنة الله وغضبه وشديد عذابه للأمم الخالية ، قد ألبسه شياطين الجن

والإنس لباسا جديدا ، وخلعوا عليه ـ ترويجا على الغافلين العمي القلوب والبصائر ـ أسماء ماأنزل الله بها من سلطان ، فيهوون إلى حمأة رذائل الشرك والوثنية بتلك الأسماء الجديدة ، و يتمرغون فى قذارة الفسوق والعصيان ومحادة الله ورسوله ، زاعمين أن كل ذلك الإثم والفجور : من الدين الحق الذى أرسل الله به رسله ، وأنزل كتبه وارتضاه لعباده دينا ـ أو على الأقل : لا ينافيه ولا يهدمه ـ وزادوا فى ظن السوء بربهم ، فزعم لهم كفرهم وغباؤهم : أن الله يجزيهم على ذلك ما يجزي عباده المتقين المحسنين الذين هُدوا إلى الطيب من القول والصالح من العمل ، الذين يتحرون فى عقائدهم وأعمالهم هدى الله وهدى رسله . لكن الله يخيب ظنون الفاسقين الآثمة ، ويكذب أمانيهم الباطلة ، بما يوالى عليهم من الكروب والشدائد ببعض ما كسبت أيديهم ، فإذا توالت عليهم لعنات الله وعذابه الأدنى ـ ليوقظهم من غفلتهم ـ ارتدوا على أعقابهم ناكصين ، وزعموا أن الله لم ينصفهم ، ولم يعطهم ما يستحقون ، وزادوا عنه سبحانه إعراضا ، وذهبوا ـ كالحمر المستنفرة ـ يستنجدون بسكان القبور ، الذين لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ، فقربوا لهم القرابين وأحيوا عبادتهم من دون الله ، استرضاء لهم ، أو لجئوا إلى اليهود والنصارى والملحدين ، يستجدونهم من المبادىء والنظريات والقوانين الآثمة ماظنوه بجاهليتهم سبيل السداد والرشاد ، ولم يكفهم ذلك الكفر الشنيع ، فذهبوا ـ ثمرة تحلل شخصيتهم ، وانكبابهم على عبادة أوربا الكافرة الخاسرة ـ يوغلون فى الفسوق والعصيان ، بما يستحدثون من الفواحش والمنكرات الحالقة الماحقة ، استرضاء لوليهم الشيطان، كأنهم يستعدونه و يستنصرون به على رب العالمين. فهل أقبح من ذلك ظلم و بغى و إساءة ،وقطع لما أمر الله به أن يوصل، ونكث بعهود الله ومواثيقه ، وخيانة للأمانة ، وتضييع للحقوق ، و إفساد فى الأرض ؟ !

نعم ، يعلم الله العليم الحكيم ذلك من الظالمين لأنفسهم الغافلين عن سنن الله وآياته ، الكافرين بنعمه وكتبه ورسله ، المغرورين بما زين لهم شياطين الجن والانس من سوء العقيدة والقول والعمل ، لكنه سبحانه لا يأخذهم بعذاب الإبادة والاستئصال كما أخذ من قبلهم ممن كفر كفرهم ، وأترف إترافهم ، وفسق فسوقهم ، و بغى بغيهم ، بل لا يزال بحكمته ورحمته يَمُدُّ لهم فى الأسباب ، و يزيدهم من الابتلاء ، لعلهم ـ أو بعضهم ـ يصغى

إلى موعظة الله ـ الكونية والقرآنية ـ التى تصرخ بهم آناء الليل والنهار ، فعاد يؤكد بأبلغ التأكيد : أن ظنونهم كاذبة وأمانيهم سراب بقيعة ، وأن من أمحل المحال : أن يأمر الله أو يرضى بما هم فيه من بالبغى والإساءة ، والكفر والفسوق والعصيان ، وتقطيع أواصر الإنسانية التى جعل الله وشائجها أقوى أسباب التعاون والمودة والرحمة بينهم ، وأهم عناصر سعادة العيش لهم ، والأمن والسلام والعافية والحياة الطيبة الهنيئة . وإنما يأمر سبحانه : ـ أمراً كونيا بكل ما وضع فيا خلق من الحق والقسط والاستواء ، والنظام الحكيم الدقيق الذى لا يعتوره عيب ولا نقص فى أى نواحيه ، وأمرا شرعيا فى كل ما أوحى إلى رسله ، وكل ما أنزل من كتاب وشرع من شريعة ـ (بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى . وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) وأوامر الله هذه ونواهيه واضحة أشد الوضوح فى سننه الكونية وشرائعه الرشيدة الحكيمة ، التى هى الهدى والرحمة ، والخير الذى ليس وراءه خير ، والرشد الذي ليس بعده رشد للإنسانية كلها لو عقلت عنه ، لأنه ربها العليم الحكيم الرحمن الرحيم وفى الحديث القدسى الذى رواه مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى : يا عبادى ، إنى حرمت الظلم على نفسى ، وجعلته فيما بينكم محرما . فلا تظالموا »

وكم أقام ربنا سبحانه من آيات بينات على هذا العدل المطلق والاحسان الشامل الرحيم في خَلْق الإنسان ، وإعطائه الأعضاء الظاهرة والسمع البصر والفؤاد ، وفى رزقه وحياته وما فيها من مرض وعافية ، وقوة وضعف ، وشباب وهرم وشيخوخة وموت ، وفى أرض وهواء وزروع وثمار ، وسماء ونجوم وكواكب وشمس وقمر ، وليل ونهار ؛ ويقظة ونوم ـ قد سوى ربنا فى كل ذلك بين جميع البشر ، وقسمه أعدل قسمة وأرحمها ؟! وكم صاحت آيات الذكر الحكيم ، وأحاديث النبى الكريم بذلك العدل والإحسان ، ودعت بكل ألوان الدعوة ، ورغبت بكل أنواع الترغيب إلى ذلك العدل والاحسان ؟! ولكن أكثر الناس أعماهم الهوى والشهوات والأطماع الشريرة ، والتقليد الأعمى ، والانسلاخ من آيات ربهم فى الانسانية ، والاخلاد إلى أرض البهيمية ، فهم موتى القلوب والارواح ، صم بكم عمى لا يعقلون (فانك لا تسمع الموتى ، ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهادى

العمى عن ضلالتهم . إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا . فهم مسلمون)

أمرهم ربهم ـ لخيرهم وسعادة عيشهم ، وأمن حياتهم فى الأولى والأخرى ـ بالعدل والنصفة ، ومعرفة الحق لصاحبه ، وإيتائه إياه كاملا غير منقوص ، فخافوا وجاروا عن القصد وبغوا ، فكانوا من الخاسرين .

أعمتهم الجاهلية عن حقوق الله فضيعوها ، وأعطوها لأوليائهم الموتى من دونه ، ولسادتهم وطواغيتهم الباغين عليهم الظالمين لهم المفسدين فيهم ، فاتخذوهم شركاء له فى العبادة وشركاء له التشريع والطاعة ، بل قدموهم فى كل ذلك على ربهم .

أعمتهم الشهوات والأهواء السافلة عن حقوق النفس فى وقايتها والبعد بها عما يفسدها ويضرها فى دينها ودنياها وآخرتها ، ويعرضها لمقت الله وسخطه ، فضيعوها وأشقوا أنفسهم بالوثنية والكفر والفسوق والعصيان .

تغافلوا عن حقوق الزوج والولد فى السكون والمودة والرحمة ، والحفظ والرعاية ، وحسن التربية والأدب ، فى الذكورة والأنوثة بما تقتضيه سنة العليم الحكيم ، فشقوا بالزوج والولد وانقلبت البيوت جحيما يفرون منه إلى القهاوى والمراقص ، ودور اللهو ، وشقيت بهم الأمة.

عموا عن حقوق الكبير على الصغير ، وحقوق الصغير على الكبير ، فضيعوها وكان الكبير ببغيه وظلمه وحشا ضاريا ، وكان الصغير ببغيه وظلمه ثعلبا حقيرا ذليلا .

عموا عن حقوق الجوار ، وعن حقوق الإخاء ، وعن حقوق الرحم والنسب ، وعن حقوق الرياسة على الرئيس والمرءوس ، فكانوا عدوا لبعضهم يتربص كلٌّ بصاحبه، ويتحين الفرصة لافتراسه بكل ما أوتى من قوة وحشية ، فضاعت بينهم حدود الله ، وانتهكت حرمة الأعراض والأموال والدماء بكل قسوة . وكان عيشهم بذلك نكدا . وما ظلمهم الله شيئا . ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

أمرهم الله باحسان الاستعمال لنعم الله فى أنفسهم وفيما يحيط بهم ، وتحرى الحكمة والرشد فى تقبل هذه النعم وإحسان الانتفاع بها لتبقى فيهم نعمة ورحمة ، كما أعطاهم إياها ربهم الرحيم الحكيم ، وليسعدوا بها فيقوم العدل والنصفة بينهم على أساس هذا الاحسان . فأساءوا استعمال كل ما آتاهم الله ، إذ وضعوه فى غير موضعه ، فكانت النتيجة الحتمية : العقاب

العاجل من العليم الحكيم بما ألبسهم شيعا ، وأذاق بعضهم بأس بعض ، مما أغرى بينهم العداوة والبغضاء . وما ربك بظلام للعبيد .

والعجب العاجب : أنهم لا يفيقون من سكرتهم ، ولا يحاولون النجاة من غمرتهم ، بل كل يرى نفسه المظلوم المبغيّ عليه ، وأنه هو العادل فى نفسه ، الحفيظ على كل الحقوق ، لولا أن مَنْ فوقه أو من دونه يلجئونه إلى الظلم والبغى والشر والفساد . ولو أفاق الناس من غمرة هذه السكرة الجاهلية ، لعلموا أن العدل يلد العدل ، والاحسان يثمر الإحسان ، كما أن الظلم يلد الظلم ، والاساءة تنتج الاساءة . والله يقول الحق (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة — وللذين أساءوا السوأى) ويقول (فكان عاقبةَ الذين أساءوا : السوأى) ثم بين الحكمة فى ذلك والسنة التى لا تتبدل فيه ، فقال (أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون)

نعم كذب الناس بآيات الله وسننه الكونية فى أنفسهم وفى الآفاق ، وركبوا رءوسهم المنفوخة بالأهواء الفاسدة ، والتى تغلى بالشهوات المتأججة ، فذهبوا عميا وبكما وصما يزعمون الداء فى غيرهم ، وما الداء إلا من جهالة الجميع أوعمى الجميع ، وكفر الجميع بالله وأسمائه وصفاته ، وكتبه ورسله ووعده ووعيده ، وعماهم عن سنن الله وآياته . ظلموا أنفسهم بالجاهلية والكفر والفسوق والعصيان . فانساقوا بهذه الجاهلية والكفر وراء وليهم الشيطان فى طريق البغى فى كل شىء ، والعدوان على كل حدود الله ، والانتهاك لكل حرماته ، وأوغلوا وراء ذلك الولى الأثيم طاعة له فى الفواحش والمنكرات ، ونقض كل ما يبرمون من عهود ، يوثقونها فى غفلة جاهلية بقولهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وهم لا يحاولون أن يفهموا معنى ذلك ولا أن يحققوا ما يقتضيه من عقيدة وعبادة وطاعة . فهم لا بد — بهذه الجاهلية — يهدمونه بشركهم وفسوقهم وعصيانهم . وينقضون كذلك ما يوثقون — فى غفلة جاهلية — من عهود كونية ، بأخذهم ببهيميتهم نعم الله وحرصهم عليها فى جهالة ، جعلتهم حسدة ، مغلولة قلوبهم بأغلال البغى والضغن والحقد والشر والفساد ، فما تزوجوا إلا بعهود ، ما أسرع ما نكثوا بها ، وما ناسبوا إلا بعهود كذلك ، وما عاشروا إلا بعهود كذلك ، وما نصبوا رؤساء إلا بعهود كذلك ، وما باعوا واشتروا ، وارتبطوا فى مختلف شئون الحياة ، إلا بعهود ما أسرع ما خاسوا بها ونقضوها ، لأنهم ارتبطوا بها على جاهلية

وعمى ، فأوقعتهم هذه الجاهلية والعمى فى النكث بهذه العهود ونقضها ، فما أضروا إلا أنفسهم ، وما ضروا الله شيئا (ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر . إنهم لن يضروا الله شيئا . يريد الله أن لا يجعل لهم حظا فى الآخرة . ولهم عذاب عظيم) فالله العزيز الحكيم يسوطهم فى كل وقت بأسواط هذا العذاب العظيم ليوقظهم من غفلاتهم ، وليبصرهم من عماهم فيفروا من سبيل السفه والغى ، ويرجعوا إلى سبيل الرشد والقصد ، ولكنهم لايفقهون فلا يفكرون ولا يعقلون .

فهذا تظالمهم ، وهذا بغيهم وفسوقهم وعصيانهم ، أحاطهم بظلمات بعضها فوق بعض حتى عُمِّىَ عليهم كل طريق ، وسُدَّ فى وجوههم كل سبيل إلى الحياة النافعة الآمنة ، فهم كلما حاولوا أن يأخذوا لأى شأن من شؤونهم — فى الأسرة ، أو فى الفرد ، أو فى المجتمع ، أو فى الدولة فى الداخل أو فى الخارج — سبباً يبرمونه ويفتلونه بما يظنونه مؤديا بهم إلى مايريدون ويحبون من السلامة والعافية ، إذاهم —فى عماية هذه الجاهلية والفسوق والعصيان— ينقضونه فى حماقة وسفه ، فهم أبداً فى إبرام ونقض ، وهم أبداً فى أخذ للأسباب ثم تقطيع لهذه الأسباب ، وهم أبدا يهدمون اليوم ما بنوه بالأمس ، لايفكرون لماذا أبرموا ، ولا لماذا نقضوا ؟ فانهم لو فكروا لرشدوا ، ولهداهم الله لمعرفة الأسباب الخاطئة فتجنبوها ، ولمعرفة الأسباب الرشيدة فاهتدوا لها ، واستقاموا فى حياتهم على أسس الاحسان على ما كان عليه رسل الله وصفوته من خلقه ، فكانوا من المفلحين لكنك لا تسمع ولا تحس منهم إلا صرخات من الظلم ، ولا ترى إلا تمادياً فى البغى والفساد ، هاهم قد ظلموا أزواجهم ، وظلموا أولادهم ، وظلموا آباءهم وأمهاتهم ، وظلموا الرحم وظلموا الجار والصديق ، وظلموا فى كل شىء ، فكان من سنة الله — التى لاتتبدل بعماهم وغبائهم — أن يتولد من هذا الظلم ظلم أقسى وبغى أشد ، لأن الله العليم الحكيم هو الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، وهو الذى بيده الملك ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، فهل من سميع يصغى إلى موعظة ربه ، فينتفع بها ، ويرجع عن غيه ، ويثوب إلى رشده ، ويطلب — على بصيرة وهدى من آيات الله الكونية والقرآنية — الخير والصلاح والحياة الطيبة الآمنة لنفسه وأهله وأمته ؟ ؟ ! .

أيها الرؤساء والمرءوسون ، أيها الحاكمون والمحكومون ، أيها الزراع والصناع ، أيها الشيوخ والشباب ، أيها الناس جميعا فى أى مكان ، و بأى اسم ، أنتم بضلالكم قد بلغتم قمة البركان ، وهى وشيك أن تحطمكم ، وها هو طريق السلامة واضح ، ونهج الهداية معبد لا يكلفكم إلا أن ترجعوا فى يقظة إلى طلب معرفة الله بأسمائه وصفاته من سننه الكونية فى أنفسكم وفى الآفاق ، ومن كتاب الله تؤمنون بأنه الهدى والرحمة ، أنزله العليم الحكيم شفاء لكل ما يصيب القلوب والصدور من نفثات الشيطان ، من نزوات الهوى والشهوات وعماية الغفلات والجهالات ، ومن هدى رسوله المصطفى المختار ، الذى أرسله لكم ربكم يهديكم سبل السلام ويخرجكم من الظلمات إلى النور ، فاتبعوه لعلكم ترحمون ، فلقد ضمن ربكم — وهو الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد ، لامعقب لحكمه — ضمن السلامة والعافية والحياة الهانئة الطيبة للذين آمنوا هذا الإيمان الصادق على علم و بصيرة لا على عمى وتقليد ، وتحروا وحرصوا أن تكون أعمالهم كلها صالحة ، تؤتى ثمراتها الطيبة فى الدين والدنيا والآخرة ونفروا أشد النفرة من أن يكونوا آلات صماء عمياء ، تعتقد الخرافات الوثنية القاتلة لكل مزايا الانسانية ، وتدين بدين البدع وأهواء الضالين ، فتعبد الله بما لا يرضاه ولا أحبه ولا شرعه . وتعمل مالا تفهم ولا تعقل ، مندفعة كغثاء السيل فى غمار التقاليد البلهاء الغافلة ، والجاهلية الخاسرة .

أعاذنى الله و إياكم من أن نكون من الغافلين ، وجعلنى الله و إياكم من الذين آمنوا على علم و بصيرة ، وعملوا الصالحات على علم وهدى و بصيرة ، الذين أصغوا إلى وعد ربهم ، وآمنوا به بقلوب خاشعة مخبتة، وحققوا شرطه في قوله (من عمل صالحاً ـ من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ـ فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

وصلى الله وسلم و بارك على إمام الهدى ، ونبى الرحمة ، ورسول السعادة والرشد والحكمة : عبد الله الكريم ، ورسوله العظيم ، محمد عليه من ربه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، وجعلنى الله و إياكم من آل هذا الرسول وحزبه المفلحين .

وكتبه فقير عفو الله وراجى توفيقه وهداه

محمد حامد الفقى

نظرة الاسلام في تحريم الربا

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت

— ٢ —

يرى بعض الناس أن الربا أصبح فى عصرنا الحاضر معاملة ، وأساساً من أسس الاقتصاد ، فإن المصارف المالية والشركات المختلفة التى لا غنى للأمة عنها تعتمد عليه فى سائر معاملاتها ، وليس من الرأى ولا من مصلحة الأمة أن نشير عليها بهدم ذلك كله ، وأن ننفرد من بين الأمم بمعاملة خالية من الربا ، وأن نترك البيوت المالية الأجنبية تفيد من ثمرات هذا التعامل العالمى دوننا ، وقد ارتبطت الدول والأمم بعضها ببعض فلم يعد من الممكن أن تستقل أمة بنوع من المعاملة لا تعرفه غيرها و إن أساليب الإصلاح والعمران لتستدعى رصد الأموال وتجميعها من الأفراد لتستغل فيما ينفع الأمة ، وتستدعى فى كثير من الأحيان أن تقترض الحكومات من غيرها أو من الشعوب أموالا تضمنها بسندات ذات ربح مقدر ، فتمتص بذلك الأموال المدخرة المعطلة ، وتحولها إلى منافع ومصالح ترقى بها الأمة وتسعد .

يقولون هذا و يرون أن تحريم الإسلام للربا عائق عن بلوغ الأمة شأن أهل المدنية الحديثة ، مفض بها إلى الضعف المادى ، فالضعف الأدبى ، فالاستعمار .

ومن الناس من يقول : إن اقتراض المحتاج قدرا من المال بفائدة ربوية « قانونية » يمكنه من سد حاجته ويدرأ عنه الإفلاس والضياع ، فلا يعقل أن يكون هذا ضرراً أو فساداً ، و إنما هو نفع وصلاح ، ونحن نجد من المعاملات التى أباحتها الشريعة الإسلامية ما يعتمد على دفع الأقل عاجلا للحصول على الأكثر آجلا كالسلم ، فحيث أجاز الشرع معاملة السلم فليجز معاملة الربا ، فإن المعنى واحد .

وهذا موضوع قد أثير كثيرا ، وشغل الأفكار منذ أنشبت المدنية الحديثة أظفارها فى أعناق المسلمين ، وعمل أهل التشكيك فى صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان عملهم

المثابر المتواصل فى الفتنة وزلزلة القلوب عن دين الله ، والقضية فى الحقيقة ليست قضية الربا أو غيره من المعاملات المالية ، وإنما هى قضية الشريعة الإسلامية كلها ، وقد انصرف عنها أهلها ، وتعلقوا بأهداب غيرها من قوانين الأمم الغالبة المسيطرة عليهم ، ومن شأن المغلوب أن يولع بتقليد الغالب ، ويرى أكثر ما يفعله خيراً وصلاحا ، ويزين له الشيطان أن نجاحه إنما يرجع إلى عدم تمسكه بما يتمسك به هو من القواعد والأصول ، والآداب والتقاليد .

لو كان للإسلام اليوم دولة وقوة لكان تشريعه هو المتبع ولكان للأمم والشعوب من الوسائل الاقتصادية العملية ما يغنيهم عن الربا وغير الربا مما حرمه الإسلام ، وإن للكسب لموارد طبيعية هى الأساس والفطرة ، كالزراعة والصناعة والتجارة والشركات المساهمة والتعاونية ، ولا يستطيع أحد أن يقول إن الشعوب لاتستطيع أن تقيم مدنيتها على أساس التعاون والتراحم ومساعدة الفقير المحتاج بإقراضه قرضاً حسناً على نظام يكفل لأصحاب الحقوق حقوقهم ، ولا يؤدى إلى إثقال كواهل المدينين . واستلاب أموالهم بالباطل .

إن هذه النظم الاقتصادية التي يتشدقون بها ، ويأخذون على الإسلام عدم مجاراته لها قد صارت الآن فى موضع الشك والتزلزل عند أهليها والمتعاملين بها ، وأصبح العالم يميل إلى نظام اشتراكى يحول بين أن يوجد فى الشعب طائفة قليلة العدد مستحوذة على المال ، منتفعة بما يدره عليها من الربح والجاه والنفوذ ، وطائفة هى الكثرة العاملة الناصبة لا هم لها إلا أن تكدح لهؤلاء وتجد فى تنمية ثرواتهم ، ثم لا ينالها من هذا الكدح والنصب إلا أدنى القوت ، وأحط المساكن والملابس ، وما الربا إلا اعتراف بحق أصحاب الأموال في الامتياز على العاملين فهم مناقض لروح التيقظ مصادم لها ، فإذا كان أهل هذه النظم قد بدأوا يفقدون إيمانهم بها ، بل فقدوا هذا الإيمان فعلا ، وأخذوا يلتمسون سبيلا آخر تستقيم به الحياة السعيدة للأمم ، أفلا يجدر بنا معشر المسلمين أن نخفف من حماستنا لها ، ومن ثقتنا بها ؟ .

أترى لو كانت مصر مثلا قادرة على أن تعمل بالتشريع الإسلامى فتلزم جميع ساكنيها بمنع الربا ، وتضع لهم أسلوباً من التعامل يتفق ودينها ، أكان ذلك يضرها أو يعطل مرافق إصلاحها ؟ .

إننا لا نتردد فى الإجابة عن هذا السؤال بالنفى ، ولسنا فى ذلك متجاهلين للحقائق ، ولا جاهلين بسنن الاجتماع ، فإن الأمم تألف ما يوضع لها من النظم ، وتطمئن إليه ، وإذا عرف أفرادها أنه لا سبيل إلى نوع من التعامل لتحريمه ، التمسوا غيره ، ووطنوا أنفسهم على الاكتفاء بما أبيح لهم .

بهذا يتبين أن ما يزعمه الزاعمون من عدم إمكان التخلص من الربا ، ووجوب مجاراة الأمم فى التعامل به ، ليس صحيحا : وأنه يمكن تدبير الأمر على نحو يتفق مع ما تبيحه الشريعة لو أراد الناس ذلك مخلصين .

أما ما اعترضوا به من إباحة السلم فإن السلم بيع فيه ثمن ومثمن ، وليس النقد هو كل شىء فيه ، وليس المشترى فيه دائما كاسبا ، فقد ترخص السلعة عند حلول الأجل وقد تغلو ، فالمخاطرة التى تكون فى التجارة موجودة فيه ، على أن الربح فى السلم ليس من شأنه أن يكون أضعافا مضاعفة كالربح فى ربا النسيئة ، وإذا فرضنا أن المشترى غبن صاحبه فى صفقة السلم استغلالا لحاجته، فان الشريعة تحرم هذا ، و بعض المذاهب يجعل الغبن الظاهر من مفسدات العقد أيا كان .

* * *

بقى علينا أن ننبه فى هذا الشأن لأمر خطير ، هو أن بعض الباحثين المولعين بتصحيح التصرفات الحديثة ، وتخريجها على أساس فقهى إسلامى ، ليعرفوا بالتجديد وعمق التفكير يحاولون أن يجدوا تخريجاً للمعاملات الربوية التى يقع التعامل بها فى المصارف أو صناديق التوفير أو السندات الحكومية أو نحوها ، ويلتمسون السبيل إلى ذلك ، فمنهم من يزعم أن القرآن إنما حرم الربا الفاحش بدليل قوله : « أضعافاً مضاعفة » فهذا قيد فى التحريم لابد أن يكون له فائدة وإلا كان الإتيان به عبثاً ، تعالى الله عن ذلك ، وما فائدته فى زعمهم

إلا أن يؤخذ بمفهومه وهو إباحة مالم يكن أضعافاً مضاعفة من الربا .

وهذا قول باطل ، فإن الله سبحانه وتعالى أتى بقوله « أضعافاً مضاعفة » توبيخا لهم على ما كانوا يفعلون ، و إبرازاً لفعلهم السيء ، وتشهيراً به ، وقد جاء مثل هذا الأسلوب في قوله تعالى « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » فليس الغرض أن يحرم عليهم إكراه الفتيات على البغاء فى حالة إرادتهن التحصن ، وأن يبيحه لهم إذا لم يردن التحصن ، ولكنه يبشع ما يفعلونه و يشهر به و يقول لهم : لقد بلغ بكم الأمر أنكم تكرهون فتياتكم على البغاء وهن يردن التحصن ، وهذا أفظع ما يصل إليه مولى مع مولاته ، فكذلك الأمر فى آية الربا ، يقول الله لهم : لقد بلغ بكم الأمر فى استحلال أكل الربا أنكم تأكلونه أضعافا مضاعفة فلا تفعلوا ذلك ، وقد جاء النهي فى غير هذه المواضع مطلقا صريحا ، ووعد الله بمحق الربا قل أو كثر ، ولعن آكله ومؤكله وكاتبه وشاهديه كما جاء فى الآثار ، وآذن من لم يدعه بحرب الله وحرب رسوله واعتبره من الظلم الممقوت ، وكل ذلك ذكر فيه الربا على الإطلاق دون تقييد بقليل أو كثير .

ومنهم من يميل إلى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للأمة ، ويقول : ما دام صلاح الأمه فى الناحية الاقتصادية متوقفاً على أن تتعامل بالربا ، وإلا اضطربت أحوالها بين الأمم ، فقد دخلت بذلك فى قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات »

وهذا أيضا مغالطة ، فقد بينا أن صلاح الأمة لا يتوقف على هـذا التعامل ، وأن الأمر فيه إنما هو وهم من الأوهام ، وضعف أمام النظم التى يسير عليها الغالبون الأقوياء .

وخلاصة القول ، أن كل محاولة يراد بها إباحة ما حرم الله ، أو تبرير ارتكابه بأى نوع من أنواع التبرير ، بدافع المجاراة للأوضاع الحديثة أو الغربية ، والانخلاع عن الشخصية الإسلامية ، إنما هى جرأة على الله ، وقول عليه بغير علم ، وضعف فى الدين ، وتزلزل فى اليقين ، وقد سمعنا من يدعو إلى البغاء العلنى و يجيزه ، و يطالب بالعودة إليه ، ويرى أنه إنقاذ من شر أعظم يصيب الأمة من انتشار البغاء السرى ، و بمثل هذا يتحلل المسلمون من أحكام دينهم حكما بعد حكم ، حتى لا يبقى لديهم ما يحفظ شخصيتهم الإسلامية نعوذ بالله من الخذلان ، ونسأله العصمة من الفتن .

يتبع

الحـــق

للأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

«الحق» فى الأصل مصدر بمعنى المطابقة والموافقة . تقول: حَقَّ الصمامُ القارورةَ حقاً أى طابقها ووافقها ، ثم استعمل فى كل شىء مطابق وموافق : إما للواقع ، مثل : اعتقاد أنصار السنة فى الأولياء حق ، أى مطابق وموافق للواقع ، وقولهم عليهم حق ، أى مطابق وموافق للواقع ، ودعوتهم إلى سبيل الله حق ، أى مطابقة وموافقة للواقع ، وإما لمقتضى الحكمة ، مثل:قضاء الله حق أى مطابق ، وموافق لمقتضى الحكمة .ثم استعمل فى الأمر الواقع الثابت نفسه فتقول : الإسلام حق ، والموت حق ، والبعث حق ، والجنة حق ، والنار حق ، أى أمر واقع ثابت في نفسه لا ينبغى أن يشك فيه . وَدَيْنُكَ على فلان حق أى ثابت ، ولك عليه حق أى دين ثابت ، ولقد سأل المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البعث : أهو حق ؟ أى أمر ثابت لاشك فيه . قال تعالى (ويستنبئونك أحق هو ؟ قل : إى وربى إنه لحق) وكل ماليس واقعاً ولا ثابتاً فهو باطل ، وبذلك يكون الحق ضد الباطل .

هذه هى المعانى اللغوية لهذه الكلمة .

ورب العزة سبحانه يخاطب الناس بما يفهمون ، وقد سمى نفسه « الحق » وأخبر عباده بذلك فى كتابه الكريم ، وهو قرآن عربى مبين . وهم يفهمون معنى كلمة « الحق » فى لغتهم فماذا كان عليهم أن يفهموا من هذه الكلمة ؟ وما المعنى الذى كان ينبغي أن يتمثل لأذهانهم من هذا الاسم الجليل ؟ .

كان عليهم أن يفهموا أن معنى اسم الله تعالى « الحق » أنه الإله الذى إلهيته ثابتة ومحققة ، قام عليها برهان الفطرة ، وحجة العقل ، وشهد بها مافى الوجود جميعاً من ناطق وصامت . يشهد بهذا ما قال الله تعالى فى سورة يونس وهو يعلم رسوله كيف يجادل المشركين ويقيم الحجة عليهم : (١٠ : ٣١ ، ٣٢ قل : من يرزقكم من السماء والأرض ؟

أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقون . فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فأنّى تصرفون ؟) .

علم رب العزة جل ثناؤه أنهم يؤمنون فى قرارة أنفسهم ، وفى صميم وجدانهم : أن مقدر الأرزاق ومسخرها ، ومالك السمع والأبصار ، ومخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ومدبر أمر هذا الكون هو الله رب العالمين ، وأنهم إذا سئلوا عن المتفرد بهذه الأمور كلها فسيجيبون لا محالة بأن الله هو المنفرد بهذه الأمور . علّم رسوله أن يوجه إليهم هذا السؤال ، حتى إذا أجابوا عنه بالجواب الذى تدعو إليه الفطرة ، ويحتّمه الوجدان ، والذي لا يقبل العقل السليم غيره أخذ الحجة من جوابهم ، وقال لهم : إذا كنتم تقرون وتعترفون بأنه لا يفعل كل هذه الأمور التى سئلتم عنها إلا الله ، فاعلموا أن الله الذى يفعل كل كل هذا هو ربكم الحق ، أى الذى ربوبيته ثابتة محققة لا شك فيها ، وأما الآلهة التى تدعونها من دونه فهي ضلال وباطل ، إذ ليست موصوفة بشىء من صفات الله الحق ، وليست تقدر على شىء مما يقدر عليه الإله الحق ، فالله هو ربكم الحق ، وليس بعد الحق إلا الضلال ، فالانصراف عن عبادة الله الحق إلى عبادة الباطل من سفه النفس وغبن الرأى وأفَن العقل .

ويوم ترفع الحجب ، وتكشف الأغطية ، وتتجلى آثار القدرة الإلهية ، واضحة جلية ، حين تنطق الأيدى ، وتشهد الأرجل ، ويوفّى كل عامل ماعمل : يدرك الناس جميعا : مؤمنهم وكافرهم ، موحدهم ومشركهم : أن كل ما تعلقت به النفس فى الدنيا من الملذات والشهوات ، وكل ما ضحت بالإيمان من أجله من الشرور والموبقات ، وكل ما عبدت من دون الله جل ثناؤه ، إنما هو وهم باطل ، وظل زائل ، وسناد مائل ، وأن الله وحده هو الحق . قال تعالى فى سورة النور (٢٤ : ٢٣-٢٥ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعِنوا فى الدنيا والآخرة . ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ، ويعلمون أن الله هو الحق المبين)

والله الحق هو الذى يقدر على خلق الإنسان فى أطواره المختلفة ، كما يقدر على خلق

غيره من الـكائنات الحية وغير الحية ، ويقدر على إعادته بعد الموت لتجزى كل نفس بما تسعى . أما المعبودات الباطلة ، والطاغوت المعبودة من دون الله فلا تقدر على خلق شيء ، بل هى مخلوقة مسخرة للخالق الحق سبحانه . قال تعالى : (٢٢ : ٥ ، ٦ قل يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ثم من علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لـكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم مَن يرد إلى أرذل العمر لـكيلا يعلم من بعد علم شيئا . وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج . ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل شيء قدير)

والإله الحق هو الذى ينصر المجاهدين فى سبيله، ويشد أزرهم، ويخذل الباطل والمبطلين ، ويرد كيدهم فى نحورهم ، وسهامهم إلى صدورهم ، لأنه قوى عزيز يملك أسباب النصر والخذلان ، وبيده ملـكوت كل شيء ، وكل مظاهر الوجود شاهدة بأنه الحق . أما الباطل الذي يعبده المبطلون ، والطاغوت التى يدعوها الجاهلون ، والمخلوقات العاجزة الضعيفة الزائلة التى يخلع عليها المتعصبون الجامدون صفات الألوهية ونعوت الربوبية إفـكا وزوراً . فلا تملك شيئا ولا تقدر على شيء ، وكلها مملوكة خاضعة لأحكام القدر ، مسخرة بأمر الحق ، عانية فى قبضة القضاء . قال تعالى : (٢٢ : ٦١ ، ٦٢ ذلك ، ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بُغى عليه لينصرنه الله . إن الله لعفو غفور . ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار ، ويولج النهار فى الليل ، وأن الله سميع بصير . ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ، وأن الله هو العلى الـكبير)

وقال تعالى فى سبيل الاستدلال بمظاهر الوجود ، وآياته فى الآفاق على أنه الحق ، وأن ما عبد من دونه هو الباطل: (٣١ : ٢٩ ، ٣٠ ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر ، كل يجرى إلى أجل مسمى ، وأن الله بما تعملون خبير . ذلك بأن الله هو الحق ، وأن ما يدعون من دونه الباطل ، وأن الله هو العلى الـكبير) .

والناس لفرط ظلمهم وجهلهم ، وإغواء الشيطان إياهم ، واستمساكهم بعادات أسلافهم

السيئة ، وعقائدهم الفاسدة ـ يلجّون فى عتوهم ونفورهم ، ويستكبرون فى الأرض بغير الحق ، ويعبدون ماشاء لهم الهوى ، وما زينه الشيطان فى صدورهم ، والله الحق يملى لهم ما شاء أن يملى ، ويكتب عليهم ماهم فاعلون ، ثم يقهرهم بالموت ، ويردهم إليه ليحكم بينهم ويجزيهم بأعمالهم . قال تعالى : (٦ : ٦١ ، ٦٢ وهو القاهر فوق عباده ، ويرسل عليكم حفظة ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ، وهم لايفرطون ، ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق ، ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين)

تعالى الحق سبحانه أن يخلق الناس عبثا ، أو يتركهم سدى ، أو يدع الخلق هملا وهو سبحانه قد استوى على العرش يدبر الأمر . قال تعـالى (٢٣ : ١١٥ ، ١١٦ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لاترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق، لاإله إلا هو رب العرش الكريم)

وللملك الحق سبحانه يرشد عباده إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم ، وفوزهم وفلاحهم ، ويحـذرهم ما يؤذيهم ويضرهم فى دينهم ودنياهم وآخرتهم . ومن أجـل ذلك أخبر الحق سبحانه بتوعد الشيطان بنى آدم ليـأخذوا حذرهم ، ويتنبهوا لـكيده ، ولا يستجيبوا لإغرائه . قص الحق سبحانه علينا توعد الشيطان إيانا ، و بين لنا المصير الذى ينتظر كل من عصى الرحمن وأطاع الشيطان حتى نكون على بينة من الأمر ، فلا نؤخذ على غرة . قال تعالى : (٣٨ : ٨٢ ـ ٨٥ قال : فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين . قال : فالحقُّ والحقَّ أقول : لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) .

والملك الحق تبارك اسمه يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الـكافرين وإحقاق الحق إثباته بالآيات البينات التى يجريها على أيدى رسله الكرام وبالأدلة القاطعة ، والحجج الناصعة من كتبه المطهرة، ومايلهمه المصلحين من ورثة الأنبياء ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . ومن إحقاق الحق : إكمال الشريعة ، وبثها وإظهارها على باطل الشرائع ومنسوخها قال تعالى : (٦١ : ٩ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) .

وقد تفضل الحق سبحانه فكتب النجاة والنصر لرسله وأوليائه وللمؤمنين الذين يتبعون سبيلهم ، ويهتدون بهديهم . وما كتبه الله لأهل الحق فلن يمحوه المبطلون . قال تعالى : (٤٧:٣٠ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات . فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال تعالى : (١٠ : ١٢٠ ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا ، كذلك حقا علينا ننُج المؤمنين)

والملك الحق سبحانه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض كما يقتضيه علمه وحكمته ورحمته لا كما تتطلبه أهواء ذوى الأهواء ، وأغراض أولى الأغراض (٧١:٢٣ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون)

والحق جل ثناؤه خلق السموات والأرض بالحق ، وأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ولكن الذين غلبهم الهوى على أمرهم ، واستحوذت عليهم تقاليد الجاهلية ، وملك قيادهم الحرص على ما كان عليه الآباء ، يسوءهم الحق ، ويؤذى أنفسهم فيبغضونه لأنه يزهق باطلهم ، وصدق الله إذ يقول : (٢٣ : ٧٠ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون)

ولكن الحق ظافر أبداً ، والباطل زاهق أبداً (١٧ : ٨١ وقل جاء الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا).

كنت فى «الرياض» العامرة

حرسها الله — ٢ —

استأذن الشيخ فى الانصراف ، فأذن له جـلالة الملك ـ حفظه الله وأبقاه ـ وحين تشرفت بمصافحة جلالته للانصراف مع الشيخ ، تفضل جلالته ونادى صاحب السمو الملكى الأمير سعود ، ولى عهده المعظم ـ جعله الله قرة لعين والده ـ وقال له : ـ وقد أخذ بيدي ـ « أكرم أخاك » .

ما أكبرها وأجلها من كلمة تجمع فى النفس كل ماعرف من تراجم السلف الصالحين ، وجود وكرم العروبة المحضة ، وماأعظم حلاوتها فى النفس وما أشد أسرها للقلوب التى تقدر الإحسان ، وتعرف الجميل ، إذ يقول جلالة الملك عبد العزيز ، إمام الموحدين ، وصفوة أمجاد العرب ، ومثالهم الأعلى اليوم فى كل المحامد والمكارم ، لابنه الأكبر ، وولى عهده المعظم « أكرم أخاك » وما أسعدنى بهذه الأخوة أخوة الإيمان . ومن ذا الذى يعرف اليوم أخوة الإيمان ، ويكرم أخوة الإيمان ؟ إنه جلالة الملك النقى المؤمن الصالح ، إمام الموحدين : عبد العزيز آل سعود ، مد الله فى حياته . وأسبغ عليه سوابغ العافية فى دينه ودنياه وآخرته.

نعم فلقد كان من الميسور لجلالته ـ مد الله فى حياته المباركة ـ أن ينادى أحد رجال الحاشية ، ويكلني إليه ، بل لقد كان من الجائز ، الذى لا غبار عليه أبدا ، أن يتركنى ، ولن أضيع ، وأنا أحد ضيوف جلالته ، وهم كثر ، ولـكن أبى عليه دينه المتين ، وتأسيه الصادق برسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يخص العلم بهذه العناية الفائقة ، وأبت عليه عروبته الصميمة إلا أن يطوق المنتسب إلى الدين بهذه المنة الـكبرى ، ويشمله بهذا العطف السامى ، فجزاه الله أفضل الجزاء ، وأبقاه للاسلام ذخراً وناصراً ، وأجزل مثوبته فى دار كرامته مع المتقين المحسنين .

تفضل حضرة صاحب السمو ولى العهد المعظم ـ جعله الله قرة عين لوالده وللمسلمين ـ فأخذ بيدى ، وسرت معه حتى خرجنا من مجلس جلالة الملك المعظم ، ثم دعا سموه بكبير الياوران سعيد بك جودت ، وأمره أن يرافقنى إلى دار الضيافة الممتازة ، ويهيىء لى بها الـكرامة التى تفضل جلالة الملك المعظم فأمر بها ، سرت مع سعيد بك جودت ، وهو رجل

يتمثل فيه من الشهامة ودماثة الأخلاق ماجعله يحظى بهذا المركز الممتاز عند جلالة الملك المعظم حفظه الله ، حتى بلغنا إلى دار الضيافة الممتازة ، وهى مقابلة لقصر جلالة الملك ـ قد أعدت هذه الدار الفخمة خصيصاً لنزول جلالة ملك الأفغان حين زار الرياض فى العام الماضى ثم جعلت نزلا للضيوف الممتازين ـ فبلغ سعيد بك جودت مدير الضيافة الأمر الكريم ، فأعد لى غرفة فسيحة الأرجاء ، مؤثثة بالسجاد الفاخر ، والدواليب والأسرة والفرش ، والكراسى التي لا توجد إلا فى أفخم القصور والفنادق الكبرى ، وملحق بهذه الغرفة ـ ككل غرف القصر ـ حمام فاخر جداً ، به حوض من المرمر الفخم ، مجهز بالماء البارد والساخن ، و بكل مايحتاجه المترف لقضاء حاجته ، ثم جاء الخدم يسألوننى عن حاجتى من الطعام والشراب ، فطلبت بعض الشراب الحلو ، فجاءونى به فى سرعة عجبت لها ، وجاءونى بإبريق من البلاور مملوء باللبن الدسم ، و بآخر مملوء بالماء المثلج ، وكان إبريق اللبن هذا مع إبريق الماء في كل صباح ومساء ، وعند كل طعام ، وقد كان هذا اللبن أحب شيء إلى لمذاقه الجميل ودسومته التى لم أجدها فى لبن مصر . ثم جاء بعد فترة وجيزة سائق السيارة وقال : إن السيارة الخاصة بك تحت أمرك . فبدلت ثيابى وذهبت إلى دار الشيخ ، وطلبت إلى السائق أن يتمهل فى سيره حتى أرى معالم الرياض ، وأسأله عن كل مايقتضى السؤال عنه . وكان السائق مؤدباً جداً ، متديناً صالحاً سمح الأخلاق ، مما أثار عجبى وحببه إلى ، فكنت أعامله كأخ لا كسائق . لكنى قد زال عجبى منه حين خالطت أهل الرياض ، وامتزجت بكل الطبقات فيها ، فعرفت أنهم جميعاً على هذا الأدب الكريم ، والأخلاق السمحة ، والدين المتين ، والهدوء والتواضع الذى حببهم إلىّ ، وجعلنى أتمنى أن لو يتيسر لى أن أقضى بقية حياتى بين هؤلاء القوم الصالحين المؤدبين الهادئين . سلكنا من المربَّع ـ وهو اسم لقصر جلالة الملك المعظم ، ومايتبعه من قصر سمو ولى العهد وقصور أصحاب السمو الأمراء الأنجال الكرام ـ طريقاً معبداً بالأسفلت ، كأحد شوارع القاهرة الفخمة ، يمر وسط قصور ضخمة ، و بساتين واسعة ، فكنت أسأل السائق ، فيقول لى : هذا قصر

البقية على صفحة ٢٦

باب التراجم

السيد عبد الرحمن الكواكبي

١٢٦٥ — ١٣٢٠ هـ = ١٨٤٨ — ١٩٠٢ م

— ١ —

فى شمالى سورية سهل أفيح ، تشرف عليه من الغرب جبال لبنان ، ويخوّض من الشرق فى نهر الفرات ، وتهب عليه الأعاصير فى الشتاء ، فينحدر عليه المطر ثجاجا هتونا ، فيحيي أرضه ، وتهتز تربته وتربو ، وتجود بألوان شتى من الحب والنبات ، ويكسوها الربيع بشجيرات القطن والقنب والسمسم والخروع والموز والطبّاق ، ويحبوها الله من الخصب واعتدال الجو بالأشجار الدائمة من البرتقال والليمون والفستق والبرقوق والكريز والتين والزيتون والدوالى والأعناب . فى وسط هذا السهل الممرع المخصاب تقوم مدينة : « حلب » الشهباء بأبنيتها العتيقة ، وبيوتها البيض الفساح ، ومساجدها التى تعلوها المآذن والقباب ، وذكرياتها المجيدة التى يثلج لها صدر التاريخ . فى بيت عتيق من بيوت هذه المدينة العتيقة ، ولد « عبد الرحمن الكواكبى » ونشأ كما ينشأ ولدان الشرق الذين يولدون للأسر العريقة .

وكان أبوه رجل جد وتوقر ، انتهت إلى بيته نقابة الأشراف فى حلب ، وكان يدرس العلوم الدينية والعربية فى المسجد الأموي وفى المدرسة الكواكبية بحلب ، فتولى تربيته وتثقيفه وتخريجه ، وأخذه منذ الطفولة الباكرة بأخلاق الكملة من الرجال ، فلم يتغاض عن هفوة تبدر منه ، ولم يعف عن زلة ، ورباه على الشجاعة ، وحرية الرأى والصراحة فى الحق ، وإباء الضيم ، والاحتفاظ بالعزة والكرامة ، والترفع عما يشين الحر الأبىّ الكريم من سفاسف الأمور ومحاقرها ، فنشأ مولعاً بالفضيلة متعلقا بأهدابها ، محباً لدينه غيوراً عليه ، يحزّ فى نفسه أن يرى البلاد الإسلامية دون بلاد الغرب صحة وثروة وثقافة ، وعزة ومنعة واستقلالا . وأثمرت هذه التربية تلك النزعة الإصلاحية التى وهب لها نفسه حين بلغ أشده واستوى . ماتت أمه فى طفولته فذاق حسرة الفراق ، وأحس ألم الحرمان ، فكان

يخلو إلى نفسه لحظات طوالا يبكي فيها مافات من حنوها و برّها وعطفها وحدَبها ، وعرف لوعة الحزن فى نضرة الصبا ، وأعقبه من ذلك انطواء على نفسه لازمه طول حياته .

أتاح الله له بعد وفاة أمه خالة كانت من فضليات النســاء اللاتى تقل أمثالهن بين بنات حواء ، امتازت ببعد النظر ، ورجاحة العقل ، والتشبث بأهداب الفضائل ، والترفع عن صغائر الأمور ، فأعانت أباه على تنشئته النشأة الكريمة التى تتجلى فيها سمات هذه الأسرة العريقة ، من عزة النفس وسمو الخلق ، و إباء الضيم ، والتجافى عن الدنايا ، والاستمساك بالحق ، والذود عن حياضه .

لما ترعرع أرسل إلى المدرسة الكوا كبية التى كانت أسرته ترعاها ، وتلى أمورها ، فتثقف فيها ثقافة عربية دينية : قرأ القرآن الكريم ، واستظهر الكثير من سوره ، واطلع على الأحاديث النبوية ، وألمّ من حفظها وفهمها بحظ عظيم ، ودرس العلوم العربية من نحو وصرف و بلاغة ، والعلوم الشرعية من فقه وتوحيد وتفسير وحديث ، وعنى عناية خاصة بدراسة العلوم العقلية من منطق ورياضة ، وألم بأبواب من علم الطبيعة .

وكان فى طبيعته نزوع إلى الكمال ، فتعلم اللغتين الشرقيتين اللتين كان العالم الشرقى المثقف لا يسعه أن يجهلهما : اللغة التركية ، لغة الدولة السائدة يومئذ ، واللغة الفارسية لغة إحدى الجارات الشرقية ذات الماضى المجيد فى العلوم والفنون والآداب .

ودرس العلوم التاريخية دراســة باحث مدقق يقيس الأمور بأشباهها ونظائرها ، ويستنبط الأحداث من مقدماتها ، ويعرف آثار هذه الأحداث فى مصاير الأمم .

وأقبل على قوانين الدولة العثمانية يدرسها دراســة متفقه متشرع ، ينقد النصوص ويقف على مافيها من مناحى النقص التى تتطلب الإصلاح .

وكان لكل هذه الدراسات أعمق الأثر فى تكوين عقليته ونضج تفكيره واتساع أفقه ، ذلك إلى ذكاء فطري ممتاز ، ومواهب عالية أفاضها الله تعالى عليه ليعده للنهوض بالتبعات الجسام التى قدر له أن ينهض من بعد بأعبائها .

وكانت معارفه وثقافته ومواهبه تهيئه للاضطلاع بأى عمل من الأعمال العامة تطمح نفسه إلى أن يضطلع به ، لو أنه عاش فى جو حر يشجع النبوغ ويقدر الصراحة ، ويكافىء

الإخلاص ، ويجل الشجاعة ، ويعضد الكفايات ، ولكن وا أسفاه ! عاش فى عهد عبد الحميد ، ذلك العهد الذى استشرى فيه الفساد ، وشاعت الدسائس ، وراجت الوشايات ، وسرت الجاسوسية فى جسم الأمة مسرى الحمى ، وفشت السعايات فشو الطاعون ، واتخذ كل تدبير لقتل الذكاء والنبوغ ، ومكافحة الصراحة ، والقضاء على الشجاعة والإقدام وخنق العدل والحرية ، والنزاهة والاستقامة .

ولما أتم دراسته ، واستكمل ثقافته اشتغل بالتحرير فى الجريدة الرسمية ، وكان يظن أن سيجد فى هذه الجريدة متنفَّسًا يفرج به عن صدره المكظوم ، أو مغيضاً يخفف عن نفسه المكبوتة ، ولكنه وجد نفسه أداة فى يد رئيس التحرير ، لا يصدر إلا عن رأيه ، ولا يتحرك إلا بإذنه ، ولا يكتب إلا مايوسوس به إليه ، فاجتوى ذلك العمل ، وبَرِم به وضاق ذرعاً ، وما لبث أن استقال منه أو أقيل ، ليجد الجو الحر الذى يستطيع أن يتنفس فيه ، ويعتق قلمه من رق الوظيفة ليكتب ماشاءت له حريته ، وصراحته ، وحبه لدينه ، ورغبته فى الإصلاح ، فأنشأ جريدة سماها « الشهباء » وأخذ ينشر فيها مقالات ترضى نزعته الإصلاحية ، وتعرب عن سخطه على النظام الذى كان قائماً ، ويندد بالتحلل ، وفساد الأخلاق ، وضعف النفوس واستخذائها للشرور والآثام ، ويدعو إلى تطهير أداة الحكم مما تلوثت به فى ظل الاستبداد من العسف والاضطهاد والتنكيل بالأبرياء ، واغتصاب الحقوق ، ويهيب بالأمم الإسلامية أن تطهر عقائدها مما ران عليها من الخرافات ، وأن تنقى دينها مما أدخل عليه من البدع ومحدثات الأمور ، وأن تعمل على إعادة مجد الإسلام وقوته ومنعته .

وكانت عباراته عفة نزيهة مبرأة من الإسفاف ، ولكنها تفيض حماسة ، وتتدفق غيرة ، وتلتهب حمية ، وكان صريحاً فيما يكتب لايلتوى ، ولا يدارى ولا يحابى ، فأثار سخط الحاكمين وأيقظ غيظ قلوبهم حين كشف عن بعض سوءات الحكم ، وهتك بعض مخازيه . وسرعان ماصُب عليه سوط الغضب ، وشهر فى وجهه سيف النقمة ، ومسَّت « الشهباء » بألوان من العنت ، لم تلبث بعدها أن أفلت شمسها واحتواها المغيب .

أبو الوفاء محمد درويش

«الكوكا» لها صفة المخدر والمسكر

و «الكولا» فيها خصية الكحول

كما أثبت ذلك علم النبات وعلم الطب وعلم الأقرباذين (الفرماكوبيا)

وفيما يلي بيان من أوثق المصادر العلمية ..

١ — الكوكا . . . .

أولا — يقول علم النبات : إن «الكولا» نبات مخدر ، يستخرج منه المادة القلوية المعروفة بالكوكائين . وبديهى أن الكوكائين مخدّر مزيل للحسّ الموضعي للأغشية المخاطية وخصوصاً للعين من الظاهر ، كما يستعمل فى موضع البنج لخلع الأسنان بدون شعور بالألم ، ويصنع منه أقراص تستحلب كمسكّن لأمراض الزور والحنجرة . وتستعمل «كلور يدرات الكوكايين» حقناً تحت الجلد بمعدل خمسة سنتيجرامات لإزالة الحس الموضعى في العمليات الصغيرة .

ثانيا — جاء فى النشرة الطبية لجمعية الصيدلة المصرية بالعدد السابع عشر سنة ١٩٤٤ ما نصه : إن هنود أمريكا الجنوبية استعملوا ورق الكوكا كمخدر قبل اكتشاف الأسباب لها بعدة قرون .

ثالثا — جاء فى قاموس القرن العشرين الانجليزى ما ترجمته حرفيا : «الكوكا شجيرة يتراوح ارتفاعها بين ستة وثمانية أقدام ، يستخرج من أوراقها مخدر ومنبه هام» .

رابعا — وجاء فى دائرة معارف بيرز (Pears-Encyclopecia) بأن الكوكا أشجار تنبت فى أمريكا الجنوبية ، وتغلّ محصولا من الأوراق والازهار ثلاث دفعات فى السنة يقدّر بنحو خمسين مليونا من الأرطال ، يستهلك معظمه هنود أمريكا الجنوبية، ويستعمل هؤلاء الهنود أوراق الكوكا مَضْغاً . فيحدث عندهم انتعاشاً وخَدَراً أشبه بنشوة الخمر ، لا يحسون معها بجوع ولا تعب ، بسبب إضعافها لأعصاب المعدة .

خامسا ــ جاء فى دائرة المعارف البريطانية (Encyclopecia Britannica)
مثل القول المتقدم ؛

سادسا ــ تستعمل الكوكا فى الأقرباذين ، أو علم تركيب الأدوية عند حاجة المرض ، كمقو ومنعش ومنبه بإضافتها إلى عناصر أخرى من العقاقير ، كإضافة نبيذ ملجا وغيره من الخمور المستعملة فى المستحضرات المقوية ، مثل شراب فيلاهوف ، وكينا لاروش ، وكينا بسليرى وفان ديزيل أو شراب نابوليون وغيرها وغيرها .

٢ ــ الكولا

أما جوز الكولا فهو ثمر شجرة « الكولا » وتنمو فى جزائر الهند الغربية وفى جارة و بلاد البرازيل ، ومناطق افريقيا الاستوائية ، ومن خواص الكولا : أنها منبهة . وتحتوي على مادة الكافيين (روح البن) بنسبة ٥و٢ ./· أو ثلاثة أمثال ما فى البن العادى من هذه المادة ، وتحمص بذور الكولا كتحميص البن ، ثم تسحق ، ويستخرج منها منقوع الكولا . وهو شراب مقو يدخل فى تركيب المستحضرات المقوية ، كالتى ترد على مصر من الخارج مثل شراب : فان يزيل ، وشراب بيوتونيك وغيرها .

والكولا أو الكوؤلا مشتقة من كلمة « كوؤل » أى الكحول (سبرتو) وسميت كذلك لاحتوائها على نسبة من الكحول .

ويقول الدكتور سامح بك مفتش صحة الأوقاف سابقا وحكيمباشى مستشفى الرمد الأميرى ، وعضو جمعية طب العيون الباريسية فى كتابه الاسعافات الطبية الحديثة صحيفة ٣٢٥ جزء ٢ : أن بذور الكولا تحتوى على خلاصة كوؤلية (كحولية) .

هذه أقوال العلم عن « الكوكا » و« الكولا » وإذا كانت جوزة الطيب معتبرة من ضمن المخدرات المحظور تناولها ، أفلا يكون من باب أولى اعتبار هذين المخدرين من المحظورات الممنوعات ؟ .

وهذا فضلا عما فى انكباب جميع طبقات الأمة المصرية على هذا الشراب بهذه الكثرة

المروعة : من الانهيار النفسى والمالى الذى أفقدنا جزءا ضخما جدا من ثروتنا القومية وقضى على كثير من منتجات أرضنا وأيدى أهلنا وإخواننا ، وترتب على ذلك بلاشك عند العقلاء : فقر يلاحق الأمة ، ويقصم عمودها الفقرى فى الحياة ، مع ما أترف فيه مصريون وأوغلوا فيه من أنواع السرف والسفه مما جعل حكومة فرنسا تصدر أمرا يمنع الشعب الفرنسى منعا باتا من استعمال هذا الشراب ، حرصا على ثروتها أن تتسرب إلى خارج بلادها . أفما كان الاجدر بنا نحن كذلك أن نعقل ونستعيض عن كل ما يرمينا به الأجنبى ليستنزف أموالنا ، ويحطم مقوماتنا : بما جعل الله فى أرضنا وأخرجته أيدينا من خيرات ، قد أصبحت بائرة كاسدة برواج هذه المشروبات مع ما فيها من التخدير والكؤول ؟ أيها المصريون أفيقوا إن كنتم تريدون العزة والحياة .

سيد هريدى على

بإدارة المطبوعات بوزارة الداخلية

بقية المنشور على صفحة ٢٠

الأميرة نورة أخت جلالة الملك ، رحمها الله وغفر لها ، وأخذ يذكر من كرمها وعطفها على الفقراء ورحمتها بهم شيئا كثيرا سمعته بعد ذلك من غير السائق . وهذا قصر فلان وفلان ، حتى بلغنا سور الرياض ، وهو سور ضخم البنيان شامخ مرتفع ، أقيمت عليه البروج فى مختلف نواحيه ليقوم فيها العساكر يحرسونه أيام كانت البلاد دائمة الحروب بين آل سعود وآل الرشيد ، أما اليوم ـ وقد عم البلاد الأمن ، وتوحدت الرياسة العادلة الرشيدة الرحيمة فى قبضة صقر الجزيرة ، تحوطها عناية الله ورعايته ويشملها الأمن والرفاهة والرخاء من جميع أطرافها ـ فلم يبق للسور ولا للأبراج والعساكر والحراس حاجة . ولذلك فقد بدأ هذا السور يتلاشى ويزول شيئاً فشيئاً بما يزحف عليه من العمران المستمر فيكتسحه أمامه ، ويقوم لسان صدق على أنه حيث يكون العلم والإيمان يكون الرخاء والحياة الطيبة الآمنة والعمران .

(يتبع) محمد حامد الفقى

كلمة الأستاذ رشاد الشافعى

سكرتير عام الجماعة فى اجتماع الجمعية العمومية

يوم السبت ٦ شعبان سنة ١٩٧٠ – ١٢ مايو سنة ١٩٥١

إخوانى ، وفقنى الله و إياكم لما يحب و يرضى .

السلام عليكم ورحمة الله – يطيب لى أن أقف بينكم فى هذه المناسبة الكريمة بصدر منشرح ونفس مطمئنة على ماقدم مجلس إدارتكم فى العام الماضى من أعمال رفعت من شأن الجماعة وخطت بها إلى الأمام خطوات موفقة ولعل من أبرز أعمال المجلس

أولا : ألف المجلس خمس لجان للنظر فى نواحى النشاط العام للجماعة والتخصص فى دراستها والقيام على تنفيذ ما يحقق مصلحة الجماعة منها .

فقامت لجنة المجلة التى تألفت برياسة الدكتور أمين رضا بالعمل على توسيع دائرة انتشار المجلة فاتفقت مع شركة التوزيع الخاصة بالجرائد والمجلات على توزيعها طبقا للشروط العامة و بهذا تضاعف العدد الذى يطبع .

وقد كان لهذا أثره الطيب ، إذ تعرف كثيرون على الجماعة عن طريق المجلة ، و بعثوا لنا باستجابتهم لهذه الدعوة ورغبتهم فى نشرها .

فقد وافق المجلس أيضاً هذا العام على إنشاء قسم ليلى للدراسة الابتدائية بدىء بتنفيذه على أساس من التبرعات لهذا الغرض وساهمت الجماعة فى تأسيسه بقدر غير يسير من المال وقد بلغ عدد الطلبة المنتسبين لهذا القسم أكثر من خمسين طالبا و ينتظر له النجاح المطرد إن شاء الله .

وكذلك تألفت لجنة زكاة الفطر ، حيث قد اقتضى كثرة الجماعة واتساع نطاقها تكوين هذه اللجنة من حضرات الاخوان الدكتور أمين رضا ومحمد عبد الوهاب ورشدى خليل وشريف عكاشة الذين وضعوا نظاما عادلا حكيما وزعت على أساسه المبالغ التى جمعت كلها بحيث تحقق العدل التام في توزيعها و بصورة أرضت الجميع وانتهت بشكر المجلس لهذه اللجنة .

و بهذه المناسبة أذكر أن المجلس قرر لمناسبة شهر رمضان اعتماد مبلغ يشترى به لحم

يوزع على الفقراء فى المركز العام وفرع السيدة زينب ليعلم الناس أن لهـذه الجماعة نشاطا اجتماعيا إلى جانب نشاطها الدينى فى نشر الدعوة .

وقد قرر المجلس لما رأى أن صادر الجماعة يتزايد بحسب ما يقتضيه من الحاجات فقرر اعتماد المال لبناء دكاكين فى الجزء الخالى بدار الجماعة بالحلمية ليفتح بذلك بابا جديدا للايراد يدر على الجمعية مبلغا كبيرا يعينها على تنفيذ المشروعات الصالحة .

ورأى المجلس أن الحاجة ماسة لشراء ٥٠ كرسيا لزيادة عدد المترددين على دار الجماعة

ولا أدل على نشاط هذا العام من هذه الفروع التى أنشئت وتلك المساجد التى سلمت لنا أو شيدت باسمنا . و إليك البيان .

(١) فرع المحلة الكبرى تسجل (٢) الزقازيق تسجل
(٣) عمروس أنشىء بها مسجدا (٤) دنشواى
(٥) بشتامى (٦) شربين قارب التسجيل (٧) ناى

أما المساجد التى أنشئت فهى :

(١) مسجد سرس الليان (٢) مسجد عمروس (٣) مسجد بشتامى
(٤) كما أقيمت حجرتان لأعمال الجمعية بمسجد منوف
(٥) مسجد دمنهور (٦) غربال كرموز

أما المساجد التى سلمت إلينا فى القاهرة وهى :

(١) مصر الجديدة (٢) الزيتون
(٣) الفوطيه (٤) مسجد سراى القبة على وشك التسليم إلينا

وكان من نشاط لجنة الدعاية أن طبعت آلاف النسخ من بدعة المحمل و بدعة المولد للشيخ شلتوت وزعت فى المناسبة الخاصة بها إذ رأت اللجنة أن لاتدع فرصة تمر دون نشر الدعوة لنصر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنقاذ الناس من الظلمات إلى النور .

وقام بالتوزيع فى الشوارع التى يزدحم بها الناس عادة فى هذه المناسبات شبان من أنصار السنة الصادقين .

كما أنها قامت بطبع نشرات تحتوى كلمات مختصرة فى الدعوة إلى نصر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعتها فى طريق الرحلات إلى الفروع بالأرياف ، وكذلك استعانت بالمذياع تسمع الناس على جانبى الطريق فى القرى والبلاد ما يحبب إليها سنة خير المرسلين صلى الله عليه وسلم .

وقد قامت لجنة الفروع بإقامة خيام واسعة فى السيدة زينب والقبيلة و بولاق . وكان لهذه الاجتماعات هزة عنيفة في الأوساط كلها انتفع بها كثير ، كما استفادت الجماعة منها .

كما دعت اللجنة إلى عقد مؤتمر من الفروع بالقاهرة كل ثلاثة شهور كان من قراراته أن تقدم الفروع اشتراكات شهرية حدها الأدنى خمسة وعشرين قرشا ، وهنا يحق لى أن أذكر بالشكر فرع مصر الجديدة الذى يداوم على دفع هذا الاشتراك بمقدار جنيه شهريا وأخذت فى جمع تبرعات كبيرة حتى بلغ ماصرفته على النشرات مايقرب من الثمانين جنيها وذلك فضلا عن المبالغ التى تقوم بصرفها لحضرات الخطباء المستجدين الذين يستعين بهم فى سد الأبواب التى تفتح على الجماعة لقلة عدد الخطباء .

وأخيرا برزت حركة المرأة وهى حركة تبشيرية احتضنتها الجامعة الأميركية لهذا قررت اللجنة استعمال كل أسلحة المقاومة لهذه الحركة الخطرة على المسلمين فبدأت كما رأيتم بإعلان فى جريدة الأساس عن مظاهرة ثم كان اجتماع يوم الجمعة بدار الجماعة هنا حيث كنت على موعد مع وكيل شركة الأنباء العالمية الذى أذاع فى الجرائد الأمريكية عن حركة المقاومة التى تقوم بها جماعة أنصار السنة المحمدية حتي إن إحدى المجلات المصرية نشرت عن الجرائد الأميركية أخبار جماعة أنصار السنة المحمدية ، وأنها جمعية إسلامية قوية .

مات أبو السمح

رحمه الله ورضى عنه

لولده عبد اللطيف

مات أبى ، رحمه الله ، فما أدرى كيف أبتدىء الكلام عنه ؟

لقد كان ربع مليون حاج من مشارق الأرض ومغاربها كل عام منذ ستة وعشرين سنة يعودون إلى قومهم بالذكرى السعيدة لأنهم كانوا يتسابقون إلى الصفوف الأولى حول الكعبة المشرفة ويتزاحمون عليها بالمناكب فى المغرب والعشاء ، وفى الفجر على الأخص ، ليسمعوا أبا السمح ، وهو يتلو كتاب الله بصوته الشجى الخاشع لربه .

وألوف منهم رأوا ذلك الوجه الصبوح ، الذى لم تكدره عبوسة ، ولم يشبه اكفهرار حتى فى ساعة الموت .

يرحمك الله يا أبى ، كيف أبدأ الكلام عنك فى هذه العجالة . والكلام عنك يحتاج إلى سفر كبير ؟

أأذكر جهادك فى المحلة الكبرى قبل اثنتين وأربعين سنة ؟ ثم فى الجيزة ثم فى بلدتك بمنيا القمح؟ ثم فى السويس وأنت تخطب الناس فى كل مسجد تبين لهم التوحيد من الشرك والسنة من البدعة ، والهدى من الضلال ؟

سأترك كل ذلك لألم إلمامة سريعة بجهادك فى رمل الاسكندرية عشر سنوات كاملة من خمس وثلاثين سنة بنيت فيها مسجداً لله ، وألفت أول جماعة باسم أهل السنة ، وتركت آثاراً صالحة ، لم تزل تكبر ، ولم تزل تزيد ، ثم كان أن رضى الله عنك واستأثر بك جلالة الملك ابن السعود لتكون إماماً وخطيباً فى أقدس بقعة لأكبر مسجد ، حيث القبلة وحيث الحرم ، وعوضك الله عن مسجد أبى هاشم ـ الذى نازعوك فيه بعدأن أسسته ـ بالكعبة المعظمة وعن آحاد من الأتباع بألوف من المسلمين ، بل بمئات الألوف منهم ، يأتمون بك وينصتون إلى قراءتك ، يخشعون عند تلاوتك .

يرحمك الله يا أبى ، لقد كانت آخر كلمة سمعتها منك وأنت تجود بنفسك (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) حينما وقفت بى العبرات ـ وأنا أقرأ بأمرك بين يديك ـ على قوله تعالى : (غفرانك ربنا وإليك المصير) وأحسب أن آخر كلمة سمعتها فى دنياك : (ربنا لا تؤاخذنا

إن نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ، أنت مولانا ...)

لقد كان ذلك آخر دعاء لك ، لأنك طلبت إلىّ قراءته ، فقرأته عليك ، وأرجو أن يكون ربك قد استجاب لك ، فلم يكلفك مالا طاقة لك به من ألم المرض ، واختارك إليه بعد ذلك بساعات ، ورجائى فى وجهه الكريم أن يكون قد عفا عنك ، وغفر لك ورحمك ، بما جاهدت وبما مسك من الضر ومن الألم فى أيامك الأخيرة .

رحمك الله يا أبى ، ورحمك الله يا أمى ، وجمعنى الله وإياكما فى دار كرامته ، وأعظم فيكما أجرى وأجر إخوتى إنه سميع قريب .

عطف جلالة الملك ابن السعود ـ أطال الله عمره ـ على أبناء أبى السمح

بينما آل أبى السمح رحمه الله ورضى عنه مذهولون من هول مصابهم بوفاة عائلهم الكريم ، لا يعرفون : ماذا يصنعون ، ولا ماذا يصنع بهم ؟ وإذا بقلب كبير ويد برة ، وشيمة عربية تنزل عليهم نزول الغيث ، وتحيط بهم إحاطة الفرج بالشدة .

ذلك القلب الكبير : هو قلب جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود بارك الله للمسلمين فى حياته . وتلك اليد البرة هي يده الكريمة ، ذات الإحسان والبر ، وتلك الشيمة العربية: هى شيمة آل سعود الأمجاد ، وَرَّثها الآباء للأبناء كابرًا عن كابر ، إذ أبرق جلالة الملك المعظم برقية أشاعت البشر فى الوجوه العابسة ، وفتحت الشفاه بالبسمات المشرقة ، وأجرت الألسن بالدعوات المخلصة . يقول جلالته فى تلك البرقيه : « مصابكم مصابنا ، وقد أصدرنا أمرنا إلى وزارة المالية بأن كل ما كان جاريا لوالدكم فى حياته من راتب وخلافه ، يجرى لكم جميعاً ، كما أمرنا وزارة المالية بترحيل باقى عائلته من مصر إلى الحجاز » .

ويقول سمو ولى العهد المعظم كلمة جامعة مانعة : « نحن لكم عوضا عن الوالد رحمه الله »

كل ذلك فى نفس اليوم الذى توفى فيه الوالد رحمه الله ، فأصبحنا نبدأ بالدعاء لجلالته ولسمو ولى عهده بطول العمر والعافية والتوفيق ، وَنُثَنِّى بالدعاء لأبينا بالمغفرة والرحمة .

عبد اللطيف أبو السمح

ثقافة الهند الاسـلامية

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق مفتش المعارف بالسودان

— ٢ —

أما مسلمو الهند فلا يتقسمهم شيء من هذه التقاليد الضارة ، فهم مثال التماسك والتآلف والتآزر ، يزيد فى وحدتهم التطبيق العملى للمبادئ الأخوية فى الإسلام ، كما تؤلف صفوفهم وتوحد كيانهم ، على الرغم من اللغات المحليـة التى يتكلمون بها ، اللغة الأوردية ، ومعنى أوردو بالتركستانية : معسكر أو ثكنة ، أو خِطة ينزل بها الجند ، والأوردية هى لغة التفاهم بين مسلمى الهند ، يعبرون بها عن أفكارهم وأمانيهم ومُثُلهم ، وتحتوى على نسبة عالية من الألفاظ التركية والفارسية والعربية ، والسبب فى اشتمالها على اللغتين الأخيرتين ، حاجة الهندى المسلم إلى الفارسية ليتثقف بها ، وإلى اللغة العربية ليؤدى بها العبادات الإسلامية .

وقلما يدرك المسلمون فى أنحاء العالم أن الهند يسكنها خمس وتسعونَ ميلون مُسلم ، وهذه أكبر كتلة إسلامية فى العالم تعيش فى قطر واحد . يعيشُ سبعٌ وثلاثون مليوناً فى شمال شرقى الهند فى مديريتى بنغالة وأسّام ، وهذا العدد قريب من تعداد جامعة الأمم العربية ، وفى الشمال الغربى للهند فى مديريات البنجاب والسند وبلوخستان ثلاث وعشرون مليوناً ، وعدا هؤلاء أقليات من المسلمين تعيش فى طول البلاد الهندية وعرضها . ويربط هؤلاء ثقافة مشتركة وديانة حرة ولغة اصطلحوا على التفاهم بها .

ويمكن أن نفسر توزيع المسلمين على هذه الصورة فى بلاد الهند تفسيراً جغرافياً ، فالفتح الإسلامى جاء عن طريق مداخل الهند فى جبال أفغانستان وصحارى بلوخستان ،

فمن الطبيعى أن يغلب الإسلام على أهل الولايات الواقعة على حدود الهند الشمالية . أما الأقليات المسلمة التي تسكن ساحل مليبار غربى الهند فيرجع اعتناقها للإسلام إلى أنها من سلالة التجار العرب الذين كانوا ينزلون على الساحل شتاء ، واتصلوا بأهله عن طريق المصاهرة ، كما كانوا ينزلون صيفاً على الشاطىء الشرقى لجزيرة مدغشقر ، ويسمى سكالاف ، ونشروا الإسلام أيضاً بهذه الجزيرة . والمسلمون من أبناء الهند إما أنهم تحدروا من سلالة الأجانب المسلمين الذين وفدوا على الهند منذ الفتح العربى واستوطنوها ، وإما أنهم من سلالة سكانها الأصليين واعتنقوا الإسلام بمحض رغبتهم ، وارتدوا عن الديانات الهندية الوثنية التى دانوا بها من قبل . والسلالات الأجنبية تسكن السند والبنجاب وهم من ذرارى الفاتحين ، ومنها أبناء الجيوش الإسلامية التي كانت عماد الدول المسلمة التى حكمت الهند فى مختلف العصور ، وقليل منهم يسكن شبه جزيرة الدكن ، ثم مسلمو ساحل مليبا ، والراجح أنهم من نسل عربى . غير أنه مما يثير الدهش فى التوزيع الجغرافى لمسلمى الهند : وجود أغلبية كبيرة منهم فى أقصى شرق سهل الكنج ، والشائع أن إسلام هؤلاء يرجع إلى أنهم من جنس مغولى أو درافيدى لم يتأثر تأثراً قوياً بالحضارة البرهمية ، وهذا التفسير السلالى غير واضح ، لأن الهندوكيين القريبين من عاصمة الدولة المغولية فى راجيوتانا وبهار والمديريات المتحدة احتفظوا بدينهم ، وأبوا اعتناق الإسلام ، على الرغم من قربهم من الدولة الإسلامية الحاكمة ، بينما يقبل على اعتناقه أهل بنغالة وأسام البعيدون ، ولعل الأقرب إلى الصواب أن أهل هاتين المديرتين من المنبوذين ، إذ يشتغلون بالزراعة والصيد وغيرها من الحرف التى يأنف السادة الهندوكيون من مزاولتها ، فلما قصدهم الدعاة المسلمون ، وأوقفوهم على رسالة الإسلام وشرائعه المحددة ، من توحيد العبادة لله والإخاء الصادق بين المسلمين ، أحسوا كأن مخلصاً هبط عليهم من السماء ، ليكشف عنهم بلاء المذلة والهوان ، ويرد إليهم إنسانيتهم التى أهدرتها نجاسة ابتدعتها ديانة جائرة ، وأحل مكان هذه الترهات إيماناً عمّر به قلوبهم وملأها بشعور العزة والكرامة الانسانية .

ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند وقصة انتشارها .

لاتصالها بموضوع ثقافة الهند الإسلامية :

إذا استثنينا عدداً قليلاً من الحالات أو الحوادث ـ التى عمد فيها بعض الحكام إلى إكراه الهندوكيين على اعتناق الإسلام ـ نرى أن الإسلام لم ينتشر بين الهنود ولم يقبلوا على الدخول فيه إلا عن رغبة واختيار وتسليم واقتناع ، ودليلنا على ذلك : أن دلهى أو دهلى عاصمة الهند فى عهد الدولة المغولية الإسلامية لايتجاوز عدد المسلمين فيها على العشر من مجموع سكانها ، ومسلمو مدينة أجرا لايزيدون على ربع أهلها ، وأجرا قريبة من دلهى ، ومن العجيب : أن الهنود زاد اعتناقهم للاسلام حينما كانت الدولة الإسلامية فى الهند فى حضيض ضعفها، لافى أوج قوتها ، كما انتشر فى بقاع نائية ، كهضبة الدكن وشرق بنغالة ، حيث كان نفوذ الدولة الإسلامية الحاكمة واهيا ضئيلا . يتبع

أخبار الجماعة

فرع الجيزة

اجتمعت الجمعية العمومية لفرع الجيزة لانتخاب أعضاء مجلس الإدارة عن سنة ١٣٧٠ ـ ١٣٧١ هـ الموافق سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ م .

وأسفرت النتيجة عن انتخاب حضرات الآتى أسماءهم :

إبراهيم بك شريبة (رئيسا) وسيد افندى برهام (وكيلا) وعبد الحميد عباس حموده افندى (سكرتيرا) وعبد المنعم افندى محمود (مساعدا للسكرتير) والحاج فضيـل مصطفى (أمينا للصندوق) وعبد العزيز افندى البحيرى (مساعدا لأمين الصندوق) وسعد الدين عبد العزيز افنـدى شرف (مراقبا عاما) والشيخ شافعى محمد شافعي (مساعداً للمراقب العام) وأحمد افندى ربيع وأحمد افندى عبد الحميد أغا و إبراهيم افندى عبده والشيخ يوسف الشربينى والشيخ عبد الرزاق الحمال وأحمد افندي عثمان ومحمد افندى على (أعضاء)

نسأل الله أن يسدد خطاهم وأن يوفقهم إلى الجهاد فى سبيل دينه إنه سميع مجيب .



ذخائر العرب

مجموعة جديدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب
لبعث الكنوز العربية الخالدة، تقدم إلى جمهور
القراء فى أنصع حلة من التحقيق وجمال الإخراج

ظهر منها :

١ — مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب (قسمان)
تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٢ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم .
تحقيق المستشرق الأستاذ ا . ل . بروفنسال .

٣ — إصلاح المنطق لابن السكيت
تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٤ — رسالة الغفران (عن أقدم نسخة خطية) لأبى العلاء المعرى .
تحقيق السيدة بنت الشاطىء

٥ — حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسى، تحقيق الأستاذ محمد عبدالغنى حسن

تحت الطبع :

٦ — ديوان أبى تمام (شرح التبريزى) تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام .

تصدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف حضرات

محمد حلمى عيسى باشا والدكتور طه حسين باشا والدكتور أحمد أمين بك
والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ إبرهيم مصطفى

العدد ١١ المجلد ١٥

خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم

الهدي النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

ذي القعدة سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير

محمد حامد الفقي

مطبعة السنة المحمدية

• شارع عبط النوبي – القاهرة

ت ٧٩٠١٧

الفهـــرس

الهدي النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى	الإدارة ٨ شارع قوله
قرش ٢٠ فى مصر والسودان	بعابدين بمصر
٣٠ فى الخارج	ت ٧٦٥٧٦

اعلان

ترسل جميع الحوالات والشيكات الخاصة باشتراكات المجلة أو المكتبة باسم سليمان محمد حسونة أمين صندوق الجماعة على بوستة باب اللوق .



بقية العرض الاجمالى

لسورة النحل

بعد أن وعظ الله عباده ، وذكرهم بما غفلوا عنه من أسـباب الهدى والاستقامة إلى ما يسعدهم ويكفل لهم الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة ، فيما أمر به أمراً كونياً وأمراً شرعياً من العدل والإحســان وإيتاء ذى القربى ، واجتناب الفواحش والمنكرات ، والوفاء بعهد الله ، وتقدير ما أنعم عليهم به من كرامة الانسانية العاقلة ، التى على أساسها حمّلهم الأمانة ، وجعلهم موضع الأمر والنهى والابتلاء ، فيحمل كل واحد منهم ما يرجع به إلى ربه فيجزيه فى الآخرة الجزاء الأوفى ـ بعد هذا حذرهم من الغفلة عن عدوهم الشـيطان الرجيم ومكايده ووساوسه ، ونبههم إلى أنهم مهما اعتقدوا فى أنفسهم أنهم أوتوا من أسباب القوة العلمية والعملية ، فانهم بأشد الفقر والحاجة إلى اللجأ والعَوذ بربهم ـ العليم الحكيم ، القوى العزيز ـ وأن الشعور بالفقر المطلق إلى الرب الرءوف الرحيم ، والإيمان العميق بالحاجة إلى مدده وتسديده وتوفيقه : هو أقوى ما ينفع السائر إلى الله ، وخير الأسـباب التى تجعله مرهف الحس ، حاضر الذهن ، قوى الإدراك ، جديد الحياة ، شـديد التبصر . فإن من حكمة الله ورحمته بالعبد : أن جعل أسباب الابتلاء فى هـذه الحياة الأولى كثيرة جداً ، شديدة الارتباط ببعضها ـ لأن الحياة سريعة التطور كثيرته ، والعبد هو محتاج فى لحظات هذا التطور السريع إلى تلك الأسباب مرتبطة هذا الارتباط ـ وهى فى الوقت نفسه مفصلة أتم التفصيل ، بحيث إن اليقظ البصير المرهف الحس يدرك هذا الانفصـال والتميز لـكل سبب عن الآخر كما قال له ربه (وكل شىء فصلنـاه تفصيـلاً) أرأيت آيات الـكتاب

الكريم وما فيها من التفصيل الحكيم فى ألفاظها ومعانيها ومقاصدها ، ومع ذلك فإنها متشابهة فى الهدى والعلم النافع والحكمة . قال الله (٢٣:٣٩ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثانى) فهى كالفواكه والثمار ، وألوان الطعوم والروائح الطيبة ، وكالفروع الزكية للأسرة الكريمة ، وهى بذلك مرتبطة ببعضها فى السورة من أولها إلى آخرها - بل وفى القرآن - كله أشد الارتباط وأوثقه ، تعرف ذلك إذا كنت من الذين يتلون الكتاب حق تلاوته ، ويتدبرونه حق تدبره . فكذلك آيات الله الكونية فى نفسك وفى الآفاق : هى بهذا الارتباط ، وهذا التفصيل ، فى الهدى والرحمة وعافية الدنيا والآخرة . فالقرآن الكريم - من سورة الفاتحة إلى قل أعوذ برب الناس - معنى جُمْلى ، لن تكون مسلماً الإسلام الصحيح إلا إذا حَصَّلته ، وهذا المعنى الجملى : لا يمكن بحال من الأحوال أن يحصل لك إلا إذا عرفت أجزاءه مفصلة فى كل آية ، وفى كل سورة . وهكذا كتاب الوجود ، الذى أنت من كل جوانبك وجميع جهاتك : مجموع آياته ، لن تكون مؤمناً بالله الإيمان الصادق ، الذى تكون به رشيداً حكيماً ، إلا إذا حصل فى نفسك صورة كاملة لهذا الكتاب ، الذى خلق الله كل ذرة فيه بالحق ، وسخر كل ما فيه لك بالحق ، ولن تحصل لك هذه الصورة ناصعة ، بينة المعالم ، هادية لك إلى طريق الفطرة السليمة والرشد ، إلا إذا حصلت لك صور أجزائها وآياتها مفصلة بما فى كل منها من الحكمة البالغة ، والرحمة الواسعة ، والسنة الهادية .

والإنسان قد ركبه الله على طبيعة العجلة وأسبابها ، ليستطيع تحقيق أمر الله (٢١:٥٧ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السموات والأرض) . وقد أعطاه ربه الرحيم الحكيم أسباب التبصر والتروي والتثبت بهداية الفطرة فى نفسه وفيما خلق له ربه ، وبهداية الوحى ورحمته وحكمته ونوره وفرقانه ، ولكن الإنسان كثيراً مايغفُل عن هذا كله فينساه ويعرض عنه ويجعله وراء ظهره ، وتغلب عليه حينئذ الحياة الحيوانية ، وتنقلب لآمال الحقة فى نفسه إلى أماني باطلة ، وتتوارد عليه هذه الأمانى الكاذبة حتى تكون رأسه أشبه بمزبلة تأوى إليها الهوام والحشرات والخنافس ، ويخيل إليه وهمه : أن كل هذه الأمانى سهلة المنال بدون عناء ولا اتخاذ أسباب تقتضيها السنن الكونية التي تجرى بهاحياته وتسير على نظامها ، فهو لذلك يخطو إلى أمانيه متعجلاً غير متبصر ولا متثبت ، ولا متخذ الأسباب

بل بجهالة وغرور وسفه، فيقع خطوه مجاوز الحد ، فيطلب الأمر فى غير أوانه ، ويحاول الحصول على الشىء فى غير إبّانه ، فيكون شراً عليه ، وفساداً لأمره ، وهو يظنه بجهالته خيراً ، ويعتقد بغروره وسفهه صلاحاً ، وتكثر لذلك زلاته ، وتقبح عثراته ، فإن اعتبر وعاد إلى التبصر والتثبت عاد يطلب الرشد ، فيجده يسيراً ، وإلا تمادى فى خطوه المجاوز الحد ، وتخبط فى الحياة ، وتقطعت به الأسباب وعاش عيشة نكدة . وإنما يزين له ذلك عدوه الشيطان الذى قعد له بكل مرصد ، وتربص به الدوائر فى كل شأنه ، ففى ظلمات هذه الجهالة ورعونة هذا السفه وغمرته : يزين له التعجل إلى أمانيه فى غير تثبت ولا اعتبار بسنن الله وحكمته فى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ـ وهو القادر أن يخلقها فى غمضة عين ـ وفى اختلاف الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وفى تطور خلق الإنسان والحيوان والنبات والزروع والثمار ، وفى كل ما يتناول من أعمال لحياته الحيوانية ـ يعمى الإنسان عن هذا كله ، ويغفل عنه ، فيستولى عليه إبليس ، ويصدق عليه ظنه ويَؤُزه إلى الغى والسفه أزّاً ، فيتبعه ويكون من الخاسرين فى دنياه وآخرته . ولقد كان عبد الله ورسوله ـ محمد صلى الله عليه وسلم ـ أصدق المؤمنين بالله وأسمائه وصفاته وآياته الكونية والعلمية، وأرشدهم وأحكمهم وأهداهم إلى صراط الله المستقيم فى جميع شأنه ، وأبعدهم ـ لذلك ـ عن نزغات الشيطان ووسوسته ، وبالأخص حين يقرأ القرآن ، يدعو به الناس إلى هدى الله ورحمته ، ويهديهم إلى سبل السلام والحياة الطيبة ، ويصبر منهم على أشد الأذى ، وحين يجاهد به الكافرين جهاداً كبيراً ، وحين يقوم فى الليل يناجى ربه ، وينعم بهذا القرب وتلك المناجاة ـ ومع ذلك وغيره يقول الله له (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) يأمره أن يعوذ ويلجأ أشد اللجأ إلى الله سبحانه وتعالى فى كل حال ، حتى فى هذه الحال التي هى أشرف أحوال العبد،وأقربها إلى الرشد والحكمة والهدى والسداد ، وإذا كان ذلك كذلك لأهدى عباد الله وأصدقهم إيماناً ، وأثبتهم يقيناً ، وأشدهم تثبتا وأمكنهم من التأنى والروية ، وبالأخص فى هذه الحال ـ فهو أولى فأولى لكل إنسان ، والكل ـ بلا أدنى شك ولا ريب ـ دون الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل شأن وبكل حال . وليعلم العاقل الناصح لنفسه أبداً أن تاء الخطاب وكافه ، والنداء ، وإن كان موجهاً أولاً إلى الرسول الكريم

صلى الله عليه وسلم ، فالرسول قد رفعه الله إلى الرفيق الأعلى ولكنه لم يرفع الخطاب فى القرآن ، فهو موجه إلى كل تال و إلى كل سامع للكتاب من ذكر وأنثى وحر وعبد ، وشاب وشيخ على مدى الدهر ، و إلى أن تقوم الساعة فى كل صقع و بلد . و بذلك يعلم كل ناصح لنفسه : أن ر به الذي خلقه وصوره ، وشق سمعه و بصره ، وأمدّه بكل أسباب الحياة والقوة هو أرحم به من نفسه ، وأعلم به و بما يصلحه و يصلح له من الخير من نفسه . فهو سبحانه يوصى كل إنسان و يدعوه إلى العَوْذ به واللجأ إليه فى كل حال ، وعند كل شأن ، حتى حال قيامه فى العبادة ، وقيامه بتلاوة آيات الذكر الحكيم يدعو إلى ر به ، و يبلغ رسالة نبيه ، و يؤدى الأمانة التى أخذ الله الميثاق على أدائها ، وحال قيامه فى الصلاة بالليل والنهار و يناجى ر به . فإن للشيطان مداخل إلى قلبه فى كل تلك الأحوال فضلاً عن حاله وهو يعافس أهله وماله ، و يضرب في سبيل العيش وحياة الأجسام وملاذها وشهوتها . فهو حينئذ أحوج وأحوج إلى هذا العوذ واللجأ إلى الله القوى العزيز الرحمن الرحيم .

والعوذ واللجأ إلى الله : لا يحصل بمجرد تلفظ اللسان بأى صيغة من صيغ الاستعاذة ، ولا بصيغ الاستعاذة كلها مجتمعة ، و إلا لما وقع أكثر الناس فى مخالب الشيطان ، وتلاعب بهم هذا التلاعب الذى جعلهم من حز به ومن أحب أوليائه . لا بد أن يستحضر المستعيذ ما وصف الله به إبليس وجنده فى قوله (٧ : ١٦ ، لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين) وقوله (٤ : ١١٩ وقال : لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضا ، ولأضلنَّهم ولأُمَنِّينهم ولآمرنَّهم فليُبَتِّكُنّ آذان الأنعام ، ولآمرنهم : فليغيرنّ خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً) وقوله (٧ : ٢٧ أخرج أبو يكم من الجنة ، ينزع عنهما لباسهما ليريهما سَوْءاتهما . إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم . إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) وقوله (١٥ : ٣٩ لأزينن لهم فى الأرض ، ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) وقوله (١٧ : ٦٤ واستفزز من استطعت منهم بصوتك ، وأجلب عليهم بخيلك ورَجِلك وشاركهم فى الأموال والأولاد ، وعِدْهم ، وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) وقوله غير ذلك مما لو استحضره المستعيذ لعلم ممن يستعيذ ، ولا بد أن يستحضر أسماء

وصفات الرب المستعاذ به ، وأن يستحضر على الأخص منها مايناسب حاله وقت الاستعاذة، فهو بعد هذا لا بد بعد هذا أن يعرف ضعفه التام ، وعجزه المطلق ، وحاجته الماسة ، وفقره اللازم إلى حول الرب وقوته ، وأن الله إذا لم يُعِذْه من هذا العدو و يُنْجِهِ من كيده ووساوسه فهو لا بد من أهلك الهالكين ، وأشقى الأشقياء فى الدنيا والآخرة ، وليتمثل طفلا صغيراً هجم عليه سبع مفترس فطار الطفل خوفا وفزعا ، حتى ألقى نفسه فى أحضان أمه وأبيه . فليعلم المستعيذ أنه أضعف من هذا الطفل ، وأن الشيطان أشد فتكا به من هذا السبع ، وأن ربه أرحم به من والديه . فلتكن الاستعاذة كذلك، ولله المثل الأعلى .

وما أشد اليوم غربة هذه الاستعاذة وغربة الذين يفهمونها حق فهمها ، ويقدرون حاجتهم وفقرهم إليها فى كل حال ، فيفزعون إليها على بصيرة وهدى من سنن ربهم وآياته : فيعيذهم الله وينشر عليهم رحمته ، ويدخلهم فى حصن ذكره الحصين . اللهم اجعلنا من أولئك الغرباء .

أما أكثر الناس : فإنهم لا يفهمون الاستعاذة ولا غير الاستعاذة ، وهم فى أشد الغفلة والغرور ظنوا أنهم بمجرد وراثتهم للدين التقليدى أمنوا من وساوس الشيطان وكيده ، فألقوا بمقاليد قلوبهم إلى خرطومه ، فجرى فى دمائهم، ونبض فى كل نبضة من قلوبهم ، وأصبحوا من أوليائه المخلصين الذين لا يعصون له أمرا ، ولا يرون إلا أنه الناصح الأمين ، دعاهم إلى الشرك ، فأشركوا ، ودعاهم إلى الظلم والبغى فظلموا و بغوا ، ودعاهم إلى الفسوق ففسقوا ، ومنعهم من التحاكم إلى ماأنزل الله فامتنعوا وأشد الناس اليوم ولاية للشيطان : هم أولئك الذين اتخذوا القرآن والدين حرفة ومهنة ، يركبونه مطية لأهوائهم وشهواتهم ، فتسمع هذا القارىء البائس المسكين قد افتتح قراءته بالاستعاذة الغافلة التقليدية ، لا يفهم منها حرفا ، فتسمعها من غروره وكبريائه وزهوه بصوته وأنغامه الموسيقية تنادى بأنه من أولياء الشيطان الرجيم ، فإذا ماأخذ فى القراءة ، لا بل فى التلاعب بآيات القرآن واتخاذها سخرية وهزوا ــ قام عندك الدليل واضحاً أنه من حزب الشيطان وأوليائه المجرمين ، وهكذا شأن سامعيه : يتمايلون مع تمايله وأنغامه ، ويهتزون بنشوة الطرب لهذه الموسيقى الشيطانية ، ويتصايحون عند كل مقطع موسيقى ، كأنهم حمر تنهق ، أو كلاب تنبح أو ثيران تخور ، فيجلسون على مثل جيفة الحمار ، ويقومون عن مثل جيفة الحمار ، بل أشد نتنا ، وإنهم لا يزد دون بذلك

إلا كفراً بالقرآن ، وضلالا عن هداية القرآن ،ومن ثم ترى قارئهم ـ أو على الأصح مغنيهم بالسخرية بالقرآن ـ لا ينسجم ولا يتمكن من توقيع أنغامه وتجويد موسيقاه إلا إذا بلغ من الحشيش ما يسكره ويغيبه عن إحساسه وشعوره ، وحينئذ تكون الجلوة ، ويكون الصهيل والنهيق والخوار الذى يزعج الحى كله ، ويقلق راحة المحتاجين إلى الراحة . وشأن هذا المغنى فى استعاذته : هو شأن الجميع ، إلا من هدى ربك ، وهم النادر القليل .

فكم من مستهد ربه إلى الصراط المستقيم ، وهو موغل بجهله ، وغروره فى طريق المغضوب عليهم والضالين ، بما اتخذ من أنداد يحبهم كحب الله ، ومن أرباب يشرعون له من البدع والفساد والبغي مالم يأذن به الله . وكم من مستعيذ من مرض وهو ملق بنفسه إلى أحضانه ، وكم من مستعيذ من فقر وهو ملق نفسه فى سفه ورعونة إلى هاويته ، وكم من مستعيذ من شقاء زوجية ، وهو ساع إليه بكل أعماله ، فهذا يستعيذ من مرض الصدر ، وهو يتناول من الخمر والحشيش والدخان ما يفرى صدره فريا ، وهذا مستعيذ من نكد الحياة البيتية ، وهو يوقد نارها بحمقه وسفهه ، وسوء عشرته وظلمه ، وسهره فى القهاوى والنوادى وبما يسرق من عيش أولاده وقوت زوجته فينفقه على إخوان الشياطين . وهذا يستعيذ من غضب الله ، وهو ساع إليه بكل ما أوتى من قوة وراء الشيطان الرجيم فى طريق الوثنية وعبادة الطواغيت واتخاذ أولياء من دون الله من الموتى والأحياء ، بل ومن الشهوات وأجسام المومسات ، يستنزل بكل ذلك أشد لعنات الله وغضبه . وهذا مستعيذ من الشيطان ، يزعم أنه خائف أن يبعده عن ربه ، وهو ساع مشمر فى طريق الغى والسفه والفسوق والعصيان ، بالاعراض عن هدى كتاب الله وهدى رسوله ، مستعيض عنهما البدع الخرافية ، والطقوس الوثنية الصوفية ، يتعب نفسه فيها الليل والنهار صياحا وعويلا ورقصاً وطبلا وزمرا ، وينهك قواه فى التنقل من مولد وثنى إلى آخر ، دائبا على ذلك ، يسعى به الشيطان وليه إلى حيث يلقى العذاب الأليم ، ونكد العيش الدائم . هؤلاء وأولئك يستعيذون من شر الشيوعية والمبادىء الهدامة الماحقة ، وهم يروجون لها بلياليهم وفجورهم وظلمهم لأنفسهم وغيرهم ، وينشرون على صفحات جرائدهم صورا فاضحة لكل هذه الألوان الفاجرة ، وبجانبها مقال طنان فى التحذير من الشيوعية ، تصرف عنه الأنظار والأفكار هذه الاعلانات الداعرة ،

هؤلاء وأولئك يمشون فى ظلمات بعضها فوق بعض غواة وراء الشيطان الرجيم ، وهم يقولون كثيرا جداً « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم » لكنهم لا يفقهون ولايعقلون ، لأن الجميع كفر بالله وآياته وسننه وكتبه ورسله واليوم الآخر . وهكذا جرّت الجاهلية هؤلاء وأولئك فى غفلة وغرور إلى شر ما يخافون ويحذرون ولكنهم لشدة عماهم وعمق غفلاتهم لا يحاولون الفرار إلى الله على بينة و بصيرة من ولاية عدوهم الشيطان الرجيم (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ، فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) .

إذن فينبغى لكل عاقل ناصح لنفسه : أن يقوم ـ أولا ـ على مفترق الطريقين ، وأن ينظر بعين بصيرته مدققاً حتى يستوعب السائرين فى كل طريق من الطريقين ، ثم يفكر طويلا ، قبل أن يختار لنفسه ـ هذا طريق أهل اليمين ، صراط الله المستقيم ، سار فيه الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ، والشهداء والصالحين ، وهم على بصيرة ونور وهدى من الله ، لا يخطون خطوة إلا بعد أن يعرفوا أمر الله الكونى والشرعى فيها ، كما قال الله لنبيه (١٢ : ١٠٨ قل هذه سبيلى : أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى ، وسبحان الله وما أنا من المشركين) مؤمنين بعجزهم وحاجتهم إلى معونة وتوفيق ربهم ، مستعيذين بالله القوى على أنفسهم وعدوهم ، حتى بلغوا فى الدنيا ما وصف الله فى كتابه من النصر والعزة والقوة فى حياة آمنة طيبة وعيش رغد ، لايضلون ولا يشقون ، ثم رفعهم الله إلى الرفيق الأعلى ، وقد رضي عنهم إذ رضوا عنه ، و بوأهم دار المقامة من فضله ، لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب ، واقتفى آثارهم ، ومشى على هداهم قوم نصحوا لأنفسهم ، واختاروا ولاية ربهم ، إذ عرفوه بأسمائه وصفاته التى وصف نفسه بها فى كتابه ، واختاروا سنة نبيهم ، لأنهم آمنوا أنه هو الذى اصطفاه الله وأرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً وعلق الهدى والرشد والفلاح على اتباعه ، فى قوله (فاتبعوه لعلكم تهتدون) وهكذا ما يزال فى كل أمة وجيل : أولئك الذين آثروا الله وكتابه ورسوله على الآباء والشيوخ ، فهم على الصراط المستقيم حريصون ، وللمحجة البيضاء سالكون ، يقضون حياتهم فى جهاد عنيف مع إبليس وحزبه ، و يسألون الله فى كل لحظة الثبات على الأمر والمعونة على الرشد حتى يأتيهم اليقين.

وهذا طريق أهل الشمال : كفروا بالله وآياته ونعمه فى أنفسهم وفى الآفاق ، ومشوا عمياً مقلدين ، دينهم ماورثوا عن الآباء : من عادات جاهلية وتقاليد وثنية ، ألقوا سلاحهم

وخرجوا إلى عدوهم فى بلاهة وغفلة ، فأخذهم أسرى فى سهولة ويسر ، يسومهم ألوان الشقاء ويقلبهم على جمر الكفر والفسوق والعصيان ، كلما جاءتهم آية من عند الله يوقظهم بها ويشعرهم ما هم فيه من شقاء وخزي وصغار ، ينبغى أن يعملوا على نجاتهم منه ـ زعموا ذلك كذباً وافتراء (قالوا إنما أنت مفتر) ليس معنى هذه الآية كمعنى الآية الأخرى ، ولا مقصدها كمقصدها ، وما لنا وللقرآن نفهمه ، هل نحن أئمة ؟ إنما نحن مقلدون ، لا شأن لنا فى الدين إلا ما قال الشيوخ ، وما ورثنا الآباء (بل أكثرهم لا يعلمون) فهم لهذه الجاهلية يزدادون كفراً على كفر ؛ وفساداً على فساد ، وشقاء على شقاء ، وصغاراً على صغار ، ذلك أنهم أولياء الشيطان ، نفذ فيهم سلطانه ، وأوحى إليهم أن ينطقوا بهذا الكفر والفسوق فنطقوا لكن أولياء الله يؤمنون أن هذا القرآن الكريم ، نزل به ملك كريم ، هو جبريل روح القدس ، على أركى القلوب وأطهرها ، وأعمرها بنور الإيمان بالله وآياته ليكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين ، وإنما أنزله ربنا الحق بالحق (ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين) الذين آمنوا بالله وأسمائه وصفاته ، وسننه وآياته فى كل زمان ومكان . فأسلموا قلوبهم ووجوههم لربهم الذي يربيهم بنعمه وفضله وآياته ، ويربيهم بكتابه ورسالة رسوله ويعدهم الوعد الحق : أنه هو مولاهم ، ونعم المولى ونعم النصير ، وأنه هو مقلب القلوب ، وأنه هو منزل الذكر وشفاء لما فى الصدور ، وهو ميسرة لكل من له قلب يلقى السمع وهو شهيد . فصدقوا وعده ، وآمنوا به وبكتابه وبرسوله ، واتبعوا هداه فتوالت عليهم البشارات : فى كل صلاة وفى كل عمل يتناولونه من جميع شؤونهم ـ بما يرون من تسديد الله وهدايته وتوفيقه ، وبما يعطيهم الله من ثمرات أعمالهم الصالحة فى الدنيا : سعادة فى الحياة ورضى عن الرب . وطهارة فى النفوس . وسلامة فى القلوب . وتعاوناً على البر والتقوى ـ ما يبشرهم بأن ذلك فضل الله عليهم . وأن فضله غير مقطوع . مادام سببه موصولا . وأن عاقبتهم فى الآخرة مغفرة من ربهم ورضوان . وجنات لهم فيها نعيم مقيم . فى جوار رب العالمين . وفى زمرة خاتم الأنبياء صفوة المرسلين . صلى الله عليه وعليهم أجمعين اللهم اجعلنا من أولئك المسلمين . بفضلك ورحمتك يا أرحم الراحمين .

وكتبه فقير عفو الله ، العائذ اللاجىء إلى كنف الله

محمد حامد الفقى

١١

ما في موالاة المؤمنين للكافرين وطاعتهم من الخسران

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت

الداء الخامس :

قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ، بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ، سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين).

يقول المفسرون : إن هذه الآيات نزلت فى سياق الكلام عن غزوة أحد ، وكان المشركون ، وعلى رأسهم أبو سفيان ، والمنافقون ، وعلى رأسهم عبد الله بن أبى وأتباعه ، قد جعلوا يبثون فتنتهم فى ضعفة المؤمنين ، ويقولون لهم : لو كان محمد رسول الله ماوقعت له هذه الواقعة ، وإنما هو رجل كسائر الناس : يوما له ويوما عليه ، فارجعوا إلى دينكم الذى كنتم فيه . والكلام شامل لجميع المؤمنين ولجميع الكفار ، وقد تضمنت الآيات أموراً ثلاثة .

الأمر الأول : نهى الله المؤمنين عن أن يطيعوا الكافرين ، حيث بين لهم أن فى إطاعتهم الانقلاب على الأعقاب وخسران الدنيا والآخرة .

وهذه حقيقة يجب أن تكون ماثلة أمام أعين المؤمنين فى كل زمان ومكان ، فإن الكفر عدو الإيمان ، ولا يزال العدو يحارب عدوه ، ويتربص به الدوائر ، حتى يوقعه ويهزمه لو استطاع ، وأهل الكفر لا يفتؤون يحاربون المسلمين ليردوهم عن دينهم ، ويعيدوهم إلى ملتهم ، ولهم فى ذلك أساليب ليست الحروب أشدها ، ولا أفظعها ، منها غزو أفكارهم بمبادئهم الفاسدة التى يصورونها لهم فى صورة الصلاح والتقدم والمدنية ، ومنها إغراء العداوة بينهم ، وتقطيع الأواصر بين شعوبهم وطوائفهم ، فهم يخيلون لكل فريق من المسلمين أنه هو المحق ، وهو الجدير بالزعامة ، وعلماؤه هم خير العلماء ، وقادته هم أعظم القادة ، وبلاده هى خير البلاد ، لا يريدون بذلك إلا أن يحولوا بينهم وبين التفاهم والتقارب ،

لأنهم إذا تقاربوا وتفاهموا كانوا قوة ، وكانت لهم العزة ، و بطل من بينهم سحر الاستعمار ، ولم يعد لأهل الكفر سلطان عليهم ، ولا تأثير فيهم .

و إن تاريخ الاستعمار على ذلك لشهيد ، فما من شعب كان للمستعمرين سلطان عليه ، أو نفوذ فيه ، إلا أحيوا فيه العصبية الجاهلية ، وأوقدوا في قلوب أهله نيران الخصومة لإخوانهم ، فهم يقطعون فى داخل البلاد أواصر الأخوة والقربى باسم الخلافات الحزبية ، و يقطعون فى خارجها صلات المحبة والتعارف باسم الخلافات الطائفية ، ولا يزالون يغذون هذه النيران بما استطاعوا حتى تأتى على كل شيء ، وقد حفظ التاريخ فى هذه الناحية صوراً كريهة احترب فيها المسلمون بعضهم مع بعض فى الشعب الواحد ، فكان منهم قاتلون ومقتولون تحت راية الغاصب المحتل ، وأى شيء أفظع من أن يقتل الأخ أخاه بتغرير عدوهما المشترك ؟

ولو أننا معشر المسلمين عملنا بإرشاد الله لنا ، و بما تضمنه كتابه الحكيم من هداية وحكمة ، لما كان هذا شأننا معهم ، ولما كنا أطعناهم فمكناهم بهذه الطاعة من أعناقنا ، وأعناهم بها على أنفسنا .

الأمر الثانى : تقرير ولاية الله للمؤمنين ، وكفالته إياهم بالنصر ، وهو خير الناصرين .

ولا شك أن المؤمن القوى الإيمان لا يعتمد إلا على ربه ، ولا يطلب النصر إلا منه ، (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم) .

والله سبحانه وتعالى لا يخذل المؤمنين أبداً ، لأنه وعد — ووعده الحق — : لينصرن من ينصره ، وليثبتن أقدام المؤمنين ، فإذا وجدنا أنفسنا فى وقت مَّا مخذولين ، ووجدنا أعداءنا علينا متسلطين ، فليس لنا أن نشك في وعد الله ، ولكن علينا أن نسائل أنفسنا : أين نحن من الإيمان ؟ وأين نحن من نصر الله ؟ وأين نحن من التضحية فى سبيله بالمال النفس ؟ .

الأمر الثالث : وعد الله جل شأنه بإلقاء الرعب فى قلوب الذين كفروا بسبب إشراكهم

وهذه سنة من سنن الله فى الخلق فى كل معاند للحق وهو يعلمه ، تراه متظاهراً بالقوة والجلد ، مع أنه ممتلىء القلب بالرعب والخوف ، ولو أنه وجد أمامه ثباتاً فى المقاومة ، وثقة فى المغالبة لخرَّ صريعاً .

ولقد كان المؤمنون الأولون أقوياء بإيمانهم ، لا تزلزلهم عنه فتنة ، ولا يصرفهم عن نصرته متاع ، كانوا واثقين بالله ورسوله ثقة لا يخالجها شك ، ولا يفسدها تردد ، كان

يستوى لديهم - إذا خرجوا مجاهدين فى سبيل الله - أن يموتوا مستشهدين ، أو يعودوا منتصرين (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحُسْنَيَين؟) . ولذلك كانت هيبتهم عظيمة ، فكان الكافر يرى نفسه أمام قوم باعوا أنفسهم لربهم ودينهم بيع السماح ، يبسمون للموت ، ويقبلون عليه كأنهم يقبلون على رغبة من رغباتهم ، أو شهوة من شهواتهم ، ويحس منهم بالعزيمة الصادقة ، والإرادة القوية ، بينما يعلم فى نفسه أنه يحارب عناداً وتكذيباً ، والتماساً لبقاء مجده وعزه الدنيوى ، فلا تلبث قواه أن تخور ، ولا تلبث عزيمته أن تنحل ، ولا يشعر بنفسه إلا وقد استولى عليه الرعب ، وأخذه الجبن .

وقد ظل أمر المؤمنين على ذلك : ينصرهم الله بالرعب الذى يلقيه فى قلوب أعدائهم ، حتى كانت تفتح لهم أبواب البلاد ، وتفر أمامهم الجيوش التى تربو على جيوشهم في العدد والعُدد ، وتسبقهم شهرتهم بالعدل والإنصاف ومحبة الحق ، حتى تنكسر أصنام الحكم والسلطان ، وتخر عروش الجبروت والطغيان ، قبل أن يتحركوا من بلادهم . ظلوا على ذلك حتى غيروا مابأنفسهم فغير الله عليهم ، فأصبحوا غثاء كغثاء السيل : نزع الله هيبتهم من قلوب أعدائهم ، وصاروا كقصعة الثريد ، يتداعى إليها الآكلون .

فينبغى أن نعلم أن سنة الله فى إلقاء الرعب فى قلوب الكافرين مرتبطة باستقامة المؤمنين على صراط الإيمان ، وهذا هو السر فى أن الكفار لا يهابوننا الآن ، ولا يعبؤون بنا مثقال ذرة . وقد جعل الله تعالى علة إلقاء الرعب فى قلوبهم : هى إشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وهى علة تؤثر فيهم الضعف ، وتزلزلهم عن مواقف الثبات والشجاعة ، فإن الكافر يكون دائماً موزع القلب بين ما سوى الله ، خالياً من الثقة به ، فاقداً للروح المعنوية التى لا ثبات إلا بها ، ولا نصر إلا على أساسها ، فالإشراك بالله علة مؤثرة لتخاذله وتراخيه ورعبه واضطرابه ، ويفهم من هذا : أن الإيمان بالله ، والثقة بوعده ، علة مؤثرة للقوة المعنوية ، والشجاعة الحسية ، والثبات على الشدائد ، ومقارعة الأهوال ، وانظر فى ذلك قوله تعالى (الذين قال لهم الناس : إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم ، إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه . فلا تخافوهم . وخافون إن كنتم مؤمنين) .

(يتبع)

الودود

للأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

أذكّر القارىء الكريم بما سبق أنى قررته فى بعض الفصول الماضية : من أن أسماء الأجناس الحسية سبقت فى الوضع أسماء الأجناس المعنوية ، التى لم توضع إلا بعد أن ارتقى العقل الإنسانى ، وسما إلى إدراك المعانى المجردة ، والأمور المعنوية ، فاستعار لها أسماء الأمور الحسية للدلالة عليها .

ومن ذلك كلمة « الود » فأصلها للوتد أو الجبل . قال الفيروزابادى فى القاموس المحيط : والوَد الوتد والجبل . وذلك أن الوتد ملازم لمكانه الذى يوضع فيه ، و يشتد اللزوم بينه و بين الأطناب التى تشد إليه . والجبل كذلك ملازم لمكانه لرسوخه به وتمكنه منه . فلما أرادوا أن يعبروا عن معانى الملازمة الشديدة أو التعلق الشديد وهما من الأمور المعنوية ـ أخذوا هذه الكلمة الموضوعة لهذا الجنس الحسى ، ووضعوها لهذا الأمر المعنوى ، وسموه : ودا ، ثم تصرفوا فيه فجعلوه مثلث . الأول : أى ينطق بفتح الواو وضمها وكسرها . وأطلقوه على الحب المتعلق بالشيء ، أو المتمنى له ، كما أطلقوه على حب الشيء ، وتمنى حصوله . للتلازم بين المحب والمحبوب ، ولتعلق الشخص بالشيء الذى يتمناه . يتبين من ذلك أن للود معنيين :

الأول : تمنى حصول الشيء ، . كقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وقوله تعالى : (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) وقوله تعالى : (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه) لأن هذه الأمانى كلها تبدو من أصحابها بعد فوات وقتها ، وحين استحالة حصولها .

والود بهذا المعنى محال على رب العزة سبحانه ، لأنه صفة العاجز الذى يفوته الشيء ، أو يتعذر عليه الطلب ، فيتعلق به آماله حتى لا يمكن دركه ، وتتبعه نفسه حين يكون حصوله مستحيلا . فالمؤمنون ببدر كانوا يتمنون أن العير غير ذات الشوكة تكون لهم ، وقد

نجت العير وفاتتهم وأصبحت بمنجاة من ظفرهم بهـا ، ولم يبق أمامهم إلا النفير بشوكته وسلاحه وعدته وعتاده . فكانوا يتمنون محالا أو متعذراً على أقل تقدير . والـكفار يتمنون يوم القيامة لو أنهم آمنوا فى الدنيا ، والمجرم يتمنى لو يفتدى نفسه من عذاب النار بأبنائه . وكلتا الأمنيتين لا يمكن تحقيقها ، لأن الحياة الدنيا ــ وهى وقت الإيمـان ــ تـكون يوم القيامة قد انقضت بغير رجعة ، ولأن عدل الله المطلق يأبى أن تجزى نفس عن نفس شيئا .

ورب العزة سبحانه لا يتعذر عليـه مطلب ، ولا يفوت قدرته أمر ، ولا يعجزه شىء فى الأرض ولا فى السماء ؛ فالأمانى محالة عليه تعالى ، لأنها مطالب العاجزين ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً .

الثانى : محبة الشىء . والله تعالى يحب الصالحين من عباده ، وعباده الصالحون يحبونه قال تعالى : (٥ : ٥٤ يا أيهـا الذين آمنوا من يرتَدَّ منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه) وقال تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) وقال تعالى : (والذين آمنوا أشد حبا لله) .

إذا تقرر هذا عدنا إلى اسمه تعالى « الودود » فنقول : إن اشتقاقه من الود بمعنى الحب فهو فعول : إما بمعنى : فاعل : أى أنه محب لعباده الصالحين ، و إما بمعنى مفعول : أى أنه محبوبهم وعلى كلا التقديرين : فهو يستلزم المعنيين جميعا ، لأن الفرق بين الحب والود : أن الحب قد يكون من جانب واحد ، كحب المال والمنصب ، وحب الولد العاق ، وحب الزوج الجميلة الناشز . وأما الود : فالغالب أنه يكون بين متوادين : أى بين طرفين يتبادلان الود ، قال تعالى : (ومن آياته أن خلق لـكم من أنفسـكم أزواجا لتسـكنوا إليها وجعل بينـكم مودة ورحمة) ولا جرم أن الزوجين إذا تحابا : حرص كل منها على أن يبادل صاحبه الود . وقال تعالى : (وقال : إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم فى الحياة الدنيا) أي أنهم اتخذوا الأوثان معبودات ليتحابوا و يتبادلوا الود . وقال تعالى : (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله) أى : يبادلونهم الود .

وهناك فرق دقيق بين الحب والمودة يدرك بالذوق السليم ، وهو أن المودة يلحظ فيهـا فوق معنى الحب : معنى الإعطاء والمنح . يقول الله تعالى : (يا أيهـا الذين آمنوا لا تتخذوا

عَدُوِّى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) أى : بأسبابها : من بذل النصح والإرشاد وإرادة الخير . والله تعالى ودود كثير الود يبدأ عباده بأسباب محبته ، ويفيض عليهم من خزائن فضله ورحمته .

ذرات من الطين والحمأ المسنون . وقطرات من الماء المهين نظر إليها الودود سبحانه نظر رحمة وإحسان ، ونفخ فيها من روحه ليهبها الحياة التى تحقق الاستمتاع بما يليها من النعم ، فإذا هى كائن حى ، وبشر سوى ، وإنسان كامل الخلق ذو حواس يجيلها ، وأعضاء يتصرف بها ، وعقل يدرك ويدبر .

ولقد نظر الودود جل ثناؤه إلى هذا الجهاز البشرى نظر رحمة وإحسان ، فأمده بكل ما يلزم لنموه وحفظه وبقائه وصلاحه من قلب ينبض ، فيوزع الدم على جميع أعضاء الجسم ، وشرايين يجرى فيها الدم النقى ليغذى جميع الخلايا ويعوضها ما فقد منها فى الحركة والعمل وأوردة يعود فيها الدم إلى القلب والرئتين ، لينال ما يلزمه من النقاء والصلاح والحرارة من أكسجين الهواء ، وأمده بأسنان وقواطع وأضراس تقضم الطعام وتفتته وتطحنه ، ليسهل ازدراده وهضمه ، ولعاب يبلل الطعام حتى يسهل عمل الأسنان فيه ، ولسان يحركه ليتيسر بلعه . وبلعوم يجتازه الطعام فى انتقاله من الفم إلى المرىء ، ومعدة تتلقى الطعام والشراب من المرىء وتبذل له عصاراتها المختلفة التى تلينه وتعده ليسلك طريقه فى الأمعاء لهضمه ، وامتصاص حاجة الجسم منه وكبد تمده بالصفراء لهضم الدهن ، وتمد الجسم بالسكر إن أعوزه ، وتخلص الغذاء مما فيه من سموم وصلت إليه على غير علم من الإنسان ، وأمده الودود سبحانه بجهاز إخراجى ينفى عن الجسم ما يضر بقاؤه فيه من البقايا والسموم ، التى قلما يخلو منها طعام . وجعل له جهازاً عصبيا كأسلاك البرق ، أو شبكة الكهرباء ، فلا يكاد الأمر يصدر فى مركز التدبير من الدماغ حتى يصل عن طريق الأعصاب إلى أبعد عضو فى الجسم وإلى أقربه على سواء ، فى أقل من لمح البصر بطريقة لا تدرك كنهها العقول ، ولا تحيط بها الأفهام .

ماذا أقول ؟ . وماذا أصف ؟ .

لو أننى حاولت أن أصف آثار فضل الودود سبحانه على خلقه فى خلية واحدة من خلايا الجسم فى خلقها ، ومنحها الحياة ، وإمدادها بالغذاء والنماء ، وانقسامها وتكاثرها ،

وغير ذلك من مظاهر حياتها التى هى بعض إنعامه و إحسانه : لضاق نطاق هذه الأوراق ، فكيف بوصف عضو كامل يتألف من ملايين الخلايا ؟ فكيف بوصف البدن كله وفيه ما تعرف وما لا نعرف : من مختلف الأعضاء ذات الوظائف المنوعة ، والأعمال المختلفة ؟ .

علم الودود جل ثناؤه أن الإنسان الذى جعله خليفة في الأرض لا يعيش إلا بغذاء وكساء وهواء ، فخلق له مافى الأرض جميعا وأنزل له من السماء ماء ، فأحيا به الأرض بعد موتها ، وأنبت له فيها من كل زوج بهيج : متاعا له ولأنعامه .

من الناس من عرف نعمة الودود عليه فأحبه من كل قلبه ، وتقرب إليه بأداء الفرائض وازداد تقربا وازدلافا بالنوافل ، فصار من الذين قال الودود سبحانه فيهم (فسوف يأتى الله بقوم يحبهم و يحبونه) .

والودود سبحانه يجزى على الود الذى يكون من عباده بود خير منه وأكثر بركة وفضلا

روى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه « إذا تقرب العبد إلىّ شبرا تقربت إليه ذراعا ، و إذا تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا و إذا أتانى مشيا أتيته هرولة » .

و يشهد بصدق هذا قوله تعالى (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) فالودود سبحانه لا يبغض عبداً أحبه وأخلص له الود ، وتقرب إليه بما يكون سببا فى رضاه .

روى البخارى من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله قال : « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضت عليه . وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ، ولئن استعاذنى لأعيذنه . . . »

فانظر إلى ما يترتب على التقرب إلى الودود سبحانه من الخيرات والبركات التى لو فطن لها الغافلون لضحوا بأثمن ما يملكون ابتغاء مرضاته وازدلافا إليه .

ومنهم من عرف نعمة الودود سبحانه ثم أنكرها ، وذلك هو الغافل الكنود الذى

يجحد فضل الله عليه وإحسانه إليه . وهو الذى عناه الودود سبحانه بقوله : (إن الإنسان لربه لكنود وإنه على ذلك لشهيد . وإنه لحب الخير لشديد) .

ولكن الودود سبحانه ـ لواسع رحمته وعظم إحسانه ـ لوتاب إليه هذا الكنود واستغفره لقبل توبته ، وتولاه بإحسانه ورحمته . قال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام وهو يدعو قومه إلى الرجوع إلى ربهم (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ، إن ربى رحيم ودود .) فلو أنهم استجابوا لنصح نبيهم وتعرضوا لنفحات الودود سبحانه لنالوا خيرا كثيراً ولكنهم لم يفعلوا فبطش بهم وانتقم منهم . (إن بطش ربك لشديد . إنه هو يبدىء ويعيد . وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد) فهو الغفور الودود لمن خاف مقامه ونهى نفسه عن هواها ، وأناب إليه متعرضا لنفحات رحمته ، وهو شديد البطش على من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، وكند فضل الودود جل ثناؤه .

وبعد ، فما ظنك بهؤلاء الغافلين الذين يعرضون عن الودود سبحانه ، ويتقربون إلى الموتى بما ذرأ لهم الودود من الحرث والأنعام ، وما أمدهم به من الورق النضار ؟

لو عقل هؤلاء الغافلون لعلموا أن الودود الذى خلق ورزق أحق بالتقرب والازدلاف من الموتى الذين لم يخلقوا ، ولم يرزقوا ، بل هم مخلوقون مسترزقون فلم تلك الذبائح التى تراق دماؤها تقربا إلى مخلوق ، لا يودهم ولا يملك لهم ولا لنفسه نفعا ولا ضراً ؟ لم هذه الأموال التى توضع فى الخزائن التي ألصقها المحتالون بقبور هؤلاء الموتى ، ليضع فيها هؤلاء السفهاء أموالهم التى جعلها الله لهم قياما ؟

أما إنهم لو عقلوا لتقربوا بهذه الذبائح إلى الله الودود الذى يقابل ودهم بود خير منه أما إنهم لو عقلوا لأسهموا فى أعمال الخير ، ومؤسسات البر بهذه الأموال بدل إلقائها فى صندوق النذور ليأخذها الواجدون ، وينتفع بها الأغنياء والموسرون ولو أنهم ادخروها لأبنائهم لكان خيرا لهم وأمثل طريقا .

إن هؤلاء الموتى مهما يتقربوا إليهم فلن يجعلوا لهم ودًّا بل سيكونون لهم أعداء لدًّا . (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء . وكانوا بعبادتهم كافرين)

على من تقع تبعة تعطيل الحج هذا العام ؟!!

إنها لتبعة خطيرة أشد الخطورة ، لأنها ستعطل شعيرة من أهم وأعظم شعائر الإسلام ، وإنها ستودى بركن شامخ من أركان الإسلام ، وإنها ستحطم قلوب عشرات الآلاف من المسلمين الذين تذوب قلوبهم شوقاً إلى التمتع بزيارة ربهم فى بلده المحرم ، وإلى حط خطاياهم عند بيته المكرم ، الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا ، وإنها ستهد من كيان أولئك المسلمين الذين مكثوا السنين يدخرون من قوتهم ليسعوا إلى تلك المشاعر وأداء تلك المناسك التى دعاهم إليها ربهم ليشهدوا منافع لهم، وليطوفوا بالبيت العتيق ، وإنها ستحقق لأعداء الإسلام أمنية طالما عملوا لتحقيقها ، وعقد دعاة الاستعمار المؤتمرات تلو المؤتمرات للتفكير فى العمل المؤدى إلى تعطيل هذه الشعيرة الإسلامية ، وهدم هذا الركن الشامخ من أركان الإسلام ، وحرمان المسلمين من هذا الجمع الحاشد الذى يضم العالم الإسلامى فى بقعة مقدسة ، ويجمع شملهم تحت سماء الكعبة المشرفة والبلد الأمين ، فيتجلى عليهم الرب ، ويباهى بهم ملائكته ، ويبارك عليهم ، وينزل عليهم مغفرته ورحمته ، ويعطيهم سؤلهم ، فيعودون مزودين من ذلك كله بما يغيظ أعداءهم ، ويعيد ما هدمه أولئك الاعداء قوياً سليما . فياهول مايسعى إليه هؤلاء الذين يفكرون فى تعطيل الحج هذا العام ، ويا سوء ما إليه يسعون ، لو كانوا يفكرون . وعلى عاتق من تقع هذه التبعة الخطيرة ؟ !

أعلى عاتق الحكومة العربية السعودية ؟ وها هى قررت فى أصرح عبارة بلسان وزير خارجيتها ، ونائب جلالة ملكها صاحب السمو الملكى الأمير فيصل إذ قال ، حفظه الله :

إن البلاد السعودية من أقصاها إلى أقصاها طاهرة من كل مرض معد ، وبريئة من كل داء وبيل ، وإنها لتتحدى العالم كله أن يوجد إصابة واحدة بطاعون دملى أو غير دملى ، أو أى مرض متنقل ، مات منها أى واحد سعودى ، وإنها قد علمت - وهى الساهرة على سلامة أراضيها وشعبها ، وبالأخص على سلامة ضيوف بيت الله ورفاهتهم - علمت فى العشرين من رمضان : أن إصابة بالطاعون وقعت فى قرية على الحدود بينها

و بين اليمين ، فأسرعت بعزل هذه القرية عزلاً تاماً ، وحصرها حصراً شديداً دقيقاً ، وقفلت الحدود بينها و بين اليمن قفلاً محكماً وأحضرت مع ذلك ـ احتياطا للطوارىء ـ مقادير ضخمة من الأمصال ضد هذه الأمراض ، كانت أجرة حملها بالطائرة ٣٥ ألفاً من الدولارات ، و بدأت فى حقن أفراد الشعب ، بادئة بالأقرب فالأقرب من محل الإصابة ، وعندها من الأطباء والأدوات ووسائل النقل البرى والجوي ما يهيىء لها ذلك و ييسره وأن هذه القرية ـ التى نصفها يمنى ، ونصفها سعودى ـ على بعد آلاف الأميال من قلب الجزيرة ، ودونها صحارى الربع الخالى التى لا تقطع إلا فى أيام كثيرة ، لا يبقى معها للأمراض المعدية أى أثر ، والدليل على ذلك : أنه لم يقع فى أى ناحية من نواحى البلاد السعودية أى إصابة ، بل إن القرى التى حول القرية التى وقعت بها الإصابة لم يقع بها أى إصابة ، وأن الحكومة السعودية معنية أشد العناية بسلامة وراحة ضيوف الله وحجاج بيته ، فهى توفر لهم كل أسباب الراحة ، وتعمل جاهدة على إبعاد كل شك أو ريبة فى هذه الراحة ، حتى لقد كاد يقع بينها و بين حكومة الباكستان في العام الماضى سوء تفاهم لشدة تمسكها بمنع حجاج الباكستان لما بلغها من انتشار حمى الملاريا هناك وخشيت من نقلهم العدوى إلى الحجاج ، بل لقد بلغ من تشددها فى ذلك : أن منعت سفير أمريكا الذى كان يزور جلالة ملك اليمن بعد وقوع الإصابة بالطاعون على الحدود ، مع أن موضع الإصابة يبعد عن عاصمة اليمن آلاف الأميال ، وأعلنته بأنه إذا وصل إلى جدة فسيحجز فى الكرنتينا بجزيرة سعد مدة الحجر الصحى ، فاستأذن فى أن يقضى هذه المدة فى أسمرة فأذنوا له ، ولم يسمحوا له بدخول الحجاز إلا بعد انقضاء المدة .

فهذا موقف الحكومة العربية السعودية واضحاً جليا ، تقرر ـ وهى واثقة ـ بأنه لا داعى مطلقاً لتعطيل الحج هذا العام ، وأن هذه الشائعات إنما هى أوهام ، لا يليق أن يعطل الحج من أجلها ، والمعلوم : أن الحكومة السعودية عضو محترم فى مكتب الحجر الصحى الدولى ، كغيرها من بقية الدول المحترمة ، وأنها تزيد عليهم بأنها تقدر مسئوليتها عن ضيوف بيت الله حق التقدير ، وتحرص أشد الحرص على سلامتهم وراحتهم ، فضلا عما بينها و بين

الحكومة المصرية من أواصر المحبة والتعاون فى كل المواقف ، حتى ليعرف الجميع : أن عدو العرب أصبح لا يعمل حسابا إلا لهذا التعاون والمحبة بين هاتين الحكومتين الرشيدتين ، فهل بعد ذلك تقع على عاتقها تبعة تعطيل الحج هذا العام ؟ أعتقد أن كل منصف سيعفيها من هذه التبعة الخطيرة .

أم تقع هذه التبعة الخطيرة على حكومة اليمن ، لأن بلادها منبت الإصابة بالمرض المنتقل ، وأنها لم تتخذ فى العام الماضى من الأسباب ما يضمن تلافى خطره فى أوله ، وحصره ومنع انتشاره . فليس عندها من الأطباء ولا من الأمصال ولا بقية الاحتياطات ما يكفل ذلك؟

إن حكومة اليمن لا تزال ناشئة ، تخطو إلى الإصلاح بخطوات متئدة ، بعد خروجها من الأزمات والضائقات والأحداث الجسام التى كانت تقيدها ، وهى مع ذلك قد أعلنت على لسان وزيرها المفوض ، واستنجدت بحكومة مصر ، والمعتقد : أنها ستقفل الحدود ، وتحكم قفلها جهد طاقتها ، لتمنع تسرب اليمنيين إلى البلاد السعودية .

وأظن أنها بعد ذلك لا تحمل من هذه التبعة الخطيرة ما يحمل غيرها أم تقع هذه التبعة الخطيرة على عاتق الحكومة المصرية ، وهى لم تبادر ببعث الأطباء بالسرعة التى كان يجب أن تقوم بها ، حرصا على هذه الشعيرة الإسلامية أن تعطل ، ورغبة فى أن يقام هذا الركن الشامخ من أركان الإسلام ـ وهى الحكومة التى دينها الرسمى الإسلام ، مجاملة لشعبها المسلم الذى تذوب قلوب عشرات الآلاف منه شوقا إلى حج بيت الله وزيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتشرف بهذه البقاع المقدسة ، وحط أوزارهم فى هذه الأماكن الطاهرة ، كان ينبغى لذلك ، ولما بينها و بين الحكومة العربية السعودية من أواصر الإخاء والتعاون الوثيق ، ولأن جلالة ملكها الفاروق ـ وفقه الله إلى مايحبه و يرضاه ـ حريص على سعادة شعبه ، يبادر إلى مساعدة الراغبين المشتاقين إلى حج بيت الله ، ولأن رفعة النحاس باشا رئيسها : هو كذلك حريص على توفير أسباب الخير للمصريين ، و يعلم أن أعظم خير لهم وأحب شىء عندهم : هو حج بيت الله ـ كان ينبغى لهذا ولغيره : أن تسارع الحكومة المصرية إلى إيفاد البعثة الطبية لاستجلاء الحالة ، وأن تقدر كلام نائب جلالة ملك المملكة

العربية السعودية ووزير خارجيتها وتعتبر تصريحه الرسمى حجة فى هذا الموضوع لتلقى عن عاتقها هذه التبعة الخطيرة ، تبعة تعطيل الحج هذا العام .

وإن لمن أعجب العجب : أن تعمد الحكومات المصرية ـ على اختلاف مذاهبها ـ إلى وضع العقبات الكأداء فى سبيل حجاج بيت الله ، حتى لايفوز بالحج كل عام إلا نصف الراغبين أو دون النصف ، والحجاج : يذهبون إلى طاعة الله وعبادته ، وإلى الأماكن المقدسة ليشهدوا منافع لهم ، كما دعاهم الله وحضهم ، ولا ينفقون هناك إلا فى صدقات ، أو إحضار هدايا لإخوانهم ، فيها نفع كثير وخير للمجتمع المصرى ، فى حين أنها تيسر السبيل إلى كل مسافر إلى بلاد فيها من اللهو والفسوق وألوان الفساد ما يقضى على أخلاق الشعب وكل مقوماته المادية والمعنوية ، ويجعله فى أذل موقف وأهونه أمام متاعب الحياة ، وأمام الأعداء ومما يشيع في أفراده كثيراً من الاعوجاج والشر الذى تحاول الحكومات جاهدة أن تعالجه ، وكلما عالجت بعضه عاد إليها مع أولئك اللاهين الفسقة ما يزيد البلاء ، ويشقى الحكومة والشعب جميعاً .

يا أيها الناس ، احذروا أن تستهينوا بهذه التبعات الخطيرة ، فإن العواقب والله وخيمة أشد الوخامة . ولطالما حذركم الله ووعظكم بمختلف الحوادث ، وأنذركم عواقب تهاونكم بشرائع الإسلام وشعائره وإصغائكم إلى الأعداء فيما يلقون فى قلوبكم من أوهام جرأتكم على تعطيل شعائر الله وإبطال حدوده . وإن الله سبحانه ليقول (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) ثم يهدد من يضع العقبات فى هذا السبيل فيقول (ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) وهم فقراء إليه أشد الفقر ، ثم يقول (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) فاحذروا أيها الناس أن تطيعوا هؤلاء ، وإلا ردوكم كافرين . ومن كفر فلا يضر الله شيئاً ، ولا يضر إلا نفسه . وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه ، وهدانا وإياكم صراطه المستقيم.

وكتبه

محمد حامد الفقى

باب الفتاوى

(فتويان)

الأولى : فى أن صلاة النعلين سنة البشير النذير. والثانية : فى إثبات العلو للعلى الكبير لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر ، ومفتى الديار المصرية سابقا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ونشهد أن لا إله إلا الله ونشهد أن محمداً رسول الله ، اللهم صل عليه وعلى آله ومن تبع هداه . « وبعد » فهذه صورة من الفتوى الصادرة بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٢٨ من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية المسجلة برقم ٤٣ مسلسلة جزء ٣٢ سأل محمد افندى فتح الله درويش بالآتى :

رجل صلى فى محل عمله لابساً حذاءه المعتاد لبسه فى كل حين غير أنه لم يكن فى مكان الوطء من نعليه أى خبث أو أذى ظاهر : فهل صلاته باطلة شرعاً أو هى جائزة ؟

أجاب : اطلعنا على هذا السؤال ، ونفيد : بأنه متى كانت النعلان طاهرتين فالصلاة صحيحة ، لما فى البخارى ومسلم عن أبى سلمة سعيد بن زيد الأزدى قال « سألت أنس بن مالك : أكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلى فى نعليه ؟ قال : نعم » وفى منتقى الأخبار عن شداد ابن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون فى نعالهم ولا خفافهم » رواه أبو داود ، وقد أخرج أبو داود أيضا من حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا صلى أحدكم فخلع نعليه فلا يؤذ بهما أحداً . ليجعلهما بين رجليه أو ليصل فيهما» وقد كان يصلى في النعلين كثير من الصحابة والتابعين اهـ . ملخصاً من نيل الأوطار .

وفى شرح منية المصلى لإبراهيم الحلبى نقلا عن فتاوى الحجة ، ما نصه : الصلاة فى النعلين تفضل على صلاة الحافى أضعافاً : مخالفه لليهود اهـ .

ومن هذا يعلم صحة الصلاة فى النعلين الطاهرتين . بل ذهب كثير من علماء المسلمين إلى أنها مستحبة ، وتتميماً للفائدة نقول : إن النعل إذا كانت متنجسة بنجس ذى جرم : سواء كان الجرم من النجاسة كالدم والعذرة ، أو من غيرها بأن ابتلت النعل ببول مثلا ، فمشي بها صاحبها على رمل أو رماد فاستجد : طهرت بالدلك حتي يذهب الأثر مطلقاً ، على ما هو المختار عند فقهاء الحنفية لماروى أبو داود عن أبى سعيد الخدرى : أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى فى نعله أذى أو قذراً : فليمسحه وليصل فيهما » وخرج ابن خزيمة عن أبى هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال « إذا وطىء أحدكم الأذى بنعله أوخفيه فطهورهما التراب » وأما إذا كانت النعل متنجسة بنجس غير ذى جرم كالبول إذا يبس فلا تطهر حتي تغسل . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تحررت هذه الصورة في يوم ٩ يونيو سنة ١٩٣٢ كطلب حضرة الشيخ محمد حامد الفقى بعد أن رخص حضرة صاحب الفضيلة مولانا المفتي بإعطائها . سكرتير إفتاء الديار المصرية

إمضاء محمود أحمد

ختم دار الافتاء » [والأصل محفوظ لدي الجماعة]

وهذه صورة من الفتوى الصادرة بتاريخ ١٨ سبتمبر سنة ١٩٣٢ من حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبد المجيد سليم مفتى الديار المصرية حالا المسجلة برقم ٢٠٣ مسلسلة جزء ٣٣ ونصها كالآتى :

سأل محمد عبد الرازق عوض من نكلا الجيزه بما يأتى :

ما قول علماء الإسلام وحماة الشريعة المحمدية ، أدام الله مجدهم وأعلى كلمته بهم فيمن اعتقد فى صفات الله وأفعاله ، كاستوائه على عرشه وفوقيته ـ وغير ذلك مما ذكر فى القرآن أو السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ظاهر الآيات والأحاديث وأن تفسيرها : هو ظاهرها مع اعتقاد التنزيه ونفى المماثلة والتشبيه للحوادث : هل هو مصيب فى اعتقاده هذا ، أو مخطىء و إذا كان مصيباً فما حكم من قال له : إن امرأتك طلقت من أجل اعتقادك هذا ؟ أفتونا أجزل الله لكم الإثابة .

أجاب : اطلعنا على هذا السؤال . ونفيد بأنه متى آمن الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى منزه عن كل ما يوجب نقصاً أو حدوثا ، وحمل ما جاء في الآيات الكريمة من مثل قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » على ظواهرها : بمعنى أن المراد بها ما يليق به سبحانه وتعالى ويناسبه، مع تنزيهه سبحانه وتعالى عما تستلزمه إذا نسبت إلى الحوادث من الجسمية والتحيز والمماسة وغير ذلك ـ فليس عليه شيء ، بل هو قد اتبع سبيل السلف الذين يحملون هذه الآيات وما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأحاديث على ما يليق به سبحانه وتعالى ، مع تنزيهه عن كل ما يوجب نقصاً أو يقتضي حدوثاً . قال الكمال بن الهمام في المسايرة : الأصل الثاني : أنه تعالى استوى العرش مع الحكم بأنه ليس كاستواء الأجسام على الأجسام : من التمكن والمماسة والمحاذاة ، بل بمعنى يليق به ، هو سبحانه أعلم به ، وحاصله وجوب الإيمان بأنه استوى على العرش مع نفي التشبيه ،فأما كون المراد : أنه استيلاؤه على العرش فأمر جائز الإرادة ، إذ لا دليل على إرادته عيناً ـ فالواجب عيناً ما ذكرنا ـ إلى أن قال : وعلى نحو ما ذكرنا : كل ما ورد مما ظاهره الجسمية في الشاهد ، كالإصبع والقدم واليد ، فإن اليد وكذا الإصبع وغيره صفة له تعالى ، لا بمعنى الجارحة ، بل على وجه يليق به ، وهو سبحانه أعلم به اه . وقال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري ما نصه : وقال: البيهقي : منهم من قال : العين صفة ذات ، كما تقدم في الوجه ، ومنهم من قال : المراد بالعين : الرؤية فعلى هذا : فقوله : « ولتصنع على عيني » أي : لتكون بمرأى مني ، وكذا قوله « واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا » أي : بمرأى منا ، والنون للتعظيم ، ومال إلى ترجيح الأول لأنه مذهب السلف ـ إلى أن قال نقلا عن ابن المنير : ولأهل الكلام في هذه الصفات كالعين والوجه واليد ثلاثة أقوال ، أحدها : أنها صفات ذات أثبتها السمع ولا يهتدي إليها العقل ، والثاني : أن العين كناية عن صفة البصر ، واليد كناية عن صفة القدرة ، والوجه كناية عن صفة الوجود ، والثالث : إقرارها على ما جاءت مفوضا معناها إلى الله تعالى ، ثم قال : وقال الشيخ شهاب الدين السهروردي في كتاب العقيدة له : أخبر الله في كتابه وثبت عن رسوله : الاستواء والنزول والنفس واليد والعين فلا يتصرف فيها بتشبيه ولا تعطيل ، إذ لولا إخبار الله ورسوله ما تجاسر عقل أن يحوم حول ذلك الحمى .

قال الطيبي : هذا هو المذهب المعتمد ، وبه يقول السلف الصالح ، وقال غيره : لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من أصحابه من طريق صحيح : التصريح بوجوب تأويل شيء من ذلك ، ولا المنع من ذلك . ومن المحال أن يأمر الله نبيه بتبليغ ما أنزل إليه من ربه وينزل عليه (اليوم أكملت لكم دينكم) ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه مما لا يجوز مع حضه على التبليغ عنه بقوله «ليبلغ الشاهد الغائب» حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وصفاته وما فعل بحضرته ، فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذي أراده الله منها ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى « ليس كمثله شيء » فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم . وبالله التوفيق . انتهت عبارة الحافظ رحمه الله ، وأما الاختلاف فى كون حمل هذه الآيات وما ثبت وروده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يليق به سبحانه وتعالى مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن كل نقص من قبيل حمل اللفظ خلاف ظاهره ، أو على ظاهره فخلاف لفظى إذ من قال: إنه على خلاف ظاهره نظر إلى أن الظاهر ما هو المعهود في الشاهد ومن قال إنه حمل اللفظ على ظاهره نظر إلى أنه إذا نسب إلى الله سبحانه وتعالى كان المراد به : ما يليق به سبحانه وتعالى ، كالعلم فإنه إذا نسب إلى الحادث كان الظاهر منه عرضاً يقوم بالنفس ، ينقسم إلى ضرورى ونظرى وإذا نسب إلى الله تعالى كان الظاهر منه ، صفة كمال هى مبدأ الانكشاف ، لا مماثلة بينها وبين علم الحوادث وغير ذلك من الصفات فكذا يقال فى الاستواء والوجه واليد والإصبع والنزول والفوقية وغير ذلك ، فإنه يراد بها : ما يليق به سبحانه وتعالى ويناسبه مما لا يقتضى نقصاً أو يستلزم حدوثا . ومن هذا يتبين : أن من اعتقد فى صفات الله تعالى وأفعاله كاستوى على عرشه ظاهر الآيات والأحاديث بالمعنى الذي قلناه ، مع اعتقاد التنزيه ونفى المماثلة والتشبيه للحوادث مصيب فى اعتقاده ، ومن قال : إن امرأته طلقت من أجل اعتقاده : فهو مخطىء جاهل بمذهب أهل الحق . والله أعلم.

تحررت هذه الصورة فى يوم ٩ يونيو سنة ١٩٣٢ كطلب حضرة الشيخ محمد حامد الفقى بعد أن رخص حضرة صاحب الفضيلة مولانا المفتى بإعطائها .

إمضاء سكرتير إفتاء الديار المصرية محمود أحمد

[والأصل محفوظ لدى الجماعة]

منشور المركز العام

لجماعة أنصار السنة بالسودان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

أما بعد ، فإلى حضرات الأفاضل الكرام رئيس وأعضاء لجنة أنصار السنة المحمدية

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته . بحمد الله وشكره تم اجتماع الإخوان فى اليوم المحدود وافتتح المؤتمر بتلاوة آيات من الذكر الحكيم فى الدعوة إلى توحيد العبادة التى تقوم بها جماعة أنصار السنة المحمدية الساعة ٥ من مساء يوم الجمعة ٢ شوال سنة ١٣٧٠ هـ ثم خطب الخطباء وفي الساعة ٧٫٣٠ ثم تحول الإخوان إلى مجلس المؤتمر. ودام الاجتماع إلى الساعة ٢ صباحا ، ثم مساء اليوم الثالث إلى الساعة ١٠ ونأسف لعدم تمكن بعض مندوبى اللجان : من الحضور . وكان عذر الجميع عدم تيسر المواصلات . و بعد المداولة وأخذ آراء مندوبى اللجان : وضعت القرارات الآتية على أنها برنامج المرحلة الثانية . فنأمل أن تحرصوا على تنفيذها . وما أشكل عليكم منها استوضحونا عنه . والله نسأله أن يوفقنا و إياكم لما فيه مرضاته . إنه سميع مجيب .

١ ـ شعارنا فى هذه المرحلة قول الله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم « ما كان الرفق فى شىء إلا زانه . و إن العبد يبلغ بالرفق مالا يبلغه بالعنف » حيث قد ظهرت دعوة أنصار السنة المحمدية . إلى إخلاص العبادة لله بما جاء به رسوله : سافرة تنادى على نفسها ، وشقت طريقها إلى القلوب السليمة .

٢ ـ الطاعة للرياسة العامة والمحلية واحترام توجيهاتها بالحرص على تنفيذها . والمحافظة على القانون العام فيما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله .

٣ - توحيد الوسائل وفق الأهداف والنشرات التي يصدرها المركز العام .

٤ - التحلي بالفضائل، ومجانبة الرذائل ، وكل ماينقص الرجل الكريم المؤمن . العامل لخير الإسلام ، حتى لا يكون حجة على الدعوة ، وحتى لا نعطي الخصم الناقد سلاحاً يحاربنا به .

٥ - على كل عضو أن يطلب العلم ليكون فى دينه على بصيرة ، وأن يحمل نفسه على الصبر والاعتدال والحكمة والروية ، و يبتعد عن الغضب .

٦ - علي الإخوان أن يتبادلوا المنافع المادية والأدبية . وأن يتحابوا فى الله حتى يغبطهم الغير ، فتدفعه هذه الغبطة إلى الانضمام إلى صفوفهم ، وأن يتعاونوا على البر والتقوى ، كأصحاب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم .

٧ - على الإخوان أن يحاولوا إيجاد شركات تعاونية تبدأ بدكاكين صغيرة أو غيرها من المشاريع الممكنة .

٨ - محاربة العادات السيئة ، والتقاليد الجاهلية التى لا يقرها الإسلام فى الأعياد والأعراس والمآتم بالحكمة والموعظة الحسنة .

٩ - طريقتنا فى الدعوة : هى شفقة الوالدين ورحمة الأخوة بكل الناس . فننصحهم وندعوهم بالتى هى أحسن . ولا نتوسل بالعنف إلا دفاعاً عن الحق ، مقتدين فى ذلك برسول الله صلى الله عليه وسلم .

١٠ - التعاون مع الناس ومشاطرتهم فى البأساء والضراء ، والفرح معهم فيما يفرحهم ، على أننا إخوان فى الإنسانية . ثم فى الدين والوطن . على ماقال الله (ادفع بالتى هى أحسن . فإذا الذى بينك و بينه عداوة كأنه ولى حميم) .

١١ - على العضو أن يتخير الزمان والمكان ، ويهيىء الأسماع لسماع كلمة الحق ، ليستطيع إيقاظ الشعور ، وهداية الناس إلى الحياة الكريمة : حياة العزة والقوة والأمن والسلام والعافية والتحابب والتراحم .

١٢ - نبث فى الأعضاء روح العمل والكسب والادخار ونحارب فيهم البطالة

والتسكع و إضاعة الزمن فى غير ما حسنة لمعاده ، أو إضاعة مجهود أو درهم لدنياه وآخرته .

١٣ ـ ننكر الشذوذ والتهوس والتهور ، ونبرؤ منها لأنها دليل السفه والغرور ، ودعوتنا إنما هى الحكمة والرشد وسداد الرأى ، ولا يكون ذلك إلا بتتبع هدى الرسول فى كل خطواتنا . وقد جربنا أن التهوس والتهور من العقبات التى قامت فى سبيل الدعوة . لذا نحذركم من هذه النقائص . ومن لم تعلمه التجاوب فهو أحمق .

١٤ ـ وبالجملة : على كل عضو أن يعمل على انتشار الدعوة بكل الوسائل السلمية المحبوبة ، البعيدة عن العنف والخصومة ، وأن يراقب الله فى كل أعماله ، وأن يقصد بها وجهه وأن يتعود الصدق مع الله ومع الناس ، والانفاق من ماله الخاص .

١٥ ـ العضو الذى يتمرد على النظم والقانون والأوضاع نوصى بفصله إذا تكرر تمرده وتحقق ضرره . لأنه يصبح عضوا فاسدا .

١٦ ـ وأخيرا نوصى باحترام قرارات المؤتمر السابق . ونطلب محاولة تنفيذ ما تعذر تنفيذه منها . فقط نرفع مساعدة المركز العام من ٢٠ إلى ٣٠ قرشا .

وختاما نرفع إليكم خالص التهانى بحلول العيد و بنجاح المؤتمر . وكل عام وأنتم جنود الله العاملون لخير أنفسكم ولخير الإسلام والمسلمين .

اعـــــــلان

ـ﴿ إلى حضرات قراء مجلة الهدى النبوى ﴾ـ

نرجو مراعاة ما يأتى :

١ — جميع المراسلات الخاصه بالمجلة : من مقالات أو شكاوي أو إعلانات أو غير ذلك ترسل بعنوان : « مجلة الهدى النبوى — ٨ شارع قوله عابدين » .

٢ — نرجو من حضرات المشتركين أن يبادروا بتجديد اشتراكاتهم لضمان قيدها بالسجلات من أول العام . وانتظام إرسال الأعداد إليهم .

٣ — كما نرجو من حضراتهم مراعاة الدقة فى البيانات الخاصة بعناوينهم ، وإخطار سكرتارية المجلة فوراً بكل تغيير يطرأ عليها ، لضمان انتظام وصول المجلة إليهم .

ثقافة الباكستان الاسلامية (*)

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق مفتش المعارف بالسودان

— ٣ —

ومن طريف ما يروى عن سبب إسلام نقيب نبلاء مقاطعة أوده : أن جدهم الأعلى تيلوك شاند كان متزوجاً بامرأة بارعة الجمال ، ففتن بها أمير من أمراء المسلمين يدعى همايون ، فسولت له نفسه أن يختطفها ، ولكنه ما إن أتم تدبيره ، إلا وألقى الله فى قلبه كراهة الإثم فعاني الآلام المبرحة من وخز ضميره ، فبادر إلى استدعاء زوجها ، الذى يئس من الاهتداء إليها ، وسأله الصفح عما هم به ولم يمض فيه إلى غايته ، بسبب ما كابده من تأنيب ضميره فأعجب تيلوك شاند بهذا الدين ، الذى يعصم المرء من الخطيئة ، فاعتنق هو وزوجه الإسلام حباً فى أثره التهذيبي ، وعرفاناً بالجميل .

ويرجع انتشار الإسلام فى ساحل ملابار غربى الهند إلى أقدم العصور الإسلامية ، ففى إحدى الجبانات هناك ، نقش على قبر مؤرخ فى سنة ١٦٦ للهجرة ، كما أن قبائل المايلاً الضاربة فى هذه الجهات تقول : بأنها تنتمى إلى المهاجرين من العرب الذين وفدوا من العراق واستوطنوا البلاد ، وأهل ملابار الحاليون خليط من العرب والفرس والهنود ، وهم

(*) حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى رئيس تحرير الهدى النبوى الغراء .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فقد اطلعت فى الصفحة ٢٢ من مجلتكم الزاهرة من عدد ٩ المجلد ١٥ على مقال للأستاذ عبد العزيز عبد الحق عنوانه (ثقافة الهند الإسلامية) تكلم فيها عما أنتجه مسلمو الهند من ثمار القريحة والفكر .

وكثير من محتويات هذا المقال أخذ من (البلاذرى) وهو يتكلم فى هذا الجزء عن اتصال العرب بالهند فى إقليم السند . ولما كان هذا الإقليم يتبع اليوم « الباكستان » لذلك كان من الأنسب أن يعنون المقال بثقافة الباكستان الإسلامية ، لأن هذا الجزء أصبح الآن من صميم الباكستان ، كما أصبحت الباكستان الدولة المسلمة التى انفصلت عن الدولة الهندوكية .

وأكون شاكراً جدا لو تفضلتم بالإشارة إلى هذا فى عددكم المقبل .

وتفضلوا فضيلتكم بقبول عظيم الاحترام .   شريف الحسن

المحق الصحفى

من سلالة التجار الوافدين أو الحجاج الذين كانوا فى طريقهم إلى سيلان لمشاهدة الآثار المزعومة لأقدام أبينا آدم فى هذه الجزيرة ، وكان من المنتظر أن يدخل أهل ملابار أفواجاً فى الإسلام ، وأن يصبح الساحل الغربى للهند كله مسلماً ، لولا مجىء البرتغاليين فى القرن السادس عشر بعد كشفهم للطريق البحرى حول إفريقية ، لأنهم منعوا التجار المسلمين من التجول فى المحيط الهندى ، واحتكروا التجارة فى تلك البحيرة العربية الكبيرة التى كان النشاط فيها قاصراً على المسلمين .

وكان التجار العرب - إلى قبل مجىء البرتغاليين - الواسطة بين السند والأقاليم المجاورة فى الهند ، والعالم الخارجى ، فكانوا يأتون بمنتجات الصين وسيلان إلى موانىء السند ، ثم ينقلونها من هذه الموانىء إلى التركستان وخراسان عن طريق ملتان .

وذكر الجغرافيون العرب - كالاصطخرى وابن حوقل والإدريسى - فيما بين القرنين الرابع والسادس الهجريين : أن أمراء الهند كانوا يرعون المسلمين ويحمونهم و يأذنون لهم بتشييد المساجد ، و يبيحونهم السير على أحكام الشريعة الإسلامية . ومن العسير الوقوف على تاريخ انتشار الإسلام فى الهند ، وفى أندونسيا ، والفليبين ، وجزائر المحيط الهندي ، وشرق إفريقية ، لأن حركة التبليغ قام بها أفراد ، لا دخل للحكومات الإسلامية فى الجهود التى بذلوها ، ولم تكن هناك جماعات أو هيئات منظمة تمدهم بالأموال والمساعدات ، وترسم لهم خطط السير والعمل كجماعات المبشرين المسيحيين ، لأن المسيحيين إنما يعملون للاستعمار باسم الدين ، فلذلك هم جزء من حكوماتهم المسيحية . أما المسلمون : فكانوا ينشرون الدين لتهذيب الناس وصلاحهم . فكان سبباً فى تعلق سكان البلاد الأصليين بدعاة الإسلام ، فلما أدركهم الموت أقاموا على ما دعوهم إليه ، وساروا على مارسموا لهم ، فمما دون من تراجم هؤلاء الدعاة ، وما شاع عنهم من الروايات المتواترة : نستطيع أن نعرف شيئاً عن تاريخ انتشار الإسلام فى هذه البلاد ، فمنهم : « بهاء الحق الملتانى » الذى دعا أهل البنجاب إلى الإسلام ، « وفريد الدين الباكيتانى »وقد قاما بالتبليغ فى أواخر القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر الميلادى ، و ينسب لفريد الدين أنه هدى إلى الإسلام ست عشره قبيلة من أهل البنجاب .

ومن أشهر دعاة الإسلام فى راجيوتانا « خواجه معين الدين الششتى » المتوفى فى أجمير سنة ١٢٣٤ م ، وهو من أهل سجستان ، وقيل : إنه دعى لتبليغ كفار الهند الإسلام ، إبان حجه فى مكة ، إذ يروى العامة هناك : أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وسمعه يقول له : إن الله تعالى اختارك لهداية أهل الهند إلى الإسلام ، فامض إليها وأقم فى أجمير ، وسوف يهتدى الناس بك ، مادمت متحليا بالورع والتقى ، فلما استيقظ من نومه صدع بما أمر به . ومن دعاة الإسلام فى بنغالة : جلال الدين التبريزى المتوفى سنة ١٢٤٤ م

وفى بنغالة ظفر الدعاة المسلمون بأكبر نجاح لهم فى نشر الإسلام ، حتى إنه قامت مملكة إسلامية هنالك فى القرن الثانى عشر الميلادى ، غير أنه حدث أن حمل بعض الهندوكيين على اعتناق الإسلام احتفاظاً بأملاكهم . إذ أنه لما هزم الامبراطور « أكبر » أمراء فراجيور ، لم يسمح لهم بالاحتفاظ بمقاطعاتهم إلا إذا اعتنقوا الإسلام .

ومن الأسر الإسلامية الشهيرة فى بنغالة : أسرة أسد على خان فى تشيتاجونج ، وهى تنتمى إلى جدهندوكى ، حرم من مركز طائفته الممتاز ، وذلك بإرغامه على شم اللحم البقرى فأصبح مسلما . ومن الدعاة : سيد يوسف الدين ، وهو من سلالة الشيخ عبد القادر الجيلانى ، ويشاع عنه : أنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وأمره أن يترك بغداد ، ويتوجه إلى الهند ليبلغ أهلها دعوة الإسلام ، فأتى السند فى سنة ١٤٢٢ ميلادية ، وأخذ يدعو ويعظ إلى أن اهتدى على يده سبعمائة أسرة .

ولم يقل الشيعة عن أهل السنة فى العمل على نشر مذهبهم فى التشيع ، فمن دعاتهم : صدر الدين الإسماعيلى الذى سلم ببعض طقوس الهندوكيين ، لكى يستميلهم إلى التشيع — وهو مالم يصنعه الدعاة من أهل السنة — فقدم إليهم كتاباً زعم فيه أن على بن أبى طالب هو المهدى الذى تجسد فيه الإله فيشنو ، والمهدى الذى يتجسد فيه الإله يسمى بالهندوكية « الأفاتار » وكثيرا ما نجد على مسكوكات الأمراء المسلمين بالهند ، عبارة تتضمن كلمة « أفاتار » هذه ، مما يدل على تأثر الشيعة بالهندوكية . وهى : « اللامتناهي : هو الواحد الفرد ، ومحمد هو فاتاره » أى الذى تجسد فيه ، تعالى الله عما يقولون . وأصبح كتاب هذا الداعى الشيعى صدر الدين الإسماعيلي من الكتب المقدسة عند فرقة الخوجه الشيعية ، حتى إنه يتلى دائماً فى الأعياد ، كما يتلى على فراش المرضى عند احتضارهم . يتبع

صنـــــاعة الـكرامات

لفضيلة الأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

أجَلْ ، وإنهـا لصناعة ـ لو تعلمون ـ رائعة بارعة ، خلابة للعقول ، جلابة للمال ، مسخرة للرجال .

وإنها لصناعة دقيقة لايتاح إتقانها لكثير من الناس ، إنما يحذقها الأذكياء الموهوبون الذين أوتوا من الذكاء حظاً عظيما ، ومن الدهاء قسطا موفوراً ، ومن الفراسـة نصيباً غير منقوص ، والذين امتازوا بمرونة الأعضاء ، وسرعة الحركة ، والقدرة على العبث بالألباب .

وصناعة الكرامات كصناعة إحضار الأرواح لا تمارس فى زمان ، ولا فى كل مكان ولا فى كل حال . إنما تمارس فى أمكنة خاصة ، وفى أزمنة موائمة ، وفى أحوال مناسبة .

وخير الأمكنة لمزاولة هذه الصناعة عقر الدار ، وعلى كثب من الأستـار ، ومستقر الأسرار ، وعلى مقربة من الأداة والعتاد ، والأجهزة الشداد .

وأنسب الأوقات ، حين تتكاثف الظلمات ، ومن دون ذلك وقت الغَلَس ، إذا خبا القَبَس ، وانطوى النهار ، وغابت الأنوار .

أما أحسن الأحوال : فحال شهود الأطهار الطيبين ، والأخيار الغافلين ، وغيبة الأذكياء النابهين ، والفطناء الفاهمين ، إذ لا شىء يفسد الكرامات ويذهب بروعتها ، كما يفسدها الوقوف على حقيقة أمرها ، والاطلاع على مكنون سرها ، والأذكيـاء خبثاء ، لا يقنعون بظواهر الأشياء ، ويأبون إلا أن يفسدوها بالتغلغل فى خفاياها ، والتوغل فى طواياها .

وصناعة الكرامات إنمـا تبلغ قمة النجاح بشرطين متضادين : ذكاء وخبث فى صانعها ، وغباء وطيبة فى شاهدها . فإذا فقد الشرطان أحدهما أو كلاهما فسدت الصناعة ، وذهبت البراعة .

وصناع الكرامات لايمارسون صناعتهم إلا حين يعتقدون أن الظروف كلها مواتية ، وشروط النجاح موفورة ، واحتمال الفشل بعيد .

ومن دون الشرطين السابقين شرطان آخران : المواطأة والإيمان .

أما المواطأة فأن يكون صانع الكرامات متواطئا مع شريك يعرف سره ، ويدبر أمره يتحداه أمام الحضور ، وقد هيأ له الأمور .

يكون الشيخ فى « قنا » مثلا وقد جاءه الذين ترامت إليهم أنباء كراماته ، لينالوا من بركاته ، فيأتى الشريك المتواطىء أمام الحضور مدعيا أنه أحد الزائرين المؤمنين ويقول للشيخ : لقد كنت فى الإسكندرية ، ونزلت ببعض فنادقها ، ثم سافرت فجأة ونسيت عصاى هنالك ، وهى عصى ثمينة ، وضياعها خسارة جسيمة ، ويقينى أن الشيخ ببركاته ، وعظيم كراماته يتفضل على مريده بإحضارها ، ويغضب الشيخ غضبة مضرية ، وينتهره انتهاراً شديداً ، متنصلا من الولاية والكرامة ، لائذا بظل الضعف والعجز ، عائذاً بحمى المسكنة والتواضع ، والمريد يلح ، ويسرف فى الإلحاح ، وبعد لأى يقول الشيخ للمريد : أليست عصاك تلك التى فى ركن هذه الحجرة ، ويدخل المريد الحجرة ، فيأتى بالعصا ، ويبتدر يدى الشيخ وقدميه لثما وتقبيلا . فلا يسع الحاضرين إلا التهليل والتكبير والإيمان بقدرة الشيخ على المعجزات بله الكرامات .

يجلس الشريك المتواطىء فى حجرة الانتظار كأنه بعض الزوار ، فإذا أقبل الزائرون أفاض معهم فى شئون من الحديث وشجون حتى يعرف أسماءهم فألقابهم ويكشف أسرارهم ويقف على مادفعهم إلى زيارة الشيخ ، ثم يأتى الخادم فيدعو الزائر الأول ـ أى الشريك ـ لأن الشيخ يحب النظام ، ولا يؤثر أحداً على أحد ، فيدخل الشريك وينفض للشيخ جملة الخبر ، فإذا جاء دور الزائر الحقيقى وأذن له فى الدخول ناداه الشيخ باسمه ولقبه ، وقص عليه ماجاء من أجله ، فيمتلىء إيمانا بكرامات الشيخ ، وتنهلّ بين يديه غيوث مكارمه .

أما الإيمان فأن يكون جميع الحاضرين مؤمنين بقدرة الشيخ على إحداث الكرامات كما يشترط فى روّاد غرفة التحضير أن يكونوا جميعاً مؤمنين بقدرة الوسيط على إحضار الأرواح . فإن كان بينهم من يشك أو يرتاب وأدرك الشيخ ذلك بفراسته لم يحاول ممارسة الكرامة ، لئلا يفتضح أمره وينكشف سره .

٣٥

حدثنى عظيم من العظماء النابهين وهو يجادلنى فى شأن كرامات الأوليـاء المعاصرين.

قال : نذر بعضهم لشيخ من الأحياء كبشا ، وعنى بطعامه وشرابه كل العناية حتى اكتنز لحما ، وتفقأ شحما ، فعز عليه أن يحمله إلى الشيخ ، وحمل إليه كبشا آخر أقل لحما ، وأرق شحما ، ولـكنه لم يكد يضعـه بين يديه حتى ابتدره قائلا : ليس هذا هو الـكبش الذى نذرته لى . والـكبش المنذور هناك فى فناء الدار فاخرج ووافنى به . فخرج إلى فناء الدار ، وما راعه إلا أن رأى الـكبش الذى نذره قائما والعلف بين يديه ، فاستحوذت عليه الدهشة وعاد إلى الشيخ شديد الإيمان بكراماته ، معتـذراً مستسمحاً ، خائفاً وجلا ، وقد نزل عن الـكبشين جميعا حتى يغفر له هذه الخطيئة التى اقترفها فى حقه .

قلت : أومثلك يؤمن بهذا ؟ .

قال : لقد حدثنى بذلك من لا أشك فى صدقه .

قلت : إن لهذه الحـكاية باطنا وظاهراً . أما ظاهرها : فهو ما سمعت به ، وأما باطنها ، فسأحدثك عنه :

نذر الرجل ـ أو نذرت امرأته على الأصح ـ هذا الـكبش للشيخ إن شفى الولد الوحيد المريض ، وشفى الولد . فألحت أمه فى طلب الوفاء بالنذر حتى لا ينتكس الولد ، وتذهب النكسة بحياته ، ولمـا رأت أن الرجل ضن بالذبح العظيم خافت أن يلحق الولد مكروه . فبادرت بإرسال الـكبش المنذور إلى الشيخ مع بعض الأهل أو الجيران ، وأوصت الرسول بأن يسرع كى يصل قبل وصول الرجل بالـكبش الأعجف الضئيل . وقاسمته على الـكتمان على أن تخبر بعلها إذا عاد أنها تفقدت الـكبش المنذور فلم تقف له على أثر ، وبحثت عنه فى أى مكان فلم تستطع العثور عليه سبيلا .

وبذلك تمت الـكرامة ، وذاع أمرها فى الناس حتى تناولها السادة والـكبراء قال محدثى ـ وهو ذكى حريص على طلب الحق ـ : إنك لا تخدع !

قلت : ذلك بتوفيق الله ؛ وهداية القرآن .

فشت هذه الصناعة وذاعت فى آخريات القرن الثانى الهجرى وما تلاه من القرون ، وظن العلماء الطيبون الذين يرون الأشياء بعيون طباعهم الخيرة أنها كرامات حقا ، وراحوا يتلمسون العلل والأسباب لكثرتها المروعة فقالوا : « إن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ، فإذا احتاج إليها ضعيف الإيمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوى إيمانه ويسد حاجته ، أو يكون من هو أكمل منه ولاية مستغنيا عن ذلك فلا يأتيه لعلو درجته وغناه عنها ، لا لنقص ولايته . ولهذا كانت هذه الأمور فى التابعين أكثر منها فى الصحابة .

وهذا كلام لا يقرّه المنطق ، ولا يسيغه عقل سليم ، فإن الكرامة الحق ، وهى من إكرام الله تعالى للصالحين من عباده يختص بها أقوياء الإيمان لا ضعافه ، فإن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

والتعليل الصحيح أن ما ذاع وشاع وملأ الوهاد والتلاع ليس كرامات حقيقية ، وإنما هو من قبيل الكرامات الصناعية ، وكانت كثرتها لقلة الإيمان وضعف اليقين ، وفساد الضمائر ، وخراب الذمم ، فأقدم على ممارستها عمداً من لا يخاف الله ، ولا يرجو له وقاراً ، فعلوها خداعاً وتمويها وعبثا بعقول الناس ، ليقنعوهم بأنهم أولياء فيمنحوهم أموالهم ، والله يعلم إنهم لكاذبون .

ترامت أنباء كرامات « الحلاج » وبلغت مسامع بعض الأذكياء فأراد أن يقف على حقيقتها ، فركب إليه ، ولما صار فى حضرته قرأ الحلاج في معارف وجهه أمارات الإنكار فقال : يغشون دارنا ، ليعترضوا علينا ، ويسيئوا إلينا ، يا هذا اطلب ما شئت يأتك بإذن الله ! قال الشاب الذكى : أريد سمكا طريا . وكان الحلاج فى ذلك الوقت فى بعض بلاد الجبل البعيدة التي ليس فيها بحر ولا نهر . وظن الشاب أنه أعجزه إلى آخر الأبد ، وأخمله مدى الدهر ، ولكن الحلاج ابتسم ابتسامة ذات معنى وقال : ما أيسر ما طلبت ! ثم دخل حجرة فى داره وأغلق بابها وعاد بعد ساعة . وقد حسر عن ساعديه ، وكشف عن ساقيه ، وبيده سمكة حية تضطرب . وقال : إنى دعوت الله فأمرنى أن أذهب إلى الأهواز ، وأن آخذ هذه السمكة من ملتقى الرافدين ، فأخذتها ؛ وجئت بها إليك . لتنزع ما فى صدرك من شك »

قال الشاب : أتدعنى أدخل هذه الحجرة ، فإن لم يسفر لى وجه الحيلة آمنت بك ؟
قال : شأنك وما تريد .

قال الشاب : فدخلت الحجرة فلم أجد فيها شيئا ، ثم حانت منى التفاتة فرأيت بابا فى الجدار لا يكاد يظهر إلا للمدقق المتأمل ، لأنه بلون الجدار ومساواته فدفعته فتفتح ، فدخلت فإذا أنا بحديقة لا يبلغ البصر غايتها ، فيها صنوف الفاكهة والثمار والأزهار ، ومنها ما ليس فى وقته ولكنه محفوظ بحيل صناعية . وفى هذه الحديقة خزائن فيها ألوان الأطعمة الناضجة والمواقد المعدة لإنضاج ما يطلب لساعته ثم رأيت في وسطها بركة ماء مملوءة سمكا ، فأخذت واحدة وخرجت بها فرميت بها فى وجهه وصدره ، وأردت الهرب فأمسك بى وهمس فى أذنى قائلا : لئن حدثت بها أحداً لأقتلنك ولو كنت وراء سبعة أبحر أو سبعة جبال ، ثم عاد يقول لجلسائه : هذا ولى من كبار الأولياء جاء ينافسنا فى كراماتنا !!

قال الشاب : ولم أجد بداً من الكتمان ، فلم أخبر بذلك إلا بعد مقتل الحلاج حذر أن يغرى بعض المفتونين به فيغتالنى [1] .

هذا والمؤمن الصادق كيّس فطن : لا ينبغى أن تجوز عليه الحيل ، أو يقع فى الأحابيل والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(١) انظر جامع التواريخ للتنوخى .

مكتبة أنصار السنة المحمدية

قرر مجلس إدارة الجماعة بجلسته المنعقدة فى يوم الثلاثاء الموافق ١٧ يوليوسنة ١٩٥١ إسناد إدارة المكتبة لحضرة الشيخ محمد موسى خليل . فعلى حضرات الاخوان وكل من يلزمه من كتب السنة و يحرص عليها أن يرسلوا جميع طلباتهم باسم مدير المكتبة رأسا .

أخبار الجماعة

المركز العام

﴿ زكاة الفطر ﴾

قامت لجنة زكاة الفطر المكونة من حضرات الإخوان : سليمان افندى حسونه أمين صندوق الجماعة ورشاد افندى الشافعي السكرتير العام للجماعة ومحمد افندى عبد الوهاب البنا والحاج سيد رضوان والحاج شريف عكاشه المراقبين : صرف مبلغ ٥٠٠ مليما ر١٥٤ جنيها إلى مستحقيها من المسلمين وقد بلغ عددهم ١١٤ عائلة وذلك تحقيقاً لرغبة جميع الاخوان الذين دفعوا إليها زكاتهم ، وقامت هذه اللجنة بإيداع قوائم بأسماء من صرفت إليهم الزكاة وقيمة ما صرف لكل فرد أو عائلة وتحرت الدقة التامة فى عملها وقد أثنى مجلس الادارة على هذه اللجنة .

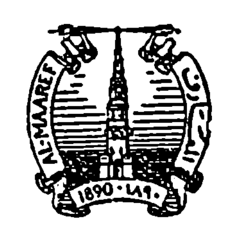
وترحب هذه اللجنة بكل توجيه يتقدم به أى عضو من أعضاء الجماعة للسكرتارية حتى يكون نبراساً لها فى العام المقبل إن شاء الله ، والله نسأل أن يوفقنا ويسدد خطانا .

﴿ دعاة الجماعة ﴾

قرر مجلس إدارة الجماعة بجلسته المنعقدة فى يوم الثلاثاء الموافق ١٧ يوليو سنة ١٩٥١ إيفاد حضرتى الأخوين رشاد افندى الشافعى سكرتير عام الجماعة ومحمد افندى عبد الوهاب البنا مراقب الجماعة للقيام برحلة تشمل جميع فروع الوجه البحرى تمكيناً للصلة بين الفروع و بين المركز العام وتوجيها لبعض الفروع إلى الواجب اتباعه من الناحية الادارية والعلمية والاجتماعية وسيكون بصحبتهم حضرة الأخ عدلى افندى المرشدى رئيس فرع السيدة زينب .

مراقب حسابات الجماعة

قرر مجلس إدارة الجماعة بجلسة يوم الثلاثاء الموافق ١٧ يوليو سنة ١٩٥١ اختيار حضرة الأستاذ مصطفى افندى الاسناوى المحاسب مراقباً لحسابات الجماعة .



المسنـــد

للامام أحمد بن حنبل

أوسع كتب السنة ، وأكثرها شمولاً وإحاطة . لايستغنى عنه العالم المحقق ، ولا الطالب المجتهد . وهو حجة للمحدث ، والفقيه ، والمؤرخ ، وصاحب اللغة . ألفه إمام المحدثين وزعيم أهل السنة وقدوتهم ، وجعله مرجعَ العلماء وحجتَهم . حتى لقد قال لابنه راويه وهو يوصيه : « احتفظ بهذا المسند ، فإنه سيكون للناس إماماً » .

وهذا (الديوان الأعظم) بحر لا يدرك مداه ، أعجز أكثر العلماء أن يصلوا إلى غوره ، حتى وفق الله له الشيخ أحمد محمد شاكر المحدّث المصرى ، فصنع له الفهارس الدقيقة المتقنة ، من علميـة ولفظية ، وشرحه شرحاً فنيًّا على أوثق القواعد العلميـة التى ميز بهـا الحفاظ صحيح الحديث من ضعيفه ، ليكون مرجعاً حقًّا لـكل طالب وعالم .

ثم كان من توفيق الله وحسن صنعه لهذا (الـكتاب الحجة) أن حضرة صاحب الجلالة الملك العظيم ، أسد الجزيرة وإمام أهل السنة فى هذا العصر ، الملك الإمام (عبد العزيز آل سعود) أطال الله بقاءه ، شمله برعايته السامية الـكريمة ، حبًّا فى نشره وإحيائه ، وتقرباً إلى الله بعموم النفع به . فأصدر أمره العالى بطبعه على خير ما يُستطاع من الإخراج والإتقان

فنفّذ الشارح الأمر الملـكى المطاع ، بطبعه فى أجزاء متتالية ، طبعة ممتازة خاصة ، وطبعة شعبية عامة ، ليعم النفع به كل الطبقات .

ظهر منه تسعة أجزاء

ص	
٨٠	ثمن الجزء الواحد من الطبعة الممتازة
٣٠	« « « « « الشعبية

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف بمصر

العدد ١٢ المجلد ١٥

خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم

الهدى النبوي

تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية

ذى الحجة سنة ١٣٧٠

رئيس التحرير
محمد حامد الفقي

مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبى — القاهرة
ت ٧٩٠١٧

الفهرس

الهدي النبوي

ثمن النسخة ٢٠ مليماً

الاشتراك السنوى

٢٠ ص فى مصر والسودان

٣٠ فى الخارج

الإدارة ٨ شارع قوله

بعابدين بمصر

ت ٧٦٥٧٦

بقية العرض الاجمالى

لسورة النحل

لقد بلغ من وقاحة و بغى أعداء الله ورسوله ، بل أعداء أنفسهم : أن قالوا لا شياعهم المنساقين وراءهم بالتقليد الأعمى على غير هدى ـ ليحولوا بينهم و بين هداية القرآن ـ (إنما يعلمه بشر) غلام كان لبعض قريش يصنع السيوف ـ يقال له بلعام ، أو جبر ، أو يعيش ، أو يسار ـ وهم يعلمون أن ذلك القول كذب واضح و بهتان بين . فلقد كان هذا الغلام أعجميا ، لا يعرف من العربية إلا بقدر ما يتخاطب به معهم فى عمله ، ومحمد رسول الله لسانه عربى مبين ، والقرآن الذى نزل عليه لسان عربى مبين ، وقد كان هذا الغلام بمكة قبل الرسالة سنين طويلة ، وكانوا يرون رسول الله يكلمه و يجلس عنده كما كانوا هم يجلسون عنده و يكلمونه ، فما لرسول الله لم يتكلم بمثل هذا القرآن قبل ذلك ؟ وما بالهم لم يعلنوا عنه أنه كان يتعلم من هذا الغلام ؟ وما بالهم كانوا يعرفونه قبل الرسالة : الصادق الأمين ، و يعرفونه أرجحهم عقلا ، وأرشدهم سبيلا ، وأقومهم قيلا ؟ يوم كانوا معه على الفطرة الطبيعية ، إذ كان يعطيهم من ماله ما يملأ بطونهم و يكسو أجسامهم ، و يقضى عن غرمائهم ديونهم ، و يسد فاقتهم وعوزهم ، و يريحهم من همّ الدين . و يعطيهم من عقله : ما يفصل خصوماتهم و يحل مشاكلهم ، و يطفىء نار الحرب بينهم . كانوا حينئذ يعرفونه الصادق الراشد الأمين . واليوم حين جاءهم من العلم والهدى ، بما يغذى أرواحهم ويحيى قلوبهم ، و ينسج عليها من ثياب التقوى ماهو خير لهم ، إذ يعيد إليهم إنسانيتهم الكريمة العاقلة ، المقدرة لفضل الله ونعمته ، والمفكرة فى سنن ربهم وآياته ، ما ينقذهم من سلطان الشيطان عدوهم ، و يصلح ما بينهم و بين ربهم ، فيعرفوه ، و يؤمنوا به إلهاً واحدا ، كما عرفوه رَبًّا واحداً ، فيخلصوا له العبادة

و يعبدوه بما أحب وشرع ، لا يشركون به الموتى وأجـداثهم وأنصابهم ، ولا يعبدونه بالأهواء والخرافات والبدع ، فينعمون بحياة آمنة مطمئنة، ويكونون قادة الناس وهداتهم إلى منازل الكرامة والعزة !؟ـ اليوم حين جاءهم بذلك الخير العظيم الباقى، والسعادة الدائمة التى لا تنقطع : يميلون حائدين عن سبيل الرشد والعقل ، ويلحدون زائغـين عن طريق الفطرة القاصد : إلى أضل طريق وأبعـده عن السداد ، فيقولون (إنما يعلمه بشر) ؟! تَبًّا للبغى والحسد ، والتعاظم بالباطل ، والعلو فى الأرض بالفساد .

إن ذلك الإفك والبهتان ليس فى الواقع موجها إلى محمد رسول الله ، فهم يعرفون أنه لبث فيهم عمرا طويلا لايقول كلمة من هذا الذى يدعوهم به إلى الهدى والرشاد ، ويتلو عليهم من وحى الله إليه لينذرهم بأسا شديدا من لدن ربهم ، ويبشر المؤمنـين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا . و إنما هو موجه إلى الله الذى أرسله به بعد أربعين سنة لَبِثَها فيهم ، وحَمَّله هذه الأمانة الـكبرى ، و بعثه إليهم شاهداً ومبشراً ونذيرا ، وقد أعماهم الحسد البغيض عن ذلك ، وأصمهم ما استولى عليهم من سلطان وليهم الشيطان وتخويفه إياهم : أن يسمعوا صوت الحقيقة الصارخ بهم من حال وشأن رسول الله الذى صاحبوه أربعين سنة عرفوه فيهـا أبلغ معرفة ، ودعوه بعد هذه المعرفة « الصادق الراشد الأمين » خوفهم : أن نجاح الرسول فى تبليغ رسـالة ربه سيذهب بجاههم ودنياهم ، ويردهم تابعـين كعامة الناس، وهم اليوم السادة والرؤساء الذين تعنوا لهم الوجوه وتَخِرُّ لهم الجباه ، وتخضع لهم القلوب ، وتبذل الدهماء الغالى لالتماس بركاتهم . فكيف يقبلون هذه الدعوة ؟ بل كيف يتركون لها السبيل ، فتخلص الناس من تقديسهم وعبادتهم ؟ لذلك يحذرهم الله أبلغ تحذير ، ويتهددهم أشد تهديد ، إذ يقول (ولقد نعلم أنهم يقولون : إنما يعلمه بشر) أى لقد أعددنا لهم من ألوان النـكال والعذاب والخزى ما يستحقونه على ذلك القول الذى يعرفون أننـا علمناه وسجلناه عليهم ، فلقد شهدوا فى قصة أصحـاب الفيل وما أوقع الله بهم من النـكال والهلاك ، بما أرسل عليهم من طير أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ، وفيما آلفهم وعَوَّدهم ـ بما هيأ لهم من رحلة الشتاء والصيف ـ ما أطعمهم به من جوع وآمنهم من خوف ، وفى غير ذلك مما صنع و يصنع الله لهم و بهم فى كل وقت فى وادٍ غير ذى زرع تحيط

به الجبال من جميع جوانبه ، عند بيته المحرم ، إذ جعل أفئدة من الناس تهوى إليهم فيرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون . وفيما جعل لهم من الحرم الآمن ـ والناس تتخطف من حولهم ـ ما مكن لهم من السيادة والرياسة فى قلوب جميع الناس . لقد شهدوا فى كل ذلك وغيره ما عرفوا به : أن الله يعلم إفكهم وبهتانهم ، وقولهم (إنما يعلمه بشر) وأن الله إذ يعلم لا بد أن يترتب على علمه آثار ونتائج وعواقب ـ يجزى بها عما يعلم الجزاء العادل الحق ، فلقد كان اللائق بهم والأحرى : أن يتقوا جزاءه العادل الحق بالنكال والهلاك لأعدائه ، كشأنه مع أعدائه الذين حاولوا هدم بيته . وما هى من الظالمين ببعيد . وأن يتعرضوا لجزائه العادل الحق بالنجاة والعزة للذين يعظمون شعائره . وهل هدم البيت ـ مع إمكان إعادة بنائه ـ أعظم جرما عند الله من هدم الرسالة الرشيدة الحكيمة التى أنزلها الله مثابة للناس فى كل ما يكفل لهم رضوان الله وفلاح الدنيا والآخرة ، وأمناً لهم من كل ما يخافونه على أنفسهم من غضب الله وسخطه وخسران الدنيا والآخرة ؟ نعم كان ذلك هو اللائق بهم : لو كانوا يؤمنون بالله وآياته ونعمه وسننه التى لا تتبدل فى أنفسهم وفى الآفاق ، لكنهم لا يؤمنون . وكيف يؤمنون بذلك ؟ وهم قد ألغوْا عقولهم ، وحكموا أهواءهم ، واستبدت بهم الجاهلية ، واستعبدهم الشيطان بسلطانه عليهم ، وجعل عمدتهم فى كل شأن (إنا وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فهم لا يتفكرون فى آيات الله بعقولهم ، ولا يرونها بأعينهم ، ولا يسمعون لها بآذانهم . وإنما يفكرون بعقول الآباء والشيوخ ، والزعماء ، الطواغيت المقلَّدين ، ويرون بأبصارهم ، ويسمعون بآذانهم ، مهما خالف الواقع المحسوس الملموس . فلذلك : هم لا يهتدون إلى اللائق والأحرى بهم ، ولا يتقون عذاب الله الأليم (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ، ولهم عذاب أليم) .

ثم نفى الكذب والافتراء عن نبيه الذى يعرفون من طول مصاحبته لهم : أنه ما عمى ولا غفل ـ مثلهم ـ عن آية من آيات الله ونعمه عليه ، وسننه فى نفسه وفى الآفاق من ساعة أن تفتحت عيناه على الحياة ، وأنه ما ضل يوماً عن هدى الفطرة وما غوى ، وما ألغى عقله يوما ، ولا غالط حواسه وما تقع عليه من سنن ، وما اتبع هواه فى شىء مما أعطاه ربه ، حتى ما كان يُعرف بينهم إلا بالصادق الراشد الأمين ، فمن المحال بعد ذلك : أن ينطق الصادق الراشد الأمين فى هذه الرسالة بهواه ، وأن يقول : هو من عند الله ، وما هو من عند الله ،

وقد كملت له كل أسباب الحكمة والسداد والرشاد ، بل (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله.. وأولئك هم الكاذبون) فما جزاء أولئك الكافرين ؟ هم قسمان : سادة طواغيت ، ودهماء أشباه الأنعام . فالطواغيت : يعيشون فى ترف الخمول العقلى والجسمى، وفى خَدَر الغرور الوهمى : أنهم الشيوخ والسادة ، فلا يسعون إلى الحياة إلا على مطايا استغلال الدهماء واستخذائهم وذلهم ، ما داموا غارقين فى ظلمات الجاهلية والغفلة . فهم يحرصون أشد الحرص على إبقاء الدهماء غارقين فى الجاهلية والغفلة عن آيات الله ونعمه فيهم وعليهم . والدهماء يحسون ذلك بالعقل البهيمى و يتأذون منه، كما تتأذى البهيمة من ثقل الحمل فوق ظهرها، فكما تحاول البهيمة أن تتخلص من هذا الحمل ، يحاولون هم كذلك أن يتخلصوا من سلطان أولئك الطواغيت ، ولكنهم لجاهليتهم ولغفلتهم عن آيات الله ونعمه يفشلون ، وتذهب محاولاتهم بغير جدوى ، حتى يقوم من يوقظهم من هذه الغفلة ، و يقدم لهم من العلم بالله وأسمائه وصفاته وسننه وآياته مايبدد عن بصائرهم ظلمات هذه الجاهلية ، و يحطم عن قلوبهم أغلال ألوهية هؤلاء الطواغيت ، و ينزل أولئك الطواغيت منازلهم من البشرية الكافرة الفاجرة ، فالطواغيت : هم الذين قال الله فيهم (سواء أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) وقال فيهم : (وما أرسلنا فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا بما أرسلتم به كافرون . وقالوا : نحن أكثر أموالاً وأولادا . وما نحن بمعذبين) وأشباهها من الآيات . وهم الذين شرحوا بالكفر صدراً . لأنه متجرهم الذين يعيشون به ، ومناط رياستهم ووجاهتهم ، وعليه وعلى ما يدر لهم أخلاف العيش ــ من النذور والأتاوات والغلات يعيشون ــ فعليهم غضب من الله . ولهم عذاب عظيم . أما الدهماء : فإنهم إذا أعطوا من العلم بآيات الله وأسمائه وصفاته ما يبدد عن بصائرهم غشاوات التقليد الأعمى ، وعرفوا أن الله رب الجميع يربيهم بنعمه ، ويتجلى عليهم بصفة العدل المطلق والحكمة البالغة والرحمة الواسعة ، حطمت أغلال طاغوتية هؤلاء من قلوبهم ، وأنقذت من براثن الأوهام ، والعقائد الخرافية فيهم : فهم أسرع إلى الإيمان بالله وآياته وكتبه ورسله واليوم الآخر . ويدل على ذلك ــ مارواه البخارى من مسألة هرقل لأبى سفيان ، إذ قال : « أيتبعه أشراف الناس ، أم ضعفاؤهم ؟ قال : بل ضعفاؤهم . قال هرقل : أولئك أتباع الأنبياء» ولذلك دخلوا فى دين الله أفواجاً بعد يوم الفرقان الذى كان فيه غزوة بدر ، التى حطم الله فيها طواغيت قريش ، وأرغم فيها أنف الشرك وحزبه ، وأعز

التوحيد وجنده . فهؤلاء مَرْجُوٌّ لهم من رحمة الله مايهيىء لهم السبيل أن يفروا إلى الله، وكان منهم المستضعفون الذين فروا إلى الله ، فكانوا من السابقين إلى الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وخشى الطواغيت أن يكونوا أسوة لغيرهم ، فبالغوا فى تعذيبهم بما ألجأهم إلى أن ينطقوا بكلمة الكفر ، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان (من كفر بالله من بعد إيمانه ــ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ــ ولكن من شرح بالكفر صدراً : فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) ولذلك علل الله هذا العقاب الشديد لأولئك السادة والطواغيت ، و بَيَّنَ حكمته بقوله : (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لايهدى القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون. لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون)

ثم حض الله أولئك المستضعفين ، وحَفَزَهم أشد حفز إلى التخلص من براثن أولئك الكافرين المجرمين ، الذين يفتنونهم عن دينهم ، و يلجئونهم إلى أن يتكلموا من الكفر بما يحسون أنه شعلة من النار تحرق قلوبهم وأفواههم ، وأن الله سيهيىء لهم الأسباب و ييسر لهم طريق الخلاص ، بل ويجعل لهم من القوة والعزة مايعودون به مجاهدين لأولئك المجرمين ومحطمين لأولئك الطواغيت ، ليكونوا سبباً فى تخليص الآخرين من الدهماء والمستضعفين . فقال (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فُتنوا ، ثم جاهدوا وصبروا . إن ربك من بعدها لغفور رحيم) فيعطيهم من الأسباب ما يسترون به أخطاءهم الماضية ، ويتداركون به مافاتهم من الخير يوم كانوا مستضعفين، و يكونون به المؤمنين الأقوياء الصابرين ، الذين يخيفون أعداء الله ، ولا يخافون هم إلا الله ، فإن الله برحمته الواسعة يعطى كل من تعرض لها وأخذ بأسبابها لستر نقائصه وغفر عيوبه ما يصبح به فى الدنيا مؤمناً قوياً عزيزاً ، مجاهداً لله وفى سبيل مرضاة الله ، ناصراً للحق ، هادياً إلى الرشد ، منقذاً للناس من أسباب الهلاك والشقاء ، وفى الآخرة ينعم و يسعد بجزاء ما عمل من الصالحات مؤمنا بالله الحق ووعده الحق ، مالك يوم الدين (يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت . وهم لايظلمون)

أسأل الله من فضله وكرمه : أن يجعلنى و إخوانى من أولئك المؤمنين الأعزة المهاجرين المجاهدين الصابرين ، وأن يغفر لنا و يرحمنا إنه هو الغفور الرحيم . وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الكريم محمد وعلى آله أجمعين .

وكتبه فقير عفو الله ومغفرته

محمد حامد الفقي

الودود (أيضا)

للأستاذ الشيخ أبي الوفاء محمد درويش

يطلق « الود » فى اللغة على معنيين : أولهما محبة الشيء ، والثانى تمنى حصوله . على أن تمنى حصول الشيء مشعر بحبه ، لأن الإنسان لا يتمنى حصول شيء إلا إذا كان يحبه .

وعلى ذلك : يكون « الود » هو الحب المجرد ، أو الحب المقرون بالتمنى . ويقرر فقه اللغة : أن استعمال الألفاظ فى المعقولات جاء بعد استعمالها فى المحسوسات ، وأن « الود » مأخوذ من الوتد ، لأن الوتد يتعلق بما يُشدّ به ويلازم مكانه ، ويثبت فيه ، فتُصُوّر منه معنى المودة والملازمة . وقد قلبت التاء دالاً

و « الود » بين المخلوقين ضروب شتى ، تتنوع بتنوع عللها وأسبابها ، ويمكن ردها جميعاً إلى الأنس بالمودود ، والركون إلى عونه عند الحاجة ، فقد تودُّ شخصاً لأنك تأنس به ، وتستريح إلى لقائه ، لما بينك وبينه من مشاكلة فى بعض الأمور . وقد توده لأنك تؤْنِس فيه عطفاً عليك ، واهتماماً بأمرك ، وحرصاً على نفعك مع القدرة عليه .

و « الود » مضافاً إلى رب العزة سبحانه حب مجرد عن التمنى ، لاستحالته عليه تعالى ، وتنزهه عنه .

و « الودود » من أسمائه الحسنى فَعُول بمعنى فاعل ، أو بمعنى مفعول . فإن كان بمعنى فاعل فمعناه كثير الحب لعباده المطيعين . فإن الله يحب المحسنين ، ويحب الصابرين ، ويقول تعالى فى سورة المائدة (٥:٥٤ يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) .

غير أن ودّ الله لعباده ، وحبه إياهم ليس كودّ بعضهم لبعض ، فليس أثر انفعال نفسيّ

تثيره أسبابه وعلله ، وليس للمشاكلة والمشابهة ، فإن رب العزة لا مشاكلة ولا مشابهة بينه وبين شيء من خلقه . سبحانه (ليس كمثله شيء) ولا لأنه يؤنس فيهم عطفاً عليه وحرصاً على نفعه ، فهو سبحانه غني عن العالمين ، ليس فى حاجة إلى عطف أحد ، ولا إلى نفع أحد ، بل جميع الخلق محتاجون إلى رحمته وفضله ، وإنما يَوَدُّهم لأنهم يحرصون على سعادة أنفسهم ، ويبتغون نجاتها بالإيمان والتقوى وصالح العمل . ووده إياهم معناه : توليهم بالرحمة والمغفرة والرعاية والعناية ، ولذلك جاء اسمه تعالى « الودود » فى القرآن الكريم مرة مقروناً بالرحمة ، فى قوله تعالى فى سورة هود (١١ : ٩٠ إن ربى رحيم ودود) وجاء مرة مقروناً بالمغفرة فى قوله تعالى فى سورة البروج (٨٥:١٤ وهو الغفور الودود) .

فالرحيم الغفور الودود سبحانه محب لأوليائه يرضى عنهم ، ويثيبهم ، ويدافع عنهم ، ويؤيدهم بنصره ، ويثبت أقدامهم ، ويكف عنهم بأس الكافرين ، ويذكرهم فيمن عنده ، ويكتبهم مع الشاهدين ، ويفرج كربهم ، ويستجيب دعاءهم ، ويقبل توبتهم ، ويزيدهم من فضله ، ويجعل لهم فرقاناً ، ويهديهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويؤتى الحكمة منهم من يشاء ، ويُرْبى صدقاتهم ، ولا يؤاخذهم إن نسوا أو أخطأوا ، ويتم نعمته عليهم ، ويشرح صدورهم للاسلام ، ويفتح عليهم بركات من السماء والأرض . ويشفى صدورهم ، ويذهب غيظ قلوبهم ، وينزل السكينة عليهم ، ويزيدهم هدى وإيماناً وقوة إلى قوتهم ، ويستخلفهم فى الأرض ، ويمكن لهم دينهم ، ويبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، ويصلح بالهم وأعمالهم ، ويهديهم إلى الطيب من القول ، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون ، ولا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم ، ولا يجعل للكافرين سبيلاً عليهم ، ويحييهم حياة طيبة يمتعهم فيها متاعاً حسناً تلك بعض مظاهر وده تعالى لعباده الصالحين فى الحياة الدنيا .

وأما فى الآخرة : فإنه يجعل لهم قدم صدق عنده ، ويغفر ذنوبهم ، ويؤتيهم أجورهم ، ويكفر عنهم أسوأ الذى عملوا ، ويجزيهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ، ويهب لهم من لدنه رحمة ، ويقيهم عذاب النار ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، لهم فيها

ما تشتهى أنفسهم وتلذ أعينهم ، ويحلهم دار المقامة من فضله لايمسهم فيها نَصَب ولا يمسهم فيها لُغوب ، ولا يحزنهم الفزع الأكبر ، وتتلقاهم الملائكة ، ويُطاف عليهم بصِحاف من ذهب وأكواب ، ويسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ، ويُعِدّ لهم مالاعين رأت ، ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . هذه بعض مظاهر وده تعالى لعباده الصالحين فى الآخرة .

وقد استوعب هذه المعانى كلها فى بلاغة إيجاز ، وروعة إعجاز قوله تعالى فى سورة مريم : (٩٦:١٨ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدًّا) .

تلك بعض وَمَضَات من مجالى اسمه تعالى الودود ، لا يتفضل بها أحد غيره سبحانه ، ولا يملكها أحد سواه .

فإن زعم لك زاعم أن فلانا أو فلانا من شيوخ الطرق أو غيرهم ممن فوقهم أو ممن دونهم يملك أن ييسر لك رزقا ، أو يجلب لك خيرا ، أو يكشف عنك ضرًّا ، أو يغفر لك ذنبا ، أو يكفيك عقابا ، أو يمنحك ثوابا ، فاعلم أنه مفترٍ كذاب . ومسرف مرتاب ، ومشرك تِلعاب لأن هذه مظاهر اسمه تعالى « الودود » لا يملكها غيره ، ولا يمنحها سواه .

وإن كان بمعنى مفعول أى محبوب ، فهو الذى يحبه عباده الصالحون ، لأنهم يوقنون أنه ربهم الذى يربيهم بنعمه وفضله ، وواسع غناه وحكمته وعدله وأنه ذو السلطان المطلق ، والرحمة الشاملة ، والمشيئة النافذة ، والقدرة التى لا حد لها ، وأنه المتصرف فى ملكوت السموات والأرض ، وأنه مسبب الأسباب ، وأنهم يلجئون إلى فضله ورحمته إذا حزَبَتْهم الأمور ، أو حاقت بهم الكروب . فهم يحبونه أعظم الحب ، ويذلون له أعظم الذل ، ويطيعونه ، ويقدرونه ، ويوقرونه ، ويذكرنه ويشكرون له ، ويعبدونه ويخلصون له دينهم ، ويجاهدون فى سبيله بأموالهم وأنفسهم .

والحب بهذا المعنى لا يكون إلا لله تعالى ، ولا ينبغى أن يكون لأحد غيره . والمؤمن يأنس بربه ، ويطمئن قلبه بذكره ، ويزداد إيمانا إذا أتليت عليه آياته وليس للمؤمن إلا محبوب واحد يعتقد أن بيده ملكوت كل شىء ، وأن ما ناله من خير كسبى فهو بتوفيقه وهدايته ، وما وصل إليه بغير حساب : فهو بعنايته وتسخيره ، وأنه إذا تعذر عليه مطلب وكله

إليه ، واعتمد فى الظفر به عليه . ذلك هو الرحيم الودود . لارب غيره ، ولا مأمول إلا خيره

وإذا كان الإحسان سببا من أسباب الود : فليس هناك إحسان أسمى من إحسان الله تعالى إلى عباده المؤمنين . لأنه أمدهم بما به يكونون سعداء فى الدنيا والآخرة سعادة غيرمقطوعة ولا ممنوعة ، ذلك بأنه هداهم إلى هذا الدين ، وعلمهم العقائد الصحيحة التى تسمو بها العقول وتخرج من ظلمات الشرك والوثنية إلى نور التوحيد والإخلاص . وأرشدهم إلى العبادات التى تهذب بها أنفسهم ، وتتطهر بها قلوبهم ، وهداهم إلى الأخلاق الكريمة التى بها يتم تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم وتآزرهم وتعاونهم . ليس بين المخلوقين من يستطيع أن يحسن إلى غيره مثل هذا الإحسان ، وإذا فليس من المخلوقين من يستحق أن يكون محبوبا كحب الله تعالى .

أما المشركون : فهم يعتقدون أن كل ما وصل إليهم من خير فهو بفضل شركائهم أو شيوخهم ، فيتخذونهم من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ، كما قال تعالى فى سورة البقرة : (٢ : ١٦٥ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله . ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العقاب)

ونحن نحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما نحب أنفسنا ، ولا يتم إيماننا إلا بذلك ولكن حبنا إياه ليس حب عبادة ، ولا حب من يعتقد أنه يتصرف فى الملك والملكوت ، أو يملك لأحد نفعا أو ضراً ، بل حب تعظيم وتوقير ، ونصر وتعزير ، لأن الله تعالى أجرى الخير الذى وصل إلينا على يديه ، وأنزل الكتاب الكريم عليه ،ولأنه عليه الصلاة والسلام حريص علينا رءوف رحيم بنا ، لم يترك شيئا يقربنا من الجنة ، ويبعدنا عن النار إلا أمرنا به ولم يترك شيئا يقربنا من النار ، ويبعدنا عن الجنة إلا نهانا عنه .

هذا وأكثر الناس يحبون الله لما أسبغ عليهم من النعم ، وما تغمدهم به من الفضل والرحمة

وفقنا الله لأن نفهم أسرار أسمائه الحسنى ، ونذكر آثارها فى الآفاق وفى أنفسنا . إنه رحيم ودود ؟

١٢

ما في موالاة المؤمنين للكافرين وطاعتهم من الخسران

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود شلتوت

قوله تعالى : (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون)
وقد ختمت سورة آل عمران بهذا النداء الجامع القوى ، الذى يدخل فيه كل ما سبقه من النداءات ، والذى يعد برأسه مع هذا الاختصار دستوراً للفلاح والنجاح لا يعادله دستور .

تضمن هذا النداء أربعة أوامر إلهية :

أولها قوله تعالى (اصبروا) والصبر : عدة فى الحياة ، فإن الحياة كدح وجهاد ، وأكثر ما فيها صعاب ومشاق ، فإذا لم يكن المرء مسلحاً فيها بسلاح الصبر ، اهتزت أعصابه وتحطمت ، وصار ضعيفاً عاجزاً عن مواصلة السير فيها ، وقد علمتنا الأحداث والأزمات التى مرت بالعالم أخيراً . أن الأمم التى اعتصمت بالصبر ، وقويت أعصابها على احتمال الصدمات دون أن تضطرب أو يفلت منها الزمام ، هى التي كسبت ، وهى التى نجحت ، وكذلك الشأن فى الأفراد ، وهذا هو السر فى أن القرآن الكريم عُنى بالصبر ، وأكثر من حث المؤمنين عليه ، وسلك كل سبيل للترغيب فيه ، وأمر ذلك معروف مشهور .

ثانيها : قوله تعالى (وصابروا) والمصابرة : هى المغالبة فى الصبر ، فهو لا يطلب منهم أن يصبروا فى أنفسهم فقط ، ولكن أن يغالبوا أعداءهم فى الصبر ، فالصبر يكون فى كل ما يصيب المرء من أزمات تقع عليه خاصة ، والمصابرة تكون فيما يصيب المرء ويصيب أعداءه من شدائد فى مثل الحرب والجهاد ، وقد جاء الأمر بالمصابرة فى قوله تعالى (إن يمسسكم قَرْحٌ فقد مَسَّ القوم قرح مثله) أى : فلا يغلبوكم بالصبر على قرحهم ، أكثر من صبركم على قرحكم ، وفى قوله تعالى (إن تكونوا تألَمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون) أى : فعندكم سبب للتفوق والغلب ليس عندهم ، مع استوائكم وإياهم فى تحمل الأذى والألم .

ثالثها : قوله تعالى (ورابطوا) والرباط : هو اللزوم والثبات ، وأصله من الربط : بمعنى

الشد ، وهو عزيمة يعزمها المؤمن بالشيء ، فيربط الله بها على قلبه ، فلا يتحول ولا يتزلزل .
وكل أمر حرص الإنسان على لزومه أو التزامه : فقد رابط عليه وارتبط به ، ومنه الرباط الذى يكون فى الثغور ، ورباط الخيل : أى ربطها للحرب والجهاد ، وتخصيصها بذلك ، والرباط الذى هو انتظار الصلاة بعد الصلاة ، وغير ذلك .
والله سبحانه وتعالى يوصى المؤمنين بأن يكونوا ذوى عزائم ثابتة فى كل شىء ، وأن يكونوا مرابطين فى كل ما يصلح نفوسهم وأحوالهم وشئون أمتهم ، حذرين من أن يتسرب إلى أية ناحية من هذه النواحى خلل أو فساد أو وهن ، كما يقف المرابط فى الثغر يحرسه من أن يدلف إليه عدو ، أو يتطلع إلى أسراره جاسوس .
رابعها : قوله تعالى (واتقوا الله) والتقوى : هى الوصية العامة التي يكثر القرآن من إيصاء المؤمنين بها ، وقد تقدم الكلام عليها فى أول هذه النداءات .
وقد ختمت هذه الأوامر الإلهية الأربعة بقوله تعالى (لعلكم تفلحون) إشارة إلى أن الفلاح مرجو لمن استجاب لها ، وقام بها ، وهو يشمل فلاح الدنيا وفلاح الآخرة .
ونحن إذا تذكرنا ما عرضت له هذه السورة من مواقف المؤمنين مع أهل الكتاب يهوديهم ونصرانيهم ، ومواقف الحرب بين المؤمنين والمشركين فى حالة النصر مع قلة العدد والعُدد ، بسبب الصبر وحسن الطاعة والاعتماد على الله ، وحالة الهزيمة مع الكثرة بسبب المخالفة والعصيان والشرك ، ومواقف المؤمنين مع المنافقين الذين كانوا يرجفون عليهم بأساليب التغرير والتخذيل والكيد ، ومن إرشادات الله فى كل هذه المواقف إلى ما يحفظ على الأمة كيانها ويثبت أقدامها ، ويحقق لها نصر الله الذى وعدها ، سواء فيما يقع بينهم وبين أعدائهم ، أو فيما يقع بين بعضهم وبعض - إذا تذكرنا هذا كله ، واستحضرناه أمام أعيننا ، واستحضرنا أن القيام به ليس بالشىء الهين اليسير : عرفنا كيف قضت الحكمة بأن تختم هذه السورة بالإرشاد إلى العلاج فيما حدث ، والوقاية مما عسى أن يحدث ، ولا يكون هذا العلاج إلا بالصبر والمصابرة ، ولا تكون هذه الوقاية إلا بالرباط والوقوف أمام منافذ الشر بما يدرؤه ويرده من حيث أتى ، والتقوى ملاك العلاج والوقاية كليهما ، وسبيل الحصول على الكمال المقدر للإنسان فى هذه الحياة باجتناب مايضر ، واجتلاب ما ينفع ، وذلك عين الفلاح الذى وعد الله به المؤمنين .

كنت فى «الرياض» العامرة

حرسها الله — ٣ —

لم أكن لأتصور أن أجد «الرياض» على ماوجدتها عليه من العمران والنظافة والجمال، وطيب الهواء، واستكمالها كل أسباب الحيـاة الرخية الطيبة. بل كنت أتصورها : قرية كبيرة فى قلب الصحراء، لا تزال موثقـة بقيود الماضى العتيق، يلفحها حر الصحراء، وتسفى عليها الرياح رمالها من كل جانب. لـكنى قد وجدت يد العلم والعمران حولتها إلى هذا البلد الهادىء، الجميل الطيب الهواء، ولا تزال تعمل بهمة لا تعرف الـكلال لتزداد جمالا وطيباً ورخاء، ولعلك تقول : إنها عاصمة المملكة ومقر جلالة الملك وسمو ولى العهد، وأصحاب السمو الأمراء ورجال الدولة، فهى لذلك تنال من العناية ما يجعلها كذلك. ولقد ظننتُ كما ظننتَ، فذهبت أطوف كل يوم ـ فى صحبة الشيخ الجليل محمد بن ابراهيم ـ بالقرى المحيطة بالرياض، من قرب ومن بعـد، فإذا بها تنال من العناية والعمران مثلما تنال الرياض، حتى كادت الصحراء أن تصبح كلها مروجاً خضراء، ورياضاً مونقة، بما بذلت الحـكومة السعودية من مجهود جبار فى استجلاب الماكينات لاستنباط المـاء من أعماق بعيـدة ورفعه لسقى هـذه الأراضى الشاسعة، وإمداد الناس بآلات الزراعة والبذور، حتى كانت هذه المروج الخضراء من أنواع الزروع والثمار، وقد جعل الله طبيعة التربة صالحة للزراعة، ولـكن قلة المياه كانت تتركها قحلة مجـدبة. فقـد كانت تعيش على الأمطار، وكانت تكون غزيرة فى كثير من السنين، ولـكنها كانت تذهب ضائعة فى وادى حنيفة وغيره، فلا تلبث أن تمتصها الأرض وتغيض فيها إلى أغوار بعيدة. وقل من كان عنده من الثراء مايقدر به على حفر آبار عميقة واستعمال السواقى التى تعمل فيها الحمير والجمال لرفع مقادير ضئيلة من المياه فى قِرَب صغيرةأو كبيرة إلى سطح الأرض، لا تـكاد تروى إلا شيئاً قليلا جداً لا يكاديذكر. أما الآن : فقد أوشكت نجد أن تـكون كلها رياضاً ومروجاً خضراء بهذه الآلات الميكانيكية الرافعة، التى تعمل الحكومة السعودية فى همة لاتعرف الـكلال، وفى سخاء لايعرف البخل على تعميمها. والأهالى مقبلون على الزراعة فى شغف ونشاط عجيبين، والفنانون الزراعيون الذين تستقدمهم الحـكومة

من أطراف البلاد جادون فى معاونة الأهالى على تعميم الزراعة فى جميع بلادنجد ، والمأمول : أن يتحقق ذلك إن شاء الله ، وتستطيع البلاد النجدية أن تموّن نفسها بالحبوب والثمار ، وتستغنى عن الاستيراد من الخارج بمعونة الله وتوفيقه ، وحسن نية جلالة الملك وحكومته الرشيدة .

لقد لمست فى الرياض نهضة عامية نشيطة أخذت خطوات التقدم تمشى بها سريعة موفقة . وجدت صاحب السماحة الشيخ محمد بن ابراهيم يجلس لإلقاء الدروس الدينية فى الفقه والحديث والتفسير من بعد صلاة الفجر إلى الضحوة الكبرى ، وقد التف حوله طلبة وفدوا من أطراف البلاد ، من اليمن إلى القصيم إلى البصرة . رحلوا إلى الرياض يطلبون العلم ، وينهلون من مورده على عالم نجد الأوحد وفقيهها الجليل : الشيخ محمد بن ابراهيم . وقد خصصت لهم الحكومة مساكن ورتبت لهم من الطعام والنقود ما يكفل لهم العيش ليتوفروا على طلب العلم . وفى ناحية أخرى يقوم فضيلة الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم ، أخو الشيخ محمد ، بإلقاء الدروس فى العلوم الآلية من النحو والصرف وغيرهما . وفى التوحيد والفقه لطلبة أصغر من طلبة الشيخ محمد بن ابراهيم وبجانب ذلك آخرون من طلبة العلم من آل الشيخ يعلمون ، ولكن فى دائرة أضيق من دائرة الشيخين محمد وعبد اللطيف . وبجانب ذلك أربع مدارس ابتدائية تنهج نهج المعارف المصرية ، ويقوم بالتدريس فيها مدرسون سعوديون ومدرسون مصريون . وقد أنشىء فى بعضها قسم ثانوى . وبجانب هذا مدرسة أصحاب السمو الأمراء التى يديرها الشيخ عبد الله خياط ، المتخرج فى المعهد السعودى بمكة ، ومدرسة أولاد سمو ولى العهد التى يديرها الشاب النجيب الشيخ عثمان الصالح . وكل ذلك سنتكلم عليه تفصيلا إن شاء الله .

يتوّج هذا كله ماقام به حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى العهد المعظم ــ مد الله فى حياته المباركة ــ فلقد أنشأ فى الرياض معهداً علمياً ضخم البناء ، فسيح الأرجاء ، وجعل شيخاً له سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم ــ وفقه الله ــ ومديراً له فضيلة الشيخ عبد اللطيف ابن ابراهيم ــ بارك الله فيه ــ ومعاوناً للمدير : الشاب الأديب النشيط الشيخ حمد الجاسر . وسيكون التدريس فيه على منهج المعاهد الدينية المصرية . وقد انتدب له مدرسون من خيرة علماء الأزهر . وقد قسم إلى ثلاثة أقسام : ابتدائى ، وثانوى ، وعالى ، وجعل للطلبة مرتبات شهرية ، بلغ أقصاها للطالب العالى ٢٣٠ ريالا ، أى مايوازى ٢٥ جنيهاً مصرياً فى الشهر .

وستفتتح الدراسة فيه من أول السنة الهجرية القابلة إن شاء الله . وقد بعث سمو ولى العهد المعظم ، الشيخ حمد الجاسر مساعد المدير إلى مصر ليشترى الكتب اللازمة للمعهد . والمنتظر أن يكون لهذا المعهد مستقبل سعيد فى نشر العلوم وازدهار النهضة العلمية ، وتخريج علماء ينافسون علماء الأزهر فى مضمار الحياة الإسلامية ، ويرفعون مشعل الهداية ، فيعم الجزيرة نور العلم ، ويتجاوزها إلى البلاد المجاورة لها إن شاء الله . مادامت القلوب مخلصة ، والأيادى عاملة ، والجهود موفقة ، والغاية : مرضاة الله ، وإنقاذ الناس من ظلمات الجهالة إلى نور العلم . ومن عماية الضلالة إلى إشراق الهداية والإيمان وصالح الأعمال .

وقد أنشأ صاحب السمو الملكى ولى العهد المعظم ـ أقر الله به عين جلالة والده وعيون المسلمين ـ مكتبة عامة ، أقام لها داراً فخمة على طراز حديث ، ذات غرف واسعة . وجمع لها من نفائس الكتب الخطية والمطبوعة الكثير الطيب ، وجعلها تحت إدارة العالم المفضال الشيخ عبد اللطيف بن ابراهيم . وأعد فيها قاعة فسيحة للمطالعة مؤثثة بالأرائك المريحة ، ومجهزة بكل مايوفر المطالع على الانتفاع والاستفادة .

ولهذه المناسبة : أذكر أنى كنت يوماً أزور حضرة صاحب المعالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف ، فجرى الحديث عن المملكة العربية السعودية ، فذكرت لمعاليه أن حضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ـ حرسه الله ـ قد أنشأ مكتبة عامة فى الرياض لنشر الثقافة وتنوير الشعب . وتيسير سبيل العلم لكل راغب . ففرح معاليه بذلك وسرّ له كثيراً ، وأصدر أمره فى الحال إلى دار الكتب المصرية بأن تقدم للمكتبة العلمية بالرياض مجموعة من مطبوعاتها وإلى مخازن وزارة المعارف : أن تقدم كذلك مجموعة مختارة من مخزونها .

هذه صورة مصغرة لهذه النهضة العلمية والعمرانية ، التى يقوم بها جلالة الملك عبدالعزيز ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ـ متع الله بطول حياته ، وأبقاه لعز الإسلام وخير العرب ـ ويعاونه عليها شبله الكريم سمو ولى عهده المعظم ، الأمير الجليل سعود ـ أدام الله توفيقه ـ ورجال حكومتهم ، وهو بلا شك دليل على مجهود عظيم يبذل لترقية الجزيرة العربية ، ودفعها إلى سبيل الحياة الطيبة . والله وحده هو المسئول أن يديم توفيقهم وتسديدهم ، ويجزيهم على ذلك ماهو له أهل من التأييد والنصر ، وحسن المثوبة فى الدنيا والآخرة .

« يتبع »

محمد حامد الفقى

17

الكوكا، والكولا، والبيبسين

الأستاذ سيد هريدى

مقدمة

كنت أول مصرى اشتبه فى المواد المصنوعة منها أشربة « الكوكا كولا والبيبسى كولا والزمبا كولا » منذ بدء ظهور هذا الثالوث الغازوزى فى السوق المصرية من نحو أربع سنوات لأننى كنت ألمُّ بعض الإلمام بماهية «الكوكا والكولا» من الأدوية التى كنت أستعملها منذ ثلاثين عاما . ولأننى قرأت كما قرأ غيرى فى إعلانات شركة « البيبسى كولا » أن بها عصارة معدية للمساعدة على الهضم . فحملنى الاشتباه فى أمر هذه المواد الثلاث (الكوكا والكولا والبيبسين) أن أتعقبها درسا وفحصا ، فأخذت أنقب عنها فى مختلف الكتب والمجلات العلمية والمراجع الطبية المختصة ،وجعلت أقلب صفحات المعاجم الأجنبية من انجليزية وفرنسية وألمانية والموسوعات (دوائر المعارف) العلمية العالمية ، حتى هدانى البحث والاطلاع إلى محصول لا بأس به من الحقائق العلمية الثابتة ما حقق اشتباهى ، وقد مضت على تلك الحال بضع سنوات وأنا قلق البال لحبس هذه المعلومات فى صدرى ، حتى إذا ضقت بها ذرعا وشعرت بمسئولية الكتمان عددت أول بيان لى للنشر فى يولية سنة ١٩٥١ أرسلت صورة من البيان إلى مجلة «الهدى النبوى» منذ نيف وسنة مع زميل من أعضاء مجلس إدارة جماعة أنصار السنة المحمدية . ومن دواعى الأسف : أن البيان أودع فى ملف (دوسيه) المقالات ، وراح دشتا بين الأوراق ، وهكذا كان البيان سىء الحظ كما كانت شركات الغازوزة حسنة الحظ ، حيث قدر لها أن يطول عمرها سنة أو أكثر . وقد عثر فضيلة رئيس التحرير من قبيل المصادفة على البيان فى شهر رجب الحالى ، ومهد له فى عدد شعبان سنة ١٣٧٠ (مايو سنة ١٩٥١) بكلمة تحت عنوان « احذر ، ثم احذر ثم احذر وحذر من تعرف أو تحب أن تشرب الكوكا كولا والبيبسى كولا والزمبا كولا الخ » .

وقد كان لهذا التحذير الذى استهل به فضيلة الرئيس اعلان الحرب على تلك المشروبات

أثر فعال فى محيط جماعة أنصار السنة وفى الأوساط الفرعية للجمعية ما أسرع ما انتقل إلى بقية الجمعيات الإسلامية فى القاهرة . فكان التحذير بمثابة أول صفارة الانذار أطلقتها « الهدى النبوى » تنبيها عن هذه الأخطار التى تهدد الشعب المصرى من جميع النواحى الصحية والقومية والاجتماعية والدينية .

ثم أعقب التحذير نشر بيانى المشهور فى أول شوال سنة ١٣٧٠ (يولية سنة ١٩٥١) فكان القنبلة الأولى التى هزت شركات الغازوزة هزاً عنيفاً وزلزلت أقدامها وصدعت بنيانها وقد نشطت اليقظة والوعى القومى والدينى ، وألهب سوط المقاطعة ظهور الشركات . ودوى فى الأفق انفجارات السخط وفرقعات التبرم مما كاد يأتى على بنيان هذه الشركات من القواعد ولاتزال الحرب حامية الوطيس لن تخبو نارها ولن تضع أوزارها إن شاء الله حتى نسجل الهزيمة النهائية ويعود الشعب إلى مشروباته المصرية من منتجات ، أرض مصر وأيدى المصريين .

وهانحن أولاء نستأنف الكفاح ضد هذه الأشربة الدخيلة المغشوشة المركبة من « الكوكا ، والكولا ، والبيبسين » ونبين أطوارها وتطوراتها من النواحى التاريخية والاقتصادية والاجتماعية ، والطبية والصحية ، والدينية والوطنية والعلمية .

المشروبات الامريكية الخفيفة

تاريخها وكيف ، وأين نشأت ؟ ولماذا سميت بذلك ؟

استعمل هنود ـ أوزنوج ـ أمريكا الجنوبية أوراق شجرة الكوكا ، كمخدر قبل اكتشاف الأسبانيين لها بعدة قرون ، وقد شاع استعمالها إلى وقتنا هذا بين أهالى بيرو والبرازيل وشيلى و بوليفيا بأمريكا الجنوبية ، ويستهلك سكان تلك البلدان معظم محصول أشجار « الكوكا » من الأوراق والأزهار البالغ نحو خمسين مليون رطل فى السنة ، وقد أصبحت الكوكا من المكيفات المخدرة الرخيصة عند هنود أمريكا الجنوبية ، لا يستغنون عنها كما أن الصينيين لا يستغنون عن الأفيون ، وكالهنود لا يستغنون عن تدخين الحشيش ، وكزنوج أواسط أفريقيا وقبائل السودان لا يستغنون عن شرب المريسة والبوظة ، وكعوام المصريين لا يستغنون عن تدخين «المعسل » ويستعمل هنود أمريكا الجنوبية ورق الكولا

مضغا ، فيحدث عندهم ترويحا وتفريحا وانتعاشا وخدرا خفيفا ، أشبه بنشوة الخمر ، لا يحسُّون معه بجوع ولا تعب ولا نصب ولا لغوب ، وذلك بسبب إضعاف المخدر الذى فى الكوكا لأعصاب المعدة وتخديرها .

أما «جوزة الكولا» فأشجارها منتشرة بكثرة فى المناطق الاستوائية خصوصا فى بلاد الكونغو وغرب أفريقيا ، حيث يمضغ السكان الزنوج الكولا ، كما يمضغ هنود أمريكا الجنوبية الكوكا لتساعدهم على مقاومة الجوع والتعب ، كما تقيهم من الإسهال الحاد والدوسنطاريا والحميات .

وقد أجريت التجارب والتحاليل الكيمائية على الكوكا والكولا ، فوجد الطب فيهما خواص مفيدة ومزايا عديدة فى علاج بعض الأمراض ، فأقرها علم الأقربازين والفرماكوبيا فى التراكيب المقوية التى توصف علاجا للمرضى فى حالات الضعف وفقر الدم ودور النقاهة وارتخاء الأعصاب ، مثل شراب « فان دى زيل » وشراب « بيوتونيك » وشراب « تستوفوس » وغيرها .

ولرخص « الكوكا » ووفرتها وكثرة استعمالها عند الملايين من هنود أمريكا الجنوبية ولرخص «الكولا» ووفرة وجودها وكثرة استعمالها عند زنوج أفريقيا ، وبالنظر لأن الطب قد استعمل الكوكا والكولا فى صناعة العقاقير المقوية Tonics لذلك فكر رجل أمريكى يدعى «بمبرتون Pumberton » فى تحضير شراب من الكوكا والكولا سماه « كوكا كولا» فاسم « كوكا كولا » اسم على مسمى حقيق . وهو الشراب المركب من الأصلين المهمين : « كوكا » و « كولا » .

وقد أنشأ بمبرتون هذا مصطنع الشراب معملا لصناعة « الكوكا كولا » فى سنة ١٨٨٤ فى ولاية جورجيا الجنوبية ، إحدى الولايات الأمريكية التى يسكنها الزنوج (الأمريكان السود) حيث يمكن أن يلاقى الشراب رواجا وموافقة لأمزجة هنود أمريكا وزنوجها الذين ألفوا مضغ الكوكا وامتزجت بحبها طبائعهم ، ولا يزال المركز الرئيسى لشركة «الكوكا كولا» فى مكانه الأول حتى الآن ثم شاع استعمال الكوكا كولا على نطاق واسع خصوصا فى الأوساط

الهندية الأمريكية و بين الأمريكان السود من سكان الولايات الغربية الأمريكية وتشعبت فروع الشركة فى كل مكان . وأنشأت لها مركزاً رئيسياً فى مدينة بلطيمور شرقى الولايات المتحدة وقد أثرى منها نحو ألف مليونير أمريكى ، وفى سنة ١٩٢٠ بيعت شركة «الكوكا كولا» إلى أمريكى آخر يدعى أرنست وودرف Ernest Woodruff بخمسة وعشرون مليون دولار ، وقد مات المستر أرنست وودرف وهو أغنى رجل فى جنوب الولايات المتحدة تاركا وراءه ثروة قدرت بمائتى مليون دولار اقتناها من أرباح الكوكا كولا .

ولما أجريت التجارب والأبحاث التحليلية الكيمائية على مادة الببسين Pepsin واكتشف الطب أن مادة الببسين الهاضمة أغزر وأقوى فى معدة الخنزير منها فى أى حيوان آخر . ولما كانت قطعان الخنازير تعدّ بعشرات الملايين فى الولايات المتحدة حيث يسود ذبح الخنزير وأكله ــ لذا كان من الميسور للطب الحصول على البيبسين الخنزيرى واستعماله فى تركيب الأدوية المقوية للهضم والمصلحة لأعصاب المعدة وأغشيتها المخاطية ، وقد ابتكر العلامة «ثورب» الببسين المبلور الذى تستعمله معامل الأدوية فى تحضير المستحضرات أو العقاقير المقوية والهاضمة ؟

وقد صنعت معامل كثيرة أمريكية وغيرها أقراصاً من الببسين معروضة فى السوق من ذلك أن شركة ستندرد للعقاقير الطبية الأمريكية بنيويورك Standard Pharmaceutical Co. صنعت أقراصا Tablest مركبة من الكولا والببسين ، سمتها كولا بيس Kola Peps وهى متداولة فى الصيدليات (ونحن نحتفظ بزجاجة منها) وهى أقراص قيل عنها : إنها منشطة للقوى البدنية والعقلية ؟

ثم جاء رجل أمريكى وفكر فى اصطناع مشروب من الكولا والببسين على غرار أقراص كولا بيسى فصنع شراب « الببسى كولا» منتحلا اسم الدواء Kola-Peps مع تحريف بسيط فى قلب الاسم من كولا بيسى إلى بيسى كولا .

فليس من شك فى أن اسم الببسى كولا اسم يطلق على مسمى حقيقى وهو اسم المواد المصنوعة منها الببسى كولا (أى الكولا والببسين) .

ومن أعجب العجب أن شركة ستاندرد للعقاقير الطبية تبين على زجاجة الدواء العناصر المركب منها الدواء من الكولا والبيسين ومقاديرها فى حين أن شركة « البيسى كولا » تمارى وتخادع وتنكر البيسين والكولا بتاتا ، وتفرّ هربا من الحقائق ، أملا فى تبرئة نفسها لأنها شعرت بيقظة الوعى القومى نحو جريمتها وتجنيها على تجريع الشعب المصرى ـ لا سيما المسلمين ـ شرابا مؤذيا ونجساً ضاراً بالصحة والدين ، على أن الواقع يكذب تلك الشركة الأمريكية المتسترة خلف المصريين مهما ضلّلت وموّهت ، ومهما غالطت فى البديهيات وشوهّت الحقائق بزيوف الدعايات التى لا رواج لها اليوم ، مهما زخرفت بأسماء وزركشت بمظاهر خادعة . فإن هى إلا شنشنة المخزوم ، وشقشقة المهزوم . إن ستار الدخان (كاموفلاج) لا يحجب نور الشمس ، كما وأن تبديد الضباب بالمروحة من المحال فالاسم « بيسى كولا » يعنى بيسين وكولا ، لا يختلف فى ذلك اثنان . ولا ينازع فيه إلا أُلعُبان . أو منافق عليم اللسان . وإن كانت قد نسيت ما كانت بالأمس تروج به لشراب « البيبسى كولا » من أن به خميرة مساعدة على الهضم . فالناس لا ينسون ذلك .

المشروبات الأمريكية فى الأسواق الخارجية

أثار دخول « الكوكا كولا » فى فرنسا عاصفة هوجاء من اعتراضات الرأى العام الفرنسى وهبَّ فى وجهها أعضاء مجلس النواب الفرنسى ، وخشيت الحكومة الفرنسية على سلعها المحلية المماثلة مثل شراب البرجندى Burgundy من المنافسة . فأصدرت أمرها إلى الشعب الفرنسى بالامتناع عن استعمالها . وبذا سدت الأبواب فى وجهها . فلم تلق هناك إلا كساداً . وكذلك تلاقى شقيقتها « البيبسى كولا » كسادا وبوارا .

أما فى انجلترا فقد صرح المستر جيمس فارلى مدير تصديرات الكوكا كولا حينما كان فى لندن قائلا : « إن الكوكا كولا فى انجلترا محدودة الانتشار مقيدة بقيود شديدة ، إذ لم تسمح لنا الحكومة الإنجليزية من السكر إلا بما يعادل تغذية قرية من قرى انجلترا »

المشروبات الأمريكية فى الأسواق المصرية

أما فى مصر فبينما الشعب محروم من أخذ كفايته من السكر الذى هو غذاء رئيسى ، ولا ينال منه قسطه القليل إلا بشق النفس ، فان احتاج ما يكمل به ضرورته أخذه بأسعار السوق

السوداء المرهقة إذا بالسكر ميسور لهذه الشركات يصرف لها بآلاف الأطنان كل شهر الحكومة من كل خصم يقع على باقى الشركات الغازية . فقد بلغ مايصرف من السكر لشركة «البيبسى كولا» فى القاهرة وحدها ستمائة وأربعون طنا أى ستة آلاف وأربعمائة جوالا وناهيك بالكوكاكولا وفروع البيبسى كولا فى المدن المصرية .

ولقد أفزعنى — كما ينبغى أن يفزع كل مصرى غيور على مقومات وطنه — أن هذه المشروبات الأمريكية مولدا ، اليهودية أمّا وأبا ، الاستعمارية لحما ودماً ، المتمصرة انتحالا ، والمتجنسة بالمصرية افتعالا : أن تبلغ رقما قياسيا فى الرواج ومنافسة المنتجات الأهلية الوطنية ، حتى قتلتها قتلاً ، ورمتها بالبوار والكساد ، وشلت الأيدى العاطلة التى كانت تعمل بها من أبناء البلاد ، وجذبتها إلى ترويج وتنمية هذه الثروات اليهودية والأجنبية ، وتمكين براثن ومخالب هؤلاء الذئاب الاستعماريين ، فيكون آلاف المصريين هم أداة قتل بلدهم ، وتمكين العدو من أعناقهم . وقد لفت نظرى ذلك الغزو الخاطف والدعايات الأمريكية الساحرة الجبارة التى مكنت للاستغلال التجارى الاستعمارى من مقاتل البلاد ، وراعنى انتشار هذا الوباء الأمريكى المجتاح الذى أخلّ بميزان الأفراد والأسر الاقتصادى فضغط القلوب والجيوب ، وسلب دراهم العمال الفقراء الذين يعيشون عيشة الكفاف من اليد إلى الفم ، حتى صارت هذه المشروبات الأجنبية إدماناً و إفراطاً خارقا للعادة ، وتعلق الناس بها تعلق الكيوف ، بل أكثر من تعلقهم بأى غذاء آخر ، حتى أصبحوا أسرى العادة لايجدون منها مخلصا ولا فكاكا ، كمدمن الأفيون لايستطيع الاقلاع عنه ، وقد حكى لى صديق أنه لايعاوده النوم إلا إذا تناول زجاجة من « الكوكا كولا » أو « البيبسى كولا » وحكى لى آخر من التجار أنه لايقضى ليلة مريحة إلا إذا تجرّع نحو الثمانى زجاجات من «البيبسى كولا» فى سهره قبل النوم !

قد هالنى اقتحام هذه المشروبات أعماق الريف المصرى وتوغلها فى أحشائه وتغلغلها فى فجاجه من الكفور والنجوع والعزب ، حتى إنك لترى ثلاجات الكوكا كولا الحمراء وقد انتشرت انتشار الحمى القرمزية فى كل مكان ، وكذا ثلاجات البيبسى الزرقاء وقد بعثرت شذر مذر بين الفلاحين ، فاحتلت كل ساقية وشادوف وتربعت على جنبات كل مصرف وقناة وترعة ، وأطلت بأعناقها فى كل طريق زراعية ، وجثمت على صدر كل جرن وحقل .

(يتبع)

شيخ الأزهر يقول :

الأزهر لازم لمصر كالنيـــــل

قال مندوب « الأهرام » فى العدد الصادر يوم الخميس ٢٧ ذى القعدة :

عاد أمس إلى القاهرة فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الجامع الأزهر قادما من مصيفه فى بور فؤاد . وقد زرت فضيلته لهذه المناسبة مهنئاً بسلامة العودة و بما يبدو عليه من مظاهر الصحة والنشاط ، فقال فضيلته :

« أحمد الله تعالى وأشكره على جزيل نعمته ، وأرجو أن يكون شكرى له تعالى بالعمل الصالح . فإن لكل نعمة حقها من الشكر ، وأفضل الشكر ما كان عملا صالحاً خالصاً لوجهه الكريم » .

مكانة الأزهر فى العالم

وقلت لفضيلته : « إنه لعمل صالح حقاً ماتبذلونه فى خدمة العلم والدين فى الأزهر الذى يرمقه العالم كله بعين التقدير والإكبار » .

فقال فضيلته : « نعم ، إن للأزهر فى العالم كله ، شرقيه وغربيه ، هذا المقام الذى ذكرت ، و إنه لتأتى إلى مشيخة الأزهر كتب ورسائل ودعوات ونشرات تدل على مكانته فى القلوب ، وانعقاد الآمال عليه فى كثير من النواحى العلمية والفكرية والاجتماعية .

الأزهر لمصر كالنيل

ومضى فقال : « إنى ليحزننى مايدل عليه العنت الذى يلقاه الأزهر من أن مصر التى احتضنته ألف عام أو تزيد ، وكانت بفضله مثابة العلم والدرس والحرية الفكرية يوم كان العالم يتيه فى ظلمات بعضها فوق بعض ، بدأت تظن أنها فى غير حاجة كبيرة إليه ، ولم تعد تتحمس لتحقيق رغباته فيما يختص بإصلاح شأنه وتحقيق مهمته ، فى حين أنها تعنى كل العناية بتحقيق رغبات المعاهد والطوائف الأخرى ، على أنى أعيذ أمتنا المصرية الكريمة أن تكون قد رمت إلى ذلك ، فإن الأزهر لازم لمصر لزوم نهر النيل لها ، وما كان الماء الذى يروى

الظمأ ويخصب الأرض بأغلى على الأمة ولا أجدى من منبع العلم الدينى والثقافة الإسلامية الراشدة ، فإن الأمم لاتسعد بالمادة فحسب وإنما تسعد قبل ذلك بالعلم والرشد والاستقامة على سنن الصلاح ، ولن يكون ذلك إلا بالدين وفى ظل شرائعه وأحكامه القويمة ، وإذا كان هذا مما يرفع شأن الأمة فما أجدرها أن تعنى بالجامعة التى تحقق لها هذه الأهداف .

« إن فى العالم جامعات كثيرة ، ولكنه ليس فيه جامعة تماثل الأزهر وتعمل لمثل مايعمل له ، فكل إهمال له إنما هو فى الحقيقة إهمال لمصلحة الأمة وتعويق للخير والإصلاح »

رئيس الوزراء والأزهر

ثم قال فضيلته : « لقد عرفت صاحب المقام الرفيع رئيس الحكومة منذ زمن طويل ، فعرفت فيه رجلا ذا عاطفة دينية كريمة ، وحرص على إحقاق العدل ولكن يظهر أن أعمال رفعته الكثيرة حالت بينه وبين دراسة شئون الأزهر بنفسه ، فتركها لغيره . وكان فيهم من استغل ثقة رفعته به ، فانساق وراء مطامعه وأهوائه الشخصية ، وحكمها فى المصالح المتيقنة . والواقع أن بطانة كل رئيس لا تخلو من أمثال هؤلاء . وإنى لأعتقد أنه سوف لا يمر وقت طويل حتى يعرف صاحب المقام الرفيع عن بطانة السوء ماعرفنا ، ويومئذ يؤمن بأن الأزهر مظلوم مضطهد ، وأن أموره ــ لسوء الحظ ــ صورت لرفعته تصويراً سيئاً ، وهذا ما كنت أخشاه يوم حذرت رفعته أصحاب الأهواء » .

عدالة مطالب الأزهر

وهنا قلت لفضيلته هل لى أن أفهم أن مشكلة الأزهر ليست مالية ، مرجعها إلى الميزانية وأعبائها .

فقال : « إن الأزهر لا يطالب بما يعجز الميزانية أو يرهقها ، وإنما يطالب بأدنى العدل وهو التسوية بين المتماثلين ، إن التفرقة بين المتماثلين تثير فى نفوس العاملين الألم ، وتميت فيهم العزائم والهمم ، وإن الميزانية لم تضق بأساتذة الجامعات العامة ، ولا الجامعات المنشأة التى لم تعمل بعد . ولم تضق بالدرجات تنشأ فى كل وزارة وفى كل مصلحة ، ولم تضق بنفقات البذخ والإسراف فيما ليس من حاجة الأمة الملحة . فما بالها تضيق حين يطالب الأزهر بحقه

الأساسى ، و بتمكينه من أداء واجبه فى خدمة الدين واللغة وكتاب الله الكريم ، وتلبية نداء العالم الذى يتوجه فى كل يوم إليه ، وتحقيق الرغبات السامية التى يرجوها جلالة الملك المعظم على يديه؟! » .

كبار العلماء لا يصلحون للتدريس .

ثم قال : « إننى أضرب لك مثلا يعرفه المتصلون بالأزهر ، وسترى فيه دليلا واضحاً على أن أمور الأزهر لا تسير فى سبيل ميسرة ، ولا تعالج بالعناية التى تستحقها .

« تقدم الأزهر طالبا تعديل قانون بمد الأجل الذى قرنته إحدى مواده إلى عشر سنين بعد أن انتهى هذا الأجل ، ليتسنى إعطاء العلماء غير الحاصلين على درجة الأستاذية حقوقهم التى هم أهل لها بمقتضى كفايتهم ، سواء فى جماعة كبار العلماء ، وفى هيئة التدريس فى الكليات ، أتدرى ماذا فعل بهذا المشروع ؟ لقد بذلت جهود لعرقلته ، ثم قبل التعديل بالنسبة لنيل عضوية الجماعة ، ولم يقبل بالنسبة للتدريس فى الكليات ، أى إنه بمقتضى ذلك يكون العالم أهلا لعضوية جماعة كبار العلماء ـ وهى أكبر منصب علمى فى الأزهر ـ ولا يكون هو نفسه صالحاً للتدريس فى كلية من الكليات ، إى وربى لقد أوشك التعديل أن يكون على هذا النحو العجيب ، وشاع فى الناس : أن لذلك بواعث شخصية معروفة ـ ولكنى لما بينت للمختصين ما فى هذا التعديل تداركوا الأمر وبقى المشروع الأصلى لم يبت فيه إلى الآن : وأرجو أن لا يكون قد أصابه حظه المقسوم من الإهمال .

قانون مرحلة التعليم الابتدائى

« ومثل آخر : هو قانون مرحلة التعليم الابتدائى : فهو يحرم الأزهر من موارده التى تمده بالطلبة الجدد ، كما يحرم مصر من المزية التى انفردت بها ، وهى مزية تحفيظ القرآن الكريم كله ـ والموضوع معروف قد فصلته الأهرام منذ أيام ـ أفليس من حق الأزهر : أن يتألم و يغضب لأن أموره تواجَه بهذا الإهمال ، أو على الأقل بهذا الفتور ! » .

يرفع الأمر إلى السدة الملكية

ثم ختم فضيلته حديثه قائلا : لقد صبرت وصابرت وطالبت الأزهريين بالصبر والمصابرة

وأعلنت أنهم مظلومون مغبونون ، وسمعت وعوداً حاسمة من مسؤولين ، وحددت لى فرص وأوقات على أنها آخر مايحدد لإجابة المطالب بعد أن اعترفوا بأنها حق وعدل . ولكن شيئاً من ذلك لم يتحقق ، اعتذاراً بضيق الميزانية مع أنها قد وسعت ماطلبه غيرنا . فلامناص لى بعد هذا من رفع الأمر إلى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم حفظه . الله فهو حامى الدين والأزهر ، وقد حملت هذه الأمانة من لدن جلالته ، فعلى أن أصونها فإما استطعت حملها ، و إما أديتها إلى صاحبها .

(إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها و إذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، إن الله نعما يعظكم به ، إن الله كان سميعا بصيراً) .

«الهدى النبوى» و إن للشيخ الأكبر ــ حفظه الله ، وأيده بنصره ــ أحاديث قبل هذا وكلها تفيض صراحة بما تنطوى عليه نفسه الكريمة وقلبه المؤمن من إخلاص فى حب الخير والصلاح والرشد للأمة الإسلامية . ولقد عرفت الشيخ الأكبر من زمن طويل ، وما جلست إليه مرة من آلاف المرات : إلا و يبث الشكوى المريرة مما وصلت إليه حالة الأمم الاسلامية ــ و بالأخص الأمة المصرية ــ من التفكك والانحلال فى العقيدة والأخلاق ، وسبب ذلك الجهالة بعقائد الاسلام وشرائعه وأحكامه و يسأل الله فى ضراعة و إخلاص أن ينقذ المسلمين مما هم فيه من هذه الجاهلية ، ويتمنى على الله أن يطيل عمره حتى يوجد المصلح الإسلامى المخلص البصير ، فيكون أحد أعوانه فى السير بالأمة إلى طريق النجاة .

وها هو ذا قد امتحنه الله بأن ألقى إليه مقاليد الأزهر ، الذى يعتبر فى الأمة كالقلب فى الجسد إن صلح صلحت ، و إن فسد فسدت ، فما كاد يشمر عن ساعد الجد للعمل على تحقيق ما كان يتمناه و يرجوه حتى قامت العقبات من الداخل والخارج فى سبيله ، وعوقته هذه الأشهر الطويلة على أن يخطو الخطوات التى كان قد رسمها ، وتهيأ لأن يسعى إليها جاهداً ولعلى لا أكون مخطئاً إذا قررت فى صراحة : أن العقبات من الداخل : كانت أشد تعويقا ، بل لعلى لا أكون مبالغاً : إذا قلت : إن بسببها أقيمت العقبات من الخارج . ذلك لو أن رجال الأزهر جميعاً كانوا مؤمنين حقاً بما حملهم الله من أمانة ، وما أخذ عليهم من ميثاق

الـكتاب : لتضافروا مع الشيخ الأكبر ، الذى لايشك واحد منهم فى أنه أتقاهم لله ، وأعرفهم بما يرضى الله ، وأصدقهم إخلاصاً والعمل للاسلام الصحيح ؛ وأنه البقية الباقية من رجال الأزهر الغيورين المخلصين ، لو أمن رجال الأزهر بما عليهم من التبعات للأمة وما عليهم من الحساب والسؤال العسير عن الدين الذى يعيشون باسمه ويتربعون فى الصدارة فى الناس باسمه : لتضافروا مع الشيخ عبد المجيد سليم ، مخلصين صادقين ، وكانوا له أعوانا على على السير بالأزهر فى الطريق التى رسمها فى بياناته الأولى . إذن لذلل الله أمامهم الصعاب وسهل لهم الطريق ، وعرفت الأمة حاجتها إليهم ؛ فكانت من ورائهم تشد أزرهم ، وتمدهم بجميع طبقاتها بكل مايصل بهم إلى الغاية التى ينشدها الجميع من الحياة الطيبة . والاستقامة على سنن الهدى والرشاد . وإن شذ بعد ذلك من شذ : فلن يجد إلا إعراضاً ومقتاً من الأمة يرده إلى الصواب . أو يقلم أظفاره . فهل للأزهريين أن يبصروا ما يحفر حولهم من حفر يستعملهم عدوهم فى حفرها بأيديهم ؛ يوهمهم أنها لإيقاع فلان أو فلان . ويخدعهم أن لهم عليها عنده الأجر المشكور والجزاء الموفور ؛ وما هى فى الواقع إلا حفر لمعهدهم كى يعجلوا عليه وتسرع إليهم الراحة منه . لعل الأزهريين يتبصرون فيرون الحبال التى ربطوا بها تجرهم بعيدا عن القيادة . وتعمل الأيدى الظاهرة والخفية أن تجرهم فى رفق . بل اليوم فى عنف ـ إلى وراء الوراء . لأنهم لايزالون يؤلمونهم ويغيظونهم بصورة الإسلام . وشيخ الإسلام الذى لم يبق فى الناس صورته وشبحه . وقد ماتت فيهم حقيقته من زمان طويل . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

باب التراجم

السيد عبد الرحمن الكواكبى

- ٢ -

وظهر فضله ، ووضحت كفايته و بدأ نضج عقله ، وسلامة تفكيره ، وغزارة علمه وسعة اطلاعه ، ومقدرته الكتابية . وقوة أسلوبه ، وشدة تأثيره وامتلاكه لأعنة النفوس وأزمة القلوب - من خلال المقالات التى دبجتها براعته فى « الشهباء » .

وكان من وسائل الحاكمين فى الحكومات المستبدة لذلك العهد إذا خافوا شعر الشاعر أو قلم الكاتب ، وأشفقوا من تأثيره فى الجماهير ، وأرادوا أن يكمموا فم الشاعر أو يحطموا قلم الكاتب - أن يمنحوه منصباً من مناصب الدولة ، و يرزقوه رزقا حسنا ، وبخاصة إذا كان ينتمى إلى أسرة لها خطرها ونفوذها وتأثيرها فى الجماهير كأسرة الكواكبى ، ليشغله الحرص على دوام هذا الرزق عن مناوأة الحاكمين ، أو تنبيه الجماهير إلى مساوىء حكمهم ، أو توليته الشعب وجهة لا يرضونها .

وسرعان ما اختاروه ليشغل منصب كبير كتاب المحكمة الشرعية ، ثم طاروا به إلى منصب القضاء الشرعى حينا ، ومنصب رئيس البلدية حينا آخر .

ولكن العمل فى هذه المناصب الحكومية لم يكن يوائم طبيعته ، ولا يساير فطرته فقد فطر على حب الحرية والحق والعدل ، فرأى المنصب سجنا لجسمه ، وقيداً لرجله ، وغلا ليده ، ورأى الأجر الذى يتقاضاه ثمنا لحريته ، ورأى أنه فى هذه المناصب لا يستطيع أن يرضى الحق والعدل ، لأن إرضاء الحق والعدل فى الحكومات المستبدة يسخط الحاكمين ، وفى إرضاء الحاكمين إهدار للحق والعدل ، ورأى أن جو هذه المناصب موبوء بسموم الكيد والسعاية والوشايات والدسائس ، فآثر اعتزال هذه المناصب ، والإقبال على الأعمال الحرة التى تمنح صاحبها بقدر مايبذل فيها من جهد ، والتى يستمتع فيها الإنسان من الحرية

بقسط موفور ، وولى وجهه شطر التجارة التى فيها تسعة أعشار الرزق كما أخبر الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم .

وحتى التجارة لم يجد فيها رضا ضميره ، ولا طمأنينة نفسه لما يكتنفها من فساد ، ولما يقوم فى طريق النجاح فيها من عثرات ، فإن البلاد التى منيت بالحكم الاستبدادى ، وأصيبت بأدواء الرشوة ، وفساد الذمم وموت الضمائر لا ينجح فيها عامل كفء نزيه ، ولا يربح تاجر عف صدوق .

من أجل ذلك أزمع أن يقف قواه كلها ، ويوجه جهوده جميعاً نحو الإصلاح . إصلاح وسمه الفساد المستشري فى البلاد الإسلامية عامة ، وفى البلاد العثمانية خاصة .

ورأى أن أحق البلاد بالإصلاح بلده الذى استقبل فيه الحياة، وتفتح بصره على نوره ، على أصوات أهله ، وأنغام طيره .

رأى هذا البلد يئن تحت وطأة الظلم الفادح والاستبداد الصارخ ، إذ ليس لواليه هم إلا أن يجمع المال ويوعيه ، ويربى الثروة وينميها ، مهما تكن الزريعة التى يتزرع بها ، غير ناظر إلا إلى مصلحته الخاصة ، ولو أهلك في سبيل ذلك الحرث والنسل .

استطاع الكواكبى بحكمته ولباقته أن يفتح عيون الأهلين على سوء تصرف هذا الوالى ، وأن يجسم أمام أعينهم سيئاته ، ويضع أيديهم عليها ، وأن يثير فى أنفسهم النخوة والشهامة ، وينفخ فيهم روح العزة والكرامة ، وأن يحملهم على بسط شكواهم إلى الحكومة المراكزية فى الآستانة . وكانت حكومة الآستانة لذلك العهد ترضى عن الولاة مهما تكن تصرفاتهم، ما داموا يوافونها بالضرائب فى حينها ، وما دام الأهلون لا يكررون الشكوى منهم ، فإذا اجترأ الأهلون على أن يشكوا واليهم ، فأقل ما تدل عليه هذه الشكوى أنه فقد هيبته ، وخسر سطوته ، ولم يعد صالحا للحكم ، ولا قادراً على جباية الضرائب .

« يتبع »

أبو الوفاء محمد درويش

أخبار الجماعة

الفرع الجديد بالخرطوم

حضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد حامد الفقى

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية المحترم

نحييكم تحية إسلامية طيبة مباركة السلام عليكم ورحمة الله وعلى جميع الإخوان بمصر وبعد : فقد تم بعون الله وتوفيقه تكوين فرع للجماعة بمدينة الخرطوم بحرى مرتبطا بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان كما تم انتخاب لجنة قوية مخلصة إن شاء الله فى نشر السنة وقمع البدعة وإننا لنرجو التكرم بنشر أعضائها على صفحات الهدى النبوى فى العدد القادم وهاهى اللجنة فيما يلى :

الشيخ حامد سيد أحمد (رئيسا) والشيخ محمد أحمد عثمان (نائباً للرئيس) والشيخ محمد الفاضل التقلاوى (سكرتيراً ومدرسا للجماعة) والشيخ مصطفى خليل (مساعداً للسكرتير) والشيخ محمد الأمين حاج أحمد الأنصارى (أميناً للصندوق) والشيخ بشير نور الدايم (محصلا للمال) والأستاذ يس مصطفى مالك ، والشيخ عبد الكريم سعيد ، والشيخ محمد الأمين أبو علامة ، والشيخ عبد اللطيف محمد ، ومحمد افندى أحمد نور والشيخ الطاهر محيى الدين ، والشيخ يس عوض والشيخ إدريس عبد الماجد ، والشيخ إبراهيم الصادق (أعضاء) .

إن أنصار السنة بالسودان يعتبرون هذا الفرع فتحا مبينا ونصراً مؤزراً لأن هذه المدينة بالذات مدينة عريقة فى الطائفية ، ومقر القباب والأضرحة والمزارات التى تشد لها الرحال من عموم أنحاء القطر السودانى .

هذا مع فائق احترامنا وخالص تقديرنا لكم .

فرع الجماعة بالسيدة زينب

فى مساء يوم الأحد ١٦ ذو القعدة سنة ١٣٧٠ الموافق ١٩ أغسطس سنة ١٩٥١ افتتحت

جماعة أنصار السنة المحمدية فرع السيدة زينب دارها الجديد الكائن بشارع درب الجماميز وكان يوما مشهودا اجتمع فيه أكثر من خمسمائة من أهل الحى ، وفى تمام الساعة التاسعة مساء شرف الحفل فضيلة الأستاذ الشيخ محمد حامد الفقى فألقى كلمة ضافية عن أنصار السنة المحمدية ودعوتها للناس .

ثم حيا أهل السيدة وشكرهم على تلبيتهم الدعوة وحسن استماعهم ، وأعقبهم حضرات الأساتذة عدلى المرشدى ، ورشاد الشافعى ، ومحمد عبد الوهاب البنا ، وعبد اللطيف حسين . وقد استمر الحفل حتى الساعة الثانية عشرة مساءا .

جماعة أنصار السنة المحمدية بأريتريا

(١) اجتمع جماعة أنصار السنة المحمدية باغردات (اريتريا) فى اليوم الثامن من شعبان سنة ١٣٧٠ هجرية والموافق ١٤ مايو سنة ١٩٥١ م فى الساعة ٣٠ : ٧ مساء بدارهم التى استأجروها من أول شعبان وقدتم بعون الله وتوفيقه ولله الحمد والشكر انتخاب اللجنة كالآتى : الحاج محمد صالح (رئيساً) محمد الحسن افندى عبد القادر (نائبا عن الرئيس) حسين عقيل ناصر (سكرتير) سعيد بن سعيد الحجازى (أمينا للصندوق) محمد الحسن افندى عبد القادر (مساعداً لأمين الصندوق) والحاج حامد على والقدر افندى حسن وصالح أحمد الحجازى وعيسى محمد الحجازى والحاج ناصر صالح وغانم أحمد الحجازى وسعيد أحمد ابن صبار الحجازى وحامد أحمد الحجازى . أعضاء

(٢) (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) « قرآن كريم »

يوم ٣١ ــ ٧ سنة ١٩٥١ كان يوماً مشهوداً شهدت فيه جماعة أنصار السنة المحمدية فتنة عظيمة حيث احتشدت جمهرة من سكان البلد لايقل عددهم عن الأربعمائة شخص تقريبا . أمام دكان الأخ سعيد بن سعيد الحجازى أمين الصندوق للجماعة . منهم من يقول : اقتلوا اليهود ، ومنهم من يقول اقتلوا أعداء الرسول . ومنهم من يقول اقتلوا أعداء أولياء الله . والأسباب لذلك أن أحد السكان جاء للأخ سعيد بدكانه وسأله عن جواز التوسل بالأنبياء

والأولياء بأن يقول اللهم أسألك بحق أو بجاه نبيك أو أوليائك منهم فلان أن تقضى حاجتى فرد عليه الأخ سعيد : أن التوسل لا يكون إلا بالإيمان والعمل الصالح . أما هذه الكيفية التى ذكرتها فهى شرك . ثم إن السائل سأل بعض الجماعةمن الاخوان فكان ردهم موافقا لقول سعيد . فقدم السائل شكوى للقاضى الشرعى ضد سعيد بن سعيد الحجازى . فطلب القاضى سعيد وأخذ أقوال الشاكى والمشتكى ، ثم عرفهم على أن هذه القضية ستحال لمفتى الديار (الارتريا) وكان ذلك فى يوم ٣٠ـ٧ سنة ١٩٥١ وفى عصارى يوم ٣١ـ٧ سنة ١٩٥١ كما ذكرت حوالى الساعة ٣٠ : ٤ مساء ، احتشدت جموع العامة أمام الجامع وفيها توجهوا للقاضى طالبين منه الفصل فى القضية فى الحال أو إصدار أمر بسجن سعيد بن سعيد الحجازى وأتباعه جماعة أنصار السنة و إلا سينتقموا بأيديهم . وفى الأخير تحولت الجموع إلى دكان سعيد ، وقبل أن يحصل شىء حضر رجال الأمن وانفض الجمهور بسلام وأخذ سعيد لمكتب البوليس لحفظ سلامته ، وعندما أسدل الليل سدوله ذهب لمنزله . وفى اليوم الثانى اجتمع البعض من أهل البلد وقرروا تسفير سعيد بن سعيد إلى الحجاز وتسفير محمد الحسن عبدالقادر إلى السودان أو نقله لمركز آخر ثم فى اليوم التالى من يوم الحادث قدم بعضهم عرضحالاتهم لمفتش المركز لتنفيذ قرار المجلس :ـ

ولم يكن فى جماعة أنصار السنة المحمدية سوى الصبر والتوكل على الله وحده . إلى أن وصل الرئيس الحاج محمد صالح طاهر . والعضو الأول للجماعة الحاج حامد على . فى قرية كيرو التى تبعد من اغردات حوالى ٩٥ كيلو متر . فعند وصول حضرة الرئيس قدم طلبا للقاضى يرجو فيه جمع علماء البلد ورد هذه المسألة « إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم » فلم يجد لذلك تأييداً من القاضى ثم اجتمعت اللجنة للجماعة ، وقررت أن يقدم طلب لمفتش المركز تطلب جمع علماء البلد ووجهائها برئاسة المفتى للفصل فى هذه المسألة وفعلا قدم الطلب ولكن لم نجدتأييده . ولم يكن الغرض من كل هذه العروض إلا ليظهر الحق من الباطل حتى يعرف الجميع حقيقة الدين الإسلامى الذى أكمله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم . أما علماء البلد بسلامتهم فرفضوا الاجتماع بحضرة الرئيس وفى الأخير اتضح لنا أن الأمر كله

كان مؤامرة مدبره ممن يزعمون السيادة وحفظاً لذلك اللقب . فهم كانوا الأساس الأول وكانوا مستعدين لكل ما يلزم من الناحية المالية . والأساس الثانى كان من المدعيين العلم ولكن عندما حصحص الحق ولّوا هار بين . والقسم الثالث هم العواطلية خالية الأشغال اجترموا هذه الفتنة لمقابل دراهم معدودة تواعدهم بها أهل السيادة إذا تمت الخطة المدبرة على تسفير سعيد ومحمد الحسن من البلد .

والحمد لله هدأت الحالة الآن وعادت المياه إلى مجاريها وعليه يجب علينا التأسى بالرسول صلوات الله عليه حيث يقول « اللهم اهدى قومى فإنهم لا يعلمون » ولحفظ الحق إن جماعة أنصار السنة المحمدية قررت أن ترسل جميع صور العرضحالات التى أرسلت للقاضى والمفتش إلى سماحة المفتى بأسمره للمعلومية .

ختاماً تقبّلوا سلام الاخوان جميعهم و بلغوا سلامى إلى حضرة الرئيس والأعضاء وجميع إخواننا أنصار السنة المحمدية بطرفكم .

وتفضلوا منا قبول فائق التحية

نـــداء حار

من جماعة أنصار السنة المحمدية بدمنهور

إلى إخوانهم فى الله بالمركز العام وجميع الفروع

السلام عليكم ورحمة و بركاته . و بعد : فقد تعلمون أننا شرعنا باسم الله فى تأسيس دار لدعوتكم بعاصمة البحيرة ، و إننا اعتمدنا فى إنشائها بعد الله على معونتكم ومساعدة وزارة الشئون الاجتماعية وشجعنا على ذلك ما جاءت به أريحية إخواننا أنصار السنة بجدة و بالمركز العام حياهم الله و بياهم وأجزل مثو بتهم . فدفعنا من المتحصل معنا مبلغا من ثمن الأرض وأقمنا حوائطها و بعض سقفها بالباقى ونحن فى انتظار ورود تصريح وزارة الشئون بالجمع أسوة بغيرنا من

الهيئات ، وما كان أشد دهشتنا حين وردنا خطابها بالمنع من اتخاذ أى إجراء لجمع المال بحجة أن ضآلة ماليتنا لا تسمح بإنشاء دار وعبثاً حاولنا إقناعها بحقيقة الأمر . فلم يبق إلا نهيب بكم من فوق منبر مجلتكم المحبوبة لتساعدونا على إتمام هذا المشروع الجليل به الخلاص من هذا المأزق على الموسع قدره وعلى المقتر قدره ، وإلا ضاعت منا الأرض بما عليها من تكاليف وأصبحنا هزأة فى نظر الأنصار والخصوم على السواء . ومن بخلت نفسه تبرعاً قبلنا منه قرضاً مع الضمان إلى الميسرة . والله يقول (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) والسلام عليكم ورحمة الله .

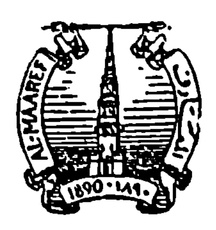
ترسل المبالغ باسم رئيس الجماعة الشيخ محمد محمد أبو علو بشارع سوق البندر بدمنهور .

فرع سرس الليان

اجتمع بدار أنصار السنة المحمدية فرع سرس الليان فى يوم الجمعة الموافق ٢ شوال سنة ١٣٧٠ ، ٦ يولية سنة ١٩٥١ أعضاء جمعيتها العمومية وألقى الأستاذ سعيد مصطفى مرعى المراقب المالى كلمة عن نشاط الجماعة مبيناً فيها الإيرادات والمصروفات فى السنة الماضية ، ثم أجريت عملية انتخاب مجلس الإدارة وأسفرت عملية الانتخاب عن الآتى :

الأستاذ عبد الرحيم محمد عبد الله رئيساً ، والأستاذ سعد عبد الرحمن ندا وكيلاً أولا والحاج سعيد مصطفى مرعى وكيلا ثانياً ، والشيخ محمد الأبشيهى أميناً للصندوق ، والأستاذ عبد الحميد فهمى حسام الدين سكرتيراً ، والأخ مصطفى محمد طلبه مراقباً إدارياً ، والأستاذ سيد محمد عبد الله أميناً للمكتبة . وحضرات : الحاج محمد السيد جمال الدين ، وفهيم أبو النصر ومحمد وهيب ، ومتولى أبو طالب ، ومحمود معوض ، ومحمود البنا ، ومحمد المليجى ، وعبد الحميد عيد — أعضاء ، وقد انتخب الأستاذ متولى الشافعى مراقباً مالياً .

والمركز العام يهنىء المجلس الجديد ، ويرجو له من الله التوفيق والسداد .



ذخائر العرب

مجموعة جديدة يشترك فيها علماء الشرق والغرب
لبعث الكنوز العربية الخالدة ، تقدم إلى جمهور
القراء فى أنصع حلة من التحقيق وجمال الإخراج

ظهر منها

١ — مجالس ثعلب لأبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب (قسمان)
تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٢ — جمهرة أنساب العرب لابن حزم .
تحقيق المستشرق الأستاذ ا . ل . بروفنسال .

٣ — إصلاح المنطق لابن السكيت .
تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ عبد السلام محمد هرون .

٤ — رسالة الغفران (عن أقدم نسخة خطية) لأبى العلاء المعرى .
تحقيق السيدة بنت الشاطىء .

٥ — حلية الفرسان لابن هذيل الأندلسى ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الغنى حسن

تحت الطبع :

٦ — ديوان أبى تمام (شرح التبريزى) تحقيق الأستاذ محمد عبده عزام .

تصــــدرها

دار المعارف بمصر

بإشراف حضرات

محمد حلمى عيسى باشا والدكتور طه حسين باشا والدكتور أحمد أمين بك
والدكتور عبد الوهاب عزام بك والشيخ أحمد محمد شاكر والأستاذ إبراهيم مصطفى